بسم الله الرحمن الرحيم

جامِعة آل البَيت

كُلية الشَريعة

قِسم أُصول الدين

رسالة ماجستير بعنوان :

مُقومات البِناء الحَضاري مِن خِلال سُورة الإسراء

" دِراسَة عَقَدية تَحليلية "

Foundations of the Civilization in the Esra'a Chapter

" Dogmatic Analytic Study "

إعداد الطالب :

براء صباح عثمان العاني

الرقم الجامعي (1520105027)

بإشراف الأستاذ :

بهجت عبد الرزاق الحباشنه

2016 / 2017م

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

بِسم اللهِ الرَحمن الرَحيم

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

التفويض

أنا الطالب (براء صباح عثمان العاني) أُفوض جامعة آل البيت بتزويد نُسخ من رسالتي

(مقومات البناء الحضاري من خلال سورة الاسراء - دراسة عقدية تحليلية) ، للمكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الاشخاص عند طلبهم حسب التعليمات النافذة في الجامعة .

التوقيع :

التاريخ :

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

قرار لجنة المناقشة

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة آل البيت

كلية الشريعة

قسم أصول الدين

مقومات البناء الحضاري من خلال سورة الاسراء

دراسة عقدية تحليلية

Foundations of the Civilization in the Esra'a Chapter

" Dogmatic Analytic Study "

إعداد الطالب

براء صباح عثمان العاني

الرقم الجامعي (١٥٢٠١٠٥٠٢٧)

إشراف الأستاذ الدكتور : بهجت عبد الرزاق الحباشنة

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
أ.د بهجت عبد الرزاق الحباشنة (رئيساً ومشرفاً)	
أ.د محمد عبد الحميد الخطيب (عضواً)	
أ.د محمد الدومي (عضواً)	
أ.د حسين جابر بني خالد (عضواً)	

قدمت هذه الدراسة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في (العقيدة الإسلامية) في كلية الشريعة – قسم أصول الدين في جامعة آل البيت .

نوقشت واوصي باجازتها بتاريخ /١٢/ ٢٠١٧

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

الإهداء

إلى والديَّ الحبيبين أطال الله في عُمرهما اللذين غمراني بدعائهما لي دائماً ولم يبخلا بالدعم المادي والمعنوي لي ابداً ...

إلى زوجتي الحبيبة التي كانت مُحفزة لي ومُشجعة وحريصة على مواصلة دراستي ولم تتوان في تقديم الدعم المعنوي والتشجيع المستمر لي دائماً ...

إلى أولادي الشموع المُنيرة التي تضئ الدرب لي أينما حللتُ وارتحلت ، أسأل الله تعالى ان يجعلهم من المتفوقين دينياً وخلقياً وعلمياً ...

إلى أشقائي وأصدقائي اللذين ينظرون اليَّ بعين القدوة والأمل ، أسأل الله تعالى ان أكون عند حُسن ظنهم ...

إلى كل من علمني حرفاً منذ طفولتي والى المرحلة التي وصلتُ اليها ...

إلى كل طلبة العلم الذي يتوقون شوقاً لنيل شرف قُربه والسعي لتحصيله ...

إلى كل من ساعد في إخراج هذه الرسالة ...

إلى كل هؤلاء أهدي عملي المتواضع هذا ...

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شكر وتقدير

قال تعالى (وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ) النحل: 40 .

يارب لك الحمد والشكر ملء السموات والارض، لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك الكريم وسلطانك العظيم .. احمدك ربي واستغفرك واتوب اليك، واشكرك ولا احصي ثناءً عليك انت كما اثنيت على نفسك ...

وأُصلي واسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، والسراج المنير القائل في الحديث الشريف : " من لم يشكر الناس لم يشكر الله عزوجل "(1) .

لذا ارى لزاما عليّ ان اعترف بالفضل لمن هو اهله، وان اشكر كل من ساعدني في هذه الرسالة مع عجز لساني عن التعبير بكلمات الشكر لهم ...

فأتقدم بالشكر الجزيل وخالص التقدير الى فضيلة الدكتور بهجت عبد الرزاق الحباشنة على توجيهي وارشادي الى ان من الله عليّ باتمام هذه الرسالة، فكان نعم المرشد والموجه والمعين على اصول العلم وابوابه، وكان له الفضل بعد الله في اختياري للعنوان واعداد الخطة ...

كما اتقدم بالشكر والعرفان الى اساتذتي منارة العلم الذين علموني وارشدوني في دراستي للماجستير، فلم يبخلوا بنصح ولم يدخروا معلومة من اجل ان اصل الى ما وصلت اليه، فتعاونوا معي في اعداد الخطة وضبطها واخراجها بالصورة التي هي عليه الان، فهذه الكلمات لا تؤدي حقهم ولكن اجرهم عند الله عظيم ...

واتقدم بجزيل شكري وامتناني لزملائي في مرحة الماجستير الذين كانوا بالفعل اخوة لي، فالتعاون والجد والاجتهاد كان ديدنهم،ولم يبخلوا بمعلومة، وفقهم الله واعانهم لان يصلوا الى اعلى درجات العلم والنجاح ...

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما اقدم خالص شكري وتقديري لاعضاء لجنة المناقشة من أساتذتنا الافاضل، لما تحملوه من اعباء مراجعة الرسالة، وإثراءها بملاحظاتهم وتوجيهاتهم القيمة، والشكر موصول الى جامعة آل البيت لاستضافتنا كطلبة علم وتقديم كافة الامكانيات اللازمة لاكمال دراستنا، كما اشكر كل من علمني حرفا سواء في مرحلة البكالوريوس او الماجستير، فجزاهم الله عني خير الجزاء ...

واسال الله تعالى ان يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وان ينفع به طلبة العلم، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (279هـ)، سنن الترمذي، حكّم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه العلامة محمد ناصر الدين الالباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط1، كتاب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب في ما جاء بالشكر لم احسن اليك، ص445 . وحكمه الالباني في الاحاديث الصحيحة برقم (417)، واورده ابي داوود في صحيحه برقم(4811) .

www.manaraa.com

قائمة المحتويات

التفويض .... ج
قرار لجنة المناقشة .... د
الإهداء .... هـ
شكر وتقدير .... و
قائمة المحتويات .... ح
الموضوعات .... ط
ملخص الرسالة .... م
المُقدمة 1
الفصل الأول لتعريف بمُصطلحات البحث 8
الفصل الثاني علاقة الإنسان مع الله عزوجل وأثرها في البناء الحضاري 31
الفصل الثالث علاقة الإنسان مع نفسه ومع غيره وأثره في البناء الحضاري 135
الفصل الرابع الإيمان بالغَيب وأثره في البناء الحضاري 253
الفصل الخامس منهجية الرَد على الإتهامات والتحديات التي وُجِهت للرسول صلى الله عليه وسلم أثرها في البناء الحضاري 377
الخاتمة 477
التوصيات : 481
المصادر والمراجع 482
Abstract 496

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الموضوعات

المقدمة ....

الفصل الاول : التعريف بمصطلحات البحث ....

المبحث الأول : البناء الحضاري ....

المبحث الثاني : سورة الإسراء ....

المبحث الثالث : دراسة عقدية ....

المبحث الرابع : دراسة تحليلية ....

المبحث الخامس : بني إسرائيل واليهود ....

الفصل الثاني : علاقة الإنسان مع الله عزّ وجل وأثرها في البناء الحضاري ....

المبحث الأول : التدبر والتفكر في بديع صنع الله ....

المطلب الأول : الليل والنهار ....

المطلب الثاني : السموات والأرض ....

المطلب الثالث : البَر والبَحر ....

المبحث الثاني : توحيد الربوبية ....

المطلب الأول : إفراد الله سبحانه وتعالى بالربوبية ....

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

المطلب الثاني : الإنسان بين طاعة الملائكة وعِصيان إبليس ....

المطلب الثالث : الإيمان بما جاء به الله تعالى من الإيمان به سبحانه ....

المبحث الثالث : توحيد الإلوهية ....

المطلب الأول : الإستقامة والطريق القويم ....

المطلب الثاني : التحدي الكبير ....

المطلب الثالث : قُدرة الله سبحانه وتعالى في إدارة الكَون وتدبير الإنسان ....

المبحث الرابع : مبدأ الثواب والعقاب ....

المطلب الأول : مبدأ الثواب ....

المطلب الثاني : مبدأ العقاب ....

الفصل الثالث : علاقة الإنسان مع نَفسه ومع غيره وأثره في البناء الحضاري ....

المبحث الأول : الإنسان بَين الجَبر والإختيار ....

المبحث الثاني : علاقة الإنسان مع نَفسه ....

المطلب الأول : العِبادات ....

المطلب الثاني : عادات وتعاليم وسلوك (الأخلاق) ....

المطلب الثالث : الدُعاء على النفس ....

المبحث الثالث : علاقة الإنسان مع غيره ....

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول : علاقة الفَرد مع والديه ....

المطلب الثاني : الإيفاء بحقوق الناس ....

المطلب الثالث : حُرمة القتل ....

المطلب الرابع : إجتناب الزنا ....

الفصل الرابع : الإيمان بالغَيب وأثره في البناء الحضاري ....

المبحث الأول : ما إختص الله به نفسه ....

المطلب الأول : اللّوح المحفوظ ....

المطلب الثاني : الأمر الآلهي لِمَن في السماء عند خَلق البشر ....

المطلب الثالث : الروح ....

المطلب الرابع : رَفع القرأن ....

المطلب الخامس : أن الله سائِلنا ....

المبحث الثاني : ما حَصل للنبي عليه الصلاة والسلام بإرادة الله تعالى ....

المطلب الأول : عناية الله فوق كيد أعدائِه ....

المطلب الثاني : التفريق بين دعوة محمد ودعوة موسى عليهما الصلاة والسلام ......

المبحث الثالث : الإسراء والمِعراج ....

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الرابع : أعظم إجتماع في التاريخ ....

الفصل الخامس : منهجية الرد على الإتهامات والتحديات التي وُجِهت للرسول صلى الله عليه وسلم وأثرها في البناء لحضاري ....

المبحث الأول : الإتهامات التي وُجِهت لشخص النبي محمد صلى الله عليه وسلم ....

المطلب الأول : السِحر ....

المطلب الثاني : الشِعر ....

المطلب الثالث : الكهانة والجنون ....

المبحث الثاني : التحديات التي وُجِهت للرسول محمد صلى الله عليه وسلم ....

المبحث الثالث : الإتهامات والتحديات نفسها حَصلت للأنبياء السابقين ....

المبحث الرابع : طُغيان اليهود وبعض بني إسرائيل ....

المبحث الخامس : لِكلِ قومٍ رسول ....

الخاتمة ....

التوصيات ....

المصادر والمراجع ....

الملخص باللغة الانجليزية ....

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ملخص الرسالة

تتناول هذه الرسالة موضوع البِناء الحضاري وكيفية إستخراج مفاهيمه وأساسياته من خِلال القرآن الكريم ، وبالتحديد سورة الإسراء التي إختَرتُها موضوع الدراسة، فقامت هذه الدراسة على مناهج التحليل وإستنباط الأحكام من آيات القرآن الكريم ، كذلك المنهج التأريخي الجُزئي الذي يتناول صفحات مُحَددة من التأريخ حَسب حاجة البحث لها .

وإشتمل البحث في مُجمله على مُقدمة وخمسة فصول وخاتمة ، تضَمنت المُقدمة مسوغات إختيار الموضوع ، وإشكالية الدراسة، وحدود الدراسة، ومُشكلة الدراسة، ومنهجية الكتابة فيه.

أما الفصل الأول، فقد تَضمن تعريفاً بالمُصطلحات الخاصة بالبَحث، وبياناً لمعنى البِناء الحضاري، والفرق بين اليهود وبني إسرائيل.

أما الفصل الثاني، فقد تَضمن علاقة الإنسان مع الله سبحانه وتعالى، وكيفية التَدبّر والتَفكّر في بديع صُنعه، وتوحيد الربوبية، وتوحيد الإلوهية، ومبدأ الثواب والعِقاب.

أما الفصل الثالث، فقد تَضمن علاقة الإنسان مع نَفسه ومع غيره، وبيان أحوال الإنسان بين الجبر والإختيار، وكيفية تأثير هذه العلاقة التي يبنيها الإنسان مع نفسه ومع غيره في البناء الحضاري.

أما الفصل الرابع، فقد تَضمن الإيمان بالغيب، وما إختص الله به نَفسه وجَعّل الأُمور الغيبية من شأنه وحده سبحانه، وما حَصل للنبي بإرادة الله سبحانه وتعالى، وقصة أعظم رِحلة حَصلت على هذه الأرض، وأعظم إجتماع في التأريخ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما الفصل الخامس، فقد تَضمن مَنهجية الرَد على الإتهامات والتَحديات التي وُجِهت للرسول عليه الصلاة والسلام وأثرها في البناء الحضاري، وبيان أن جميع الأقوام أُرسل إليها رُسُل، مع بيان طُغيان بني إسرائيل في الأرض، ونَكسِهم على أعقابهم بما صَنعت أيديهم.

وقد تَوصَلت الدراسة إلى عِدة نتائج هامة أضافت جديداً للمعرفة، كان أهمها أن البناء الحضاري لا يستَقيم إلا إذا أخذّنا أساسياته من تشريعات القرآن الكريم، وأَمْن الأوطان لا يكمل رُقيِها ولا يعلو بِنائها إلا إذا إنتَهلت لَبِناتِها من توجيهات القرآن الكريم وأحكامه.

أسال الله تعالى أن يجعَله عملاً مُتقبلاً خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفَع به طلبة العِلم.

www.manaraa.com

المُقدمة

الحمد لله العزيز الوهاب ، رَب الأرباب ومُسَبب الأسباب ، ومُنزّل الكِتاب لهداية الناس من الضلال والإرتياب ، والصلاة والسلام على خير من وطَئت قدمه التراب ، ونَطق بالوحي بأفضل كتاب، نبينا محمد المصطفى الذي لم يأفل هديه وما غاب ، وعلى آله وصحابته الغُر الأنجاب ، وبعد ....

جاء الإسلام ليَنقل البشر من مهاوي الضلالة، وغياهب الظلم ، ديناً فيه صلاح النفوس وراحة القلوب وإنتظام العالم ، وذلك ببيان المبادئ الأخلاقية ، والأحكام العملية ، والخطوات الأساسية لِبناء الإنسان الإسلامي الفريد ؛ لتحقيق مبدأ الإستخلاف الفِعلي الحق الذي من أجله نَزل الإنسان إلى هذه الأرض . وبذلك يكون الإسلام قد شَمل جميع مناحي الحياة الدنيوية والأُخروية . فالله سبحانه وتعالى أرسل نبيه محمد صلى الله عليه وسلم على فترة من الرُسل وأنزل معه الكتاب بالحق ليَحكم بين الناس بالحق ، ويهدي إلى صراط الله المستقيم . وأنزل أحكامه وتشريعاته لِبني البشر ليسيروا على درب الهداية والنجاة ، ويرسموا الخطوط العريضة لحياتهم وفق إرادة الله سبحانه وتعالى ومشيئته للإنسان . وهذه التشريعات التي إحتوتها سورة الإسراء تحمل في طياتها من أحكام عَقدية مهمتها تنظيم الحياة وتطوير الحضارة وإزدهار الأوطان . فما بين عَرض للأُمم السابقة وكيف أنهم حاربوا دين الله وأنبياءه وما بين عصر الجبابرة الذين واجههم الرسول محمد عليه الصلاة والسلام كثير من الأُمور التي يجب الوقوف عليها وأَخذ الدروس والأحكام . كذلك إستنباط بعض الأمور الغيبية وأخذ الأدلة منها لمعرفة الله سبحانه وتعالى والوصول إليه من خلال بدائع صنعه ونِعمه والآءه على بني البشر . ومن الواجب على الإنسان أن يتوصل إلى كيفية إستغلال التربية النفسية وبِناء الإنسان الداخلي الفطري للوصول إلى بناء مجتمع حضاري سليم من الترهات وخالي من التجاوزات . وتُعلمنا سورة الإسراء كنموذج دراسي معنى الأخلاق وأثرها في سلوك الفرد وكيفية التعامل مع المجتمع والمحيطين به .

www.manaraa.com

وقبل كل هذا كان جانب علاقة الإنسان بربه حاضرة في هذا البحث لأنها أصل العلاقات وأقواها ، لأن بهذه العلاقة يمكننا أن نتوصل إلى بقية الروابط المجتمعية ودليل الإستقامة والرخاء . وإشتملت الدراسة على بيان تعنّت المشركين في إستقبال رسالة النبي عليه الصلاة والسلام ومن قَبلهم بنو إسرائيل وكيفية تعامل القرآن معها ، وإستعراضها بصيغة الماضي الحاضر وكيفية تعامل النبي صلى الله عليه وسلم معها وربطها بما يجري في الحاضر من أن الأهداف واحدة ، والطبيعة واحدة ، والأفكار واحدة ، مع الإختلاف في الزمان وكيفية إدارة الجدال . كذلك تطرقت الدراسة إلى كيفية الإستفادة من التشريعات الآلهية والتعاليم الربانية في بناء السلوك الإنساني الحضاري وبناء المجتمع ، وأن هذه التعاليم والتشريعات صالحة لكل زمان ومكان وليست مخصوصة بعصر الرسالة وما تلاها من عصر الخلافة ، إذ أن هذه الأحكام بِحِكمة الله سبحانه وتعالى سارية المفعول ، إيجابية النتائج ، بها تنظم حياتنا ، ومن خلالها نُرضي خالقنا . هذا بالإضافة إلى إثبات أن ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق ، وناسخ ، وخاتم ، بشهادة جميع الأنبياء ، إذ أقرّوا له بالإمامة ، وسَلموّه الراية ، وشهدوا له بختم النبوة والرسالة .

مسوغات إختيار الموضوع :

لإختيار هذا الموضوع عدة مسوغات منها :

1 - ركزت الدراسات السابقة على رحلة الإسراء والمعراج فقط بالإضافة إلى النقاط الأخلاقية في السورة ، فيما أهملت بقية الأُمور العَقدية والتشريعية .

2 - لم يتطرق أحد سابقاً إلى ربط البناء الحضاري في تشريعات القرآن الكريم أو أخذ العبر من النصوص القرآنية في بناء الإنسان والأوطان .

3 - ضرورة إستشعار آيات ونصوص القرآن الكريم وإستخراج توجيهاتها وأحكامها فيما يخص التربية النفسية وإعداد الإنسان لِنفسه عقدياً وفكرياً وسلوكياً .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

4 - فساد وطغيان بنو إسرائيل الذي جاوز حدوده وبلغ أقصى مبتغاه من إفساد في الأرض ، وضرورة معرفة الكَرّتيّن على بني إسرائيل هل تحققت أم لا؟ لأنها تؤثر في همة المسلمين وعزيمتهم.

5 - ضرورة التركيز على موضوع تسليم الراية لأُمه محمد صلى الله عليه وسلم من جيل لجيل ، وأن الدين الأسلامي الذي نزل على محمد عليه الصلاة والسلام هو ناسخ لجميع الديانات وخاتمها بشهادة وحضور جميع الأنبياء والمُرسلين عليهم الصلاة والسلام .

6 - سورة الإسراء من سُور القرآن العقدية التي تربط العقيدة بتشريعات ترسم للبشرية الخطوط العريضة للإزدهار والرُقي والتطور الحضاري والعمراني والفكري .

إشكالية الدراسة :

تتحدد إشكالية الدراسة في المسائل التالية :

1- ماهو دور الأحكام القرآنية في إرساء مبدأ تكوين الحضارة ؟

2 - هل نكتفي بظاهر النص القرآني في ترسيخ مبدأ العقيدة ؟

3 - كيف نستعين بالغيبيات للإستدلال على الخالق والتوصل لمعرفته ؟

4 - ماهي التحديات التي واجهت دعوة محمد صلى الله عليه وسلم من قِبل زعماء قريش ؟

5 - ماهي الكَرَّتَين التي تعرض لها بنو إسرائيل ؟ وهل حصلت الكَرَّة الثانية عليهم ؟

6 - ما هو وجه الشبه بين دعوة محمد ودعوة بقية الأنبياء والمُرسلين عليهم الصلاة والسلام وبالأخص منهم موسى عليه الصلاة والسلام ؟

7 - هل أن محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمُرسلين ؟ وهل أن ما جاء به هو الدين الحق ؟

8 - ما هي أحوال الإنسان العقدية بالنسبة للملائكة والشيطان ؟

9 - هل يمكن أن لا يكون لبعض الأقوام رسول ورسالة ؟

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حدود الدراسة :

تقوم هذه الدراسة على ضرورة البناء الحضاري الذي يستمد أحكامه ولَبناته من أحكام وتشريعات القرآن الكريم ، لأن ما جاء في القرآن انما أُريد به مصلحة الإنسان ورُقيه وإرتقائه على أعلى مستويات الإجتهاد الدنيوي الذي يوصله الى درجات عليا أُخروية . كذلك بيان علاقة الإنسان بخالقه ودورها في البناء الحضاري الذي يحقق مبدأ الإستخلاف الفعلي للإنسان على هذه الأرض . كذلك علاقة الأنسان بنفسه ومع غيره لتطبيق مبدأ العدالة الآهية فيما بين بني البشر ؛ لبناء النفس وتربيتها بالصورة التي أراد لها ربنا وبالكيفية التي تضمن حسن سيرها وتعاملها مع الآخرين . بالإضافه بيان أحكام خاصة ببنو إسرائيل فيما يتعلق بالكَرّتيّن التي ذكرها الله سبحانه وتعالى بحقهم في القرآن الكريم ، ومدى واقعيتها بالفعل عليهم . مع توضيح لإمامة النبي عليه الصلاة والسلام بباقي الأنبياء والمرسلين ودلالتها ونتائجها على الإنسان بصورة عامة .

ثم أن الدراسة تسعى الى وضع معالم البناء الحضاري وفق مقررات القرآن الكريم وإنطلاقاً من توصياته وتشريعاته التي جاءت لتحقيق مصالح العباد وإرشاده لتحقيق النقلة الكبيرة وإرتقائه بمستواه الفكري والأخلاقي ومن قِبلها المستوى العقدي والتعبدي .

مشكلة الدراسة :

طبيعة هذا البحث تحتاج الى التوسع في الأحكام والأوامر والتشريعات المذكورة بباقي سُور القرآن الكريم وليس فقط سورة الإسراء ليكون منهج متكامل للإنسان . كما يتطلب مراجع ومصادر تتطرق الى نفس الهدف والفكرة ، لكن إفتقارنا لها جَعل الدراسة محدودة ومختصرة .

منهج الدراسة :

إتَبعت في دراستي هذه المناهج التالية :

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اولاً : المنهج الاستقرائي :

قمت باستقراء جميع الاحداث التي ترتبط ارتباطاً مباشراً ووثيقاً مع مفردات رسالتي او بعضها لاعطاء معلومات واضحة وصحيحة تساعد على بيان كثير من الاحكام فيما يخص التاريخية منها او التشريعية .

ثانياً : المنهج التحليلي :

حيث قُمت بتحليل وتفسير الآيات والنصوص القرآنية لإستخراج المعاني وما ترشد اليه ، وعدم الإكتفاء بظاهر النص كدليل .

ثالثاً : الإستنباطي :

قُمت من خلال إستخدام المنهج التحليلي والتاريخي الجزئي إستخدام المنهج الإستنباطي من أجل الوصول الى النتائج الأكاديمي المرجوّة من الدراسة .

أدبيات الدراسة :

هنالك دراسات أكاديمية تحدثت عن سورة الإسراء أغلبها من وجهة نظر تفسيري ولغوية ، لكنها لم تتطرق لها من الناحية العقدية ومن ناحية البناء الحضاري وإقتباس أحكامه من نصوص وآيات السورة . ومن هذه الدراسات :

1 - أثر الواقع في اختلاف فهم النص القرآني عند المفسرين (إفساد بني إسرائيل في سورة الإسراء أنموذجاً) ، لـ د. جهاد محمد فيصل النصيرات . الجامعة الأردنية/ كلية الشريعة ..... تحاول هذه الدراسة الوقوف على آراء المفسرين الأقدمين والمحدثين في تحديد معاني هذه الآيات، لبيان دور الواقع في اختلاف فهم النص القرآني عند أولئك المفسرين؛ لقد اختلفت آراء المفسرين قديماً وحديثاً

في فهم آيات إفساد بني إسرائيل التي جاءت في سورة الإسراء . فتناولت آراء المفسرين القدامى والمحدثين في إفسادَيّ بني إسرائيل، وأسباب اختلافهم .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2 - الأحكام والآداب المستفادة من سورة الإسراء ، لـ أحمد محمد بوقرين - ماجستير أصول دين- بالجامعة الأمريكية المفتوحة ..... فهذا البحث عبارة عن عرض للآداب والأحكام المستفادة من سورة الإسراء ، وقام هذا البحث بعرض الأحكام المستفادة من سورة الإسراء ، ومنها مسألة أشرف اسم للنبي صلى الله عليه وسلم ، ومسألة هل أسري بجسد الرسول صلى الله عليه وسلم أم بروحه وجسده معا ، ومسألة فرض الصلاة حينما عرج به إلى السماء ، ووجوب بر الوالدين ، وحق ذي القربى ، وحرمة قتل الأولاد وقتل النفس التي حرم الله ، حرمة التصرف في مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن .

3 - دراسة تحليلية وموضوعية لسورة الاسراء ، لـ فيروز محمد خير الدين الشيشاني ، رسالة ماجستير في التفسير مقدمة الى كلية الدراسات العليا في الجامعة الاردنية ..... قامت هذه الدراسة بتفسير السورة تحليليا وموضوعيا مستعينة بمصادر التفسير وغيرها . فتحدثت عن التفسير الموضوعي وتناولت اسم السورة وعدد اياتها وترتيب نزولها المكي والمدني وموضوع السورة ، كذلك اسباب النزول ووجوه القراءات والاعراب والبلاغة والبيان والمعنى .

4 - رحلة الإسراء والمعراج ودلالاتها الخاصة بالقدس والمسجد الأقصى ، لـ د. محمد عيد الصّاحب ، كلية الشريعة - الجامعة الأردنيّة ، مقدّم للمؤتمر الدّولي للقدس 4- 8/ 10/ 2009 ..... يقول الباحث : والسبب في توجهي للكتابة في هذا الموضوع، هو أنّ الإسراء والمعراج فيهما دلالات عظيمة؛ تخصّ عنوانين كبيرين هما المسجد الأقصى وبيت المقدس، حيث يتعرضان لهجمة شرسة وحملة ظالمة، من أجل تهويدهما، وطمس هويتهما الإسلامية والعربية، ونحن بحاجة إلى إبراز هذه الدلالات من أجل المحافظة على القدس، ومسجدها، وما جاورها من أرض مباركة. وإنّ بيت المقدس ومسجدها المبارك ربطها الإسلام بعقيدة المسلمين بأكثر من رابط، وكان هذا الرّبط من بدايات البعثة الإسلاميّة، ومن الأيام الأولى لانطلاقة هذا الدّين وبعثة الرسول الأمين ، ولا يوجد أقوى من رابط الصلاة، حيث كانت القبلة الأولى للمسلمين في صلاتهم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

5 - طلائع الإعجاز الغيبي في طوالع سورة الإسراء ، لـ د. جمال محمود أبو حسان ، أستاذ مشارك في التفسير وعلوم القرآن / كلية الشريعة بجامعة الزرقاء الأهلية بالأردن ..... يقوم البحث في جوهره على تفسير الآيات من (4-7) من أول سورة الإسراء، حيث يقوم التفسير على مجموعة من الأسئلة يراها الباحث ضرورية لفهم الآيات. وقد خلص الباحث بعد إيراد تلك الأسئلة والإجابة عنها، ومعرفة أقوال العلماء في تفاصيل تفسير تلك الآيات: إلى أن هذه الآيات تتحدث في مضمونها عن واقع يعايشه الناس اليوم، وليست خبرا تاريخيا عن أمم ماضية. وقد بين الباحث هذه الحقيقة بالأدلة والبراهين العلمية ومناقشة آراء المخالفة .

6 - بالاضافة الى بعض المقالات والمواقع الالكترونية تناول ما يسمى الوصايا العشر في سورة الاسراء وهي التعاليم والاوامر والنواهي مثلما ذكرنا مسبقا وهي حرمة القتل والزنا واكل مال اليتيم وعدم الاشراك به سبحانه ، فكانت تناول هذه الوصايا من باب الاوامر الالهية لنا ومن باب الاحكام الفقهية ، ولكن لا بأس من القاء النظرة عليها والاستئناس بها .

وهذه الدراسات لم تجب على اشكالية الدراسة التي ذكرتها سابقا ، لذا فهذه الدراسة ستجيب عن هذه التساؤلات من خلال استخراج احكام هذه السورة واوامرها وتشريعاتها وجعّلِها قانوناً للبناء الحضاري العصري الفعّال والفريد الذي يرتقي بالانسان لتحقيق الغاية من وجوده على هذه الارض . كذلك قمت بتجميع ما تشتت من معلومات واستنتاجات تفرقت بتفرق البحوث والدراسات ، اذ ان لكل بحث موضوع مختلف عن البقية ، او ان هنالك اكثر من بحث بنفس الموضوع ، فقمت بتجميع ما تفرق .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الأول

لتعريف بمُصطلحات البحث

المبحث الأول : البناء الحضاري

المبحث الثاني : سورة الإسراء

المبحث الثالث : دراسة عَقدية

المبحث الرابع : دراسة تحليلية

المبحث الخامس : بني إسرائيل واليهود

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول : البناء الحضاري

يتكون هذا المبحث من كلمتين وهما بناء وحضارة ، وحتى يكتمل لدينا مفهوم البناء الحضاري لابد لنا من معرفة أصل هاتين الكلمتين لكي نصل الى معنى واضح لمصطلح (البناء الحضاري) .

فكلمة بناء تعني وضع الشئ على الشئ وإكثاره وزيادته وتطويره وترتيبه . وان البناء " بمعنى الشئ المبني ، كقوله تعالى (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً)"(1)(2). وقال : " ان البناء والبناية والبنيان بمعنى الاقامة كقوله تعالى (أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا)(3) أي أقامها وخلقها مسواة مُحكمة "(4) ، والبناء : هو وضع الشيئ على شيئ بحيث يُراد به الثبات .

أما الحضارة فهي مصطلح موسع لغةً وإصطلاحاً ، فقد تطرق أكثر من خاضوا فيه الى معناه المرتبط بالمفهوم الاسلامي والعربي . في اللغة العربية يُقال : حَضر يحضر فهو حاضر من الحضور أي التواجد ، وقد إستُخْدِمَ لفظُ الحَضارة قديماً " - بكسر الحاء وفتحها - للإشارة إلى الإقامة في الحَضَر ، وهو خلافُ البادية "(5) ، أما الأصفهاني فقد استعرض الفعل الثلاثي "حَضَرَ" وما اشتق منه في القرآن الكريم . وقال: " الحَضَر خلاف البدو، والحَضارة : السكون بالحَضَر "(6) ، وقال الصاحب إبن عباد: "الحِضارة ، والحَضارة وهي ضد البداوة "(7) . وعرّف مجمع اللغة العربية الحضارة بأنها: " مظاهر الرقي العلمي، والفني، والأدبي، والاجتماعي في الحضر"(8).

أما الحضارة في الإصطلاح فقد تطور هذا المعنى في القرن الأخير فأصبح معنى الحضارة موسع يحتوي على العديد من المعاني بحسب حاجة المجتمع لها ، وبحسب حاجة الباحثين ، لذلك سأذكر معنى الحضارة الإصطلاحي بما يتلائم مع منهجية بحثي وما يتناسب مع المفهوم العام الاسلامي لهذا المصطلح . فالحضارة عند إبن خلدون : " إنما هي تفنُّنٌ في الترف ، وإحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه "(9) .

والحضارة : "هي العادة التي يسير عليها الناس في حياتهم العامة، والخاصة في قُطر من الأقطار ،

---

(1) سورة البقرة، الآية 22 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(2) حسن عز الدين الجمل، معجم وتفسير لغوي لكلمات القران، الهيئة المصرية العامة للكتاب،2003م ، ج1، ص220 .

(3) سورة النازعات، الآية 27 .

(4) حسن عز الدين الجمل، معجم وتفسير لغوي لكلمات القران، ج1، ص219 .

(5) جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار الحديث، القاهرة، 2003، ج2، ص485، مادة (حضر) .

(6) أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ضبطه وصححه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ1997م، ص 137، مادة (حضر) .

(7) كافي الكفاة إسماعيل الصاحب ابن عباد، المحيط في اللغة، تحقيق الشيخ محمد حسم آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1414هـ ، 1994م، عدد الاجزاء 11، ج 2،ص 439، مادة (حضر) .

(8) مجمع اللغة العربية القاهري، المعجم الوسيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، عدد الاجزاء 2، ج 1، ص 180 . (لم يذكر رقم الطبعة وتاريخها) .

(9) عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ص172 . (لم يذكر رقم الطبعة وتاريخها) .

في زمن من الأزمان"(1) . والحضارة : " نظام إجتماعي يجمع بين العناصر المعنوية ؛ كالأفكار، والعادات ، والأعراف ، والقيم ، والأذواق ، والمشاعر ، والمفاهيم ، والعناصر المادية ؛ كالحرف ، والمعايش ، والمكاسب ، والصناعات ، والأطعمة ، والألبسة ، والوسائل ، والأساليب "(2) . فهي بذلك تختلف عن المدنية وعن الثقافة ، فالمدنية هي جزء من الحضارة ، بل هي نِتاج لِما تصنعه الحضارة . وقد عرّف الكيلاني المدنية بأنها : " الجانب المادي من الحضارة؛ كالحرف، والمكاسب، والصناعات، والوسائل المادية ، والأساليب العلمية .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتمتاز المدنية بالتعميم ؛ فهي مِلْكٌ لجميع البشر، ولا تصلح لتميز أُمّة عن أُمة "(3) . وهناك من عدّ الحضارة " عقل ، وروح . والتمدين عقل بلا روح . وأنّ التمدين تفسير للحضارة "(4) .

أما الثقافة فهي " ذلك الكل المُركب من المعارف والعقائد والفن والأخلاق والقانون والأعراف ، وكل ما إكتسبه الانسان بإعتباره عضواً في مجتمع ما "(5) . وهي " معرفة عملية مكتسبة تنطوي على جانب معياري، وتتجلى في السلوك الواعي للانسان (فرداً أو جماعة) في تعامله في الحياة الاجتماعية مع الوجود بأجزاء مختلفة (أو مع الخالق والمخلوقات) "(6) .

فالثقافة والمدنية تختلف عن الحضارة ، وان مفهوم الحضارة أكبر وأشمل منهما ، إلا أن إختلافهما فيما بينهما في مدى إتجاه كل واحدة منهما بالطريق الذي رسمه الانسان لها من أُسس وقواعد تجعل لها قوانين خاصة بها وتميزها عن غيرها بالخصائص العامة .

ومن هنا أصبح لديّ تصوراً واضحاً عن مصطلح (البناء الحضاري) الذي هو صياغة الانسان لحياته العامة مما يجعل له القدرة على تحقيق مبدأ الإستخلاف في الارض على ضوء إكمال اللبنات الأساسية لتحقيق مبدأ الوجود الفعال في الحياة ، والبناء الحضاري هو نِتاج عمل الأمة وفق خطوط عريضة رسمها لهم الدين ليتحقق من خلالها مبادئ أساسية كالعدل والمساواة والتطور الثقافي والإرتقاء بمبدأ الأخلاق والسلوك ، بالأضافة الى الإرتقاء والتطور المستمر في الجانب العلمي والابداعي .

فرب سائل يسأل بأن الدين ليس شرطاً لبوزغ الحضارة وقيامها كحال بقية الأُمم ؟ وهنا أقول له أننا المسلمين من واجبنا ترسيخ مبدأ الحضارة من مفهومنا الاسلامي لتكون منطلق لنا لإعمار الارض كخلفاء إستخلفنا الله فيها ، وهذا المبدأ يكون أقوى وأمتن من غيره ، لأن بقية الأمم تعتمد في إنشاء حضارتها على الماديات والتطور من الإنسان الى الإنسان دون الإعتماد على أساسيات عميقة وقوية تمكنها من الحفاظ على هذه الحضارة وديموتها ، فالدين عامل مهم لأنه حافز وداعم لها بإعتبار أن

---

(1) عمر فروخ، العرب في حضارتهم وثقافتهم، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، ص66 . (لم يذكر تاريخ الطبعة) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(2) إبراهيم زيد الكيلاني وآخرون، دراسات في الفكر العربي الإسلامي، ط3، عمّان، 1991م، ص247 ، (لم يذكر اسم الناشر) .

(3) نفس المصدر السابق، ص247 .

(4) يُنظر: أحمد رمضان، الخلافة في الحضارة الإسلامية، دار البيان العربي، جد ة، ط1، 1403هـ ، 1983م، ص9-10 .

(5) عبد الكريم بكار، من اجل انطلاقة حضارية شاملة، دار القلم، دمشق، ط4، 1432هـ ،2011م، ص113 .

(6) عزمي طه السيد احمد، مدخل الى الثقافة الاسلامية، المكتبة الوطنية، المملكة الاردنية الهاشمية، ط1، 2015، ص21.

الدين يُقر مبدأ الثواب والأجر في العمل ، سواء المادي منها أو المعنوي ، كذلك مبدأ العقاب للمسئ ، وللذي يتجاوز على حقوق الآخرين ، خلاف الحضارة التي تقوم على أساس الفائدة المادية كحافز ، حيث تقوم بتوفر الماديات وتزول بزوالها .

وهنا نسترجع أحوال بعض الأُمم السابقة والتي كانت لها علاقة مع الله سبحانه وتعالى كيف أنها حققت الحضارة والتقدم بإنتهاج منهج الله وإتباع رُسله وتشريعاته وأنها زالت بزوال هذا الإتباع ، حيث فَنيت وزالت هذه الأُمم بمجرد أنها أنكرت تعاليم الله عزوجل ، وعَصت رُسله ، وأَهمَلت تشريعاته ، فكان لها الفناء والزوال ، وبظهور الاسلام وبعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم نرى الحضارة الاسلامية في تطور مستمر ، وأنها فرضت نفسها على بقية الأُمم ، حيث أَخرَجت لنا عُلماء وَضَعوا أُسس العلم والتطور ، وإنتهل الغرب من مَنهَلهم ، وإعتمدوا على نِتاج أعمالهم الى يومنا هذا ، لأن رجالات الاسلام إعتمدوا في قيام الحضارة الاسلامية على مبدأ الثواب في العمل والإجتهاد ، منطلقين من إيمانهم بأن الله سبحانه وتعالى أَمر بالعلم والتقدم ، وان ديننا يحثنا على الجد والجهد والبذل والعطاء ، فنرى حضارتنا الاسلامية قائمة الى يومنا هذا، خلاف الحضارات الأخرى التي كان إنطلاقها من مبدأ تحقيق الفائدة المادية والشهرة .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لذا فاننا ننتهج في البناء الحضاري منهجين متلازمين يُكَمِّل أحدُهما الآخر،ولا سبيل لفصلِهما وهما :

أولاً : البناء الحضاري من خلال الدين . فهذا المنهج هو الأكبر والأشمل ، لأن الدين بتشريعاته وتعاليمه يواكب جميع العصور ، وشامل وممتد لتحقيق مصالح العباد ، والمتغيرات مستمرة في حياتنا بسبب التطور الهائل والسريع ، لذا يجب علينا مواكبه الأحداث ورفد المجتمع بأحكام هذا التطور وجزئياته ومفرداته لكي لا يخرج المسلمون عن منهج الله وأَحكامه ، وجعل التطور ينطلق من أحكام ثابتة تصب في رضا وطاعة الله سبحانه وتعالى ، وإن التلازم الذي يكون بين الدين والتطور المجتمعي ينطلق من منطلق واحد وهو إرادة الله . فهو ينطلق من تعاليم الله سبحانه ليصب وينتهي عند مرضاته سبحانه ، فهو من الله وإليه .

والحضارة الاسلامية تأسست منذ 1400 عام ونشأت وتوسعت وثبّتت جذورها لتحقيق غايات وأهداف نبيله منبعها التشريع الآلهي السامي الذي هو خير وفلاح للبشرية . حيث حَثَت على مبادئ وأساسيات تعتبر هي سر بقائها وديمومتها ، ومن هذه المبادئ ، الأخلاق والعدل والمساواة ومبدأ التكافل وحب الآخرين وتمني لهم الخير بالمثل ، بالإضافة الى إحترام الانسان لإنسانيته وجَعله القيمة العليا في المجتمع ، وحَفِظ كرامته وآدميته ، قال تعالى (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا)(1) . وجَعله الله خليفته في الارض ليُعَمّرها ويُحييها بإذن الله ، وينشر رحمة الله وعدلِه في أرجائها ، قال تعالى (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً)(2) .

---

(1) سورة الإسراء، الآية 70 .

(2) سورة البقرة، الآية 30 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبَيّنَ للانسان ان هذا الخلق ليس للعبث واللعب وإنما للجد والإجتهاد ، قال تعالى (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ)(1) . إذاً منطلق البناء الحضاري هو الدين الذي يُحدد عمله ، ويبني أُسسه ، ويوجه مُخططيه نَحو الكمال والمِثالية .

ثانياَ : البناء الحضاري من خلال العلم . التطور العلمي الحاصل في القرون الثلاثة الأخيرة ، والذي حصل بسرعة كبيرة وبصعود مُلفت للإنتباه ، ولا يمكن أن يحصل لولا وجود الدين ، وهنا يجب ان نَعلم ان العلم مهما توصل الى ما في الكون وتطوره ، إنما من خلال ما إستمد من ديننا من معلومات واساسيات لهذا ، فالقرآن الكريم رفد العلم بِكَم هائل من المعلومات والحقائق العلمية ، والتي كلما حاول الغرب وأعداء الدين من إظهارها بصورتها العلمية المجردة ؛ وجدوا أن القرآن قد تطرق لها وأَخبر عنها ، فهُم في تعجب مستمر وفي حيرة دائمه ، إبتداءاً من خلق الانسان ومراحل نموه وتطوره ، مروراً بخلق هذا الكون العظيم ، وإنتهاءاً بمخلوقات الله على هذه الارض بأصغر جزئياتها ، فما إنفك إختراع أو إبتكار أو إكتشاف إلا وكان الدين أما سباقاً له ، أو مُلهماً أو داعماً أو موجهاً عليه . قال تعالى (وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)(2) . هذا دليل واضح أن كلما توصل إليه العلم إنما هو مُقَرَر من قَبل مِن قِبل الله تعالى .

يقول الزحيلي في التفسير المنير : "

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثم جاء دور الإمتنان بوسائل النقل والمواصلات الحديثة (وَيَخْلُقُ ما لا تَعْلَمُونَ) أي ويخلق لكم غير هذه الحيوانات من وسائل النقل كالقطارات والسيارات والسفن والطائرات وغيرها . ثم في هذا العالم السماوي والأرضي والحيواني ، يرشد تعالى إلى الطريق السوي من الطرق المعنوية الدينية والحياتية فقال : وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ.. أي وعلى الله فضلاً وتكرماً بيان الطريق الواضح الموصل إلى الحق والخير"(3) . وقال القرطبي : " من الْخَلْق وقيل ، من أَنواع الْحشرات والْهوامّ في أَسافل الأَرض والْبرِّ والبحر مِمَّا لم يَره البشر ولم يَسمعُوا بِهِ "(4) .

ومن هذه المنطلقات أُثبت ان بناء الحضارة تعتمد على هذين المُقومَين ليَتَحقَق فيها الثبات والشمولية والرصانه والديمومة ، لكي تحقق أهدافها في خدمة الإنسانية جميعاً ..

---

(1) سورة الانبياء، الآية 16 .

(2) سورة النحل، الآية 8 .

(3) وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط2، 1418هـ ، عدد الأجزاء30، ج14، ص91 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(4) أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن - تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ ، 1964م، عدد الأجزاء20 جزءاً (في 10 مجلدات)، ج10،ص80 .

المبحث الثاني : سورة الإسراء

سورة الإسراء أو سورة بني إسرائيل ويأتي ترتيبها بين سور القرآن السابعة عشرة، وعدد آياتها إحدى عشرة آيةً بعد المئة ، ويبلغ عدد كلماتها 1559، وعدد حروفها 6480، وتقع في الجزء الرابع عشر والخامس عشر من القرآن ، وهي من السور المكية ، إشتملت على الكثير من العقيدة والوحدانية بالإضافة الى أحكام الدين الأُخرى .

قال سيد قطب رحمه الله عن سورة الإسراء : " هذه السورة - سورة الإسراء - مكية ، وهي تبدأ بتسبيح الله وتنتهي بحمده ، وتضم موضوعات شتى معظمها عن العقيدة وبعضها عن قواعد السلوك الفردي والجماعي وآدابه القائمة على العقيدة إلى شيء من القصص عن بني إسرائيل يتعلق بالمسجد الأقصى الذي كان إليه الإسراء ، وطرف من قصة آدم وإبليس وتكريم الله للإنسان . ولكن العنصر البارز في كيان السورة ومحور موضوعاتها الأصيل هو شخص الرسول - صلى الله عليه وسلم - وموقف القوم منه في مكة . وهو القرآن الذي جاء به ، وطبيعة هذا القرآن ، وما يهدي إليه ، وإستقبال القوم له . واستطراد بهذه المناسبة إلى طبيعة الرسالة والرسل ، وإلى إمتياز الرسالة المحمدية بطابع غير طابع الخوارق الحسية وما يتبعها من هلاك المُكذبين بها . وإلى تقرير التبعة الفردية في الهدى والضلال الإعتقادي ، والتبعة الجماعية في السلوك العملي في محيط المجتمع . كل ذلك بعد أن يعذر الله - سبحانه - إلى الناس ، فيرسل إليهم الرسل بالتبشير والتحذير والبيان والتفصيل (وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا)"(1) . وقال عنها الرازي : " سورة بني إسرائيل عددها : مائة آية وعشر آيات عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهَا مَكِّيَّةٌ ، غَيْرَ قَوْلِهِ : (وَإِنْ كادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ) إِلَى قَوْلِهِ: (وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطاناً نَصِيراً) فَإِنَّهَا مَدَنِيَّاتٌ ، نَزَلَتْ حِينَ جَاءَ وَفْدُ ثَقِيفٍ "(2) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويذكر الزحيلي : " سميت سورة الإسراء لإفتتاحها بمعجزة الإسراء للنبي صلّى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة ليلاً ، كما سُميت أيضاً سورة بني إسرائيل ، لإيرادها قصة تشردهم في الأرض مرتين بسبب فسادهم : وَقَضَيْنا إلى بَنِي إِسْرائِيلَ " . ويقول في فضلها : " وأخرج البخاري وابن مردويه عن ابن مسعود (أنه قال في بني إسرائيل - أي هذه السورة - والكهف ، ومريم ، وطه ، والأنبياء : هن من العتاق الأوّل ، وهن من تلادي) أي فهي مشتركة في قدم النزول ، وكونها مكيات ، واشتمالها على القصص "(3) .

اما القرطبي فيقول عن سورة الإسراء : " هذه السّورة مَكية ، إلا ثلاث آيات : قولُه عَزَّ وجَلّ (وإن كادُوا لَيَستفزُّونك) نزلت حين جاء رسول اللَّه صلّى الله عليه وسلّم وفد ثقيف ، وحين قالَت الْيَهود : لَيست هذه بأَرض الأَنبياءِ.وَقوله عَزَّ وجلَّ (وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ)

---

(1) سيد قطب (المتوفى 1385هـ)، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط17، 1412هـ ، عدد الاجزاء 6، ج4، ص2208 .

(2) أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى 606هـ)، مفاتيح الغيب - التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ ،عدد الاجزاء 32، ج20، ص291 .

(3) وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، ج15، ص5 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَقوله تعالَى (إِنَّ رَبَّكَ أَحاطَ بِالنَّاسِ) وقال مقاتل: وقولُه عزَّ وجلَّ (إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ) الْآيَةَ. وقال إبن مسعود رضي اللّه عنه في بني إسرائيل والكَهف ومريم: إنّهن من العتاق الأول "(1) .

ومن هنا أن سبب تسميتها بسورة الإسراء ، لورود قصة الإسراء المشهورة فيها ، وتفصيل القول بهذه الحادثة ، وجعلِها مفتاح السورة ومطلعها . وما سُميت بسورة بني إسرائيل إلا لورود قصة بني إسرائيل في أكثر من موضع وورود أحكام خاصة بهم ، كما وذكرت قصة الكرتيّن الذي تعرض لها بنو إسرائيل والمختلف عليها والتي سنتطرق لها لاحقاً .

كما ان الفرق بين اليهود وبني إسرائيل واضح في القرآن الكريم وخصوصاً في سورة الإسراء ، وأيضاً هذا ما سنُفصل القول فيه في المبحث الخامس من هذا الفصل إن شاء الله تعالى .

ومن الأشياء المُهمة أيضاً التي وردت في السورة هي وجه الشبه بين دعوة محمد ودعوة عيسى عليهما الصلاة والسلام مع الفارق في أقوامهما . وهذا أيضاً مما سنُفصل القول فيه لاحقاً .

المبحث الثالث : دراسة عَقَدية

والدراسة مأخوذة من الفعل (دَرَسَ) ، وجاءت كلمة دراسة بمعنى دَرس الشئ والرسم يدرس درساَ ، وقال أبو الهيثم : دَرَسَ الأثر يدرس دروساَ ، ودرسته الريح تدرسه درساً أي محته ، ومن ذلك درست الثوب أدرسه درساً فهو مدروس ودريس أي أخلقته ، ومنه قيل للثوب الخلق . والدرس : الطريق الخفي "(2) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والدرس هو المقدار المُعين من العلم ، يجمع في وقت مُعين ويكتب أو يلقى على المهتمين . وهذا المقدار من العلم والمسمى (درس) يكون جمعه والقاءه وكتابته إختياري للدارس . وكلمة دراسة تطلق على القيام بعملية جمع المعلومات في إتجاه مُحدد وتخصص مُحدد .

أما كلمة (عقدية) فهي مأخوذة من (العقيدة) ، والعقيدة في اللغة : " من العقد ؛ وهو الربط ، والإبرام، والإحكام، والتوثق، والشد بقوة، والتماسك، والمراصة، والإثبات؛ ومنه اليقين والجزم .

والعقد نقيض الحل ، ويقال : عقده يعقده عقداً ، ومنه عقدة اليمين والنكاح ، قال الله تبارك وتعالى :

---

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن - تفسير القرطبي، ج10، ص203 .

(2) أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير و محمد احمد حسب الله، دار المعارف، القاهرة، ج2، ص1360، (بلا طبعة ولا تاريخ) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(لا يُؤَاخِذُكُمْ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمْ الأَيْمَانَ)"(1) .

" والعقيدة من (العقـْدِ) وهو الربط والشد بقوة ، ومنه الإحكام والإبـرام ، والتماسك والمراصَّـة ، والإثبـات والتوثـق . ويطلق على العهد وتأكيد اليمين (عقـْد) ، وما عقد الإنسان عليه قلبه جازماً به فهو (عقيدة) "(2) .

والعقيدة في الإصطلاح : " هي الأمور التي يجب أن يصدق بها القلب ، وتطمئن إليها النفس ؛ حتى تكون يقيناً ثابتاً لا يمازجها ريب ، ولا يخالطها شك . أي : الإيمان الجازم الذي لا يتطرق إليه شك لدى معتقده ، ويجب أن يكون مطابقاً للواقع ، لا يقبل شكاً ولا ظنا ؛ فإن لم يصل العلم إلى درجة اليقين الجازم لا يسمى عقيدة . وسمي عقيدة ؛ لأن الإنسان يعقد عليه قلبه "(3) .

والعقيدة هي " الإيمان الجازم بالله ، وما يجب له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته ، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره ، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين وأمور الغيب وأخباره ، وما أجمع عليه السلف الصالح . والتسليم لله تعالى في الحكم والأمر والقدر والشرع ، ولرسوله - صلى الله عليه وسلم - بالطاعة والتحكيم والاتباع "(4) .

فالعقيدة هي الايمان الجازم القوي الذي يعقد عليه القلب بغض النظر ان كان المعتقد صحيحاً أو خطأ ، لان ما تؤمن سيصبح دستور حياتك ، والمنهج الذي قام على العقيدة سيصبح خط سيرك ، لكن الاختلاف في سلوك الدرب يحدد مسيرة السالك سواء كان سلوكه للدرب الصحيح ام الخطأ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والعقيدة الاسلامية هي ما دل القرآن الكريم عليها ، وأوضحتها السنة النبوية المطهرة ، والتي تبنى على أركان ثابتة ومعلومة لا يمكن الزيغ عنها ولا التفريق بينها ولا إتيان بعضها دون بعض وهي الأيمان بالله وملائكته وكتبه ورُسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره . فهذه أساس العقيدة الاسلامية والتي ينطلق كل التشريع الاسلامي من هذه الثوابت . قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)(5) .

فصلاح الدين من صلاح العقيدة وبخلافه سيحبط العمل وتزل القدم ويكون الخسران المبين ، قال تعالى (وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ)(6).

---

(1) عبدالله بن عبدالحميد الاثري، الوجيز في عقيدة السلف الصالح، مكتبة الغرباء والدار الاثرية للترجمة والتوزيع والنشر، اسطنبول، ط10، 1435هـ ، ص25 .

(2) ناصر بن عبد الكريم العقل، مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الحركات الإسلامية المعاصرة منها، دار الوطن للنشر، ط1، 1412هـ ، ص5 .

(3) عبدالله بن عبدالحميد الاثري، الوجيز في عقيدة السلف الصالح، ص26 .

(4) ناصر بن عبد الكريم العقل ،مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة، ص 5 .

(5) سورة النساء، الآية 59 .

(6) سورة الزمر، الآية 65 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لذلك وجب علينا الإتباع الصحيح والتسليم الحق لما أَمرنا الله سبحانه وتعالى به ، وليس التسليم الظاهر فقط وإنما التسليم العقلي والقلبي ، تسليم الجوارح والاركان ، التسليم بالقناعة والحب والإنجذاب ، لننهل من منهل القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، بإعتبارهما أساس العقيدة ومنهل التوحيد ، ومنبع التسليم والأنقياد لله عزوجل ، فهي عقيدة لا يختلجها الظن ولا يساورها الشك ، ولا تبنى بالاجتهاد ، فهي عقيدة ربانية ساقها الله إلينا لِنُنير بها حياتنا ونَسير في دربها آمنين مُطمئنين لا يُساورنا الشك ولا يَتسَلل إلينا الخوف أو الوَجَل .

وان العقيدة واحدة هي عقيدة التوحيد ولا يمكن ان تتفرع أو تتجزأ أو تتعدد ، فلا يمكن أن تُسمى عقائد وإنما عقيدة . وهي من تبني الانسان البناء الصحيح اذا انتهجت المنهج الرباني الاسلامي الحقيقي " وقد أدرك حديثاً الباحثون من غير المسلمين قيمة العقائد في توجيه سلوك الانسان ، فبدأوا يتحدثون عنها تحت عنوان (أيديولوجيات) . ولكنهم ما استطاعوا أن يصلوا الى المستوى الذي وصل إليه الاسلام ، إذ هو يبني الفرد المسلم إيماناً لا يضارعه ولا يشابهه أي عنصر إعتقادي (أيديولوجي) يحاولون غرسه في نفس الفرد من أفرادهم "(1) .

فما دل عليه الكتاب والسنة في حق الله تعالى آمنا به ، وإعتقدناه وعملنا بتعاليمه . وما لم يدل عليه كتاب الله ولا سنة رسوله نفيناه عن الله تعالى ورفضناه ؛ ولهذا لم يحصل بين أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام أو السَلف إختلاف في الإعتقاد ، بل كانت عقيدتهم واحدة ، وكانت جماعتهم واحدة ؛ لأن الله سبحانه وتعالى تَكفل لمن تَمسك بكتابه وسنة رسوله بإجتماع الكلمة ، والصواب في المعتقد وإتحاد المنهج . قال تعالى (فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى)(2) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الرابع : دراسة تحليلية

قُمت في المبحث السابق بتعريف لكلمة (دراسة) وبيانها وتوضيحها ، بالإضافة الى مصطلح عَقَدية.

وفي هذا المبحث سأقوم بالتعريف بمصطلح (تحليلية) أو التحليل بإعتبارها جزء من الدراسة ، وعنصر مهم .

فاهمية التحليل في الدراسة أو البحث أو التقصي نابع من أهمية فهم المعلومة أو الموضوع . لأن

---

(1) عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، العقيدة الاسلامية وأسسها، دار القلم، دمشق، ط2، 1399هـ ، 1979م، ص32 .

(2) سورة طه، الآية 123 .

العلوم الشرعية والأبحاث الاسلامية يجب ان تكون دقيقة في مخرجاتها وحساسه في معلوماتها ، لكي لا يدخل التحريف والتغيير في قواعدها وأُصولها . بالأضافة الى أهمية التحليل لمعرفة أصل المعلومة ومدى صحتها وطريق الأخذ بها بالصورة الصحيحة ، فالتحليل " هو منهج يقوم على دراسة الإشكالات العلمية المختلفة تفكيكاً وتركيباً ، أو تقويمها ، فإذا كان الإشكال تركيبة منغلقة من التراث أو الفكر الاسلامي المُعاصر ، قام المنهج التحليلي بتفكيكها وإرجاع العناصر إلى أُصولها ، أما إذا كان الإشكال عناصر مشتتة فإن المنهج يقوم بدراسة طبيعتها ووظائفها ليُركب منها نظرية ما ، أو قواعد مُعينة "(1) . فالتحليل يجمع بين التفكيك والتركيب ، فإن كانت الدراسة منغلقة تحمل في طياتها إشكالية أو حتى بدون إشكالية لكن نرغب في التوصل الى أُصولها ، فإن التحليل هو من يقوم بذلك ، بالمقابل إذا كانت الدراسة متفرعة ومشتتة فإن التحليل يقوم بتركيبها وتجميعها وترتيبها بالصورة الصحيحة وبطريقة علمية ممنهجة .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فيدخل في التحليل الإبداع في الصياغة والتركيب والعمل ، ويدخل الإستنباط العملي الصحيح ، بالإضافة الى الإجتهاد في ضوء المعلومات العلمية الصحيحة .

أما في دراستي هذه فإن التحليل يدخل كعنصر أساسي بسبب ان الدراسة تحتاج الى البحث عن المعلومات الصحيحة والحقيقية وفك الإشكالية والتوصل الى أصل المعلومة ، لأن كثيراً من المواضيع التي سأتطرق لها هي معلومات أما تاريخية أو غيبية أو عقدية فيها إشكالية ، بالتالي فإن التحليل سيكون كفيلاً بفك اللغز وترتيب المواضيع وإستخراج حقيقة المعلومة ليُخرِج لنا عناوين مُركّزة ومعلومات صحيحة تكون أساساً لعملي هذا والأعمال المستقبلية إن شاء الله .

و"التحليل لغةً : حلّل العقدة ، فكّها ، وحلّل الشىء: أرجعه إلى عناصره ، وحلّل نفسية فلان : درسها لكشف خباياها ، وتحليل الجملة : بيان أجزائها ووظيفة كل منها. وإصطلاحاً : على وجهين ، وجه العموم ووجه الخصوص . فعلى وجه العموم هو إرجاع ظاهرة مركبة إلى أبسط عناصرها أو أجزائها . وأما على وجه الخصوص فيستخدم فى علوم إنسانية وطبيعية كثيرة بمعان متعددة، لكنها جميعا ترتبط بهذا المعنى العام "(2) . إذاً فالتحليل في اللغة يعني التجزئة . وفي الإصطلاح يعني تجزئة الشئ الى مكوناته الأساسية وعناصره الرئيسية التي يتكون منها . فهو نقطة البداية التي ينطلق منها الباحث لترصين دراسته والتحقق من معلوماته .

والتحليل يدخل في كل الدراسات سواء ذَكر الدارس هذا المصطلح في دراسته أم لم يذكره ، لأنه بطريقة أو بأخرى سيلجأ للتحليل في دراسته بعلم ودراية أم لم ينتبه لذلك ، فهو عملية إجبارية للدارس لكي يضبط دراسته وفق القواعد والأصول الصحيحة للبحث العلمي ..

---

(1) فريد الانصاري، ابجديات البحث في العلوم الشرعية ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط5، 1437هـ ، 2016م، ص119.

(2) محمد محمد الجوادى، مفهوم التحليل، منتدى ميراث الرسول، تاريخ النشر : الإثنين 31 مارس 2014، تاريخ الاقتباس : 2017/5/1 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بني إسرائيل هم أتباع سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام، وهو موسى بن عمران من سبط (لاوي) بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام . حيث نزلت على هذه الأُمة شرائع سماوية وأحكام إلآهية مكتوبه في التوراة أو ما يسمى بالعهد القديم ، إلا ان هذه التشريعات سرعان ما تَحرفت وتَغيرت معالمها وزالت أحكامها بعد وفاة موسى عليه الصلاة والسلام . فأصبحت ليست لها معنى شرعياً أو عقدياً بسبب هذه التحريفات وبسبب إنتهاكهم للمحظورات التي نهى الله سبحانه وتعالى عنها . فقد تبدلت الأحكام والشرائع الآلهية حسب أهوائهم وحاجاتهم ، لأنهم وكما معروف عنهم بأنهم شعب لا يُحبون الأوامر ولا يُطيقون التكاليف ، وأنهم بطبيعتهم الفطرية متمردون ومتعجرفون ، فاليهود إثنتي عشرة سِبطاً يُمثلون أبناء يعقوب عليه السلام ، ومنه منبعهم ومن صُلبه ، قال تعالى (وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا)(1) .

وللوهلة الأولى يتبادر لذهن القارئ أن هاتين الكلمتين هي لمعنى واحد ، فاليهود جاؤا بعد موسى عليه الصلاة والسلام بمئات السنين ، وليسوا أتباعهم وان إدعوّا ذلك . وبالرغم من أن عوام الناس يظنون أنهما واحد في المعنى والمنشأ مع إختلاف الكلمتين في الكتابة والنطق . إلا أن الأمر ليس بهذه السهولة ، فاليهود يختلفون عن بني إسرائيل . وهنا سأورد الفرق بينهما على نقطتين :

أولاً : بني إسرائيل . " وسموا بذلك نسبة الى أبيهم إسرائيل وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام ، وإسرائيل كلمة عبرانية مركبة من (إسرا) بمعنى : عبد أو صفوة ، ومن (إيل) وهو الله ، فيكون معنى الكلمة : عبد الله أو صفوة الله .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكان ليعقوب عليه السلام إثني عشر ولداً من الذكور ومن أبناء يعقوب عليه السلام وذرياتهم من بعدهم تكونت أُمة بني إسرائيل ونُسبت إليه . قال تعالى (أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) "(2) . فيعقوب عليه السلام على أغلب الروايات أنه هو المُلقب بإسرائيل وإليه نُسب بنو إسرائيل ، قال تعالى (إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ)(3) . وله إثنا عشر إبناً إنحدرت منهم قبائل بني إسرائيل (الأسباط والعبرانيين) والذين إنتقلوا الى مصر تبعاً ليوسف عليه السلام . وقال تعالى(وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا)(4) . فهذه كلها دلالات على ان يعقوب عليه السلام هو إسرائيل وإليه يُنتسب ومن نسله بني إسرائيل .

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم يؤكد ذلك : ففي الحديث عن عبد الله بن عباس : " حَضرت عصابة من اليهود نبي الله يوماً فقالوا : يا أبا القاسم حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن إلا نبي

---

(1) سورة الاعراف، الآية 160 .

(2) محمد سيد طنطاوي، بنو اسرائيل في القران والسنة، دار الشروق الاولى للطباعة، ط2، 1420هـ ، 2000م، ص12 .

(3) سورة آل عمران، الآية 93 .

(4) سورة مريم، الآية 58 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فسألوه عن أشياء من بينها - أخبرنا أي الطعام حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ، فكان جوابه : فأنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب مرض مرضاً شديداً وطال سقمه فنذر لله نذراً لئن شفاه الله تعالى من سقمه ليحرمن أحب الشراب إليه وأحب الطعام إليه وكان أحب الطعام إليه لحم الإبل وأحب الشراب إليه ألبانها ؟ قالوا : اللهم نعم قال : اللهم اشهد عليهم ... "(1).

وجاء في أسفار بني إسرائيل مايدل على ان يعقوب هو نفسه إسرائيل ، فجاء في سفر التكوين : "
22 ثُمَّ قَامَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَاخَذَ امْرَاتَيْهِ وَجَارِيَتَيْهِ وَاوْلادَهُ الاحَدَ عَشَرَ وَعَبَرَ مَخَاضَةَ يَبُّوقَ. 23 اخَذَهُمْ
وَاجَازَهُمُ الْوَادِيَ وَاجَازَ مَا كَانَ لَهُ. 24 فَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَحْدَهُ. وَصَارَعَهُ انْسَانٌ حَتَّى طُلُوعِ الْفَجْرِ. 25 وَلَمَّا
رَاى انَّهُ لا يَقْدِرُ عَلَيْهِ ضَرَبَ حُقَّ فَخْذِهِ فَانْخَلَعَ حُقُّ فَخْذِ يَعْقُوبَ فِي مُصَارَعَتِهِ مَعَهُ. 26 وَقَالَ: (اطْلِقْنِي
لانَّهُ قَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ). فَقَالَ: لا اطْلِقُكَ انْ لَمْ تُبَارِكْنِي. 27 فَسَالَهُ: مَا اسْمُكَ؟ فَقَالَ: يَعْقُوبُ. 28 فَقَالَ:لا
يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ بَلْ اسْرَائِيلَ لانَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللهِ وَالنَّاسِ وَقَدِرْتَ. 29 وَسَالَهُ يَعْقُوبُ:
اخْبِرْنِي بِاسْمِكَ. فَقَالَ: لِمَاذَا تَسْالُ عَنِ اسْمِي؟ وَبَارَكَهُ هُنَاكَ. 30 فَدَعَا يَعْقُوبُ اسْمَ الْمَكَانِ (فَنِيئِيلَ)
قَائِلا: لانِّي نَظَرْتُ اللهَ وَجْها لِوَجْهٍ وَنُجِّيَتْ نَفْسِي "(2). وجاء أيضاً : " 6 فَاتَى يَعْقُوبُ الَى لُوزَ الَّتِي فِي ارْضِ
كَنْعَانَ (وَهِيَ بَيْتُ ايلَ) هُوَ وَجَمِيعُ الْقَوْمِ الَّذِينَ مَعَهُ. 7 وَبَنَى هُنَاكَ مَذْبَحا وَدَعَا الْمَكَانَ (ايلَ بَيْتِ ايلَ)
لانَّهُ هُنَاكَ ظَهَرَ لَهُ اللهُ حِينَ هَرَبَ مِنْ وَجْهِ اخِيهِ. 8 وَمَاتَتْ دَبُورَةُ مُرْضِعَةُ رِفْقَةَ وَدُفِنَتْ تَحْتَ بَيْتَ ايلَ
تَحْتَ الْبَلُّوطَةِ فَدَعَا اسْمَهَا (الُّونَ بَاكُوتَ). 9 وَظَهَرَ اللهُ لِيَعْقُوبَ ايضا حِينَ جَاءَ مِنْ فَدَّانَ ارَامَ وَبَارَكَهُ. 10
وَقَالَ لَهُ اللهُ: اسْمُكَ يَعْقُوبُ. لا يُدْعَى اسْمُكَ فِيمَا بَعْدُ يَعْقُوبَ بَلْ يَكُونُ اسْمُكَ اسْرَائِيلَ. فَدَعَا اسْمَهُ
اسْرَائِيلَ "(3) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً : اليهود . وجاءت سبب تسميتهم بهذا الإسم إلى ثلاث آراء وهي :

1 - من التوبة والرجوع والإنابة . " لأنهم حين تابوا عن عبادة العجل قالوا : إنا هدنا إليك ، أي تبنا ورجعنا . وقد جاء في ذلك قول الله تعالى (وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ) ، يقول إبن منظور في لسان العرب : الهود: التوبة ، هاد يهود هودا ، : تاب ورجع الى الحق فهو هاد .. ويهود إسم للقبيلة ، وقالوا (اليهود) فادخلوا الالف واللام فيها على ارادة النسب ، يريدون اليهوديين ، وقوله تعالى (وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ) ، معناه : دخلوا اليهودية ، وهود الرجل ، حوله الى اليهودية ، وهاد يهود : إذا صار يهودياً "(4) .

2 - " وقيل أنهم سموا يهوداً لأنهم يتهودون ، أي يتحركون عند قراءة التوراة ، وبالذات تحريك رؤوسهم "(5) .

---

(1) أبي عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي، الصحيح المسند من اسباب النزول، مكتبة صنعاء الاثرية، ط2، 1425هـ ، 2004م، ص21-22 .

(2) سفر التكوين، الإصحاح 32 .

(3) سفر التكوين، الإصحاح 35 .

(4) محمد احمد الخطيب، مقارنه الاديان، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط3، 1435هـ2014م ، ص44 .

(5) المصدر سابق، ص44 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3 - وقيل أنهم سموا يهوداً نسبة الى (يهوذا) الإبن الرابع ليعقوب عليه السلام . وقد رجح بعض العلماء هذا القول واقتصر عليه . " قال البيروني مؤيدا هذا القول (وإنما سموا باليهود نسبة الى يهوذا أحد الأسباط ، فإن الملك استقر في ذريته ، وأُبدلت الذال المعجمة دالاً مهملة ، لأن العرب كانوا إذا نقلوا أسماء أعجمية الى لغتهم غيروا بعض حروفها) . وقد كان (يهوذا) هو الحاكم لسائر أبناء أبيه الأحد عشر بتقديم أبيه له ، وظل كذلك حتى مات ، وكان سبطه من بعده هو المُقدم على سائر الأسباط الأخرى ، الى ان إنقسمت مملكتهم بعد وفاة سليمان عليه السلام الى قسمين : مملكة يهوذا ومقرها (أورشليم)، وتتكون من سبطي يهوذا وبنيامين، ومملكة إسرائيل ومقرها (السامرة) وتتكون من بقية الأسباط العشرة "(1). وهذا أيضاً ما أُرجحه لنفس السبب السابق،وهو أقوى الآراء .

وقد أطلق عليهم القرآن الكريم ثلاث تسميات : بنو إسرائيل وأهل الكتاب واليهود . ولكن التسمية الأخيرة لم ترد إلا في مواطن الذم ، كقول الله عز وجل : (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ)(2) . وقوله عز وجل : (وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ)(3) . وقوله عز وجل : (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ)(4) . وقوله عز وجل : (مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا)(5) . وهذا يدل على أنهم تلَّقبوا بهذا اللقب بعد أن فسد حالهم وإنحرفوا عن دين الله .

ومن هنا أُثبت ان اليهود ليسوا هم أنفسهم بنو إسرائيل ، بالمقابل ليس بني إسرائيل هم اليهود ، والفرق بينهما واضح كما أسلفنا الذكر وهذا التفريق جاء من قِبل القرآن الكريم حيث وصفهم ببني إسرائيل بقوله (كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ)(6) ، وقال تعالى (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ)(7) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فإسرائيل وبنوه كانوا مسلمين ، فعندما يذكر الله تبارك وتعالى بني إسرائيل بخبر فالمقصود أولاد يعقوب الصالحين والطالحين من ذريتهم وهم الذين إنتقلوا مع يوسف عليه السلام وإخوته الى مصر فتكاثروا هنالك وأصبحوا قوماً سُموا ببني إسرائيل ، يعني يوسف وإخوته وذريتهم .

أما اليهود فهُم الذين عبدوا العجل مع السامري ومن ثم تابوا ولكن لم تكن توبتهم صادقه ، فوصفهم الله بقوله (وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ)(8)، فهؤلاء هم جزء من بني إسرائيل وليس الكل ...

---

(1) محمد سيد طنطاوي، بنو إسرائيل في القرآن والسنة، ص13 .

(2) سورة المائدة، الآية 64 .

(3) سورة المائدة، الآية 18 .

(4) سورة التوبة، الآية 30 .

(5) سورة آل عمران، الآية 67 .

(6) سورة آل عمران، الآية 93 .

(7) سورة البقرة، الآية 47 .

(8) سورة البقرة، الآية 93 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثاني
علاقة الإنسان مع الله عزوجل وأثرها في البناء الحضاري

المبحث الأول : التدبر والتفكر في بديع صنع الله

المطلب الأول : الليل والنهار

المطلب الثاني : السموات والأرض

المطلب الثالث : البر والبحر

المبحث الثاني : توحيد الربوبية

المطلب الأول : إفراد الله سبحانه وتعالى بالربوبية

المطلب الثاني : الإنسان بين طاعة الملائكة وعصيان إبليس

المطلب الثالث : الايمان بما جاء به الله تعالى من الإيمان به سبحانه

المبحث الثالث : توحيد الألوهية

المطلب الأول : الأستقامة والطريق القويم

المطلب الثاني : التحدي الكبير

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث : قدرة الله سبحانه وتعالى في إدارة الكون وتدبير الإنسان

المبحث الرابع : مبدأ الثواب والعِقاب

المطلب الأول : مبدأ الثواب

المطلب الثاني : مبدأ العِقاب

الفصل الثاني : علاقة الإنسان مع الله عزوجل وأثرها في البناء الحضاري

تمهيد :

لقد خلق الله تعالى الانسان وأعطى له من الخير والنِعم ظاهراً وباطناً ، ويَسر له سُبل الحياة الكريمة وشَرع له الخير كله ، وجعل الكون مُذللا له ، لإن الانسان إصطفاء الله تعالى ، وهو المخلوق المفضل لديه حيث ان الله سبحانه فضل الانسان حتى على الملائكة الذين هم صفوة الخلق والذين لا يعصون الله ما يأمرهم ، قال تعالى (لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)(1) .

بالمقابل فإن الانسان مهما بحث ، ومهما جَدَ وإجتَهد في طلب العبودية ، فَلن يجد غير الله سبحانه رباً وخالقاً ومدبراً ، فجميع الآلهه التي ينتسبُ لها كثير من الاديان ، هي محط نقد ، وعليها الكثير من علامات الاستفهام ، بسبب ضعفها وعدم قدرتها على تدبير أُمور العباد ، لانها باختصار لا تستطيع صنع اي شئ لنفسها ، وهذا الامر اظهره الله لنا وجعلها حجة قائمة على عبيد تلك الالهة ، قال تعالى (إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ)(2) ، وكذلك هو حال من يطلب من هذه الآلهة الرزق أو الخير ، قال تعالى (وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ)(3) ، وقال تعالى (إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)(4) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالله سبحانه وتعالى قد كتب سلفا ما سيكون للكون ولبني البشر من احوال ومآل : " كان الله ولم يكن شئ غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شئ، وخلق السموات والأرض "(5) .

بالتالي فان الحجة قائمة على بني البشر ان الله سبحانه وتعالى هو رب الارباب وانه الخالق الذي بيده مفاتيح كل شئ ، وان كل شئ من دونه لا يملك من الامر شيئاً إلا بإذنه . وهنا يجب على الانسان أن يلجأ إلى الخالق العظيم بكل جوارحه وبكل ما يستطيع من جهد عقلي وفكري وبدني ليُحقق مبدأ العبودية لله سبحانه وتعالى . وأفضل طريقة لكي نكون عباداً طائعين لرب راضٍ عنا أن نَفِر إليه سبحانه بكل جوارحنا مُعلنين الطاعة والولاء المُطلَقين ، وأن نَمّد حِبال الود ، وجُسور الطاعة ، لِنُعَمر ما بيننا وبين الله سبحانه بصفاء السريره ونقاء القلوب .

فأول طريقة لبناء الحضارة هي بناء وتعمير ما بيننا وبين الله ليكرمنا الله بغزير عطائه ، وبفيض رحمته وإسدال نِعمه علينا لكي نُوفَق في عملنا وحياتنا . وأول خطوة بإتجاه هذا الإعمار هو أن نتدبر ونتفكر في آلآء الله ونعمه علينا ، وبديع خلقه وصنعه ، وان تكون نقطة الانطلاق نحو ترسيخ

---

(1) سورة التحريم، الآية 6 .

(2) سورة فاطر، الآية 14 .

(3) سورة النحل، الآية 73 .

(4) سورة العنكبوت، الآية 17 .

(5) صحيح البخاري، كتاب بدأ الخلق، باب ماجاء في قوله تعالى (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه)، رقم الحديث/ 3192 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الايمان به وجعل الله سبحانه معنا حاضرا في كل شئ . وفي هذا الفصل سأذكر أساسيات العلاقة بين الانسان وبين الله سبحانه وتعالى ودورها في البناء الحضاري .

المبحث الأول : التدبر والتفكر في بديع صنع الله

تمهيد :

آلآء الله ونِعمه وبديع صُنعه في السموات والارض ظاهرة جليّة للعيان ، لكن الانسان بطبعه جاحد مُنكِر لهذه النعم ، إلا من عَقَل وتَفَكر فإن في نَفسِه الخير الكثير ، فالدليل الى معرفه الله والايمان به موجود من حولنا قال تعالى (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ)(1) ، بل وفي أنفُسِنا من قبل ذلك ، قال تعال (وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ)(2) . كل هذه الادلة جعلها الله ظاهرة لكن تحتاج الى تَفكر ونَظر ، ومن ثم إيمان وعَمل . وهذه أول خطوة للايمان بالله ، وأول الطريق الى فهم العبودية .

ولا يستقيم البناء الحضاري الذي يَطمَح إليه الانسان إلا باسناد الخَلق للخالق ، والإعتراف بِنِعَمِه وآلآءه علينا ، وتسخير كل هذه النعم والدلائل لإيجاد مُجتمع حضاري سليم ونَقي مِن الخُزعبلات والتفاهات التي يَدّعي اليها المبطلون . ومن خلال دِراستي لسورة الاسراء ، ذكر الله سبحانه وتعالى بعض من دلائل خلقه ، وعظيم صُنعه في هذه الحياة وسَأذكرها من خلال المطالب الآتية .:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول - الليل والنهار

لا يَخفى علينا أن ظاهرة الليل والنهار ظاهرة عظيمة ذات أبعاد دينية وعلمية ، وأنها علامات ملموسة محسوسة للانسان يعيشها بشكل يومي وعلى مدار السنة وطيلة ايام حياته ، إذ ان الليل والنهار موجودتان لكل يوم نعيشه ، بالتالي يكون أقرب مخلوق خلقه الله وسخره لنا هي هذه الظاهرة الكونية العجيبة التي لم يُفَك شفرتها إلا في أواخر القرن العشرين ، لبديع صنعها وروعة صياغتها وإعجاز تركيبتها ، فيَمر علينا الليل والنهار ونحن نعيشه بكل بساطة وعفوية ولم نستوقف أنفسنا ولو دقيقة تأمل في هذا الشئ العجيب الذي يمرّ علينا والسبب في خلقه ؟ وماهو المغزى منه ؟ وكيفية حدوثه ؟ كل هذه الأشياء لم يفكر فيها إلا نسبة قليلة من بني البشر لأنهم تعودوا على الليل والنهار وضبطوا مواقيتهم ومواعيدهم عليهما دون ان يسألوا أنفسهم لما هاتين الظاهرتين موجودتان

---

(1) سورة فُصلت، الآية 53 .

(2) سورة الذاريات، الآية 21 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في الدنيا ؟ قال تعالى (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا)(1) ، فالله سبحانه وتعالى أعطانا من الآيات العظيمة ما نستدل بها على وجوده وروعه خلقه وإتقانه في صنعه ، لنضع لأنفسنا خط سير نمشي عليه للوصول الى أهدافنا ، وان نستفيد من روعة الإعجاز في الليل والنهار ومدى دقتهما وإنضباطهما لنعرف ان الله ما خلقنا عبثا وأن كل شئ مقدرٌ بِقدر ، قال تعالى (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ)(2)،وقال تعالى (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ)(3) ، فضبط الحياة الدنيوية مبني على ضبط الله سبحانه للخلق وحكمته في الصنع ، فعندما صَنع الله هذا الكون وأحسن إتقانه ودقته يرسل لنا رسالة مفادها ان هذا الكون قد ضُبط وأُتقن لأجلك أنت أيها الانسان ، فهل تستطيع إتقان وضبط حياتك التي تعيش فيها مثل هذا الضبط والإتقان ؟ حضارتك ، ومستقبلك ، وثقافتك ، هل تستطيع التحكم في إتقانها وبناءها بالصورة الصحيحة حسب ما أشار لك الله سبحانه من خلال روعة إتقان الكون ؟ كل هذه الأسئلة تحتاج الى وقفة تأمل وتفكر في ماذا أراد الله لنا من فهم لِما خلق ولماذا بهذه الصورة وهذه الدقة ؟ قال تعالى (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)(4) ، فهذا عكس ما يريد المُبطلون ويفسرون عفوية هذا الصنع وان هذا الكون بجميع مخلوقاته إنما كان صدفة وبدون صانع ، إنما نحن مسلمون نؤمن بأن الله خالقنا وخالق كل شئ فلا يجب ان يدخل الزيغ في قلوبنا ، ولا الوهم الى عقولنا ، ولا الشيطان الى صدورنا ، فإن خلق الله واضح ، وبديع صنعه جلي ، لا يمكن إنكاره ولا يمكن العدول عنه ، إلا من اصحاب القلوب التي ختم الله عليها بأنها ميتة ، وإلا من أصحاب العقول التي طبع الشيطان عليها بوسواسه ، وإلا من قبل أولئك الذين غلّبوا العلم على قُدرة الله من خلال ما سولت لهم أنفسهم وغرّهم الشيطان في قدرتهم .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال تعالى (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ)(5) ، وقال تعالى (إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ)(6) ، فختم في الأولى بأولي الألباب ، وختم في الثاني لقوم يتقون ، وفي الآيتين إستعراض لما خلق الله ، وآيتين عظيمتين من آياته الكثيرة وهما الليل والنهار ، فبما أنك من أصحاب العقول ، وبما أنك من الذين يفهمون الكلام ويعلمون ، وبما أنك من الذين يتفكرون ويستنتجون ، وبما أنك من الذين يربطون الكون بالصانع ، ويربطون الخلق بالخالق ، إذاً أنت من المتقين الذين قد أسلموا أمرهم لله بتسليم قلوبهم وتزكيتها .

---

(1) سورة الإسراء، الآية 12 .

(2) سورة المؤمنون، الآية 115.

(3) سورة القمر، الآية 49 .

(4) سورة آل عمران، الآية 191 .

(5) سورة آل عمران، الآية 190 .

(6) سورة يونس، الآية 6 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول القرطبي : " قوله تعالى (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ) أي علامتين على وحدانيتنا ووجودنا وكمال علمنا وقدرتنا . والآية فيهما : إقبال كل واحد منهما من حيث لا يعلم ، وإدباره الى حيث لا يعلم . ونقصان أحدهما بزيادة الآخر وبالعكس آية أيضاً . وكذلك ضوء النهار وظلمة الليل "(1) . يقول صاحب الظلال رحمه الله " والليل والنهار آيتان كونيتان كبيرتان تشيان بدقة الناموس الذي لا يصيبه الخلل مرة واحدة ، ولا يني يعمل دائباً بالليل والنهار . فما المحو المقصود هنا وآية الليل باقية كآية النهار ؟ يبدو - والله اعلم - ان المقصود به ظلمة الليل التي تخفى فيها الاشياء وتسكن فيها الحركات والأشباح .. فكأن الليل ممحو إذا قيس الى ضوء النهار وحركة الأحياء فيه والأشياء ، وكان النهار ذاته مبصر بالضوء الذي يكشف كل شئ فيه للإبصار . ذلك المحو لليل والبروز للنهار (لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ) .. فالليل للراحة والسكون والجمام ، والنهار للكسب والسعي والقيام ، ومن المخالفة بين الليل والنهار يعلم البشر عدد السنين ، ويعلمون حساب المواعيد والفصول والمعاملات . وهذا الشئ ليس من قبيل الصدفة وإنما (وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا)"(2) . وهذا بيان سبب خلق الله سبحانه لهاتين الآيتين كما بيّنها سيد قطب رحمه الله ، فالراحة وطلب السكون والهدوء هي من سمات الليل ، والسعي وطلب الكسب ومزاولة الأعمال والأفعال هي من سمات النهار ، ففصل لكل آية مهامها التي تنسجم مع النفس البشرية وطبيعتها والغريزة التي صنعت معها ، فالغرائز والطباع تتلائم مع تركيبة كل من الليل والنهار ، هذا من باب ، والباب الآخر والمغزى الثاني من خلق الليل والنهار هو لمعرفة عدد السنين والأزمنة وضبط المواقيت والمواعيد ، فبِكلا الحالتين ، وكلا المغزيين من الخلق هو لخدمة الانسان الذي مابرح غافل عن هذا الخلق العظيم ، ولا يعرف كيفية إستغلال الغاية منه وكيفية تسخير هذا النظام لبناء الحياة ورسم المستقبل وبناء الحضارة الانسانية الأسلامية الأسمى والاكبر من بين الحضارات ، وهو جزء من مهامه وواجباته كخليفة الله في الارض والمفروض منه إعمارها وجعلها بأبهى صورة ليثبت عظمة الله سبحانه وتعالى في الخلق والإيجاد . قال تعالى (وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ)(3) . وكلمة (سَخَّرَ) تعني كلَّفه عملاً بلا أجر، وهذا ما يقوم به الليل والنهار حيث أنهما يقدمان لنا عملاً مجانياً .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويقول الرازي كلاماً جميلاً في ذلك : " ان يكون المراد من الآيتين نفس الليل والنهار ، والمعنى : أنه تعالى جعلهما دليلين للخلق على مصالح الدين والدنيا . أما في الدين : فلأن كل واحد منهما مضاد للآخر مغاير له ، مع كونهما متعاقبين على الدوام ، من أقوى الدلائل على أنهما غير موجودين لذاتهما ، بل لابد لهما من فاعل يدبرهما ويقدرهما بالمقادير المخصوصة ، وأما في الدنيا

---

(1) أبي عبد الله محمد بن احمد بن ابي بكر القرطبي (671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1427هـ ، 2006م، عدد الاجزاء 24، ج13، ص37 .

(2) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج3، ص2216-2217 .

(3) سورة إبراهيم، الآية 33 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

: فلأن مصالح الدنيا لا تتم إلا بالليل والنهار ، فلولا الليل لما حصل السكون والراحة ، ولولا النهار لما حصل الكسب والتصرف في وجوه المعاش "(1) .

والحديث الذي يرويه إبن عباس عن مدلولات وفوائد وجود الليل والنهار في حياتنا حيث ذكر حديثاً طويلاً عن بداية النشأ والخلق ، وذكر جزء منه في فائدة خلق الليل والنهار حيث قال : " إن رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ سئل عن ذلك فقال : إن اللهَ تبارك وتعالى لما أبرم خلقَه إحكامًا فلم يبقِ من خلقِه غيرَ آدمَ خلق شمسين من نورِ عرشِه ، فأما ما كان في سابقِ علمِه أنه يدعُها شمسًا فإنه خلقها مثل الدنيا ما بين مشارقِها ومغاربِها ، وأما ما كان في سابقِ علمِه أن يطمسَها ويحولُها قمرًا ، فإنه دون الشمسِ في العظمِ ، ولكن إنما يرى صغرَهما من شدةِ ارتفاعِ السماءِ وبعدها من الأرضِ . قال : فلو تركَ اللهُ الشمسين كما كان خلقهما في بدءِ الأمرِ لم يكنْ يعرفُ الليلُ من النهارِ ، ولا النهارُ من الليلِ ، وكان لا يدري الأجيرُ إلى متى يعملُ ، ومتى يأخذُ أجرَه . ولا يدري الصائمُ إلى متى يصومُ ، ولا تدري المرأةُ كيف تعتدُّ ، ولا يدري المسلمون متى وقتُ الحجِّ ، ولا يدري الديان متى تحلُّ ديونُهم ، ولا يدري الناسُ متى ينصرفون لمعايشِهم ، ومتى يسكنون لراحةِ أجسادِهم ، وكان الربُّ عز وجل أنظرَ لعبادِهِ وأرحمَ بهم "(2) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والرسول صلى الله عليه وسلم القدوة في كل شئ كان إذا مر ذكر آلآء الله وخلقه تفكر فيها وأمر بالتدبر والتفكر لكي تُطبع عظمة الله في نفوسنا ، وتغرس عُرى الايمان في صدورنا ، فنعرف حقيقة ذلك المعبود الذي ماجعل لإبن آدم سبب من أسباب راحته إلا وجعلها في مخلوقاته ، وما إحتاج الانسان لوسيلة من وسائل رخاءه إلا ووجدها مسخرة له ، فها هو النبي عليه الصلاة والسلام يمر ذكر الليل والنهار فيبكي بكاءاً شديداً لعظمة هذا المخلوق وبديع إيجاده وروعه خالقه . فعن عطاء قال : " دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة رضي الله عنها فقال عبد الله بن عمير : حدثينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وقالت : قام ليلة من الليالي فقال : يا عائشة ! ذريني أتعبد لربي قالت : قلت : والله إني لأحب قربك وأحب ما يسرك قالت : فقام فتطهر ثم قام يصلي فلم يزل يبكي حتى بل حجره ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل الأرض وجاء بلال يؤذنه بالصلاة فلما رآه يبكي قال : يا رسول الله ! تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ ! قال : أفلا أكون عبدا شكورا ؟ لقد نزلت علي الليلة آيات ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها : (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ)"(3) .

ومن هنا نستنتج إن ما أصاب الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن بالشئ السهل حتى يستحق منه كل هذا الخشوع وهذا البكاء وهذه الرهبة ، وإنما الشئ الذي يستحق منه كل ذلك وهو النبي الذي لا

---

(1) محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر (544 - 604 هـ)، التفسير الكبير = مفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1401هـ ، 1981م، ج20، ص165 .

(2) أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (224-310 هـ)، تاريخ الطبري ، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، ط2، دار المعارف، مصر، ج1، ص66، رقم الحديث 64/1 .

(3) محمد ناصر الدين الالباني، سلسلة الاحاديث الصحيحة وشئ من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، عدد الاجزاء 9، ج1، ص147، الحديث رقم 68 . (لم يذكر تاريخ الطبعة) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ينطق عن الهوى ، قد فتح الله عليه وعلى بصيرته فيرى مالا نرى ، ويعلم مالانعلم ، فهو يعلم أن خلق الليل والنهار لشئ عظيم ، لذلك نبهنا إليها ، وأوصانا بالتفكر فيهما ، وإذا ما أردنا أن نضبط حياتنا ونكون حضاريين متحضرين فلنأخذ من الليل والنهار العبرة بدقة ضبطهما وطبيعة تركيبهما وتشكيلهما لنعتبر ، وأن في الضبط نجاح ، وأن في الإلتزام فلاح ، وأن في كل شئ من حولنا إعمار وصلاح ، لِنُصلح ما بيننا وبين ربنا لكي يُصلح لنا ما بيننا وبين أنفسنا وبين غيرنا .

المطلب الثاني - السموات والأرض

ذكر الله تعالى في سورة الإسراء هذا الخَلق فقال (تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا)(1).

قبل أن أتحَدَث عن هذيَن المخلوقين العَظيمَين إستَحضَرتني قصة ذلك الأعرابي عندما سُئل عن دليل وجود الله ؟ فقال: " البَعرة تدل على البَعير، والأثر يدل على المَسير ، فَسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فِجاج ، ألا تدل على العليم الخبير ؟ "(2) .

الأعرابي في وسط الصحراء إستشعر عَظمة الله في دلائل خَلقِه ، وبَديع صُنعه ، فلما رأى عظيم هذه السموات وروعة هذه الارض وهو الأعرابي الذي لم يَدرُس عِلم الفَلك ، ولَم يَقرأ عن المجرات ولا النجوم ، عَلِم ان وراء هذه السموات والارض خالق عظيم أحسن كل شئ خَلقه ، وأَتقن وأَبدَع . وهذا قس بن ساعدة الفارس العربي الذي إستَنتَج بَعد كل هذا الخَلق لابد من وجود خالق ، فقال مقولته المشهورة بعد أن سار في الأسواق على راحلته : " أيها الناس إسمعوا وعوا ، من عاش مات ،

www.manaraa.com

ومن مات فات ، وكل ما هو آتٍ آت ، ليل داج ، ونهار ساج ، وأرض ذات فِجاج ، وسماء ذات أبراج ، ونجوم تزهر ، وبحار تزخر ، أفلا يدل ذلك على الله الواحد القهار؟ "(3) . من أَين عرف هذا العربي الصحراوي القابع وسط رمال الجزيرة العربية السموات والنجوم والأفلاك والبحار ، في الوقت الذي لم يَعرف العرب ما البِحار ولا الأفلاك ، لكن الأدلة على هذا الخالق العظيم واضحة لكل ذي عقل . لكن كثير من الناس بِآيات الله يجحَدون ، وبِخَلقه يَكفرون ، وعن آلآءِه أَعيُنهم يَغلقون ، مُتحدين عَظمة الخالق بِخلقه ، ومستكبرين على الصانع بصنعه ، قال الله تعالى (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ)(4) .

---

(1) سورة الإسراء، الآية 44 .

(2) موقع إسلام ويب، العقيدة الإسلامية، أركان الإيمان، الإيمان بالله، وجود الله، تاريخ النشر: السبت 8 رجب 1423، 2002/9/14، تاريخ الاقتباس:2017/10/1، رقم الفتوى: 22279 .

(3) ابو الفداء الحافظ ابن كثير (774هـ)، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، 1410هـ 1990م، باب ذكر جماعة كانوا مشهورين في زمن الجاهلية، ذكر قس بن ساعدة الإيادي، ج2، ص230 .

(4) سورة الأنعام، الآية 1 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فيَستعرض الله سبحانه وتعالى أحكامه في خلق السموات والارض وإنه سبحانه أحسَن خلقها وإيجادها خِدة للانسان فقال (أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ، رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ، وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ، وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ، أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ، وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ، مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ)(1) ، فقد بَيّنَ للبشر كيفية خَلَقها وسَخرها لهم ، وجَعلها إثبات على وجوده ، فكيف للإنسان أن يُنكر هذا الخَلق ؟ وكيف للإنسان ان يجحَد بهذا الصُنع ؟ كذلك بَيّنَ الله أن هذا الخلق إنما هو سهل لديه ولا يأخذ وقت في خَلقِه ، بل ان أقصى حد لِخلقِها ما بين حرفين من أحرف الله ، وانه القادر على هذا الخَلق . وأن الاعتناء به دليل الجودة والنُدرة، قال تعالى (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ، وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ)(2).

وهذا دلالة على أن كل الخلق يسبح بحمده سبحانه ، وأن كل ماهو داخل في هذا الكون ، وكل مخلوق فيهما يعرف الله حق معرفته فَينصّاع له ويتَذلل لِعظمته . يقول سيد قطب في مستعرض هذه الآية : " وهو تعبير تنبض به كل ذرة في هذا الكون الكبير ، وتنتفض روحاً حية تسبح الله . فإذا الكون كله حركة وحياة ، وإذا الوجود كله تسبيحة واحدة شجية رخية ، ترتفع في جلال الى الخالق الواحد الكبير المتعال . وأنه لمشهد كوني فريد حين يتصور القلب كل حصاة وكل حجر ، كل حبة وكل ورقة ، كل زهرة وكل ثمرة ، كل نبتة وكل شجرة ، كل حشرة وكل زاحفة ، كل حيوان وكل إنسان ، كل دابة على الارض وكل سابحة في الهواء والماء .. ومعها سكان السماء .. كلها تُسبح الله وتتوجه إليه في عُلاه "(3) . وأردَف قائلاً " وذكر الحلم هنا والغفران بمناسبة ما يبدوا من البشر من تقصير في ظل هذا الموكب الكوني المسبح بحمد الله ، بينما البشر في جحود ومنهم من يشرك بالله ، ومن ينسب له البنات ، ومن يغفل عن حمده وتسبيحه . والبشر أولى من كل شئ في هذا الكون بالتسبيح والتحميد والمعرفة والتوحيد ، ولولا حِلم الله وغفرانه لأخذ البشر أخذ عزيزمقتدر . ولكنه يمهلهم ويذكرهم ويعظهم ويزجرهم (إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا)"(4) . فهذا التسبيح من قِبَل السموات والارض

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن فيها هو تسبيح فِعلي غير ملموس من قِبلنا ، فالله سبحانه وتعالى جعل لكل كائن عِبادَته الخاصة به ، فعِبادة الملائكة تَختَلف عن عِبادة البشر ، كذلك الشَجَر والحَجر ، وكذلك السموات والارض ، لكلٍ جعل الله طريقتَهُ في العِبادة والتَسبيح والتَقرب إليه سبحانه . يقول الرازي بهذا الصدد " إعلم أن الحي المُكلف يُسبح لله بوجهين : الأول : بالقول كقوله باللسان سبحان الله . والثاني : بدلالة أحواله على توحيد الله تعالى وتقديسه وعزته ، فأما الذي لا يكون مُكلفاً مثل البهائم ، ومن لا يكون حياً مثل الجمادات فهي إنما تسبح الله تعالى بالطريق الثاني ، لأن التسبيح بالطريق الأول لا يحصل إلا مع الفهم والعلم والإدراك والنطق وكل ذلك في الجماد محال، فلم يبق حصول التسبيح في حقه إلا بالطريق الثاني"(5).

---

(1) سورة النازعات، الآية 27-33 .

(2) سورة الذّاريات، الآية 47-48 .

(3) سيد قطب، في ظلال القران، ج3، ص2230 .

(4) المصدر السابق، ج3، ص2231 .

(5) الرازي، التفسير الكبير= مفاتيح الغيب، ص219 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وما خلق الله السموات والارض في ستة أيام إلا لأهميتها لِبَني البَشر ، فلو شاء الله لخلقها بطرفة عين ، قال تعالى (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)(1) . فقوله تعالى (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ) أي بمعنى كل ما تحت عرشه هو بتصرفه ، وكل مخلوق له حِكمة من خَلقه ، وكل صيغة أو طريق لِصُنع الاشياء إنما بتقدير مِنه سبحانه وهو العليم بها .

فكل هذا الدلائل ترشدنا الى وجوب تنظيم الحياة العامة والخاصة ، وتنظيم هذه الحياة يُستَمَد من تنظيم الكون وخَلقه ، فالحضارة الاسلامية لا تَستقيم إلا بإستقامة الدين في نفوس البَشر ، والدين لا يستقيم إلا إذا نَقَينا القلوب والنفوس وعَرفنا الطريق الحَق ، الطريق الى الله ، فَترتيب حياتنا وإبراز الأولويات ، وعرض بضاعتنا للعالم يكون مصدرها واحد ، إخلاص النية وسلوك الطريق الحق ، لأن كل ما موجود في هذا الكون يدل على وجود الله سبحانه الذي رَسم لنا طريقنا وأَنار لنا دَربنا وجَعل القيم والمبادئ التي أرسلها إلينا في قرأنه هي المِصباح الذي يُنير عُتمة وظلام الجهل العلمي والديني والحياتي ، فالتطور المدني أَساسه طريق الله ، والتطور الحضاري طريقه العدل والمساواة المُستَمدة من كتاب الله ، والتطور العلمي منطلقه من خلق الله ، والتطور الكوني كُلهُ مبدأه من الله ومُنتهاه إليه سبحانه . فلا يمكن قيام الحضارة بدون أَخذ العبرة والحكمة من مخلوقات الله ، وذكر السموات والارض كواحد من أعظم مخلوقاته التي تُوصِلُنا الى الغاية والغرض والهدف من خَلقِها . فحينما عَبّر الله سبحانه عن الحياة بالمَطر ، جَعل مصدر هذه الأمطار هي السماء ، بالتالي فالرِسالة واضحة الى أن إحياء الارض والانسان يكون عن طريق السماء ، والمطر والتشريع كلاهما واحد ، فبما أن المَطر يُحي الارض وما عليها ، كذلك التشريع السماوي يُحي البشر ويجعلهم على طريق التطور والتقدم والرُقي، قال تعالى (وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا)(2) . وقوله تعالى (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا)(3) . فكِلا التَنزيلَين مِن السماء ، ولكن التَنزيل الأول لإحياء الارض ومن عليها مادياً بإنزال المطر ، والتَنزيل الثاني لإحياء البشر معنوياً بإنزال التشريع الإلهي والدستور السماوي ، وهذا أَيضا يؤدي الى إحياء البشر المادي .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" قوله تعالى (يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ) وهذه حجة أجمع عليها الكفرة مع المسلمين فان الجميع إتفقوا على أن العالم في الهواء أرضه وسماؤه وما فيه من البحار والجبال وجميع الأثقال ، وقد ثبت بضرورة العقل أن الثقيل لا يستمسك في الهواء إلا بممسك ، وان هذا الإمساك الدائم المُتقَن لا يكون بما لا يعقل من الرياح كما زعمت الفلاسفة على أن الرياح تحتاج الى خالق يخلقها ثم الى مُدبِر يقدرها مستوية الأنفاس موزونة القوة لا يزيد منها شئ

---

(1) سورة الأعراف، الآية 54 .

(2) سورة البقرة، الآية 164 .

(3) سورة الإسراء، الآية 82 .

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

على شئ ، حتى تعتدل إعتدالاً أتم من إعتدال الفاعل المختار، فإن الفاعل المختار لو قصد الإعتدال التام حتى يستوي على راسه حفنة مملوءة ماء لم تستطع تمام الإعتدال ، إلا برياضة شديدة فكيف تعتدل عواصف الرياح ، وتقع موزونة وزن القراريط في الصنجات المعدلة ، حتى يستوي عليها ثقل الارض والجبال من غير رب عظيم قدير عليم مدبر حكيم "(1) .

ثم يردف الله سبحانه وتعالى في سورة الإسراء قائلاً (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا)(2) ، وهذه رسالة واضحة الى الملحدين والطبيعيون وأصحاب نظرية التكوين بالإنقسام الجزيئي ، رسالة مفادها أن الله سبحانه وتعالى خلق السموات والارض ، ولكن ليس هما كل شئ ، فالله سبحانه قادر أن يخلق مثلهم ، وغيرهم ، وأشياء أخرى بنفس الوزن والحجم والأهمية ، لكن كل مخلوق بقدر معين ، فالحِكمة في هذا الخلق أو غَيرِه هي حكمة الله ومشيئَته وإرادَته ، فيَخلق لنا هذه إو غيرها بالنتيجة واحدة ، هي لخدمة الانسان ، ودليل إعجازي ، وموضع تَفكر وإلهام .

رِسالتان واضِحتان يبينها الله سبحانه وتعالى لنا من خلال سورة الإسراء ، الأولى مفادها أن الله خلق السموات والارض وأحسن هذا الخلق وسَخّره لبني البشر ، والرسالة الثانية مفادها أن هذا الخلق ليس بعصي على الله وأنه يستطيع خلق غيره بنفس الكفاءه ، لكن العبرة ليس بالمخلوق لذاته وإنما العبرة بالكيف والسبب والغاية .

المطلب الثالث - البر والبحر

مِن مظاهر قُدرة الله سبحانه وتعالى ، ومِن عديد إعجازه لِبَني البَشر ، وواحدة من أساسيات الخلق هو البر والبحر الموجودة في كُرَتِنا الأرضية . ففي سورة الإسراء ذَكر الله لنا هذا الخَلق وفيه شئ من التَوضيح عن فائدته وأَهميته للإنسان . قال تعالى (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا)(3) . فالآية تدُل على ثلاث مقاصِد :

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المقصد الأول : تَكريم الله سبحانه وتعالى لِبَني آدم . وهذا التكريم جاءَ من الإصطِفاء العظيم الذي أَعلَن فيه الله تعالى لِملائِكته بِخَلق الانسان . حيث جَعل القيمة الانسانية أسمى وأَعظم قيمة بين جميع المخلوقات . كذلك حَفِظ الله سبحانه وتعالى كرامة الانسان وحَفِظ هَيبَته بالإسلام ، فهو بالإسلام مُكَرم مُصان مَحفوظ الحُقوق ، وبِغير الإسلام فهو مُهان بِلا كرامَة ولا قيمَة . وهذا من أساسيات

---

(1) أبو عبد الله محمد بن المرتضى اليماني المشهور بأبن الوزير (775هـ - 840هـ)، إيثار الحق على الخلق، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1407هـ ، 1987م، ص54 .

(2) سورة الإسراء، الآية 99 .

(3) سورة الاسراء، الآية 70 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

البناء الحضاري الذي نَسعى إليه وهو إعطاء القيمة الحَقيقية للإنسان كما أعطاها الله له ، وعدم الإستهانه به أو عدم التَقصد بالتقليل من قيمته كونه إنسان مهما كانت طبيعته أو لونه أو جنسيته أو عرقه ، فالإسلام كفيل بإزالة كل هذه الفوارق ، وجعل الدين فوق الجميع . حيث قال عليه الصلاة والسلام :" يا أَيها الناس، أَلَا إن ربكم واحد، وإِن أَباكم واحد، أَلا لا فضل لِعربِي علَى أَعجمي، ولَا لعجمي علَى عربِي، ولا لأَحمر علَى أَسود، وَلا أَسود علَى أَحمر إِلَّا بالتقوى، أَبلَّغت ؟ قالوا: بَلَّغ رسول اللَّه صلَّى اللَّه علَيه وسلَّمَ، قال: لِيُبلِّغ الشّاهد الغائب "(1) . قال تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)(2) . فَخلّق الله للناس بإختلاف أجناسهم وأشكالهم وألوانهم إنما هو لإعطاء جمالية للحياة وإنساب صبغة التكوين المُستطاع للخالق ، وهو القُدرة على التَكوين المُتعدد المُتغير لإضفاء البهجة والجمالية الى الحياة .

فنتخيل لو ان في هذه الحياة الناس من لون واحد وشكل واحد وثقافة واحد ونسب واحد ، ماذا سيحصل ؟ سيحصل الملل والرتابة والروتين في التعامل مع البشر ، بالإضافة الى عدم التمييز من شخصٍ لآخر وعدم إنتشار الحب والمودة والتقارب والتواصل والعلاقات الاجتماعية ، مما سيُسبب بِخراب وقطيعة وكُثرة المشاكل وإقتصار كل شخص على عدد محدود جداً بالتواصل والتلائم . فهذه حكمة الله في الخلق أَن جعلهم أجناس مُختلفين مُتفاوتين في المعارف والعقول ، مُختلفين في الشكل واللون والنَسب ، مُتفاوتين في المستويات والطَبيعة والقُدرة ، ليُكَمِل بعضهم البعض ، ويزيدهم إصرار على التكاتف والتعاون لإكمال الحياة بالصورة المريحة السهلة ، وهذا من أساسيات الحضارة التي رسمها القران لنا وهو اختلافنا سر تقدمنا ، وتَعدد الشعوب والفِئات والمُستويات هو السَبيل الى التعاضد والتَكاتف لِتحقيق أهدافنا ، فالكمال لله وحده ، والاقتِصار على ما يَمتَلك الانسان من موارد هي بسيطة مهما بَلغت ، لإن الانسان يسلك في حياته تخصص واحد ، واتجاه واحد ، فماذا عن بقية التخصصات والاتجاهات ؟

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالله سبحانه جعل مُحدِدات لهذه الحياة ، ومن قبِلها مُحدِدات لنَصيب كل إنسان في الإخرة ، قال سبحانه (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)(3) . وقال تعالى (وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا)(4) . فهذه المعايير التي جعلها الله للفوز بالإخرة وجَنة عرضُها السموات والارض ، مواصفات الانسان الذي جعل من الدنيا ممر وليسَ مُستَقر ، مواصفات الذي جعل مِن الدُنيا مَطية ليَصل بها الى الدار الآخرة ، دار القرار والإستقرار . الطاعة والولاء لله عز وجل وتَلبية أوامره وإجتناب نواهيه السِمة البارزة للعبد الصالح . بِالمقابل ذَكَرَ الله سبحانه الخاسر بقوله (وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ

---

(1) أُنظر: نور الدين علي بن ابي بكر الهيثمي (807هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، بتحرير الحافظين: العراقي وابن حجر، دار الكتاب العربي، بيروت، عدد الاجزاء 10، ج3، ص266 .

(2) سورة الحجرات، الآية 13 .

(3) سورة النحل، الآية 97 .

(4) سورة الطلاق، الآية 11 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الْمَصِيرُ)(1) . هذا المصير النِهائي الذي وعد الله العُصاة والمُدبرين والمُعرضين عَنه سبحانه ، العدل أساس من أساسيات صفات الله عز وجل ، فلا يمكن أن يتساوى الناس في المَنزلة الدنيوية ولا في الآخرة ، فلِكل مُجتَهدٍ نَصيب ، ولِكل ساعٍ من جائِزة ، ولكلِ عاملٍ من أجر ، والأجر على قَدر العَمل .

وقد جَمعَت حقبة الرسول صلى الله عليه وسلم رجالاً مُسلمين من قبائل وأجناس وألوان شتى ، يَملأ قلوبهم التوحيد ، ويَجمَعُهم الإيمان والتقوى ، كأبي بكر القرشي ، وعلي بن أبي طالب الهاشمي ، وبلال بن رباح الحبشي ، وصهيب الرومي ، وسلمان الفارسي ، وعثمان بن عفان الغني ، وعمار بن ياسر الفقير ، وأهل الثروة ، واهل الفقر ، وأهل الصفة ، وأهل العلم ، وأهل الحرب ، وأهل البساطة ، وأهل العمل ، وغيرهم .. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ، ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم)(2) .

المقصد الثاني : سَخر الله سبحانه وتعالى البر والبحر لِخدمة الإنسان ، وجَعل ما فيهما من الخيرات والنِعم تَحتَ أمره ، وتَلبية لرَغبته ومَطلبه ، فيَسلك فيها السُبل الفِجاج ، ويَسير فيها طلباً ومقصداً ، فهيأ له البحر بكل ما يحوي ، والبر بكل ما يُخرج ، مُذللة للانسان ، ومُهيأة لما يريد ان يفعل ويصنع . فتارة يقوم بالإعمار في البر ، وتارة يقوم بإستغلال البحر لِما يخدمه ويطلبه ، ففيهما جعل الله الرحمة ، وأيضا جعل فيهما العذاب ، قال تعالى في سورة الإسراء (رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا)(3) . والإزجاء سَوْق الشئ حالا بعد حال . وهذا يعني أن الله سبحانه وتعالى يَسر لنا البحر لِجريان الفُلك فيها وتهيأتها لخدمة الانسان وأَخرج له منها من الخير العظيم ، فمنها يُخرِج الصيد ، ومنها يُخرج اللؤلؤ والمرجان ، ومنها يُخرِج الثروات الطبيعية التي يستخدمها البشر اليوم في الطاقة وتيسير أُمور الحياة كالنفط والغاز ، ومنها تخرج المعادن التي يبني الانسان بها مُدنه ومستعمراته ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومنها يُخرِج قوت يومه للصيادة والمنتفعين منها ، ويخرج الغذاء والدواء والأطعمة ، فهذه كلها من خيرات الله عز وجل في البِحار والتي لا يمكن لأحد الإستفادة منها سوى الانسان الذي جُعِل مُستَخلفا فيها . فالله سبحانه ساق لنا هذا الخير من حيث لا قوة لنا به وجعله مُتاح سهل للفائدة الخاصة وللتجارة والصناعة. قال تعالى (وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)(4).

لكن بعد هذا كله من النَفع والانتِفاع ، وبعد هذا الخير الغزير من جانب واحد مما هو موجود على الأرض ، بالمقابل إذا لم يُحسن الانسان إستغلال هذه النعمة ، ولم يَسندها الى خالقها ومُوجِدها ، فإن

---

(1) سورة التغابن، الآية 10 .

(2) أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي (631 هـ - 676هـ)، رياض الصالحين، تحقيق : محمد ناصر الدين الالباني، المكتب الاسلامي، ط1، 1412هـ ، 1992م،باب الاخلاص وإحضار النية، ص42، رقم الحديث (8) . وذكره الامام مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، حديث رقم (2564) .

(3) سورة الاسراء، الآية 66 .

(4) سورة النحل، الآية 14 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الله يَقلِب النِعمة الى نِقمة ، والخَير الى سوء ، والرزق الى شِحة وإمساك ، قال تعالى مردفا (فَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ، أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا)(1) . وهذا عدل الله فينا ، فإذا لم نُحسن حمده ونسب النعمة إليه فأنه يُبدلها نقمة وعذاب . يقول سيد قطب في معرض هذا الحديث " ان البشر في قبضة الله في كل لحظة وفي كل بقعة ، إنهم في قبضته في البر كما هم في قبضته في البحر ، فكيف يأمنون ؟ كيف يأمنون أن يخسف بهم جانب البر بزلزال أو بركان ، أو بغيرها من الأسباب المُسخِرة لقدرة الله ؟ أو يرسل عليهم عاصفة بركانية تقذفهم بالحمم والماء والطين والأحجار ، فتهلكهم دون أن يجدوا لهم من دون الله وكيلاً يحميهم ويدفع عنهم ، أم كيف يأمنون أن يردهم الله الى البحر فيرسل عليهم ريحاً قاصفاً تقصف الصواري وتحطم السفن ، فيغرقهم بسبب كفرهم وإعراضهم ، فلا يجدون من يطالب بعدهم بتبعة إغراقهم ؟ ألا أنها الغفلة أن يُعرض الناس عن ربهم ويكفروا ، ثم يأمنوا أخذه وكيده ، وهم يتوجهون إليه وحده في الشدة ثم ينسوه بعد النجاة ، كأنها آخر شدة يمكن أن يأخذهم بها الله "(2) .

فذَكر الله سبحانه جانبَين للخير والنعمه ، وهما نفسهما جانبين للهلاك والنقمة ، جانب البر وجانب البحر ، فهُما المكان لعيش وسكن الإنسان على وجه الإرض . فالخوف من هلاك الله في البحر ليس أكثر من الخوف من هلاكهم في البر ، والأُمم السابقة خير دليل عندما عَصت أمر ربها ، خَسف الله بهم البر وأهلكهم عن بكرتهم فلم ينج أحد من العذاب ، وبالمقابل أَهلك الله أُمما وأوقع بهم المصائب عن طريق البحر ، وما تسونامي عننا ببعيد ، حيث حَلّت عقوبة الله به على العصاة من عباده . فقُدرة الله نافذة في البر والبحر على حد سواء .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المقصد الثالث : تفضيل الإنسان على بقية مخلوقات الله ، الإنسان هو محور هذا الكون وأساس خَلقِه ، وتفضيل الإنسان على سائر المخلوقات دليل أهمية هذا الانسان الذي يحمل الكثير من الميزات مما جَعله الأهم والأفضل . فالمخلوقات الحيّة التي خَلقها الله سبحانه وبث فيها الروح ثلاث (الملائكة والانسان والحيوان) ، ولكلِ مخلوق من هذه المخلوقات الثلاث صفات تختلف عن الآخر ، فنرى الملائكة خلقها الله لغرض العبادة وتنفيذ أوامر الله عز وجل ، وخلق لها عقلاً ، قال الله تعالى (لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)(3) ، أما الانسان فقد خلق الله له عقلاً وخصّه بالإختيار ، أختيار جزء كبير من تصرفاته وقراراته وجَعله مسؤلاً عن هذه الإختيارات والقرارات ، قال تعالى (هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا)(4) ، وقال تعالى ﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾(5) . أما الحيوان فهو مخلوق ليس له عقل وليس له قرارات ؛ ولكن لديه شهوة تتحكم فيه ، وهو مخلوق ليستفيد منه الإنسان ، قال تعالى (وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ

---

(1) سورة الاسراء، الآية 68-69 .

(2) سيد قطب، في ظلال القران، ج3، ص2240 .

(3) سورة التحريم، الآية 6 .

(4) سورة الانسان، الآية 3 .

(5) سورة الكهف ، الآية 29 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

،وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ، وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ، وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)(1).

يقول الرازي " وإعلم أن الإنسان جوهر مُركب من النفس والبدن ، فالنفس الإنسانية أشرف النفوس الموجودة في العالم السفلي ، وبدنه أشرف الأجسام الموجودة في العالم السفلي ، وتقرير هذه الفضيلة في النفس الإنسانية هي أن النفس الإنسانية قواها الأصلية ثلاث ، وهي الإغتذاء والنمو والتوليد ، والنفس الحيوانية لها قوتان الحساسة سواء كانت ظاهرة أم باطنة ، الحركة والإختيار ، فهذه القوى الخمسة أعني الإغتذاء والنمو والتوليد والحس والحركة حاصلة للنفس الإنسانية ، ثم أن النفس الإنسانية مختصة بقوة أُخرى وهي القوة العاقلة المُدركة لحقائق الأشياء كما هي ، وهي التي يتجلى فيها نور معرفة الله تعالى ويُشرق فيها ضوء كبريائه وهو الذي يَطّلع على أسرار عالمي الخلق والأمر ويُحيط بأقسام مخلوقات الله من الأرواح والأجسام كما هي ، وهذه القوة من تلقيح الجواهر القدسية والأرواح المجردة الآهية ، فهذه القوة لا نسبة لها في الشرف والفضل الى تلك القوى الخمسة النباتية والحيوانية "(2) .

فالملائكة عقل بلا شهوة ، والإنسان عقل وشهوة ، والحيوان شهوة بلا عقل ، فإذا غَلبت الشهوة على العقل أصبح الإنسان أدنى من الحيوان ، لأن الحيوان لم يأته التكليف مثل الانسان ، وإذا غَلب العقل على الشهوة أصبح أرقى من الملائكة ، لأن الملائكة جاءَها التكليف لكن لا يوجد لديها شهوة ، فالإنسان ما بين شهوة وعقل فهو ما بين رُقي الملائكة ودناءة الحيوان . لهذا فإن الله أكثر من تكريم الانسان وتفضيله ، بل وصل الأمر الى تفضيله على الكعبة المشرفة التي يلجأ إليها ملايين الناس كل يوم خمس مرات يتوجهون بالعبادة والطاعة ، في أعظم فرض فرضه الله على الانسان وهو الصلاة ، فجَعل قيمة وفضْل الانسان أعظم من الكعبة . فعَن عبد الله بن عمر رضي الله عنه ان النبي عليه الصلاة والسلام قال (لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم)(3) . كذلك " ان النبي صلى الله عليه وسلم نَظر الى الكعبة فقال: لقد شرّفك الله وكرّمك وعظّمك والمؤمن أعظم حُرمة منكِ "(4).

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

ويقول سيد قطب رحمه الله معلقاً على (وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا)(5) :" فضلناهم بهذا الإستخلاف في مُلك الأرض الطويل العريض وبما ركب في فطرتهم من إستعدادات تجعل المخلوق الانساني فذاً بين الخلائق في مُلك الله .. ومن التكريم أن يكون الانسان قيّماً على نفسه ، مُحتملاً تبِعة إتجاهه وعمله ، فهذه هي الصفة الأولى التي بها كان الإنسان إنساناً ، حرية الإتجاه وفردية التبعية ، وبها إستُخلِف في دار العمل ، فمن العدل ان يلقى جزاء إتجاهه وثمرة عملِه في دار

---

(1) سورة النحل، الآية 5-8 .

(2) الرازي، التفسير الكبير= مفاتيح الغيب، ج21، ص13

(3) محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (279هـ)، سنن الترمذي ، حكم على احاديثه وآثاره وعلق عليه العلامة محمد ناصر الدين الالباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط1، ص330، الحديث رقم (1395) .

(4) أُنظر: إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي (1162هـ)، كشف الخفاء ومزيل الالباس ، مكتبة القدسي، 1351هـ ، ص151، رقم الحديث (2086) .

(5) سورة الاسراء، الآية 70 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحساب "(1) . وجاء أصل التفضيل حينما أخبر الله تعالى الملائكة ومن في السموات قبل خلق الارض والبشرية إني جاعل في الأرض خليفة ، وهنا جاء الإعتراض من قِبل إبليس على هذا الخلق وسبب العصيان ، وأيضا سألت الملائكة الله عز وجل عن السبب في هذا المخلوق ، لكن حكمة الله فوق جميع الأسئلة والإعتراضات ، قال تعالى (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)(2) .

فبعد هذا التفضيل الآلهي وتسخير البر والبحر لخِدمَتنا ، هل نحن على قدر هذا التفضيل ؟ وهل نستحقه ؟ وهل نحن متّجهون نحو ما مطلوب منا ؟ وهل حققنا مبدأ الإستخلاف الذي خُلقنا من أجله ؟ هذا يعتمد على فهمنا وإدراكنا لِما يحيط بنا ، وكيفية إستغلال هذا الإصطفاء في تحقيق مبدأ الإستخلاف وإنشاء الحضارة حسب مايُريد الشارع الحكيم ، حضارة تَعتمد على مبادئ وأُسس رصينة تَنتَهل من مَنهَل القرآن الكريم والسنة النبوية المُطهرة ، هذا الدستور الذي ما أنفك في وضع كل الأساسيات والمناهج التي يحتاجها الإنسان لإقامة حضارته الربانية التي ترتَقي بِه كأنسان مُدرك على قَدر المسؤولية وعلى قَدر الأمانه التي أئتُمن عليها ، (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا)(3) .

---

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج3، ص2241

(2) سورة البقرة، الآية 30 .

(3) سورة الأحزاب، الآية 72 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني : توحيد الربوبية

المطلب الأول - إفراد الله سبحانه وتعالى بالربوبية

توحيد الربوبية الذي إعترف بهِ كل البشر وحتى يومنا هذا ، وهو أن للكون خالق واحد ورب واحد ، خَلقه ويُدير شؤونه ويقوم بتصريفه ، وهذا إعتماد الشرائع الثلاث الرئيسية على وجه الأرض . قال تعالى في سورة الاسراء (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلَّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا)(1) . حتى الكُفار في زمن الرسول عليه الصلاة والسلام إعترفوا بذلك ، إعترفوا بتوحيد الربوبية ، وكانوا يؤمنون بأن الله هو الخالق الرازق ، ولكنهم كانوا يجعلون له نِداً في العبادة ، وكانوا يجعلون معه الشركاء من الآلهة التي يصنعونها بأيديهم . وجاء إعترافهم صريح ضمن آيات القرآن المجيد ، قال تعالى (قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ)(2) . بالإضافة الى السؤال المُباشر الذي عبّر عنه القرآن الكريم بقوله (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ)(3) ، فكان الجواب هو الإعتراف الكامل بالله عز وجل كخالق لهذا الكون .

فتوحيد الربوبية هو : " الإعتقاد والإعتراف والإقرار الجازم بأن الله هو الخالق الرزاق المُحيي المُميت المُدبر لجميع الكائنات ، فهو المالك المتصرف ، وهذا يستلزم قبول أمره وإجتناب نهيه ، قال تعالى (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)"(4) . " أي أن الله واحد لا شريك له في الخلق والأمر والتدبير والملك ، وغير ذلك من الصفاة التي يدل عليها إسم الرب "(5) . وهذا معنى قوله تعالى (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)(6) . فيجب على علاقتنا بالله عز وجل أن تنطلق من هذا المُنطلق ، ألا وهو التعامل مع الله سبحانه وتعالى كخالق ورب لا مثيل له ، لا في مُلكه ، ولا في سلطانه ، ولا في عظمته ، ولا في رحمته ، فهو الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الأول والآخر ، لا شئ يشبهه ، ولا شئ يظاهيه ، ولا شئ ينافسه .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من هنا نستطيع بناء حياتنا النموذجية وفق القواعد الربانية التي رَسمها لنا الباري عزوجل ، وفي سورة الإسراء يُبَين لنا الله عزوجل قاعدة من أهم قواعد بناء الانسان وبناء الأوطان ، ألا وهي قاعدة الإستقامة ، قال تعالى (وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا)(7) . فالقَول هو متوسط ما بين النية والفعل ، فهو ترجمة للنية ، وهو المُتحكم بالفِعل ، فإذا أحكمنا السيطرة على القول ، إستطعنا السيطرة على الفِعل ، بالتالي فإن

---

(1) سورة الإسراء، الآية 111 .

(2) سورة يونس، الآية 31 .

(3) سورة الزمر/، الآية 38 .

(4) صالح بن عبد الرحمن الاطرم، الاسئلة والاجوبة في العقيدة، دار الوطن، الرياض، ط1، 1413هـ ، ص11 .

(5) عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، العقيدة الاسلامية وأسسها، دار القلم، دمشق، ط2، 1399هـ ، 1979م، ص177 .

(6) سورة الإخلاص، الآية 1 .

(7) سورة الإسراء، الآية 53 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أعمال الانسان وأقواله تكون مُسَيطرٌ عليها وفق ما يُريد ، فإن أراد بها خيراً كانت ، وإن أراد بها سوأً كانت ، أما إذا أخضعناها للأمر الرباني بالتي هي أحسن ، فإننا بذلك قد وَجهناها بالتوجيه الصحيح . وذكر إبن كثير هذا المعنى في تفسيره في مُستعرض هذه الآية فقال : " يأمر تبارك وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يأمر عباد الله المؤمنين أن يقولوا في مخاطباتهم ومحاوراتهم الكلام الأحسن ، والكلمة الطيبة ، فإنهم إن لم يفعلوا ذلك نزغ الشيطان بينهم ، وأخرج الكلام الى أفعال ، ووقع الشر والمخاصمة والمقاتلة ، فإنه عدو لآدم وذريته من حين أمتنع من السجود لآدم ، وعداوته ظاهرة بينّه "(1) .

وطريق الإستقامة التي تَضمن لنا تلك الحياة ، وهي أمر رباني ، قال تعالى (فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)(2) . ففي الآية الأولى قال الله تعالى وهو الآمر بأن يامحمد (قل) لعبادي ، وهذا أمر من الله سبحانه وتعالى إلى العباد جميعاً من آمن منهم بالله أَن يقولوا التي هي أحسن في طريق الإستقامة وطريق الحق والخير ، فبعد هذا الأمر من الله ، والتنفيذ من البشر ، نَكون قد وُفِقنا الى رضا الله وهي الغاية الأسمى من هذه الحياة . وهذا الأمر بالفعل نفسه بَيَنّته الآية الثانية صريحة ، فكلمة الإستقامة تعني إحتواء جميع خصال الفلاح والنجاح ، فما من طريق أَفضل من سلوك طريق الحق الواضح ، وما من عمل أكبر أفضل من عمل الصالحات ، وما من منهج أنجح من منهج الله الذي إرتضاه لعباده ، ولا من عبادة أروع إلا عبادة الواحد الديان .

" فلابد من الفرق بين الخالق والمخلوق ، ولابد من الفرق بين الطاعة وبين المعصية ، وان العبد كلما إزداد تحقيقاً لهذا الفرق إزدادت محبته لله وعبوديته له ، وإعراضه عن عبادة غيره ومحبة غيره ، وطاعة غيره "(3) . ومن هنا نستطيع أن نقول أن أي تطور في الحياة فلابد من وجود مُلهم لهذا التطور

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فكيف وإن كان هذا المُعطي هو الله عزوجل ؟ فالصِلة هي التي تساعد على إتخاذ القرارات ، الصلة بين العبد وربه التي تنطلق من مُنطلق الفهم الواضح لمعنى الرب والعبد ، الفهم الواضح لمعنى أننا الذين يجب عليهم إقامة الحضارة بشكلها الصحيح الذي يعتمد على التوجيه الرباني الذي هو خير لنا ، وقبول الانسان لهذا التوجيه ، والإنطلاق من أُسسه ومبادئه لتكوين الخلافة الربانية التي أمرنا الله بها (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً)(4) .

فباللحظة التي يَعلم الانسان هدفه بوضوح ؛ فإن السير بإتجاه تحقيقه يكون سَهلاً ، ويكون مثمراً ، فالله سبحانه وتعالى بَيّن لنا الهدف وحَثّنا على العمل لتَحقيقه (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ)(5) . فالعلاقة الربانية التي سار عليها النبي عليه الصلاة والسلام لَهيَ خير نِبراس تُضئ لنا الدَرب ، وترسم المنهج ، وتضع القواعد الرصينة للوصول الى بر الأمان . فكان تسليم قلبه صلى الله عليه

---

(1) عماد الدين ابي الفداء إسماعيل إبن كثير الدمشقي (774هـ)، مختصر تفسير ابن كثير، تحقيق: محمد علي الصابوني، دار القران الكريم، بيروت، ط6، 1402هـ ، 1981م، عدد الاجزاء 3، ج2، ص383 .

(2) سورة هود، الآية 112

(3) أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام إبن تيمية، شرح العبودية، شرح عبدالعزيز بن عبد الله الراجحي، دار الفضيلة، ط1، 1419هـ ، 1998م، ص145 .

(4) سورة البقرة، الآية 30 .

(5) سورة التوبة ، الآية 105 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وسلم لِخالقه وربطه بكل معنى الإستشعار الحسي والبدني بالله الرب الواحد الذي بيده القلوب والجوارح والأركان ، فالحديث عن إبن عباس رضي الله عنه قال : " بينما كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فقال لي : ياغلام إني أُعلِمك كلمات ، إحفظ الله يحفظك ، وإحفظ الله تجده تجاهك ، وإذا سألت فإسال الله ، وإذا إستعنت فإستعن بالله "(1) . هنا يُعَلِم الرسول عليه الصلاة والسلام الصحابة ويُربيهم على كيفية ربط قلوبهم بالله . وقال تعالى (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا)(2).

فالدين الاسلامي وفّر علينا شوط كبير من البحث والتمحيص ، حيث دَلنا على الرب الواحد وسَهّل لنا الطريق لمعرفته والوصول إليه ، على خلاف بقية الأديان وبقية المُعتقدات الذين لحد الآن هم في تَيه ودَوامه ، فهم يتخبطون في عبادة آلهتهم التي يعتقدون أنها الحق ، ومن ثم ينتقلون الى آلهه أُخرى وأُخرى وهكذا ، فهم في دوامه ودائرة مغلقة لا يعرفون كيف يحددون الطريق الذي يسيرون فيه ، ولا يستطيعون توجيه البوصلة بالإتجاه السليم ، فالتيّه الديني لديهم قد أعمى أبصارهم فهم لايعلمون ما يصنعون ، فكَرّسوا حياتهم للعَمل الدنيوي للتغطية على فشلهم الديني . وبالرغم من هذا الإنشغال الدنيوي فإن الفشل في الربط بين العلم والدين لديهم قائم بسبب عدم معرفتهم الآه الحق الذي يعبدونه ويسيرون خلف تعاليمه ، فكثير منهم يعلمون ان للكون إله وخالق وصانع ، إلا إنهم لا يجرؤون على الإعتراف بهذه الحقيقة لكثير من الأسباب ، منها دينية بحته وفق ضغوط ، ومنها من مبدأ الغرور والتكبر وعدم وضع الأمور في نصابها الحقيقي . ونعزو جزء يسير الى تقصير العلماء المسلمين في تأدية واجبهم تجاه هؤلاء المتخبطين التائهين ، فعدم قبول الغرب لكلام علماء الأُمة يرجع الى عدم سلوك هؤلاء العلماء لخط واحد واضح تحت قُبة واحدة يعمَلون من أجل هدف واحد ، فالإختلافات في الإنتماءات أَضعفت الأُمة وجعلت للنقد سبيل إليها ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا الإختلاف وَلّد نقاط ضعف ، عَزَفَ المُتَصيدون في الماء العكر على أوتارها . كذلك أَبرَزت لنا جيل يعتمد العنف وسيلة لإثبات وجوده ، مما أدى الى نتائج عكسية جعلت الدين الاسلامي في موضع إتهام بالعنف ، ونَسُوا سماحة الاسلام وسلامه وأمانه التي أعطاها للعباد والبلاد ، ونَسُوا أن كثير من البلاد والأمصار فُتِحت بسماحة الاسلام وبساطته وحُبه لجميع الناس ، وعدله وإستقامة أحكامه وحِرصه على سلامة عقيدة الناس وصفاء سرائرهم ، ليَحفظ لهم خير الدنيا والآخرة .

فإفراد الله سبحانه وتعالى بالربوبية هي أول خطوة على طريق بناء الحضارة المتقدمة التي تحقق خير البلاد والعباد ، الحضارة القائمة على الإستقامة الحقة التي هي نِتاج لأفعال العباد على أوامر المعبود ، الإستقامة التي تُحقق مبدأ مهم من مبادئ البناء الحضاري وهو أن لكلِ إنسان حقوق وعليه واجبات ، هذا المبدأ الذي يكفل للجميع العدل والمساواة في ضل مجتمع مُتقدم حضاري متطور يكفل

---

(1) محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (279هـ)، سنن الترمذي، حكّم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه العلامة محمد ناصر الدين الالباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط1،كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب59، ص566، رقم الحديث (2516) ... وقال ابن رجب في جامع العلوم والحكم، الصفحة أو الرقم: 459/1 انه حَسن جيد . وقال ابن حجر العسقلاني في كتاب موافقة الخبر الخبر، الصفحة و الرقم: 327/1 انه حَسن .

(2) سورة الطلاق، الآية 3 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للإنسان حق الحياة الكريمة ، الحياة التي حدَدَها الله لنا ورَسم طريقها . هذه الحياة التي لا تستقيم إلا بإفراد الربوبية لله وحده ، وتحديد أَهم ركن من أركانها ، وهو الجانب الروحي الروحاني الذي ينمو ويزدهر بعلاقته بربه ، فيكبر ويتزايد كلما عرف الله وأدى حقوقه ، وينقص ويتلاشى كلما إبتعد عنه سبحانه وإنتهك حدوده ، وإثبات الربوبية خَطّ أساسياته ربنا جل وعلا بنفسه ، وأَخبرنا عنه في كتابه ، ليُعين الإنسان على نفسه ، ويُعينه على دنياه لكي يسير فيها براحة وأَمان وإطمئنان ، حيث ذكر الله سبحانه وتعالى في سورة الإسراء مُنتهى إثبات الربوبية وإسنادها لنفسه سبحانه وتعالى ، وهي الدستور الذي نسير عليه ، قال تعالى (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلَّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا)(1) .

أما عن الطريق لمحبة الله لنا ، وإلهامه وإرشاده التي هي نابعة عن العمل الإرتدادي لما نُقدمه ، هو إتباع ذلك النبي الأُمي الذي مابَخِل علينا بطريقة ، وما أَخفى لنا من درب إليه سبحانه ، وهنا التوجيه الآلهي لذلك الإتباع وكيفية حُب الله للعبد ، فقال تعالى (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)(2) . فالنبي عليه الصلاة والسلام ما إنفك يُعلم أصحابه من قَبل ، ويُعلمنا كيف نعمل ؟ ومانصنع للوصول الى محبة الله لنا ؟ فحديث إبن عباس الذي ذكرناه آنفاً ، وأحاديث غيرها كثير تُعلِم الصحابة الطرق السليمة الصحيحة لتقديم العمل الخالص الذي يؤدي لمحبة الله لنا والتباهي أمام ملائكته فينا ، ففي الحديث " أن الرسول صلى الله عليه وسلم خرج على حلقة من أصحابه فقال : ما أجلسكم ؟ قالوا : جلسنا نذكر الله ونحمده على ماهدانا للاسلام ، ومَنَّ بِه علينا . قال : آلله ما أجلَسكم إلا ذاك ؟ قالوا : والله ما أجلَسنا إلا ذاك . قال : أما أني لم أستحلفكم تُهمة لكم ، ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله عز وجل يُباهي بكم الملائكة "(3) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي الحديث القدسي الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه قال " أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه حين يذكرني ، إن ذكَرني في نفسه ذَكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ هم خير منهم ، وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً ، وإن تقربت الي ذراعاً تقربت إليه باعاً ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة "(4) . ففي العمل الصالح ، والكلم الطيب يفرح الله تعالى ويباهي الملائكة (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ)(5) .

و"عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان الله تبارك وتعالى إذا أحبّ عبداً نادى جبريل إن الله قد أحبّ فُلاناً فأحبه ، فيُحبه جبريل ، ثم ينادي جبريل في السماء إن الله قد أحبّ فُلاناً فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ويوضع له القبول في أهل الأرض)"(6) .

---

(1) سورة الإسراء، الآية 111 .

(2) سورة آل عمران، الآية 31 .

(3) أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (206-261 هـ)، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1412هـ ، 1991م، ج4، ص2075، رقم الحديث (2701) .

(4) نفس المصدر السابق، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، ج4، ص2061، رقم الحديث (2675) .

(5) سورة فاطر، الآية 10 .

(6) أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري (194-256هـ)، صحيح البخاري، دار إبن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 1423هـ ، 2002م ، كتاب التوحيد، باب كلام الرب مع جبريل، ص 1848، رقم الحديث (7485) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهذا الذكر الآلهي لِعباده ، وهذا التباهي مع ملائكته ما أتى إلا من تمسك العِباد بِخالقهم ، وتَعلقهم به قلباً وقالباً ، وإفراده سبحانه بالربوبية الحقّة التي زُرعت في الصدور ، وتبنتها العقول ، وغُرِست في النفوس ، فأثمرت أحلى الثمر ، وأينعت وأزهرت أحلى الزَهر ، فكانت حُب ربهم لهم ، وتفضيلهم على ملائكته وجميع خَلقِه .

المطلب الثاني - الإنسان بين طاعة الملائكة وعصيان إبليس

ألله سبحانه وتعالى خَلق الإنسان لإسباب مُتَعددة نَعلمها نَحن ، وسبب خَفي يعلمه هو سبحانه ، وكان هذا المخلوق عاجزاً ضعيفاً أمام تلك المخلوقات العملاقة التي خَلقها الله قبلَه في السماء ، وقَبلَ خلق الارض أو إستخدامها من قِبَل الإنسان . فكان أثر ذلك الخَلق إنقسام في مخلوقات الله القديمة (الملائكة والجن والشيطان) ، إنقسام في إعلان الولاء والطاعة لله عزوجل في ما أراد ، لكن هذا الإنقسام حصل بمشيئة من الله سبحانه ، إذ لا يمكن لأي مخلوق سماوي خُلق قبل الانسان من عصيان ربه ، لأنهم أعلم بالله منا وأقرب اليه سبحانه ، وأقرب لأوامره ونواهيه ، لكن ما حصل كان بإرادة من الله ومشيئة لأسباب سأذكرها لاحقاً في سياق الحديث .

ففي سورة الإسراء يُبَين الله لنا هذه الحادثة ، حادثة خَلق الانسان وكيفية نِشوء الصِراع ، وكيفية قيام هذا الخِلاف الذي سَيكون للإنسان الدور الأكبر فيه ، بإعتباره مصدَر الخِلاف ، وموضع ثِقة الله ، وطَمع الشيطان ، قال تعالى في سورة الإسراء (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ، قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ، قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ، وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ، إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا)(1) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا تصوير بديع من الله سبحانه وتعالى يُظهر فيه حجم ثقة الله بهذا المخلوق وكيف سَيكون تعامُله مع المُعطيات التي هي كلها من صُنع الله ، إلا أن الله سبحانه وتعالى جَعل القرار لهذا الإنسان في تحديد مصيره ." ننظر أيّ شيء يصنع، أيّ الطريقين يسلك، وأيّ الأمرين يأخذ، قال: وهذا الاختبار "(2) .

وهنا لابد من أن أذكر مسألة مهمة وهي أن الشيطان وما يُحيك مِن مؤامرات ، وما يَرسم لإغواء البشر إنما هي بموافقة الله عز وجل وبِتقدير مِنه سُبحانه ، لكي يخُضِع الإنسان الى إمتحان سَيكون النتيجة فيه أما جنة عَرضها السموات والارض ، وَرب راضٍ غَير غضبان ، وأما نار وسَعير ،

---

(1) سورة الإسراء، الآية 60-65 .

(2) تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق وضبط وتعليق: بشار عواد معروف و عصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة، ط1، 1415هـ 1994م، ج7، ص419 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وربٍ غضبان . قال تعالى (أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ)(1) . فهذا الإختبار الحقيقي للإنسان في تَحديد آخِرته ، وهذا أَهم قرار يتَخذه هذا العبد الضعيف في تَقرير مَصيره وإعلان طاعته وولاءه ، أما لربه الذي خلقه وسواه، وأما للشيطان الذي يَملك خُطوط الإغواء وشِراك المَعصية وحِبال النار .

فإغواء الشيطان للإنسان وإِستلاله لِزمام المُبادرة في الوسوسه إنما هي بتَقدير الله وإرادَتِه ، ومَن يعتَقد أن للشيطان سيطرة على الانسان ، وأن بيده أَخذ هذا المخلوق الى النار ، فقد وقع في الكفر ، لأن كل مخلوق هو تابع لمشيئة الله ، وكل قوة إنما هي بأمر الله ، فحِبال الشيطان مهما كانت إنما هي بإرادة وموافقة الله لهذا العَمل لإخضاع الانسان للإختبار كما ذكرنا . وقد أَظهر لنا الله سبحانه وتعالى هذا الامر وبَيَنَ لنا ان ليس للشيطان من الامر شئ سوى الاغواء ومحاولة إضلال الناس عن الحق وعن طريق الله المستقيم (وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)(2) . وهذه نهاية المَطاف هي سَحب الشيطان نَفسه من كلِ مَسؤولية وتَخليه عن كلِ تبعات ، فَهو ليسَ لَديه على الإنسان أي نفع أو ضرر إلا انه قام بِمُمارسة ما سَخر نفسه من أجله ، وهذا نابع من إعتِراضه على خَلق الإنسان في بادئ الأمر .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" ويَغفل إبليس عن استعداد الانسان للخير والهداية استعداده للشر والغواية ، عن حالته التي يكون فيها متصلا بالله فيرتفع ويسمو ويعتصم من الشر والغواية ، ويغفل عن ان هذه هي مزية هذا المخلوق التي ترفعه على ذوي الطبيعة المفردة التي لا تعرف الا طريقا واحدا تسلكه بلا ارادة ، فالارادة هي سر هذا المخلوق العجيب ، وتشاء ارادة الله ان يطلق لرسول الشر والغواية الزمام ، فيحاول محاولته مع بني الانسان ، اذهب فحاول محاولتك ، اذهب ماذونا في اغوائهم ، فهم مزودون بالعقل والارادة ، يملكون ان يتبعوك او يعرضوا عنك ، (فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ) مغلبا جانب الغواية في نفسه على جانب الهداية ، معرضا عن نداء الرحمن الى نداء الشيطان ، غافلا عن آيات الله في الكون ، وآياته المصاحبة للرسالات ، (فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ) انت وتابعوك (جَزَاءً مَوْفُورًا)"(3) . هذا بيان الله لحال الشيطان ومن يَتَبِعهُ مِن البشر او الجن ، مُوضِحاً ان أي هيمَنة للشيطان على الإنسان لا وجود لها ، ومن شَك أن للشيطان يَد في ذلك فقد أَشركه السلطة مع الله سبحانه ، وهذا مُحال ، ولو كان للشيطان مثل هذه السُلطة لكان في ذلكَ مُناقَضة لِتَكليف الله للبشر ، وفي ذلك مُخالَفة صَريحة لِما في القرآن الكريم ، لإن التكليف مَبني على قُدرة الإنسان في إختيار الخير أو الشر ، وإذا إنتفى الإختيار عِند الإنسان (بسبب إجبار الشيطان للإنسان على فعل المعاصي وتَرك الواجبات) لَكان في ذلكَ بُطلان التكليف من قِبل الله سُبحانه وتعالى للإنسان ، وهذا الكلام لا يَقول

---

(1) سورة العنكبوت، الآية 2-3 .

(2) سورة إبراهيم، الآية 22 .

(3) سيد قطب، في ظلال القران، ج3، ص 2238-2239

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بِه إلا كافر أو جاهل ، لأن بَعّث الله للرُسل على مدار التاريخ إنما جاءَ لإختبار هذهِ الإرادة عِند الإنسان ، فإما أن يَستَجيب هذا الإنسان لداعي الله ، وإما أن يستَجيب لداعي الشيطان الذي يُوسوس للإنسان ويُزَين له المعاصي ، وعلى أساس هذه الاستِجابة أو عَدمِها يكون جَزاء الإنسان بالجنة أو النار . قال تعالى (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا)(1) . فهنا تَتَجلى إختيارات الإنسان وإفرازَه للتوجيهات الرَبانية ، وتَقريرَه لِمَصيره الدُنيَوي والأُخرَوي ، هل هو من الشاكرين الطائعين ؟ ام من الناكرين الغافلين ؟

هذا فيما يتَعلق بِعلاقة الإنسان مع الأَوامر الآلهية وإغواء الشيطان له ، اما فيما يَخص بِعلاقة الإنسان بالملائِكة فهُنا يجب ان نُعَرج على أمر مُهم ، وهو ماهي المُشتَركات بَين الإنسان والمَلائكة ؟ أو ماهي وجُوه التَشابه والإختلاف فيما بينِهم ؟ وأُحب أَن اوضح هذه المَسألة بأن المُشتركات تَتَمثل بالعقل الذي أودَعه الله في الإنسان والمَلائكة ، بالإضافة إلى قبول التكليف من الله والإمتثال لأوامره ونَواهيه ، والإستجابة السريعة لِما يُريد الله من هذه المخلوقات . أما عن وجوه الإختلاف ففي أُمور كثيرة منها الرَغبة الشهوانية التي جَعلها الله في الإنسان لِمُمارسة حياتِه على وجه الارض بِصورة مُختلفة عن مُمارسة المَلائكة لحياتهم سواء على الارض أم في السماء . وهنا أقول أن الإنسان لديه أمران مُختلفان وهُما (إختيار الطريق المستقيم أو الشهوة الانسانية) ، فإختيار الطريق يَكون الإنسان فيه مُتَغيراً بين قبول الآله الواحد الأحد وقبول تشريعه وهديه ؛ وما بين الكفر بالله واتِباع طريق الشيطان الذي زَين له كل شئ بِصورَته الدُنيَوية الجَميلة حَسب رُؤيته . كذلك التحكم في الشهوة الانسانية يكون مختلفاً من إنسان لآخر ، وهنا أقصد بالشَهوة نَوعَين : الشهوة النفسية التي تُريد كل شئ وتَشتهي الراحة وسُهولة العَيش ومَلذات الدُنيا ، والشَهوة الجِنسية التي خَص الله بها الإنسان دون الملائكة . فإما أن يتحكم الانسان بِشهوته ويُسيطر عليها فَيكون أرقى مِن الملائكة لأنه تغلب على أعظم غريزة نَفسية جَعلها الله في المخلوقات ، وإما تسيطر عليه هذه الغريزة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فيكون أحقر من الحيوان ، لأن الحيوان تتحكم فيه غريزته الشهوانية التي لا تخضع لحُكم العقل ، لأنه وكما هو معلوم أن الحيوان لا يمتلك العقل ، بالتالي تكون الشهوة الحيوانية هي التي تتحكم فيه . وهنا لابد من الانسان أن يقرر ، إما أن يكون أرقى من الملائكة أو أدنى من الحيوان ، وهو أختيار واحد لا ثاني له . ورب سائل يسأل: إذاً ما الشئ المُشتَرك بين هذه المخلوقات الثلاث ؟ فأقول له أن الروح هي المُشتَرك بينهما فقط .

" فان قيل كيف ظن إبليس هذا الظن الصادق بذرية آدم ، قلنا من أمرين : الأول : أنه سمع الملائكة تقول (أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ) فعرف أحوال الانسان . والثاني : أنه وسوس إلى آدم فلم يجد له عزماً ، فقال الظاهر أن أولاده يكونون مثله في ضعف العزم ، وأنهم مُركَبون من قوة بهيمية شهوانية ، وقوة سبعية غضبية ، وقوة وهمية شيطانية ، وقوة عقلية ملكية ، وعَرف أن القوى الثلاث أعني الشهوانية والغضبية والوهمية تكون هي المستولية في أول الخِلقة ، ثم أن القوة العقلية إنما تكمل في آخر الأمر ، ومتى كان الأمر كذلك كان ما ذكره إبليس لازماً ، وإعلم أنه تعالى لما

---

(1) سورة الانسان، الآية 3 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حكى عن إبليس ذلك حكى عن نفسه أنه تعالى قال له إذهب ، وهذا ليس من الذهاب الذي هو نقيض المجئ ، وإنما معناه إمض لشانك الذي إخترته ، والمقصود التخلية وتفويض الأمر إليه "(1) .

وإختتم الله سبحانه الموضوع ، وبتّ فيه ، وجَعل كلمة الفصل من قِبَله ، وهي (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا)(2) . والمَقصود من العِباد المؤمنون الذين إختاروا دَرب الهداية وجعلوا الله نُصب أعينهم ، ورَفضوا خُطوط الشيطان وحِباله أن تَصِل إليهم ، عِباد الله الذين طَلقوا الدُنيا ورَفظوا سَيطَرة إبليس عليهم ، عباد الله الذين تركوا لَغْو الحديث وكلام الجاهلون ، (وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ، وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ، وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ، أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ، خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا)(3) ، (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ، وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ، وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ، إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ، وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ، وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ اله اخر ولا يقتلون النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا)(4) . هذه صِفات المؤمنين الطائعين العابدين ، الذين رَضوا بالله رَباً وبالإسلام ديناً ، وإتخذوه منهجاً ودستوراً . فَهل الانسان قَرر أن يتَّبع رُقي الملائكة في العبادة والسلوك ، الذين وصفهم الله بوصف ثابت ودقيق حيث قال فيهم (لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾(5) ؟ أم قرر أن يتبّع عصيان إبليس ويَقع في شِراكه ؟

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فَالقَرين موجود ومُلازم للإنسان طول حياته ، وهذه الحقيقة موجودة في القرآن والسُنة وثابتة . ومُهمة هذا القَرين مُتعددة ، فأما أن يُعين الإنسان على الحق ، وأما أن يَكون قَرين السوء فيُعينُه على الباطل ، قال تعالى (وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ)(6) . وهذا ما ثَبَتَ في الحَديث الشريف عن سَيد الخلق صلى الله عليه وسلم أنه قال :" ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة ، قالوا : وإياك يا رسول الله ؟ قال : وإياي : إلا أن الله أعانني عليه فأسلم ، فلا يأمرني إلا بخير "(7) . نسال الله سبحانه وتعالى أن يُعينَنَا على قَرينِنا مِثلما أَعان المصطفى عليه الصلاة والسلام في ذلك ..

---

(1) الرازي، التفسير الكبير- مفاتيح الغيب، ج21، ص 5 .

(2) سورة الاسراء، الآية 65 .

(3) سورة الفرقان، الآية 72-76 .

(4) سورة الفرقان، الآية 63- 68 .

(5) سورة التحريم، الآية 6 .

(6) سورة الزخرف، الآية 36 .

(7) علي بن سلطان محمد القاري (1014هـ) و محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي (741هـ) ،مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، تحقيق: جمال عيتاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ ، 2001م، عدد الاجزاء11، كتاب الايمان، باب الوسوسة ، ج1، ص 228 . وذكره الامام مسلم في صحيحه في كتاب ذكر الجنة والنار واحوالهما برقم (2815) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما وَصية الله لنا في هذا الشان فتُجسده الآية الكريمة من سورة الإسراء ، قال تعالى (وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا)(1) ، فَيُبَين الله لنا أن الشيطان يقوم بالتَخريب والنَزغ ويَسعى للفُرقَة بين المُسلمين ، لكن ما العَمل ؟ (وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) هذه الوصية الربانية التي تُعتَبر بمثابة قاعدة يَجب على المؤمنين السَير عليها ، على هذا النَهج الرباني في تَربية النفس . قَول الحُسنى وإخراج الكلام الطَيب وتَرجمَته لإعمال وأفعال تَليق بالمُسلم ، هذا جُل ما وصانا الله به في هذه الآية ، وهذا بِسَبب أَن الشيطان يعرف نُقاط ضَعف الإنسان ، وكيفية المَخارج والمَداخل إليه ، كيف لا وهو الذي وَسوَس إلى أَبينا آدم مِن قَبل وهو أبو البَشر ، بالتالي فهو على خِبرة بهذا الأمر ويَعلم أننا نَتَبع أَبينا آدم في التَركيبة النَفسية والعَقلية والحِسية ، ومن ثم أبناء آدم من بَعده وقِصَتهم المشهورة في القرآن ، كيفَ أن الشيطان قامَ بالإغواء وَسَنَ سُنة القتل لِبني البَشر .

وهذا ما تَرجَمه الرسول عليه الصلاة والسلام " حينما سأله رجلا عن اي المسلمين خير ؟ قال : من سلم المسلمون من لسانه ويده "(2) . فإنطلاق بوادر الخَير وشَرارة الشَر من اللِسان ، ومن ثم تُتَرجَم الى أفعال وأعمال ، فالقَول والفِعل هما مصدران إما للخير أو للشر حسبما يُسخِرهما الانسان لأي الطَريقَين .

بالتالي فالإنسان أمام مُفتَرَق طرق ، أحدُهما مَحفوف بالمَلَذات والمُغريات والشَهوات والراحة ، يكون فيه إبليس الدليل والمُعين ، لكن نهايته مُظلمة سوداء في نار جهنم ، وغَضب من الله ، والآخر مَحفوف بالمَصاعب والتَعب والشَقاء الدُنيوي ، يَكون فيه الله سبحانه راعيه ، والسُنة دليله ، والملائكة مُعينه ، إلا أن نهايتَه جنة عرضها السموات والارض ، ورَب راضٍ غير غَضبان . فأيهما نختار ؟؟

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولنَجعل نصب أَعيننا موضوع مُهم جداً ، الا وهو تفضيل الله لنا على سائر خلقه بمن فيهم ملائِكته المُقربون ، وهذا التفضيل يصحَبه ثِقة ، والثِقة تَصحبُها تَسهيل وتَيسير من الله لنا ، فالله سبحانه وتعالى ماترك شئ فيه خير للإنسان إلا ودَلّه عليه ، وسَخر له كل شئ لخِدمته ، حتى ملائكته فهي تَجري لخِدمة الإنسان بأمر الله عزوجل ، وأَرشده سبل النجاة والصَلاح والفلاح ، وإذا عَصى الانسان غَفر الديان ، وإذا أسرَف وكَفر الانسان ، أرشده الله الى طريق التوبة والغفران . فكل هذا لأجل ماذا ؟ لأجل الانسان الذي خلقه الله وإصطفاه وكرّمه . فهل إرتقينا بأفكارنا ؟ وهل إرتقينا باعمالنا ؟ وهل إرتقينا بسلوكنا وتصرفاتنا ؟ لنصل الى درجة الملائكة في الطاعة والمنزلة والتفضيل ؟

---

(1) سورة الإسراء، الآية 53 .

(2) صحيح مسلم، كتاب الايمان، باب بيان تفاضل الاسلام وأي أموره أفضل، ج1، ص 65، رقم الحديث (64) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث : الإيمان بما جاء به الله تعالى من الإيمان به سبحانه

إن الايمان بالله عزوجل يحتاج أدلة وبراهين يبحث عنها الشخص الذي يُريد الإيمان بربِه ، وهذه الأدلة والبراهين تكون من خلال طريقين :

الطريق الاول : أن يبحث الانسان عن أدلة وجود الخالق لِتقُوده للايمان به ، وهذه الطريقة في حال لم يتوفر النبي أو الرسول في هذا العصر أو المكان ، ولا يوجد كتاب سماوي يقوده إلى الدليل الآلهي . وهذا ما فَعله نبي الله ابراهيم عليه الصلاة والسلام حينما أراد الايمان بوجود خالق وبدأ البحث عنه في تلك الفترة ، حيث لم يكن نَبي مُرسل ، ولا كتاب سماوي يدل على وجود خالق ، وكل ماموجود آنذاك عبارة عن أصنام يعبدونها قومه ويَعتقدون أَنها التي تَنفع وتَضر ، وانها تَملك مقاليد الأُمور والكَون ، إلا أن ابراهيم عليه الصلاة والسلام بِفطرته أدرك ان هنالك خطأ ، وان الأمر لا يتَعدى عن كونه تفاهات يصنَعونها بأيديهم ليَعبدونها . بدأ ابراهيم عليه الصلاة والسلام بالبَحث عن الأدلة بنفسه من خلال الفطرة الإنسانية التي تَعرف بوجود إله وخالق لهذا الكون ، فبَدأ بإستكشاف الأدلة وما هي الأقوى ، وما هي الأنفع ، وما هي الأدوم ، فلما إكتَشف أن كل ماحوله لا يستحق ان يَكون إله ، سَلم لِفطرته الإنسانية الإسلامية التي جَعلها الله مَغروسة في النَفس البَشرية ، وإلى خالقه ومولاه ليَهديه للطريق القويم . وقد ذكر الله سبحانه وتعالى ذلك الحَدث ليُبينَ لنا الطريق الأول لإستكشاف عظمة الله من خِلال مخلوقاته ، ومن خلال قبول الفطرة البشرية للإله الحق . فقال تعالى (وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ، فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ، فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ، فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ، إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)(1) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الطريق الثاني : عن طريق إرسال الله سبحانه وتعالى لِعباده الادلة والبراهين التي توصل الناس إلى الايمان به سبحانه ، الدلائل التي أُنزلت الى الارض بطُرق مُتعددة ، الهَدف مِنها إرشاد الناس إلى الله تعالى ، وحمايتهم وتَصحيح عقيدتهم ، وجَعلِهم يؤمنون بالله ، ومن هذه الطرق التي تؤدي إلى الايمان بالله عزوجل ثلاث أُمور :

الأول : إرسال الرُسل . لقد أَرسل الله سبحانه وتعالى الرُسل إلى الارض وأَيدهم بالدلائل على رسالتهم وصِدق بِعثتهم ، فكان إرسال الرُسل إلى أقوام مُعينين ليأخذوا بأيدي هؤلاء القوم إلى بَر الأمان . فقد أرسل الله سبحانه منذ بداية الخليقة مئات المُرسلين، ذُكِر منهم في القرآن الكريم فقط خمس وعشرون رسول فقط . يقول الطبري " يقول : أرسلتهم رسلاً الى خلقي وعبادي، مبشرين بثوابي لمن أطاعني واتبع أمري وصدق رُسلي، ومنذرين عقابي لمن عصاني وخالف أمري وكذّب رُسلي ، لئلا يحتج من كفر بي وعبد الأنداد من دوني، أو ضلّ عن سبيلي بأن يقول ان أردت عقابه .

---

(1) سورة الانعام، الآية 75-79 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فقطع حجة كل مبطل الحّد في توحيده وخالف أمره ، بجميع معاني الحجج القاطعة عذره، أعذاراً منه بذلك اليهم، لتكون لله الحجة البالغة عليهم وعلى جميع خلقه "(1) . والله سبحانه أَخبرنا أن كثيراً من الأنبياء والرُسل لم يخبرنا عنهم لا في القرآن ولا غيره لحكمة يعلمها هو سبحانه ، فقال (وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْل وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ)(2) ، وقال سبحانه وتعالى (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ)(3) ، وهذا دليل على أن الله سبحانه وتعالى أَرسل هؤلاء الرُسل إلى بقية الأُمم في مختلف أنحاء العالم ولمختلف الأقوام ، قال تعالى (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ)(4) . وهذا دليل على أن لكلِ قومِ رسول ، ولايشترط ذكرهم جميعاً في القرآن لأسباب يعلمها هو سبحانه ، وقد يكون أن القرآن الكريم ليس كتاب قصص فيقص أخبار الأنبياء جميعاً مع أقوامهم ، لأن ذلك سيحتاج إلى مُجلدات ومؤلفات ، ولكن إكتفى بذكر نموذج منهم لإيصال المعلومة للإنسان ، أو ذَكر هؤلاء الأنبياء الأَقرب إلينا من حيث قرب وقت الرسالة والتبليغ، أو الموقع الجغرافي، أو نَسَب الأنبياء .

وهنا أَود ان أُنوه لملاحظة ، وهي أَن لكل رسول علاماته وطرق تأييد ربانية خاصة به ، وليسَ شرطاً ان تتشابه العلامات والادلة ، فمن الأنبياء من أُويدوا بِكتُب سماوية أو تعاليم مَكتوبة ، ومنهم من كان تأييدهم عن طريق مُعجزات وبراهين أثبتت نبوتهم وصِدق ما يقولون ، فمثلاً نبي الله صالح عليه الصلاة والسلام كانت علامته الناقة ، ونبي الله يونس كانت علامته خُروجه من بطن الحوت ، كذلك نبي الله يوسف كانت علامته تأويل الأحلام وتفسير الرؤى ، وأُيِّد عيسى عليه السلام قبل إنزال الانجيل عليه بأحياء الموتى وعلاج المرضى بإذن الله ، كذلك سيدنا موسى كانت علامته العصا ، كذلك معجزة سيدنا سليمان هي تسخير الجن لخدمتة مع فهمة لكلام الحيوان ، وسيدنا إبراهيم كانت علامته هي نجاته من النار ، عليهم الصلاة والسلام أجمعين .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد أورد الله سبحانه وتعالى ذكر هذا الأمر في سورة الإسراء حيث قال (يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا)(5) ، وكلمة (كل أُناس) بمعنى أن لكلِ قوم رسول . كما وذكر في نفس السورة موسى عليه السلام وآياته التي أَيده الله بها فقال (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا)(6) ، وذكر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقال (وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا)(7) . وهذا على سبيل المثال لا الحصر ...

وهذا جواب على المُلحدين والمُشككين الذين يشككون في ديننا بحجة أنه لماذا أرسل الله الأنبياء كلهم

---

(1) تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج2، ص610 .

(2) سورة النساء، الآية 164 .

(3) سورة غافر، الآية 78 .

(4) سورة فاطر، الآية 24 .

(5) سورة الإسراء، الآية 71 .

(6) سورة الإسراء، الآية 101 .

(7) سورة الإسراء، الآية 105 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لِبقعة محصورة مابين العراق والجزيرة العربية ومصر من الأنبياء والمُرسلين فقط ؟ وماذنب بقية بقاع الارض لم يُرسل إليها أنبياءه للتعريف بالله ؟

فالرُسل من أهم عناصر الايمان بالله عزوجل بما معهم من إثباتات وبراهين ودلائل على صدق نبوتهم ورسالتهم ، مما يجعل الانسان يؤمن بالله عن طريقهم .

الثاني : القرآن الكريم . وهنا أتطرق للقرآن الكريم فقط دون ذكر بقية الكتب السماوية لإسباب أَهمها : أنه الكتاب السماوي الوحيد الذي لم يطرأ عليه التغيير والتبديل والتحريف ، لذلك ثقتي به فوق جميع الكُتب ، والسبب الثاني أنه الكتاب الأخير المُعتمد والناسخ لجميع الكتب السماويه ، فهو كلام الله والدستور الذي نَعتمد في إستنباط أحكامنا عليه ، كذلك إلى أن القرآن الكريم هو الكتاب السماوي الوحيد الشامل الكامل والمُرسَل لجميع الإنس والجن وإلى قيام الساعة . فالقرآن الكريم يُمثل السبب الثاني لطريق الإيمان بالله عزوجل ، والله سبحانه أنزل القرآن لكي يهتدي من خلاله الناس ، ودليل إليه سبحانه ، ويعرفونه حق معرفته . فرُب سائل يسأل كيف أن القرآن يكون هادياً ؟ وهنا أقول أن القرآن الكريم اليوم يُمثل الدليل الأول والرئيسي المؤدي إلى الإيمان بالله كونه الموجود بين أيدينا بعد أن فَنيّ جميع الأنبياء والرُسل ، وخُتِموا بختم النبوة محمد صلى الله عليه وسلم . فهذا الكتاب الرباني الآن يُمثل دليل الحياة ، ومفتاح السعادة في الدارَين ، ودُستور للبشرية إلى قيام الساعة ، فهو الصالح لكلِ زمان ومكان ، ولا تَنقضي عجائبه وإعجازه ومفاجآته . قال تعالى (إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا)(1) ، فمن إنتهل من منهله ، وأخذ من عَذب كلامه ، وعَمِل بما فيه من أحكام ووصايا وتوجيهات ، كان الشافي الوافي لدينه ودنياه وآخرته ، وسمو روحه وتربيتها ، قال تعالى (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا)(2) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فكان حال المؤمنين بالتعامل معه كما وصفهم الله سبحانه وتعالى في قرأنه المجيد (قُلْ آَمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ، وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا)(3). أروع وصف من الله لإهل القرآن والمُتلذذين به ، والمُتذوقين لآياته وكلِماته ، والمُنتهلين من مَنهل أحكامه .

" فهو قرآناً عظيماً، وذكراً حكيماً، وحبلاً ممدوداً، وعهداً معهوداً، وظلاً عميماً، وصراطاً مستقيماً، فيه معجزات باهرة، وآيات ظاهرة، وحجج صادقة، ودلالات ناطقة، ادحض بها حجج المبطلين، ورد به كيد الكائدين، وقوى به الاسلام والدين، فلحب منهاجه، وثقب سراجه، وشملت بركته، وبلغت حكمته على خاتم الرساله "(4) .

---

(1) سورة الإسراء، الآية 9 .

(2) سورة الإسراء، الآية 82 .

(3) سورة الإسراء، الآية 107-109 .

(4)ابي الحسن علي بن احمد الواحدي (468هـ)، اسباب نزول القرآن، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1411هـ 1991م، ص9 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالرغم من أن القرآن الكريم هو الدستور السماوي الرسمي والمُعتمد منذ بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى قيام الساعة ، إلا أن الكتب السماوية الأُخرى كالتوراة والإنجيل كانت معتمدة ودستور في فترات بعثة موسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام ، إلا أن التغيير والتحريف طرأ عليهما بعد وفاة موسى ورفْعّ عيسى عليهما الصلاة والسلام ، فأصبحت لا قيمة لها من الناحية التعبدية . كذلك جاء القرآن الكريم ناسخاً لها ولإحكامِها ، قال تعالى في سورة الإسراء (وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا)(1) ، وقوله تعالى (نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ)(2) .

فبما أنه لايوجد لدينا أنبياء ورُسل بين ظهرانينا ، إلا أن القرآن الكريم الذي فيه قصص الأولين والآخرين موجود وقائم ولازال هادياً للناس إلى رب العالمين ، ودليل المؤمنين ، ومُرشد التائهين ، ونبراس الحائرين ، فبِه نَهتدي ، وبِه نَقتدي ، ومن خِلاله نؤمن بالواحد الديان .

فالأنبياء والرُسل وما أُنزل عليهم من كتب سماوية ، كانت الطريق إلى الإيمان بالله عزوجل ، ومعرفته ، والسبيل للوصول إليه سبحانه ، بالتالي يكون النجاح والفلاح في الداريّن . واليوم تتجلى دعوة محمد صلى الله عليه وسلم في الأُفق مسنودة بالقرآن الكريم ، الحبل المتين ، والصِلة بين العِباد وربهم ، أرشدت الناس الى الهدى ، ودلّتهم الى الطريق القويم ، وعَرّفتهم بالله عزوجل خالق الكون ، ومالك المُلك ، فنَشَرت في الأُفق النور والرَشاد ، وأَضاءت الدنيا بنور الإسلام ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ورَفعت كلمة الله في المشارق والمغارب ، حتى أَصبَح نور الإسلام يُضئ أركان المعمورة ، فأُنشأت الحضارات ، وبَنَت الإنسان ، وعَمّرت الأوطان ، وجَعلت للإسلام نُوراً يُقتَدى به بين الأُمم . فالإيمان رُكن مَتين من أركان البناء الحضاري الذي يرسم خُطوطه الانسان ، ليَرتقي ويُبدع ، وتزدهر الدنيا به ، ويَسموا الانسان ، فجزى الله نَبينا كل خير ، ووفقنا للتَمسُك بكتابه ودُستوره وحَبله المَتين ...

---

(1) سورة الإسراء، الآية 2 .

(2) سورة آل عمران، الآية 3 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث : توحيد الألوهية

تمهيد :

قال تعالى في سورة الاسراء (لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا)(1) . بَعد ان آمنا بالله رباً وخالقاً وواجداً لهذا الكون ، لابد من إتباع الإقرار بالفعل ، والإيمان بالعمل ، والعمل المقصود بِه هو العبادات . فتوحيد الألوهية هو الشق الثاني من التوحيد ، وهو لغةَ : " من الإله ، وكل ما إتُخِذ معبوداً "(2) . أما إصطلاحاَ : " فهو إفراد الله بالعبادة قال تعالى (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) ، وعبادة الله وحده هي الغرض من إرسال الرُسل ، ومعنى الألوهية : العبودية على خلقه أجمعين مأخوذة من تأله القلب وهو أقوى درجات المحبة والرغبة ، فلهذا كانت كلمة لا إله إلا الله أفضل الكلمات على الإطلاق "(3) . أي أن الألوهية تعني الإتباع مع العبادة ، فالعبادة أمر واجب وفرض على المُتبِع لكي يُعمِر ما بَينه وبَين ربه . وتوحيد الألوهية : " أن نُحَكّم شريعة الله لنا في كل أعمالنا الفردية والجماعية ، لأن الله سبحانه له الخلق ، ومن له الخلق فله الأمر ، وعبادة الله تكون بطاعته فيما أمرنا به وفيما نهانا عنه ، وكل حُكم على خلاف حُكم الله يُمثل إستنكافاً عن طاعته في ذلك الحُكم ، فإذا كان ذلك طاعة لغير الله تعالى فهو شرك بالله فيما هو من خصائص إلوهيته ، وهو يمثل نقضاً جزئياً لتوحيد الإلوهية ، وإذا كان ذلك إتباعاً لهوى النفس ، فهو لون من ألوان عبادة الهوى "(4) . إذاً فتوحيد الإلوهية مُتعلق بأفعال العباد تِجاه ربهم ، وهذا الشرط لابُد منه ، قال تعالى (فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا)(5) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتوحيد الألوهيَّة أيضاً هو تعُلق القلب بالرَب تعالى خَوفًا ورَجاءاً ، ورَهبةً وطمعاً ، كما أنه إسلام جميع الجسد لله تعالى ، ووَقْف الحياة كلِّها عليه ، فلا شيء للعبد يدوم غير الله ، وإليه المُلتجأ ، قال تعالى (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ)(6) .فالله سبحانه وتعالى خلقنا وفَرض علينا واجبات علينا إتقانها لِكسب رضاه ، بالمقابل فأن الله تعالى بَعد أن نؤدي حَقه وَعدنا بالفلاح في الدنيا والآخرة . فهل عبادة الله سبحانه وتعالى أمر صَعب ؟ أم أن الإسلام رسم لنا الخطوط العريضة بالعبادة بحيث نؤديها بسهولة ويُسر ؟ سَنتعرف في هذا المبحث عن كيفية إتقان الإنسان لفن عبادة الإله العظيم وفق مارَسمته سورة الإسراء لنا ، وعَرضَت لنا من ثوابت في ذلك ، تُرشدنا وتُلهمنا للمُضي قُدماً نحو بِناء حضاري متَطور ثابت موافق لما أمر الله به ، وبِناء إنسان واعي مُتطور الفكر ، ناضج العَقل ، مُدرك لما يَفعل ، يَمشي واثق الخطوات نَحو بِناء نموذج مُتقدم لحياة كريمة ، تَبعث الأمل الرباني فينا ، وتَشد عَضدنا بِبعضنا .

---

(1) سورة الاسراء، الآية 22 .

(2) المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 1425هـ ، 2004م، ج2، ص25 .

(3) صالح الاطرم، الاسئلة والاجوبة في العقيدة، ص13-14 .

(4) الميداني، العقيدة الإسلامية وأُسسها، ص181 .

(5) سورة الكهف، الآية 110 .

(6) سورة الأنعام، الآية 162-163 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول - الإستقامة والطريق القويم

القلب هو مِفتاح القرارات لدى الإنسان ، ومَصدر كُل عَمل ، تِلك العَظلة التي تَسكن أعلى الجَسد هي الكونترول الرئيسي الذي يُسيطر على الجسم بكل ما يَحتويه من مشاعر وروح وعقل وتفكير وغيره ... ومتى كانَ القلب سليم النية ، مُخلص الإتجاه ، نَقي العزم ، صافي الهِمة ؛ تجده أكثر تعلقاً بالله رَبه ، ومُلتزم بالطريق الذي رَسَمه له خالقه . فمتى إستقام القلب على مَعرفة الله ، وإجلاله ومَهابته ، وحَرص على خَشيته ومَهابته ، والتزم برجاءِه ودُعاءِه والتوكل عليه ، وكان حذراً من الإعراض عما سِواه ؛ إستقامت الجوارح كُلها على طاعته ، فإن القلب هو مَلِك الاعضاء ، وهيَ جُنوده ، فإذا إستقام المَلك ، إستقامَت جُنوده ورعاياه . والمُغذي لهذا القلب هو الإيمان ، فالقلب يبدأ بالعمل في حال تَغذيته وشَحنه بما يُلائمه . وذكرعبد الرحمن السعدي رحمه الله كلاماً جميلاً فقال : " الايمان هو التصديق الجازم والإعتراف التام بجميع ما أمر الله ورسوله بالإيمان به ، والإنقياد ظاهراً وباطناً ، فهو تصديق القلب وإعتقاده المُتضمن لأعمال القلوب ، وأعمال البدن ، وذلك شامل للقيام بالدين كله ، ولهذا كان الائمة والسلف يقولون : الأيمان قول القلب واللسان ، وعمل القلب واللسان والجوارح ، وهو قول وعمل ، وإعتقاد ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، فهو يشمل عقائد الإيمان وأخلاقه واعماله "(2) .

فالله سبحانه وتعالى عِندما يَهدي الإنسان للطريق القويم ، فهذا لِخَير أراده به رَبه ، وتَزكيَة لَه وإصطفاء من بَين بَقية البَشر ، لإن قلوب العِباد بَين إصبعين من أصابع الرحمن يُقلِبها كيفما يَشاء ، فلَعَله قَلّبَ قَلبكَ إلى مايُرضي ربنا ويُحِبُه لك ، (قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ)(3) . فهُدى الله هي الهُدى الحقيقية التي تَخلوا من الشوائب ومن الزَيف والنِفاق ، لأن كل ما لديك من أَعضاء وحواس ومشاعر إنما هي تَحت عَين الله ومُراقبتِه ، فلا يُمكن لها أن تَحيد عن الصواب إلا إذا خالطها الغرور والمكابرة وعدم الايمان بالله، فهذا الطريق الذي يؤدي بِصاحبه إلى سَخط الجليل وعذاب السَعير . والإستِقامة أَمر من الله سبحانه وتعالى لِنَبيه وأُمَته مِن بَعده (فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)(3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والإستقامة هيَ فِعّل الطاعات كُلها ، ما خُفيَ مِنها وما بان ، وتَرك كل المَنهي عنه أَيضاً ما ظَهرَ مِنهُ وما بَطن ، وسلوك طريق الدين القويم من غير تَحريف ولا تَغيير ولا تَبديل . فالأَخذ بالأَوامر وإجتناب النواهي هي بِداية الطريق القويم ، ومُراقبة النَفس هي المؤشر على سلوك هذا الدرب ، لأن كَبح جِماح النَفس ومُراقبتها إن أَحكَمتَ السَيطرة عليه سَيطَرتَ على كل أعمالك وتصرفاتك ، كَوْن أن النفس هي الحافز والدافع لِكلِ رغبة وشَهوة وزَلل ، ولأن النفس البشرية أمارة بالسوء وهذا ثابت في القرآن والسنة والعُرف ، (إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي)(4) .

---

(1) سعيد بن علي بن وهف القحطاني، عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة، ط1، 1429هـ ، 2008م، ج2، ص642 .

(2) سورة البقرة، الآية 120 .

(3) سورة هود، الآية 112 .

(4) سورة يوسف، الآية 53 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا أيضاً يدل عليه قول النبي عليه الصلاة والسلام " (الْمُجَاهِدُ من جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ عز وجل)"(1) . وحسب قول أهل الحديث والتفسير أن الجِهاد الأكبر هو جِهاد النفس ، لأن النفس مُنطلق كلِ عمل ، والنفس والهوى هُما متلازمان في الأداء والمَهام داخل جَسد الإنسان ، قال تعالى (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ)(2) ، وهنا بمعنى أن تُطيع وتَلتَزم بأوامر هذا الهوى ، هوى النفس المُلازم لِجَسد الانسان ، وهوى النفس وأوامر الله لا تَجتَمِعان أبداً ، فإن الهوى من الشيطان وأن النفس البشرية مياله إلى الراحة والمَلذات وإتباع أيسر الأمور ، وأوامر الله فيها التكاليف وبعض المشقة والعَنَت ، لكن مستقرها رضا الرحمن . قال تعالى (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ)(3) . هذه خُلاصة الحُكم ، لا يجتمع رضا الله وجَنته مع ملذات النفس وإطاعة الهوى . وقال إبن رجب في جامع العلوم والحكم " عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من أعطى لله، ومنع لله، وأحب لله، وأبغض لله، فقد إستكمل الإيمان) .. ومعنى هذا أن حركات القلب والجوارح إذا كانت كُلها لله فقد كمل إيمان العبد بذلك ظاهراً وباطناً ، ويلزم من صلاح حركات القلب صلاح حركات الجوارح ، فإذا كان القلب صالحاً ليس فيه إلا إرادة الله وإرادة ما يريده تنبعث الجوارح إلا فيما يُريده الله ، فسارعت إلى ما فيه رضاه ، وكَفّت عما يكرهه ، وعما يخشى أن يكون مما يكرهه ، وإن لم يتيقن ذلك ... قال الحسن : مانظرت ببصري ، ولا نطقت بلساني ، ولا بطشت بيدي ، ولا نهضت على قدمي ، حتى أنظر على طاعة أو على معصية ، فإن كانت طاعة تقدمت ، وإن كانت معصية تأخَرت "(4) .

فَربطّ مُصطلح الإستقامة كمُصطلَح مَكتوب ، وكَعمل مَفعول به ، بالتوحيد كان من قِبل الله عزوجل حينما قال (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ)(5) . فالإيمان بالله رباً وإلهاً ومن ثم الإستقامة ، هذا ما خَطّه الله لِعباده من طريق ، والأولويات في الدنيا واضحة جلية ، لكي يَستَقيم الانسان بِجوارحه وبِجَسده لله عز وجل ، يُربي نفسه لطاعة خالقها ويَعصي هواه ويُسخرها في الطاعات والعبادات ، لأن النفس والهوى عنصران يَخضعان لإرادة الانسان ، فأما ان يُروضَها في إتباع الله ويَكبح جِماحها ، او يَترك لها القرار والخِيار فَتَجرّ صاحبها إلى الهلاك .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما فيما يَخص كيفية مَعرفة الطريق القويم ومَعنى الإستقامة الحَقّه ، فقد بَينَه الله تعالى في القرآن الكريم ، وأوضح معالمه للمُتلقي بتَوجيهه من خِلال إن القرآن الكريم هو النور ، وأنه الهداية ، وأنه حبل الله المتين الذي لا ينقطع ، وأن الصلة بين العبد وربه هو إتباع ما جاء به النور الذي يؤدي الى النجاة ، فقال تعالى في سورة الإسراء (إِنَّ هَذَا الْقُرْآَنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ

---

(1) ألالباني، سلسلة الاحاديث الصحيحة وشئ من فقهها، ج2، ص89، رقم الحديث (549) .

(2) سورة الجاثية، الآية 23 .

(3) سورة النازعات، الآية 40-41 .

(4) زين الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين الشهير بأبن رجب (736 - 795 هـ)، جامع العلوم والحكم، تحقيق: ماهر ياسين الفحل، دار ابن كثير، بيروت، ط1، 1429هـ ، 2008م ، ص192 .

(5) سورة فصلت، الآية 30 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ، وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآَخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا)(1) ، وفي آية أُخرى من نفس السورة بيّن للإنسان بعض هذهِ الطرق فقال (وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا)(2) . وهنا يقصد القول والفعل ، فللإنسان أن يتَبع الحُسنى في القول والعَمل ولا يلتَفت إلى مُغريات الشيطان ، لأن الشيطان شُغله الشاغل إغواء البشر وجَرّه إلى طريق المعاصي والمَلذات ، كذلك (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا)(3) ، هذه الآيات وغيرها كثير من إرشاد الله سبحانه وتعالى لِعباده في كيفية تَربية أنفسهم بإتجاه الإستقامة ألتي أرادَها لهم ربهم ، وبَعض من فَن السَيطرة على النفس البَشرية ، ومن أهم أساسيات سِلوك المَنهج القويم .

" وأعظم ما يراعي إستقامته بعد القلب من الجوارح اللسان ، فإنه ترجمان القلب والمُعبِّر عنه ، ولهذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالإستقامة ، وصّاه بعد ذلك بحفظ اللسان فقال (لا يستقيم إيمان العبد حتى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه) "(4) .

وبعد أن يتَخذ الانسان قرارَه بإختيار الطريق القويم ، يَذكر الله لنا العواقب من هذا الإختيار ، فيَذكر لنا في سورة الإسراء بقوله (مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا)(5) ، بأن الهداية وفق القواعد الربانية نهايتها رضا الجليل والمَنزلة الرفيعة في الآخرة ، وأن الظلال الذي يَعتري الإنسان بإختياره الطريق الخطأ ، عاقِبته السوء في الدنيا والآخرة ، فالسَعي لِنَيل إحدى المَنزلَتين يكون في الدنيا وبِقرار مُنفرد لا يَتحمل تَبِعاته أي شخص غير صاحِب القرار ، فلا تَزر وازرة وزر أُخرى ، أي أن القرارات الفردية يتَحمل نَتائِجها أصحابها ، ولا يؤخذ أي شخص بِجريرَة غيره ، فلا المَلامة تَنفَع ولا الندم ولا تَذنيب الآخرين، لإن صاحب الإغواء نَفسه سَيستبرأ من عَمله وعَمل غيره لأنه لا حِمل له بحَمل ذُنوب غيره

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أو تَحمل نتائج ما قرَرَ غيره حتى وإن كان بِوَسوَسة منه وإغواء . (وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)(6) . فكانت نتيجتهم (وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)(7) . هذا عقاب الله جزاء أعمالهم ، أما من إتبع هدى الله وجَعل رضا الله نُصب عَينه فقال عنهم الرحمن (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ)(8) ، وأعطاهم أمْنه وأمانه وأنهم لا يخافون شيئاَ (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

---

(1) سورة الإسراء، الآية 9-10.

(2) سورة الإسراء، الآية 53 .

(3) سورة الإسراء، الآية 36 .

(4) إبن رجب، جامع العلوم والحكم، ص476 .

(5) سورة الإسراء، الآية 15.

(6) سورة إبراهيم، الآية 22 .

(7) سورة البقرة، الآية 39 .

(8) سورة الأنعام، الآية 82 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)(1) ، فماذا بعد هذه البِشارة من بِشارة ؟ وماذا بعد هذا الأمان وهو يصدر من مَلك الملوك ؟ فهذا تَفضيل الله لِعباده المؤمنين الذين أطاعوا وعَرفوا وإستَجابوا وتَعبوا ، فلا يستَوون .

وهذا المِقياس قَد إتخذه الله حتى مع الأُمم الأخرى ، فالله سبحانه وتعالى أعدل العادلين ، أِنه لَيَشُد على أيدي المُجدين العاملين مهما كان إنتماءهم ، ومن عدل الله إن خير الناس من نَفع الناس ، فكَيف وإن كان هذا الذي يُقدم الخَير والنَفع مؤمناَ ؟ وهُنا يجتَمع إيمان الشخص بالله ، وإخلاصه في عَمله ، وخِدمته للآخرين ، فيكون النِتاج هو حضارة وثقافة وتَطور ومَدَنية ، فالإستقامة في الأَخلاق والتَصرفات والسلوك اليوم مؤشر عن الدول النامية المُتحَضرة ، وأَصل هذه الإستقامة والرُقي الأَخلاقي والسلوكي هم المسلمون عِبر العصور ، بعدما بَنوا المُدن وشَيَدوا الحضارات ، وأَعلوا العُمران ، وأَوصلوا الدنيا مَشرقاَ مَغرباَ ، وأَتقَنوا العُلوم ، وصَدّروها للبشرية ، ولازالت آثارها ليومنا هذا حاضرة في كل الميادين ، فهل أَعدّنا أمجاد أسلافنا ووضعنا الأُساس لحضارتنا الحديثة التي نُباهي بِها الأُمم ؟ حضارة تعتمد على الإستقامة في السِلوك ، والإيمان والإخلاص في العمل ، والوحدانية في العِبادة ، والأَجر في كلِ فِعل ، والنية المتجددة السليمة في كل ذلك ؟

فمن هذا المنطلق يكون التفضيل والتمييز من الله عزوجل للبشر ، فلا يستوي العاملون والعاطلون ، ولايستوي المؤمنون والكافرون ، ولايستوي أصحاب الأخلاق والسلوك الحسن مع ذميمي الخلق وكريهي السمعة ، فلِكلٍ منزلته وفضله عند الله ، وهذا مصداقه كلام رب العالمين حينما أخبرنا عنه في سورة الإسراء فقال (انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآَخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا)(2) . ووضح ملامحها النبي الكريم صلى الله عليه وسلم حينما اخبرنا عن هذه الصفات التي يحبها الله في عباده ، فذكر أساسها وهي الأخلاق فقال " إن خياركم أحسنكم أخلاقاَ "(3) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن الإستقامة يكون المنطَلق لأن يعرف كل من البشر ما لهم وما عليهم لتستقيم بهم الحياة ويعلو بنيان الأوطان ، وتكون مؤهلة لأن تُنشئ حضارة راقية تعتمد على مبدأ الأخلاق التي تضمن الحقوق للوطن والمواطن ، وتضمن حقوق الانسان ، وأن ترتقي هذه الحضارة بمبدأ أن الأنسان يقوم بما عليه من واجبات فيؤديها ، بالمقابل تؤَدى له حقوقه التي هي بذمة الآخرين أو بذمة الدولة . ولا يمكن أن تقوم الحضارة والبشر ينتهج منهج الغابة في الفوضى وعدم الإكتراث للآخرين ، وإهمال الحقوق وعدم تأديتها للآخرين بصورتها الصحيحة . وعدم الإستقامة في الدين يؤدي الى ضياع الإنسان والإنسانية ، كما نراه في المجتمعات الغربية من كُثرة حالات الإنتحار والطلاق والتفكك الأُسري وضياع الحقوق وكُثرة الجريمة ، وفقدان الأمان على المستوى الشخصي . لأن طمأنية القلب وإستقامة الروح يأتي من إنتهاج المنهج الحقيقي الرباني السامي .

---

(1) سورة البقرة، الآية 277 .

(2) سورة الإسراء، الآية 21 .

(3) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب حُسن الخُلق والسخاء وما يُكره من البخل، ص1512، رقم الحديث (6035) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني - التحدي الكبير

قَبل أَن أتحَدث عن طبيعة هذا التحدي وماهيّته وحَيثياته وتفاصيله ، فسأقوم بِبَيان السبب لحدوث هذا التَحدي ، ومادة التَحدي ، والأسباب الأولى لإنطلاقه . فعندما خلق الله سبحانه وتعالى الكون كان خلق آدم عليه الصلاة والسلام آخر مخلوق من هذه المخلوقات ، فكان خلق الملائكة والجِن والعرش والسموات السَبع قبلَه ، فَخَلق الله سبحانه وتعالى آدم عليه الصلاة والسلام مِن الطين(1) ، الذي هو خِلاف خلق سائر المخلوقات من قَبلِه ، فكان شيئاً مميزاً ، قال الله تعالى (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ)(2) . ومن ثم أصدر الأمر الآلهي للملائكة بأن يَسجدوا لهذا المَخلوق الجديد الذي خَلقَه الله بيَده ، ونَفَخ الله فيه من روحه ، وأتقَنَ خَلقّه ، وأحسَن صُنعَه ، وهنا كان الإستغراب من الملائكة من هذا الأمر ، لأنهم تَعُوَدوا على السجود لله ، وهنا نذكر ماهية السجود التي حصلت على قولين :

القول الأول : أن السجود الذي حَصل إنما هو بالإيماء بالرأس ، وليس سجود الجبهة على الأرض مثلما هو مُتعارف ، إذ أن السجود على الارض إنما هو مما ينفَرد الله عزوجل به دون سائر خلقِه ، وأن أي سجود على الارض لأي مَخلوق يعتبر كُفر ، لإن أي من طقوس العِبادة في الإسلام لله الواحد القهار لا يمكن تِكرارها لأي مخلوق غيره سُبحانه ، فالله سبحانه وتعالى يَقول في الحديث القدسي : " أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمِل عملاً أشرك فيه معي غيري ، تركته وشِركه "(3) ، فالله سُبحانه وتعالى لا يَرضى أَن يُشاركه أَحد في أي فِعل من أفعال العِبادة . وهذا استنتاجي الشخصي .

القول الثاني : وهذا ما ذَهبَ إليه الرازي في تفسيره لهذه الآية فقال : " كان المسجود له هو الله تعالى وآدم كان قِبلَة السجود "(4). وهنا أشبه بالسجود الى الكعبة ولكن المقصود من السجود هو لله عزوجل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومهما كانت وضعية السجود فهي أمر غيبي لا يَسعنا الحديث فيه ، ولكن لِنعلم أنه أمر لا يَمس الذات الآلهية بشئ ، ولا يُشبه أي نوع من أنواع العبادة لله عزوجل ، وإنما هو شئ خاص بآدم عليه الصلاة والسلام ، إرتضاه الله تعالى له ، ولا نَحكم نَحنُ فيه ، ولا في كَيفيَتَه ، ولا في حُكمِه .

وذَكر النبي عليه الصلاة والسلام موضوع خَلق آدم عليه الصلاة والسلام بالصيغة التي وَرَدت في القرآن الكريم عَينِها ، وذَكر موضوع خَلقِه ونفّخ الروح فيه ، والسجود له من قِبل الملائكة في

---

(1) والطين مُكوّن من الماء والتراب ، فالماء دليل الحياة الذي جَعَل الله منه كل شئ حي ، والتراب الذي هو منبع الخيرات والثروات وقوت الانسان وخزانة المنافع والنعم ، إذاً هذا المكون نموذج لأصل الحياة ولأهم شيئين على وجه الارض ، وأن الانسان يحمل الهدى الذي فيه حياة العالم ، ويحمل الدين الذي كله منافع .

(2) سورة الحجر، الآية 26 .

(3) أُنظر: مُحيي الدين ابو زكريا يحيى بن شرف بن مُري النووي (631-676 هـ)، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، بيت الافكار الدولية، كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله، ص1717، رقم الحديث (2985) .

(4) الرازي، التفسير الكبير= مفاتيح الغيب، ج21، ص4 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحديث : " عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في دعوة فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة وقال أنا سيد القوم يوم القيامة هل تدرون بم يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فيُبصرهم الناظر ويُسمعهم الداعي وتدنو منهم الشمس فيقول بعض الناس ألا ترون إلى ما أنتم فيه إلى ما بلغكم ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم فيقول بعض الناس أبوكم آدم فيأتونه فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك وأسكنك الجنة ألا تشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا فيقول ربي غضب غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله ونهاني عن الشجرة فعصيته نفسي نفسي إذهبوا إلى غيري إذهبوا إلى نوح ...... إلخ الحديث "(1) .

ولما جاء الأمر الآلهي بالسجود لآدم عليه الصلاة والسلام أذعن وأطاع جميع المخلوقات لهذا الامر إلا إبليس الذي عَصى وإستكبر ، قال الله تعالى (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ، فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ، إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ)(2) . وهنا جاءت المُفاجأة التي لا يَعلمها أحد إلا الله عزوجل ، فقد عصى إبليس الأمر الآلهي وكان وحيداً منفرداً بهذا العصيان ، كان عِصيانه من تَكبر وإستعلاء ، حيث أنه مخلوق من نار فكيف يكون تابع لمخلوق من طين (المقصود به آدم عليه الصلاة والسلام) ؟ قال تعالى (قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ)(3) . فهذا الغرور والكبْر الذي ساور إبليس تَسبَب بِعصيانه لأمر الله، وجَعل إبليس يُطرَد من رحمة الله .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهنا حَصل التحدي الكبير بَين الله عزوجل مِن طرف وإبليس من طرف آخر ، كان موضوع التحدي أن الله سبحانه وتعالى إصطفى آدم على العالمين ، وهذا الأمر لم يَرق لإبليس ، فَقرَرَ إبليس أن يحطّ من قيمة هذا المَخلوق المُصطفى ، ويُقلل من أهميته وأنه لا يَستحق كل هذا الإهتمام من قِبل الله عزوجل ، وأنه عَكس الثِقة التي أعطاها إياه رَبه ، وقَرر ان يُسيطر على نَفس هذا الإنسان المَخلوق ويَجعله يَحيد عن أمر الله عزوجل ، وأن يَعصي الله مثلما عَصاه إبليس ، فيكون إبليس مُحقاً في عدم السجود لهذا المخلوق والإعتراف به . قال تعالى في سورة الإسراء (قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا)(4) . وقال تعالى في آية أُخرى (قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ، قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ، قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ، ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ)(5) .

---

(1) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه، ص820، رقم الحديث (3340) .

(2) سورة ص، الآية 71-74 .

(3) سورة الأعراف، الآية 12 .

(4) سورة الإسراء، الآية 62 .

(5) سورة الأعراف، الآية 14-17 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالتَحدي أَصبح وقتَه مَعلوم ، وكيفيَته مَعلومة ، وأَقطابَه مَعلومة ، ومادة التَحَدي مَعلومة . فالوَقت هو مُنذُ اللحظة التي طُرِدَ مِنها إبليس من رحمة الله وإلى يَوم القيامة . والكيفية هي الإغواء وجَعّل الإنسان يَحيد عن أمر الله وطاعَته ، وعِصيان أوامره وإتيان نواهيه . أما بين مَن ومَن ؟ فهو بَين الله سبحانه وتعالى الذي خَلق الإنسان وأعطاه الإهتمام والأولوية وجَعَله مَحط ثِقة ، وبَينَ إبليس الذي يُريد أن يَسحب الثقة عن هذا الإنسان ويَحطّ من قَدرَه وأَهميَته ، ويَجرُه مَعه في الظَلال والطَرد من رحمه الله . أما مادة التَحدي فهو الإنسان ، ذلك المَخلوق الضَعيف الذي أصبَح اليوم بَينَ إختيارين ، أما أن يَكون مع خالِقه ويَكون ذلك المَخلوق المُطيع العابد ، وأما أن يَتبِع إبليس فيَكون من الظالين الهالكين .

فما هو جواب الله سبحانه وتعالى على تَحدي إبليس ؟ كان جواب رب العالمين جواب الرَب الرحيم الوَدود الواثِق من هذا العبد وهو أعلم به (وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ، إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا)(1) .

ثم يُصّعد إبليس من العِناد إلى التحدى (قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ، إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ)(2) . ولكن يتحدى من ؟ هل يُعقل ان يَتحدى مَخلوق الخالق ؟ وهل يُعقَل أن يَتحدى الضعيف القوي ؟ فجاء الرد من القوي المَتين بقوله (قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ)(3) ، وقال تعالى في آية أخرى بصيغة القوي الذي يُمسك بجَميع مقاليد الأمور ، بصيغة الذي بيَده كل شئ فقال (قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ، لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ)(4) . هذا الحُكم الآلهي الحاسم والصارم لإبليس ومن تَبعه من الإنس والجِن ، الحُكم العادل الذي يَضمَن حَق الطائعين العابدين فلا يتساووا مع العاصين المذنبين ، (انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا)(5) ،

www.manaraa.com

إذ أن الله سبحانه وتعالى بَيّن هذا التحدي مُنذ البداية ، وأبلَغ أنبياءَه وأقوامَهم ، وبَيّن لهم الدين الحق والطريق المستقيم ، وخَلّق الجنة لعباده الصالحين ، وخَلّق النار لإبليس وأتباعه الظالين العاصين . ونَصر الله سبحانه الحق بكل الأزمنة والأَمكنة فقال في سورة الإسراء (وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا)(6) . فالحق دائماً مُنتَصر بأمر الله ، والباطل والظلم لا يدومان مَهما إستَفحَلا .

" وهذا الاصل في تنصيب الامام والخليفة ، يسمع له ويطاع ، لتجتمع به الكلمة ، وتنفذ به احكام الخليفة "(7) . فاللذين آمنوا يَتَطلعون إلى ربهم الذي هو ناصِرهم ، وبِه يَثِقون ، وإلى قُدرَتِه يلجِأون ،

---

(3) سورة الإسراء، الآية 64-65 .

(4) سورة ص، الآية 82-83 .

(5) سورة الأعراف، الآية 18 .

(6) سورة ص، الآية 84-85 .

(7) سورة الإسراء، الآية 21 .

(1) سورة الإسراء، الآية 81 .

(7) محمد الأمين بن محمد بن المختار الجنكي الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، المؤسسة السعودية، ط2، 1400هـ 1979م، عدد الاجزاء 9، ج1، ص49 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبِقوّته يِحتِمون ، أما الذين كفروا وإتبعوا الشيطان فإنهم أولياء بعض ، فمَن يَنصُرهم ؟ ومَن يُعينُهم ؟ وبِقوة مَن يَلوذون ؟ فالله سبحانه وتعالى فَرّق بَين الفَريقَين وحَسم أمرَهم فقال (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)(1) . فمن أرادَ الإتِباع الحقيقي لله رب العالمين فإن فيه الخَير الكَثير ، وفيه القوة والمَنَعة ، وفيه الهِداية والرَشاد ، وفيه الراحة والإطمِئنان ، أما الذين إختاروا طَريق الشيطان ، طَريق الشقاء والعِصيان ، طَريق القَلق والكَبَد ، فَهُم إلى ما إختاروا ، وإلى ما آمنوا بِه ... فياتُرى الإنسان سَيُرجح كفة مَن ؟ بإعتِباره مادة هذا التَحدي ، وعَليه تَعُول الأُمور ، حَيث اذِنَ الله له سَلّك الحياة بِكامِل تفاصِيلها ، وسَهَلَ لَه إستِغلالها لِما فيه مَصلَحته ، ولِما يَخدمه ويُسهل أُمورَه ، وأَعطاه الخَير الوَفير في ظاهِر الأرض وباطِنها ، وحَفّه بالعِناية الربانية ، والرِعاية الآلهية ، وجَعَله خليفَة له في الأَرض ليُعمّرها ويَسلك السُبل الفِجاج ، وأعطاه العَقل ، ذلك الجوهَرة الثَمينَة التي يَعتَمد عَليها الإنسان في تَحديد إختياراتِه وقراراتِه ومصيرَه ، سَواء الديني أو الدنيَوي ، ليُساعده على فَهم الأمور وتَحديد الرؤيا والوصول إلى الخالق العَظيم ، كذلك ليُساعده على تَحقيق مَبدأ الإستِخلاف في الأَرض ، فيَنشر عَدل الله فيها ، ورحمته ، ويَكون السفير المؤتَمن للرَب العادل . كذلك ليُسَخر عَقلَه وطاقاتِه الداخلية والخارجية لِبَسط نفوذه على جميع أرجاء المَعمورة ليَفتح البِلاد ويُنَظِم العِباد ، ويستَغل ثروات الأرض وخيراتِها لِبناء حياتِه وفق أُسس العَقيدة السَليمة ، ووفق ضوابط منهج الإستخلاف الحَق ، فيَكون الإنسان المُتَحضر الفاهم الواعي الذي يُحَكّم عَقله في تَحديد بوصلة المُستقبل تارة ، ويُحَكّم قَلبه في سير عَجلة الحياة تارة أُخرى ، ليَبني لنفسه الحضارة الربانية التي تَبنى في النفوس قَبل أَن تُبنى على الارض ، أوكما قال الأمام حسن البنا رحمه الله (أقيموا دولة الإسلام في نُفوسِكم تَقُم على أرضِكم) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث : قدرة الله سبحانه وتعالى في إدارة الكون وتدبير الإنسان

في حدود معرفتنا الأنسانية ، وعقلنا البشري ، لا يوجد غير السموات والأرض في الوجود ، فلا نَعلم أن كانت هنالك حياة أخرى في كواكب أخرى ، أو أن هنالك عوالم ثانية في الوجود ، لأن هذا الشئ لم يُخبرنا عنه الله سبحانه وتعالى ، ولم يكتشف العلم الحديث سوى تخمينات لا أصل علمي لها . إذاً الوجود عندنا عبارة عن سموات وما حَوَت ، وأرض وما أَنبَتَت وأَظهَرَت . قال تعالى (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا)(2) .

---

(1) سورة البقرة، الآية 257 .

(2) سورة الإسراء، الآية 99 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالله سبحانه وتعالى خَلقَ السموات والأرض وأحسن خلقّها ، وأتقن الصنع ، وأجادَ التصريف ، فتسيير الكواكب والأفلاك بهذا النظام وهذا الإتقان لا يمكن أن يكون إلا من خبير عليم ، وجَعل لهذه السموات نظام عمل تسير عليه في منتهى الدقة والإنضباط . فحَركة الكواكب والمجرات والأفلاك ، وإنتظام الشمس والقمر في العمل ، وتعاقب الليل والنهار، لايمكن لأي قوة مهما كانت من ضبطها وإتقانها بهذا الشكل البديع إلا خالقها . وهذه الارض وما أنبتت وأخرجت ، لا يمكن لأحد أن يصنع الجزء البسيط مما فيها ، ولا يمكن لأحد أن يُسيطر على التوازن بين البر والبحر ، وبين الربوع والصحاري ، وبين الغابات والبراكين ، وبين الجبال والبساتين ، إلا الله السميع العليم . قال تعالى (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)(1) .

كذلك خلق الانسان فأحسن خَلّقه ، وجعله في أبهى صورة وأجمل شكل (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ)(2) ، هذا التقويم الذي تباهى به الله وجعله مُعجِز لمن غيره ، فالتركيبة الأنسانية ، والنموذج البشري فريد من نوعه ، مُعقد في تركيبته ، متشابك في أعضاءه وخصائصه ، لم يستطع أحد من فكّ شفرته ، ولا الوصول إلى طريقة خلقه ، وأحكام صُنعه . فالأعضاء البشرية وكيفية عملها وطريقة تناسقها وإندماجها فيما بينها ، جعلت العلماء في حيرة من كيفية عملها ، خصوصاً وهذه المدة الطويلة التي يعيشها الانسان كمتوسط العمر (ستون عاماً) ، وهذه الأعضاء تعمل بلا كلل ولا ملل ولا توقف ولا إستراحة ، وكل عضو من هذه الأعضاء قد أجاد العمل وإنتظم في الأداء ، فأخرج الجسم البشري بهذه الصورة الجميلة الفعّالة المتناسقة .

" والاسلام العظيم علمه ربنا سبحانه وتعالى لابينا ادم عليه السلام لحظة خلقه، وعلم آدم بنيه ، وكلما عاش الانسان بهذا الهدى الرباني عاش سعيدا ، محققا رسالته في هذه الحياة الدنيا عبدا لله الواحد الاحد ، يعبد ربه بما أمر ويجتهد في حسن القيام بواجبات الاستخلاف في الارض ، وذلك بعمارتها واقامة شرع الله فيها ، حتى يلقي الله تعالى وهو راضٍ عنه "(3) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ففي سورة الإسراء آيات تتحدث عن تصريف الخالق لشؤون السموات والارض من جهة ، وتصريف أعمال البشر من جهة أخرى ، فهو الذي لا تغفل عينه عن هذه ولا عن تلك ، ولا تأخذه سِنة ولانوم ، يُدَبر الامرَ ، ويَصَرّف الكون ، ويُديرجميع العوالم ، وبيده مقاليد الأمور ، فسبحان الله العزيز الحكيم . وهذه الآيات يُمكن حَصرها بالأُمور التالية :

أولاً : خلق السموات والارض وما فيهن . الله سبحانه وتعالى أول ما خلق السموات والأرض وأحسن صنعها وأبدع في تكوينها . وإن من أَقرب آيات السموات والأرض إلينا ، والتي نلمسها في

---

(1) سورة البقرة، الآية 164 .

(2) سورة التين، الآية 4 .

(3) زغلول النجار، الاعجاز العلمي في السنة النبوية، دار نهضة، مصر، ط5، 2012، ص6 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كل وقت ،هي تعاقب الليل والنهار ، هذه الظاهرة الكونية التي أثبتت دقة الصنع وإنضباط العمل ، فلا يمكن أن تحيدا عن سيرهما ، ولا يمكن أن يُخطِئا في حَركتهما ، قال تعالى (لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ)(1) ، هاتان الآيتان التي تفنّن الله سبحانه وتعالى في صُنعهما وأعطى لكلٍ واحدة منهما خاصية تختلف عن الأخرى ، وعمَل مختلف عن عمَل شريكتها في الصنع ، وهذا من دلائل الإعجاز الرباني ، قال تعالى (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا)(2) ، وهذا الأمر غاية في السهولة من الصنع عند الله ، لأن أمر الله بين حرفين ، فيكون المخلوق قد خُلِق ، ويكون الأمر قد حَصل ، فهو الذي لا يعجزه شئ في الأرض ولا في السماء ، وهو القادر على محو كل هذه العوالم ، وإبدالها بعوالم أخرى تختلف إختلافاً كلياً عن هذه الموجودة ، فهو صاحب القرار ، وهو الصانع ، وهو المدبر ، قال تعالى (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا)(3) ، بالمقابل بعد كل هذا الصنع والخَلق ، يأتي الانسان ليُشكك بالصانِع ، ويَكفر بالخالق ، ويَنكر وجود الرب الكريم ، على خلافه كل هذه المخلوقات إنما هي في خشوع دائم ، وتسبيح مستمر ، وخضوع وخنوع ورهبة لله رب العالمين (تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا)(4) ، فهو في تصريف دائم لهذا الكون ، ومراقبة وإحكام ، فلا يعتريه الخطأ ولا جزء بالمئة ، لأن حركة ملايين الكواكب والأفلاك والمجرّات وهي تدور في هذا الفضاء العظيم ، لا يمكن أن يُترك بلا متابعة ولا مراقبة ، وإلا لإضطربت ووقع كل شئ على بعضه ، ولصار الكون في فوضى وتيهان .

" وعلى ذلك فان الايات القرآنية المتضمنة لبعض الاشارات الى الكون ومكوناته وظواهر جاءت في مقام الاستدلال على الالوهية ولربوبية والوحدانية المطلقة لله الخالق الذي خلق جميع خلقه فيزوجية واضحة ليبقى تعالى متفردا بالوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه - بغير شريك ، ولا شبيه ، ولا منازع ، ولا صاحبة ، ولا ولد - "(5) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً : إرسال الرُسل والكُتب السماوية . بعد أن خلق الله تعالى الإنسان وأَسكنه الأرض ، وجعَل منه مادة هذا الكون الأساسية ، فلابد من أن يَكون لهذا الإنسان نظام ودستور يُرتب من حياته ويُنَظِم سيرها ويجعله أكثر تنظيماً وترتيباً وإعتدالاً ، فأرسل الله إليه الرُسل بإختلاف أجناسهم وأُصولهم ليُرشِدوا هذا الإنسان إلى الطريق الحق ، ويَرسموا له الطريق القويم ، طريق الحق والهداية ، لأنه لابد للإنسان من أن يؤدي شكر الله على ما أَنعَم وخَلق وأَوجَد ، فلابد من وجود ناصح ومُعلم وهادي إلى الخالق ، فكانت الأنبياء والرُسل مؤَيَدين بالمعجزات الآلهية ، وبالكُتب السماوية ، هذه الكُتب

---

(1) سورة يس، الآية 40 .

(2) سورة الإسراء، الآية 12 .

(3) سورة الإسراء، الآية 99 .

(4) سورة الإسراء، الآية 44 .

(5) زغلول النجار، الاعجاز العلمي في السنة النبوية، ص9 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التي تعتبر الدستور الآلهي للإنسان في كل عصر من العصور ، ولكلِ قومٍ من الأقوام ، (يَا بَنِي آَدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آَيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)(1) ، بإستثناء القرآن العظيم الذي أُنزل لكل العالمين . وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في سورة الإسراء كثير من الآيات تدل وجوب إتّباع القرآن الكريم ، هذا الكتاب الذي أُنزل لتثبيت الناس على طريق الله المستقيم فقال تعالى (إِنَّ هَذَا الْقُرْآَنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا)(2) ، وقال (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآَنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا)(3) . فما كان من الإنسان إلا أن أعرض عن الحق وحارب الأنبياء ، بل أن كثير من الأنبياء قُتِلوا وحُورِبوا من أقوامهم ، لكن الله دافع عنهم وأهلك الأقوام الذين كفروا كما سأذكر لاحقاً . فقد حَفِظ الله نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من أذى قومه ، قال تعالى (وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا)(4) ، ومن قبله موسى صلى الله عليه وسلم عندما حاربوه قومه (وَلَقَدْ آَتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آَيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا)(5) ، وغيرهم كثير من الأنبياء والمُرسلين .

" قضية التلقي والإتباع في شعائر الدين وفي شرائعه ، وفي أمر الحياة كلها وأوضاعها ، وذلك لتحديد الجهة التي يتلقونها ، إنها جهة الرُسل المُبلغين عن ربهم . على أساس الاستجابة أو عدم الاستجابة للرُسل يكون الحساب والجزاء "(6) .

ثالثاً : التكفل بتوفير سُبل الرزق للانسان . بعد أن خلق الله تعالى الأنسان ، وجَعله مُستخلفاً في الأرض ، سخر له البر والبحر ليسلك فيها ، ويستغل خيراتها لما فيه نفع وخير له ، (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا)(7) ، فذلل له البحر ليستخرج منه الثروات والقوت والخير الدفين ، وسهل للإنسان طُرق إستغلال هذا البحر وما فيه ، وجَعله مُسخراً لخدمة الانسان ، يقتات منه وأحل له ما فيه ، كذلك جَعّل الانسان البحر ممرات يتنقل فيها من مكان إلى آخر ، وأجرى السفن فيه وإستغل كل طُرق المِلاحة ، (رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا)(8) ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كل هذا الخير كان بين يدي الانسان ذلولاً مُهيئاً له ولخدمته . كذلك الأرض وما فيها وما عليها كانت مُهيئه لخدمة الإنسان ، يستخرج من باطنها ما ينفعه ، ويقتات على ما يَنبت عليها ، ويُقيم المستعمرات للعيش والتكاثر ، ويسلك فيها السُبل الفِجاج ، يستغل كل ما فيها من مشارقها ومغاربها ، (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ

---

(1) سورة الأعراف، الآية 35 .

(2) سورة الإسراء، الآية 9 .

(3) سورة الإسراء، الآية 41 .

(4) سورة الإسراء، الآية 74 .

(5) سورة الإسراء، الآية 101 .

(6) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج3، ص1287 .

(7) سورة الإسراء، الآية 70 .

(8) سورة الإسراء، الآية 66 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بِسَاطًا ، لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا)(1) ، فكل هذه النِعم التي أغدقها الله سبحانه وتعالى على الإنسان، وأعطاه فوق هذه النِعم نِعمة عظيمة لكي يستعملها في إستثمار ما موجود في البر والبحر ألا وهو العقل ، هيأ له الارض وما فيها وأعطاه العقل ليعرف كيفية تدبير أُموره ، وكيفية إستغلال مامتوفر لكي يُكمِل العيش في هذه الحياة ، إلا أن الانسان إنشغل عن المهمة الرئيسية له في هذا الكون ، ولجأ إلى الإقتتال فيما بينه ، والسعي إلى بسط النفوذ والسيطرة على الأرض ، كلٌ على حسب إستطاعته ، وإنشغل عن العبادة إلى العباد ، وحاد عن طريق الخالق إلى طُرق الخَلق ، فحارب بعضهم البعض ، وأَهلك القوي الضعيف ، وإتبعوا طُرق الشيطان في الصد عن سبيل الله ، وحولوا البوصلة من الإستخلاف في الأرض وإعمارها ، إلى إقامة الحروب والكوارث ، فتسببوا بالمجاعات ، ومات الضعفاء ، وإنتشر الكبر والإستعلاء ببني البشر إلى أن إعتقدوا أن مفاتيح الخير بيدهم ، وأنهم من يمتلكون أسباب الرزق والقوت ، ونسوا أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين " والانسان ينسى ما رزقه الله من طيبات بطول الأُلفة فلا يذكر الكثير من هذه الطيبات التي رزقها إلا حين يحرمها ، فعندئذ يعرف قيمة ما يستمتع به ، ولكنه سرعان ما يعود فينسى ، هذه الشمس . هذا الهواء . هذا الماء . هذه الصحة . هذه القدرة على الحركة . هذه الحواس . هذا العقل . هذا الكون الطويل العريض الذي إستُخلف فيه وفيه من الطيبات مالا يُحصيه "(2) .

رابعاً : تنظيم علاقات الإنسان الإجتماعية . الله سبحانه وتعالى يعلم بطبيعة الانسان وهو الذي خلقه ، يعلم أنه يميل إلى العفوية والرتابة والراحة ، وعدم الإكتراث لطبيعة الأمور ، فأعانه على نفسه وعلى حياته بالدين ، فلما أَرسل الأنبياء إلى أقوامهم ، وأَيدهم بالكتب السماوية ، إنما لتنظيم سلوك وطبيعة هذا الإنسان الخمول ، فحثّ هؤلاء الإنبياء البشر على الهِمة والنشاط والحيوية ، وأن يكون الدين الدافع الرئيسي لها ، والمحرك لديمومتها ، وأَنزل الله سبحانه وتعالى التشريعات التي تُنسق من أعمال الإنسان في الكتب السماوية لتكون دليلاً عليهم ، ودستور ملموس بين أيديهم ، يستعينون به لقضاء حوائجهم ، وتسيير أُمورهم ، بلا إعتراض من أحد ولا تعطيل ولا تجميد .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ذكر لهم أن هذا القرآن فيه الخير الكثير ، وفيه النظام والأمن ، وفيه طريقة العمل وأسلوب التعامل ، فقال تعالى (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا)(3) ، وأول ما بدأ بتنظيم العلاقات الإجتماعية مع المحيطين بهذا الإنسان ، ومع الأقرب فالأقرب ، لِبث روح الأُلفة والتعاون والتكافل والإندماج المجتمعي ، وأن يكون الإنسان للإنسان ، وأن يُحب الإنسان الخير لأخيه الإنسان ، وأن يؤثِره على ما في يده ، فيتحقق بذلك مبدأ الفطرة الإنسانية التي تميل إلى الخير والمساعدة ، فعَن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ "(4) . فأصبح من الواجب بالإضافة إلى الفطرة حُب الخير للآخرين .

---

(1) سورة نوح، الآية 19-20 .

(2) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج4، ص2241 .

(3) سورة الإسراء، الآية 9 .

(4) صحيح البخاري،كتاب الايمان، باب من الإيمان أن يُحب لأخيه ما يحب لنفسه، ص13، رقم الحديث (13) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فذكر الله سبحانه وتعالى بعض من علاقات الانسان الإجتماعية في سورة الإسراء ، فكان أهمها وصيته بوالديه ، وقرن طاعته سبحانه بطاعتهما ، فقال (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا)(1) ، منتهى الوفاء بالجميل للوالدين ، وهذا فضل الله على الانسان أن حثّنا على الإيفاء بالجميل ورَدِه ، خصوصاً لِمَن تَكفل برعايتنا وتعليمنا ، وتربيتنا لسنين طوال من خلقنا . وهذا من التوجيه والأدب القرآني أن عَلم الانسان كيفية التعامل مع والديه وما يحق له وما لايحق ، والأسلوب الجائز في القول والفِعل .

هذا بالإضافة إلى حرص القرآن ببيان علاقته بذوي القربى وكيفية التعامل معهم باللين والرفق ومساعدتهم ، ومد يد العون للسائلين من فقراء المسلمين والمستطرقين منهم ، لكن مع التأكيد على مساعدة الناس ومد يد العون لهم ، إلا أن الله سبحانه وتعالى حَرص على عدم التبذير والإسراف ، وأن لا تكون المساعدة المقدمة في غير محلها ، وغير موضعها ، لأنها تتنافى مع تعاليم الشريعه السمحاء . فقال تعالى في سورة الإسراء (وَآَتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ، إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا)(2) .

كذلك نظّم الله سبحانه وتعالى تعاملات الانسان التجارية ومبدأ الأخذ والعطاء في الكسب المادي ، فحثّ على الوفاء بالعهد ، وعدم خُذلان المسلم لأي من الأسباب كانت ، لأن العهود والمواثيق إنما تنزل منزلها من الله قبل أن تنزل منزلتها من فِعل البشر (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا)(3) ، بالإضافة إلى ذِكر فقرة مهمة من الفقرات التي يعتمد عليها الإنسان في التجارة والكسب والترزق ، إلا وهي البيع والشراء بواسطة الأوزان والمقادير المتعارف عليها في العالم ، فحثّه على عدم الغش في الموازين ، وعدم أكل مال الغير بهذه الطريقة ، وأن الأمانة من الإسلام ، وإظهار العيوب من صفات المؤمن الحق ، فقال تعالى (وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)(4) ، وهذا ما أكدتّه السنة النبوية المطهرة حينما أيدت القرآن في هذا الأمر ، وأرشدت الناس على هذا التصرف الذي هو سلاح ذو حدين ، أما أن يُبرز أخلاق المسلم الملتزم بدينه وتعاليم ربه ، أو يُخرج لنا إنسان يأكل مال الغير بالكسب الغير مشروع والغش وعدم الإكتراث بحق الاخرين ، "

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فعن أبي هريرة : أن رسول الله مر على صبرة طعامٍ، فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللًا، فقال: ما هذا يا صاحب الطعام ؟ قال : أصابته السماء يا رسول الله! قال: أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس، من غش فليس مني"(5) . وغيره الكثير من الأحاديث التي حثّت على الصدق في التعامل مع الآخرين ، وتحريم الغش وخداع الناس . هذه وكثير من الأمور غيرها مما تطرق لها القرآن الكريم وخطّ طريقها ، وأرشدنا إليها ، وجَعلها من أساسيات تعامل المُسلم مع الآخرين ، سواء من بني جنسه ودينه أم غيرهم .

---

(1) سورة الإسراء، الآية 23 .

(2) سورة الإسراء، الآية 26-27 .

(3) سورة الإسراء، الآية 34 .

(4) سورة الإسراء، الآية 35 .

(5) صحيح مسلم، كتاب الايمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم (من غشنا فليسش منا)، ج1، ص99،رقم الحديث (102) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خامساً : جَعْل حُرية الإختيار بيد الإنسان . من بين الأمور التي جعلها الله محطّ إهتمام ومتابعة هي قرارات الإنسان بما تخصّ مصيره التعبدي ، فمن ضمن عدالة الله تعالى في عباده أن جَعل مصائرهم هم من يحددونها في ظل المُعطيات التي أعطاها الله إياهم ، فعندما خلقهم الله وإستعمرهم في الأرض أرسل إليهم الرُسل والكُتب السماوية والمُعجزات لكي يرشدوا الناس إلى طريق الحق والتوحيد ، بالمقابل فإن الشيطان قد باشر بعمله وإحاط بالانسان من كل جوانبه لإغواءِه وجرّه عن طريق الانبياء حيث يريدون بالإنسان الهداية والصلاح وإتباع أوامر الله سبحانه وتعالى . فقال الله سبحانه وتعالى بهذا الأمر وفَصّل الحديث في سورة الإسراء بآيتين خصمت نوعية الإختيار ونهاية كل منهما فقال تعالى (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ، وَمَنْ أَرَادَ الْآَخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا)(1) .

" فهي التبعة الفردية التي تربط كل انسان بنفسه، ان اهتدى فلها ، وان ضل فعليها ، وما من نفس تحمل وزر اخرى ، وما من احد يخفف حمل احد ، انما يسال كل عن عمله ، ويجزى كل بعمله ولا يسال حميم حميما "(2) .

فقد خلق الله تعالى في الإنسان إرادة وقدرة ومشيئة وإستطاعة وإختيار في تحديد الاتجاه ، وجعل فيه مقومات فِعل الخير والشر ، ورَبط بين هذه المقومات وبيّن فِعل العقل وقدرته على إتخاذ القرارات التي تحدد مسيرته قال تعالى (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا)(3) . فالعقل هو أساس التكليف وبوجوده يثبت هذا التكليف ، فيرتبط مع المشيئة والإختيار والإرادة ليقوم الانسان بفِعل العمل الذي قَرَر القيام به ، وهذا العمل عندما صَدر من العقل كان على أساس أدلة وبراهين إعتمدها ، فأما أن تكون هذه الأدلة والبراهين ربانية وفق القواعد الشرعية والتكاليف الآلهية ، فيلقي العمل قبول من الله سبحانه وتعالى فيسهل للانسان هذا العمل ويباركه له ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أو أن يكون مُستند إلى إغواء الشيطان ووسوسته فيكون محط سَخط وغضب من الله سبحانه وتعالى . فأما أن يصرف الله الإنسان عن هذا العمل لأن الله سبحانه أراد به الخير ، أو أن يمد له في عمل الشر ، وذلك يرجع إلى تعلق قلب الإنسان بهذا العمل الطالح الذي تشبّعت نفسه به ، وغرس الشيطان أنيابه في قلب ذلك الإنسان ، وإستولت الدنيا بملذاتها ورغباتها وشهواتها عليه ، وهنا قال الله تعالى عنه (اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ)(4) . وهذا الإمداد لم يكن إعتباطاً ، وإنما سبقته تنبيهات من الله سبحانه وتعالى إلى هذا الإنسان ، وسبقته علامات عن رفض الله له ، فيا ترى هل إستجاب هذا الانسان للتحذيرات الربانية ؟ وهل أدرك حجم الرسائل التي أرسلها الله إليه فيعي حجم العمل الذي يقوم به ؟ هنا وبعد الجحود والنكران والإصرار على فِعل السيئة ، يمد له الله فيها ليأخذه بها أخذ عزيزٍ مُقتدر .

سورة الإسراء، الآية 18-19 .

سيد قطب، في ظلال القرآن، ج4، ص2217 .

(3) سورة الشمس، الآية 7-8 .

(4) سورة البقرة، الآية 15 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الرابع : مبدأ الثواب والعقاب

المقدمة :

بعد أن أعطى الله سبحانه وتعالى القرار للإنسان في إختيار اي الطريقين سَيَسلُك ، وبعد أن جَعله سَيد نفسه في أن يختار من يَعبُد ومَن يَتبِع ، فلابد لهذه القرارات وهذه الإختيارات من تَبِعات ومكافآت ، إما أن تكون رَوح ورَيحان ورَب راضٍ غير غضبان ، أو أن تكون سخطاً ونقمة ورب غضبان . فلابد للمُحسن من أن يُجازى عن إحسانه ، ولابد للكافر المُسئ أن يُعاقب على إساءته وعصيانه ، وهذين الأمرين - أي مبدأ الثواب والعقاب - يكونان على مرحلتين غالباً ، يكون في الدنيا والآخرة .

قال تعالى في سورة الاسراء (وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ، اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا)(1) . وقال (مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا)(2) .

فالثواب والعقاب وسيلة ينتهجها الدين الإسلامي كوسيلة من وسائل التربية النفسية لِحفظ المجتمع من الإنحراف والشذوذ ، ولتأديب المُسئ ولِتَجنب الإساءة ، كذلك لِحث المؤمن على التمسك بدينه والإستزادة منه ، ومن الأعمال الصالحة التي تؤدي إلى سلامة المجتمع بما فيه من أفراد ومؤسسات وعناصر ، سواء مكَلَفة أم تخدم التكليف ، فالإسلام بَيّنَ لنا في كثير من الآيات جُملة من الحوافز والمكافآت لِمَن التزم بالشرع السماوي ، وإبتعد عن الأخطاء بما يتناسب والطبيعة البشرية لِكل الناس ، لأن الإسلام دين الناس جميعاً ، وهو دين الأنبياء كافة ، كذلك يراعي رغبات الناس في الأشياء المادية والمعنوية ، ويحفظ عليهم صحتهم ويُلبي رَغباتهم ودوافعهم ، وهذا كله يجب أن يكون وفق مبدأ الترغيب والترهيب ، وإعطاء كل ذي حق حقه لتحقيق العدل الآلهي لِمن في الأرض ، قال تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره)(3) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فبإنتهاج منهج العدل الآلهي في الثواب للمُحسنين ، والعقاب للمُسيئين بين الناس ، تتحقق العدالة الإجتماعية التي من خلالها نبني الأوطان ونُقيم الحضارات ، وتزدهر الدنيا وينتشر عبق الإسلام ، من خلال هذا العدل نستطيع رسم أهدافنا وبناء النموذج الانساني الفريد الذي يُرَبيه الدين ، وتُسَيرُهُ العقيدة ، ويكون الله سبحانه وتعالى مراقباً له ومُرشِداً ، فيَصلُح شأن البلاد والعباد ، ويَسود التطور الثقافي والحضاري والعمراني والفكري ، ونَكون بذلك قد أقمنا ولو جزأً يسيراً من دعائم البناء النموذجي للحياة التي يطمح إليها الإنسان وفق الشريعة والقرآن .

سورة الإسراء، الآية 13-14 .

سورة الإسراء، الآية 18-19 .

سورة الزلزلة، الآية 7-8 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سأُفصل القول في هذين الأمرين مُستندين إلى ماتحدث عنهما الله تعالى من خلال آياته الكريمة التي ذكرها في سورة الإسراء .

المطلب الأول - مبدأ الثواب

كلمة ثواب تدل بظاهر لفظها على الأمر الإيجابي ، والنتيجة الجيدة التي تتبع الفِعل ، فهي النتيجة الحتمية لما يفعله المُتلقي من أعمال تُشعِرصاحب الأمر بالرضا والقبول فينعكس هذه النتيجة على المُتلقي ليُشعر هو أيضاً بالرضا والقبول . فهي نتيجة تتبع فِعل ، وهذه النتيجة تكون إيجابية تعود بالنفع على صاحبها ، وهذا النفع يكون أما مادي أو معنوي ، قال تعالى في مستعرض هذا التوضيح بما يدل على معنى الثواب (فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)(1) . وهنا إجتمع الثوابان ، ثواب الدنيا وثواب الآخرة . وهذا كرم الله سبحانه وتعالى للإنسان الصالح المُتّبِع .

والثواب : " ما يستحق به الرحمة والمغفرة من الله تعالى، والشفاعة من الرسول صلى الله عليه وسلم، وقيل: الثواب: هو إعطاء ما يلائم الطبع "(2) .

فمبدأ الثواب يمثل ضرورة لابد منها ، حيث أن جُل الأحكام تتمثل في حفظ الضروريات الخمس التي أمر الإسلام بحِفظها وهي (الدين والنفس والعقل والعرض والمال) ليعيش المسلم في هذه الدنيا آمناً مُطمئناً يعمل لدنياه وآخرته ، وليعيش المجتمع المسلم أُمة واحدة متماسكة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً ، وكالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر ، ولا يُمكن ذلك إلا بحفظ هذه الضرورات الخمس من الخلل والعبث ، وأعظمها الدين ، الذي يتعامل العبد به مع ربه ، لأن البشر بطبيعتهم يميلون إلى المكافئة المادية جراء قيامهم بعمل مُعين ، أو الثناء والمدح على هذا العمل ، فيعتبر هذا المدح والثناء أو المكافئة إنما هي مُحفز لهذا الانسان على المداومة بالفعل الموجِب لهذا الثواب والإستمرار عليه أو تطويره والإبداع فيه . فالثواب ينقسم إلى :

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أولاً : ثواب معنوي . وهذا الثواب الخاص بالله عزوجل ولا يمكن لأحد أن يتدخل فيه أو أن يؤمن يِمُعطي لهذا الثواب إلا الله عزوجل ، وهذا النوع يكون في الدنيا ويكون مؤجلاً في الإخرة ، ويكون مرتبط بنوعية الفِعل الصادر من الإنسان .

ومن ضمن الثواب المعنوي الذي أعطاه لعِباده في الآخرة أن وعَدهم بالجنة التي هي أُمنية كُل إنسان ، الجنة التي فيها مالا عين رأت ولا أُذن سَمعت ولا خطر على قلب بشر ، هذه الدار التي كرر الله

---

(1) سورة آل عمران، الآية 148 .

(2) علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني (816هـ - 1413م)، معجم التعريفات ،تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة ، ص64 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سبحانه وتعالى ذِكرها في القرآن وأخبر أنها جزاء العِباد العابدين المتّقين ، الذي آمنوا بالله ورُسُله وكُتُبه ، ولم يَخلِفوا عهداً ولا ذمة ، فكانت لهم جزاءاً موفوراً ، قال تعالى (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)(1) . فهذه الآية وغيرها كثير مثلها إستخدم الله عزوجل هذا الوعد للتذكير بهذه الجائزة العظيمة التي لا تشبهها جائزة في الوجود سوى رؤية وجه الله العزيز ، وهذا أكبر وعد وأفضل ثواب على الإطلاق ، فالإنسان عندما يُوعَد بالهدف جزاءاً له وثواباً ، يكون دؤوب العمل ، واثق الخطوة ، عالي الهمة ، قوي العزيمة . وهذا الأسلوب إستخدمه الرسول صلى الله عليه وسلم في كثير من المواضع ، منها في موقعة الأحزاب حيث يروي حذيفة رضي الله عنه الواقعه فقال : " لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الأحزاب وأخذَتنا ريح شديدة وقرّ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا رجل يأتيني بِخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة ، فسكتنا فلم يجبه منا أحد ، ثم قال ألا رجل يأتينا بِخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة ، فسكتنا فلم يجبه منا أحد ، ثم قال ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة ، فسكتنا فلم يجبه منا أحد ، فقال قم يا حذيفة فأتنا بخبر القوم ، فلم أجد بداً إذ دعاني بأسمي أن أقوم ، قال إذهب فأتني بخبر القوم ولا تذعرهم عليّ "(2) . بالإضافة إلى الوعد النبوي بالجنة لِمن يستحقها ، ولا يكون الإستحقاق فقط في هذا الموضع ، فبشَر النبي عليه الصلاة والسلام في غيره من المواضع أيضاً بالجنة فقال " من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل "(3) . هذه وغيرها من الأحاديث التي تُبشر بالجنة كثواب وجزاء لمن أطاع وأَحسن . فرُب سائل يسأل كيف يوعد النبي بوعد ليس من صلاحياته ؟ فالجنة من صلاحيات الله عز وجل يجعلها لمن يشاء من عباده ، ولا أحد يُقرر ذلك غيره . وهنا أقول أن النبي صلى الله عليه وسلم نطق في مواضع ، ولم ينطق في مواضع أُخرى ، مثل الحديث " حين أنزل الله عزوجل (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ) قال الرسول صلى الله عليه وسلم : يا معشر قريش - أو كلمة نحوها - إشتروا أنفسكم ، لا أُغني عنكم من الله شيئاً ، يابني عبد مناف لا أُغني عنكم من الله شيئاً ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ياعباس بن عبد المطلب لا أُغني عنك من الله شيئاً ، ويا صفية عمة رسول الله لا أُغني عنك من الله شيئاً ، ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئتِ من مالي لا أُغني عنكِ من الله شيئاً "(4) . وهنا تصريح واضح من النبي عليه الصلاة والسلام أنه لا يملك من أن يُدخل الجنة من يريد أو أن يمنعها عن من يريد ، فالقرار ليس بيده ، لذلك نصح المقربون منه والذين من حوله من السابقين في الإسلام بأنه لا يملك من الأمر شئ . بل وحتى وصل الأمر لنفسه أنه لا يستطيع ضمان الجنة إلا برحمة الله سبحانه وتعالى فقال في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : " سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : لن يُدخل أحدًا عملُه الجنة . قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : لا ، ولا أنا ، إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة "(5) .

---

(1) سورة البقرة، الآية 82 .

(2) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الاحزاب، ج3، ص1414، رقم الحديث (1788) .

(3) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق، ص851، رقم الحديث (3435) .

(4) المصدر سابق، كتاب الوصايا، باب هل يدخل النساء والولد في الاقارب، ص680، رقم الحديث (2753) .

(5) المصدر السابق ، كتاب المرضى، باب تمني المريض الموت، ص1439، رقم الحديث (5673) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما عن كيفية تصريحه ببعض الأحاديث بالجنة كجزاء وثواب ، فهذا يرجع إلى أن هذا النطق إنما هو من عند الله ، وأنه إلهام من عنده سبحانه على أمر مُعين أراد الباري إيصاله للناس ، فكان عن طريق منبع الهدى والهداية محمد صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق من تلقاء نفسه وإنما هو ترجمة للوحي ، قال تعالى (وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ)(1) .

ثانياً : ثواب مادي ملموس . أما ما يكون منه في الدنيا فهي الراحة النفسية الناتجة عن طاعة الله وإتباع أوامره ، فسموّ الروح إنما تأتى من تعلّقها بخالقها ، وتلذذها بِفعل العبادات ، وسكينتها بعمل الطاعات ، قال تعالى (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)(2) ، وهنا قال أهل العلم أن هذه الحياة الطيبة إنما هي الحياة الدنيا ، التي ينعم فيها الإنسان بِفعل الطاعات التي يؤديها بحق الله سبحانه وتعالى ، وما خلق الله سبحانه وتعالى لما في السموات والأرض وتسخير البر والبحر لخدمة الإنسان إنما هي هبة من الله سبحانه وتعالى له ، وثواباً ونتيجة لما يقوم به من أعمال . فالإنسان على مر العصور السابقة أثبت وبالرغم من أُمم العصيان والكفر ، إلا أن الإنسان المؤمن الذي إتبع النبي المرسل على تسلسل أحداثهم إنما هم من أسسوا لدوام هذه الدنيا وإستمراريتها ، فبعد أن أهلك الله سبحانه وتعالى الأمم التي كفرت بالله وما أَرسل من رُسل ، إلا أن هنالك أُمم أُخرى حافظت على العهد ، وآمنت بالله ، ووَقَرت رُسله وآمنت بهم ، فأثابهم الله سبحانه بخيرات الأرض التي أغدقها عليهم ، وأنعم عليهم بإستمرار نسلهم ودوام أنسابهم . قال تعالى (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا)(3) ، هذا التفضيل الآلهي ، والرزق والخير الوفير ، وتذليل مافي الأرض للإنسان ، حتى البحر جَعَله في خدمتهم ، وسهّل لهم سلوكه وإستخراج خيراته ، لم يأتي من فراغ ، وإنما نتيجة لطاعات العبد لربه ، وإنصياعه لأوامره ، والقيام بواجباته ، وتأديه حقوق الله على وجهها الصحيح ، فكانت النتيجة أن سَخر الله ما في الارض من خيرات ونِعم لخدمته ومذللة له . "

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإن إقرار الخالق العظيم لقانون المثوبة على ما نقوم به مما يجب علينا تجاهه ، تفَضُل منه تعالى ، ولو أنه سبحانه لم يقرر شيئاً من ذلك لم يَخِل في صفة عدله ، ولكنه - جل وعلا - وعَدنا بالثواب على الإيمان والإسلام والإحسان ، فضلاً منه ومنّاً ، وذلك كما إمتن علينا إبتداءاً ، ويَمتن علينا دوماً ، بإفاضة النِعم الكثيرة التي لا تُحصى . ونستخلص من ذلك أن الجزاء بالمثوبة على ما نفعل من خير إنما هو فضل من الله ، نستحقه بكريم وعده ، وليس لنا حق في ذلك "(4) .

كما أن النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً وعدَ بالثواب الدنيوي كنتيجة لعمل مُعين يقوم به العبد لإرضاء الله سبحانه وتعالى أو نُصرة لدينه ، فعندما وعد النبي صلى الله عليه وسلم سُراقة بسواري

---

(1) سورة النجم، الآية 3-4 .

(2) سورة النحل، الآية 97 .

(3) سورة الإسراء، الآية 70 .

(4) الميداني، العقيدة الاسلامية وأُسسها، ص604

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كسرى عندما لحق به وبأبي بكر رضي الله عنه يوم الهجرة ، ما كان إلا ثواباً له لِنُصرة دين الله ، ووقوفه ضد قريش ، فكان الثواب الدنيوي جزاءاً له على عمله . وهذا إبن عباس رضي الله عنه يأخذ مكافأة من النبي صلى الله عليه وسلم على فِعلٍ فَعله . فالحديث " عن إبن عباس رضي الله عنه قال : " أَن النبي صلى الله علَيه وسلم دخل الخلاء فوضعت لَه وضوءًا ، قال : (من وضع هذا ؟) ، فأُخبر ، فقال : (اللَّهمّ فقّهه في الدين) "(1) . فمكافأة إبن عباس رضي الله عنه أيضاً جاءت إثابة على عَمل مُعين . " فالمُعجل من الثواب في الدنيا أنواع كثيرة لا تحصى من الرغائب المادية والمعنوية ، التي يحبوّها الله للمحسنين ، منها النصر والتأييد والعز والسؤدد ، ومنها الشعور بالسعادة وطمأنينة القلب ، ومنها اللّذة بفيوض المعرفة الآلهية والحِكَم الربانية ، التي يلقيها الله في قلوبهم ، ومنها البركة في الوقت والمال ، والزوج والولد ، ومنها التوفيق الذي يُذلل الصعاب ويرافق الأعمال ، إلى غير ذلك مما لا يُحصى "(2) . ففضل الله عظيم على الإنسان ، كيف لا وهو الرب الرحيم الذي يغدق الخير وبيده مفاتيح السموات والأرض ، وخزائن رحمته وعطاياه لا تنفذ ، يُعطي من يشاء من عباده ويُنعم على من يشاء ، فمن أقبل على الله بكل جوارحه ، وأدى شُكره وأقام بواجباته ، فإن الخير آتيه لا محال ، ففي الحديث القدسي " عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم يرويه عن ربه قال : إذا تقرب العبد إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً وإذا تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً وإذا أتاني مشياً أتيته هرولة "(3) . فهذا المُقبل على الله يكون من المُقرّبين المصطفين ، فعلى قَدر القرب من الله تكون العطايا ، وعلى قَدر الجائزة تأتي العزائم .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني - مبدأ العقاب

العقاب ضد الثواب ، وهو في اللغة :" عَقَب كل شيء وعقبه وعاقبته وعاقبه .. وإعتقب الرجل خيراً أو شراً بما صنع كافأه به ، والعقاب والمعاقبة أن يجزي الرجل بما فعل سوءاً ، والإسم العقوبة ، وعاقبه بذنبه معاقبة وعقاباً ، أخذه به ، وتعقبت الرجل إذا أخذته بذنب كان منه "(4) . وفي الإصطلاح : " زواجر وضعها الله تعالى للردع عن إرتكاب ما حظر ، وترك ما أمر "(5) . وهو منهج رباني خطير يترتب على المُنتهك لحدود التشريع الآلهي إثم وجزاء وعقوبة ، قال تعالى (وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً ، ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب وضع الماء عند الخلاء، ص49، رقم الحديث (143) .

(2) الميداني، العقيدة الاسلامية وأُسسها، ص606 .

(3) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وروايته عن ربه، ص1863 ، رقم الحديث (7536) .

(4) أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مادة (عقب)، عدد الاجزاء 15، ج1، ص619 . (بلا تاريخ طبع) .

(5) أبو الحسن الماوردي، الأحكام السلطانية، تحقيق: أحمد مبارك البغدادي، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، 1409هـ ، 1989م ، ص 325 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا)(1) ، وهذا العقاب يكون لعصيان أمر الشارع أما في حقه سبحانه وتعالى أو في حقوق الناس . وأود أن أذكر مسألة مُهمة وهي أن الله سبحانه وتعالى قبل أن يقوم بالعقاب على الجاني فإنه يُنذره سبحانه ويُبيّن له الطريق القويم ويُرشده بالآيات والدلائل على خطأ ما يقوم به ، فأن تاب وأصلح فلا يضُره شئ ، أما إن أَصر وإستكبر فقد حَق عليه عقاب الله سبحانه وتعالى ، قال تعالى في ما يخص بالإنذار والبيان (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)(2) ، فهذه في شأن من نفعت معه الموعظة الحسنة ، والقول اللين ، والقدوة الحسنة في الإرشاد والإقتداء ، ومِنهم من صُمّت آذانهم عن الحق ، وعُميت قُلوبهم وأبصارهم عن نور الله ، فلا ينفع معهم نُصح ولا إرشاد ، ولا ينفع معهم نبي ولا كتاب ، فأولئك ذكرهم الله في صورتهم التي هم عليها وذكر النتيجة فقال (مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ، أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ)(3) .

فهذا من عدل الله عزوجل في هذه الحياة أن الله سبحانه لا يُعذب إنسان ولا يُنزل بحقه العقوبة إلا وقد بيّن له طريق الحق وسبيل الرشاد لكي لا يكون للناس على الله حجة ، يقول إبن القيم " والحق الذي لا يجد التناقض إليه السبيل أن الأفعال في نفسها حسنة وقبيحة كما أنها نافعة وضارة ، ولكن لا يترتب عليها ثواب ولا عقاب ، إلا بالأمر والنهي ، وقبل ورود الأمر بالأمر والنهي ، لا يكون العمل القبيح موجباً للعقاب مع قبحه في نفسه ، بل هو غاية في القبح ، والله لا يُعاقب عليه إلا بعد إرسال الرُسل ، فالسجود للشيطان والأوثان والكذب والزنى والظلم والفواحش ، كلها قبيحة في ذاتها والعقاب عليها مشروط بالشرع " . وأردف قائلاً : " فالله سبحانه وتعالى إنما أقام الحُجة على العباد برسله قال تعالى (رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ) فهذا صريح بأن الحُجة إنما قامت بالرُسل وأنه بعد مجيئهم لا يكون للناس على الله حجة ، وهذا يدل أنه لا يعذبهم قبل مجئ الرسل إليهم ، لأن الحُجة لم تقم حينئذ عليهم "(4) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا ما أخبرنا به الله تعالى في سورة الإسراء إخبار واضح جلي لكل ذي لُب ، فكل إنسان يتحمل نتيجة إختياره ، ولا يتحمل شخص مكان شخص لا إثم ولا ذنب ، ولايحصل العقوبة إلا بعد إرسال الرُسل لتكون حجة وإلزام ، قال تعالى (مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا)(5) .

---

(1) سورة الإسراء، الآية 97-98 .

(2) سورة التحريم، الآية 8 .

(3) سورة هود/، الآية 15-16 .

(4) عبد العظيم عبد السلام شرف الدين، إبن قيم الجوزية -عصره ومنهجه واراءه في الفقه والعقائد والتصوف ، دار القلم، الكويت، ط3، 1405هـ ، 1984م ، ص387- 388 .

(5) سورة الإسراء، الآية 15 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بل وحتى أن الله سبحانه وتعالى يَعلم أن النفس البشرية تميل إلى المرابحة في العمل وإستغلال الموارد المتوفرة لتحقيق الفائدة الشخصية ، فذَكر لهم الله سبحانه وتعالى هذا الجانب ، وأدخل العمل في الرغبة الإنسانية التي تميل قدر إستطاعتها إلى تحقيق الفائدة المادية والربح في كل شئ فقال تعالى (مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ)(1) ، وقال تعالى (مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ)(2) . وهنا القرض الحسن بمعنى العمل الصالح الذي يَهبه صاحبه لله عزوجل فيجده أمامه يوم القيامة مذخوراً له .. فخير الله إلينا نازل ، وشرنا إليه صاعد ، ولا يُرجى من الكريم إلا العفو والمغفرة .

فعقوبة الله تعالى للمُسيئين من العِباد تكون على مرحلتين :

أولاً : العقوبة المُعجلة في الدنيا . فالعقاب الآلهي للبشر في الدنيا هو وسيلة من وسائل عودة البشر إلى جادة الصواب ، وتخلِيهم عن الضلال والغواية ، وأشبه ماتكون بالصدمة الكهربائية للمريض التي يستفيق بعدها ويُنتظم بها جسده وأعضاءه . فالعقوبات المُترتبة على الإنسان في الدنيا أشبه ماتكون بهذه الصدمات الكهربائية ، لعله يتوب ويرجع إلى ربه فتَحسن عاقبته ، وتستقيم بها خاتمته . فمن أصناف العقوبة الدنيوية العاجلة الفشل والخذلان ، ومنها ضيق الصدر وإضطراب النفس ، ومنها مَحق الخير وعدم البركة ، لا في المال ولا العمر ولا الوقت ولا الولد ولا الزوجة ، ومنها الشعور بالشقاء والخذلان ، وكثرة البلاء والمصائب . وأن أعظم عقوبة دنيوية للانسان هي حرمانه من الهداية ، وعدم تسخيره للطاعات . كل هذه العقوبات الدنيوية لعل الإنسان يرجع إلى رشده ، ويعود إلى صوابه ، وهي الغاية الأسمى والطموح الأعمّ ، فغاية الله سبحانه وتعالى ليست بتعذيب عباده وإنزال العقوبات عليهم ، وإنما الغاية جعّل الإنسان يسير على السراط المستقيم ، وإتباع الدين القويم ، قال تعالى (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)(3) . فأن إنصلح حال الانسان بعد هذه العقوبات العاجلة الدنيوية ، وإذا تاب وعاد إلى ربه فإن الله ليفرح برجوعه ويُبدل سيئاته حسنات

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويتجاوز عن إساءته ، قال تعالى (إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا)(4) ، أما في حال الإصرار على الذنب ، وإنتهاج منهج الكفر الصريح ، والإصرار على الإعراض عن الله سبحانه وعن دينه القويم ، فإن العقوبة الدنيوية العاجلة التي هي أمر من أوامر الله لمن يستحقها من عباده آتية لا محال ، كحال الأقوام التي كذبت الرُسل وكفرت بالله ، حيث أذاقها الله لباس الجوع والخوف على كفرها وضلالتها ، فكثير من القرى والأقوام التي كفرت بالله حقّ عليها عذابه ، قال تعالى في سورة الإسراء (وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا)(5) ، فمنهم من عاقبهم بالخسف كقارون ، قال تعالى (فَخَسَفْنَا بِهِ

---

(1) سورة الحديد، الآية 11 .

(2) سورة هود، الآية 101 .

(3) سورة الاعراف، الآية 96 .

(4) سورة الفرقان، الآية 70 .

(5) سورة الإسراء، الآية 17 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ)(1) ، ومنهم من جعل عقوبتهم أن أزالهم بالريح الصرصر العاتية ، قال تعالى (وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ، سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ)(2) ، ومنهم من أمطر عليهم حجارة (فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ)(3) ، ومنهم من عوقب بالصيحة ، قال تعالى (وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ، كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ)(4). وغيرها كثير ممن عاقبهم الله سبحانه وتعالى بالعقوبات العاجلة قَبل أن يعاقبهم يوم القيامة ، نتيجة لأعمالهم العدائية ضد الله سبحانه وتعالى وأنبياءه والناس .

وهذا ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم فيمن تجاوز وإنتهك حدود الله سبحانه وتعالى دون أن يكترث لموانع ونواهي وشرائع ، فما جاءت السنة النبوية إلا لتثبيت الشرائع السماوية وبيانها للناس وتسهيل فهمها لهم . فالنبي عليه الصلاة والسلام كان أحرص الناس على هداية الناس وإتباعهم دين الاسلام الذي جاء به ، وإنتهاج منهج القرآن الكريم في الحياة ، ففي الحديث عن " أنس رضي الله عنه قال : كان غلام يهودي يخدم النبي صلى الله عليه وسلم ، فمرض فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده فقعد عند رأسه فقال له أسلم ، فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له أطع أبا القاسم صلى الله عليه وسلم ، فأسلم فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول : الحمد لله الذي أنقذه من النار "(5) . فهذه هي رحمة الإسلام بالبشرية ، أن يحرص على إنقاذهم من الضياع والهلاك ، وأن يرتقي بالنفوس والعقول والقلوب ، وأن يحرص على كرامة الانسان وقيمته العُليا في المجتمع ، وأن يكون للإنسان سَند ومرجع وتشريع يكون النموذج الأرقى بين جميع التشريعات الوضعية . لكن الإنسان بطبعه يميل إلى التحرر وعدم تقبله للقوانين التي تُحد من غرائزه ، وتكبح جماح شهوته وهواه ، فنراه يعمل بالطرق الملتوية ، ويبحث عن سُبل بديلة تُلبي رغباته الغير شرعية ، خصوصاً إذا كان لديه عقيدة تختلف مع عقيدة التوحيد .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كذلك فَعل النبي عليه الصلاة والسلام مع اليهود في المدينة المنورة بقبائلها الثلاث عندما غدروا النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه ، فحاق بهم العقوبة التي يستحقونها ، فكان العقاب بسبب أفعالهم ضد المسلمين ، لكل قبيلة فِعلها الخاص بها ، لكن تجتمع الثلاث في صفة مشتركة ألا وهي العِداء للإسلام ونبي الإسلام .

---

(1) سورة القصص، الآية 81 .

(2) سورة الحاقة، الآية 6-7 .

(3) سورة هود، الآية 82 .

(4) سورة هود، الآية 94-95 .

(5) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه ؟ وهل يعرض الإسلام على الصبي ؟، ص327، رقم الحديث (1356) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً : العقوبة المؤجلة . إذا فسد قلب الإنسان ، وعميت بصيرته عن الحق ، وخلع عنه عباءة الإسلام ونور الإيمان ، ولبس عباءة الكفر والظلال ، وإتبع خطوات الشيطان الذي يسوقه إلى جهنم سوقاً ، وبعد أن رآى آيات الله وأحكامه فنكرها وتركها ، وبعد أن حذره الله سبحانه وصَبر عليه ، وبيّنَ له من خلال رسالاته وإبتلاءاته وما يهز به عقله وجوارحه ، فلم يزد ذلك العبد الضعيف إلا تكبر وعناد وغرور ، ففي تلك الحالة لا يكون له إلا العقاب الذي يستحقه نهاية المطاف ، العقاب الذي تبدأ خطواته بنهاية حياة الإنسان على هذه الأرض ، قال تعالى (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ، قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً ، قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى)(1) ، الموت هو الحاجز الذي يفصل بين حياته في الدنيا وما صنع فيها و وبين ضعفه وعجزه وما سيلاحقه من عقوبات جراء هذا الصنيع . (وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا)(2) ، فإخبار الله سبحانه وتعالى للإنسان بكل ما سيحصل إنما هو ليعلم الإنسان نتيجته الحتمية فلا يتكبر ولا يتجبر ، وما الدلائل على العقوبات في القرآن إلا إخبار من الله سبحانه وتعالى للانسان بأنه مهما علا وتكبر وأصابه الغرور وعظمة النفس ، ماهو إلا مخلوق ضعيف عاجز سيصبح في وقت مُعين جسد بلا حركة ولا قوة ولا سلطة ولا سيطرة ، وسيكون أضعف حتى من الدودة التي ستلتهم ذلك الجسد الذي طالما مشى وتبختر وتجبر على الأرض ، وأن الفترة مابين القبر الذي سيضمه إلى إنتهاء الحساب وتحديد مصيره المُظلم ، ماهي إلا عذاب وعقاب على ما قدمه في حياته من سيئات وتجاوزات وإنتهاكات بحق نفسه أولا ، وفي حق الله سبحانه وتعالى . فقال الله تعالى بحق مصير هذا النوع من البشر (وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً ، ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا)(3) ، فسبحان الله ما هذا المخلوق الذي يعرف مصيره مسبقاً ، ومع ذلك يتعنت ويتكبر ويصمّ عينه وأُذنه عن الحق !

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" والذي يمشي في طريق المعاصي تفتح له أبواب الشقاء في الدنيا . ثم يزداد شقاؤه وألمه كلما أحدث معصية ، ثم يزداد شقاؤه وعذابه عند الموت حين تبشره الملائكة بالنار ، ثم يزداد عذابه وشقاؤه في القبر ، فقبر الكافر حفرة من حفر النار . ثم يزداد شقاؤه عند البعث والحشر ، حيث يُبعث خائفاً من غضب الله وعقابه . ثم يزداد شقاؤه وعذابه ويبلغ كماله إذا دخل النار وأعرض عنه ربه ، وباء بسخطه وغضبه ، نسأل الله السلامة والعافية "(4) .

وهذا مادلت عليه السُنة المطهرة أيضاً وبيّنتها للعباد ، فحذّر النبي صلى الله عليه وسلم من هذه العواقب في كثير من المناسبات والمواضع ، ولعل أشهرها ما رآه النبي صلى الله عليه وسلم في

---

(1) سورة طه، الآية 124-126 .

(2) سورة الإسراء، الآية 10 .

(3) سورة الإسراء، الآية 97-98 .

(4) محمد بن ابراهيم التويجري، فقه القلوب ، بيت الافكار الدولية، الاردن، 2006م، عدد الاجزاء 4 ، ج4، ص2909 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رحلة المعراج ، وأخبره للناس علناً وفَصّل فيه القول ، وبَيّنه لبَني البشر لعلها تكون علامة ودلاله على نوعية العقوبات التي تنتظر الجاحدين ، يقول الشيخ محمد متولي الشعراوي " إن النبي صلى الله عليه وسلم رأى في رحلته في السماء رجالاً يزرعون يوماً ويحصدون يوماً ، وكلما حصدوا عاد الزرع كما كان ، قال : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء المجاهدون في سبيل الله يخلف الله عليهم ما أنفقوا . ورأى صلى الله عليه وسلم رجل جمع حزمة حطب عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها ، فقال صلى الله عليه وسلم : ما هذا يا جبريل ؟ قال جبريل : هذا الرجل من أمتك تكون عليه أمانات الناس لا يقدر على أدائها ، وهو يريد أن يحمل عليها ، كما رأى قبر ماشطة بنت فرعون ، ووجد ريحاً طيبة فقال : يا جبريل ما هذه الرائحة ؟ قال : هذه رائحة ماشطة بنت فرعون وأولادها. كما رأى النبي صلى الله عليه وسلم رجالاً وأقواماً ترضخ رؤوسهم بالحجارة قال : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة . ورأى النبي أقواماً يسرحون كما تسرح الأنعام ،طعامهم الضريح (نبت ذو شوك) قال : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين لا يؤدون زكاة أموالهم . كما رأى النبي في رحلته الهمّازَون اللمَّازون من أمتنا ، وأقوام يُقطع من جنوبهم اللحم فيلقمون ، فيقال لأحدهم : كُل كمَا كنت تأكل لحم أخيك ، كما رأى الذين يغتابون قوم لهم أظافر من نحاس ، يخمشون بها وجوههم وصدورهم ، فقال صلى الله عليه وسلم : من هؤلاء ياجبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم . ورأى النبي رجالاً يأكلون لحماً نتناً خبيثاً ، وبين أيديهم اللحم الطيب النضج ، قال : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء رجال من أمتك تكون عند أحدهم المرأة بالحلال ، فيدعها ويبيت عند امرأة خبيثة حتى يصبح . كما رأى النبي صلى الله عليه وسلم نساءً معلقات من أثدائهن قال : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء اللواتي يدخلن على أزواجهن من ليس من أولادهن "(1) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهذا الحديث يختصر العشرات من الأحاديث النبوية التي تدل على عقوبة المتجاوزون حدود الله ، والمنتهكون حقوق الآخرين . فكان النبي صلى الله عليه وسلم يواكب الأحداث ويرشد الناس على الصواب والخطأ في التعاملات والأحداث والمناسبات ، ويعطي رأي الشرع في ذلك ، ويبيّن العقوبة لكل جرم ، سواء هذه العقوبة في الدنيا أم في الآخرة ، ويبيّن ضرر الأفعال السيئة على صاحبها وعلى المجتمع ، فالمتواصلون مع السنة هم في نور وبينة من الأمر ، والملحدون المنكرون لها هم في تيّه وغيّ وضلال .

نسأل الله تعالى السلامة والأمان في الدنيا والآخرة

---

(1) محمد متولي الشعراوي، المعجزة الكبرى، مطبعة دار أخبار اليوم، القاهرة، ص91-101 (بلا طبعة ولا تأريخ) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثالث

علاقة الإنسان مع نفسه ومع غيره وأثره في البناء الحضاري

المبحث الأول : الإنسان بين الجبر والإختيار

المبحث الثاني : علاقة الإنسان مع نفسه

المطلب الأول : العِبادات

المطلب الثاني : عادات وتعاليم وسلوك (الأخلاق)

المطلب الثالث : الدُعاء على النفس

المبحث الثالث : علاقة الإنسان مع غيره

المطلب الأول : علاقة الفرد مع والديه

المطلب الثاني : الإيفاء بحقوق الناس

المطلب الثالث : حُرمة القتل

المطلب الرابع : إجتناب الزنى

علاقة الإنسان مع نفسه ومع غيره وأثره في البناء الحضاري

تمهيد :

من أهم الواجبات على الإنسان أَن يوثق علاقته مع خالقه ، وأن يَمد جسور التواصل ، ويُقوي عُرى الوِد والإندماج وتَرسيخ مَبدأ العبودية في النفس لِخالِقها ، وأن يوجه الإنسان البوصَلة بالإتجاه الصحيح السَليم الذي يَضمن نجاته في الدنيا والآخرة ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبعد ذلك يَتم تَرميم النفس وتَرويضها وتربيَتها ، والتوجه إلى تثبيت التعاليم الإسلامية في النفس البَشرية ، وبِناء هذه النفس البشرية لا يتم إلا عن طريق قَناعتها بِما تَصنع ، وعِلاقتها بِمن حولها ، فالتأثيرات التي تَطرأ على الإنسان من خلال المراحل التي يَمر بِها من بعد ما وطَأت قدمه أول خطوة بإتجاه الطريق المُستقيم ، وحتى آخر نَفَس لهُ في هذه الدنيا ، كذلك الأسلوب ونوعية التكوين الخارجي الذي ينتَهجه الإنسان خلال التعامل مع الآخرين والمُحيطين به ، يجب أن تكون وفق معايير خاصة لا تَحيد عن منهج الشريعة والدين ، وتكون مضبوطة ضَبطاً لا يسمح للإنسان بتجاوز الخطوط الحمراء التي تؤذيه أو تؤذي غيره ، لإن الإنسان بالتكليف الذي وقَع عليه أصبح حُر في القرارات ، وحُر في التصرفات ، لكن عليه أن يتحمل النتائج والتَبِعات التي تكون نتيجة لهذه القرارات والتصرفات . فإذا ترسَخ هذا المفهوم لدى الإنسان فإنه سَيكون سَوي السلوك ، مُستقيم التصرفات ، حيث يَستمد منهج حياته من خالقه الذي إعترف له وحده بالعبودية والحكم . قال تعالى في سورة الاسراء (وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا)(1) .

في هذا الفصل سأتطرق إلى علاقة الإنسان مع نفسه وكيفية بِناءها وفق الضوابط الصحيحة ، وطُرق تهذيبها وترويضها ، كذلك علاقته مع غيره بالصورة الشرعية السليمة ، وفق ما إرتضاه له ربه وأوصاه ، وهذه العلاقة وسيلة من وسائل بناء الحضارة ، ومن خلال سورة الإسراء التي تحتوي على تعاليم وأساسيات هذا البناء . فعلاقة الإنسان مع نفسه ومع الآخرين يجب ان تكون خاضعة لمعايير خاصة تكفل للإنسان صلاح نفسه خُلقاً والتزاماً وإستقامةً وسلوكاً ، ومع غيره تعاملاً والتزاماً وتواصلاً وأدباً ، فلا ينبَغي أن تكون هذه العلاقة عشوائية مُتَخبِطة بِلا هدف وبِلا نتيجة ، وبِلا خط سير منطقي يَسير عليه الإنسان . إذ أن بناء الحضارات وبِناء الإنسان لا يكون عشوائي ولا بديهي ، وإنما بتخطيط وإجتهاد ودِراية ، وأَن بناء الاوطان يسبِقه بناء الإنسان ، ولا يستَقيم التطور ولا المدنية بدون إنسان مُتقِن لأفعالِه ، مُتَزِن بتصرفاتِه ، مؤمن بِمُجتمعه والناس من حوله .

---

(1) سورة الإسراء، الآية 53 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول : الإنسان بين الجَبر والإختيار

بَعد أن خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان ، وجَعله سَيد الأرض ، ومن قبلِه كان هنالك تحدي من إبليس بأن يغوي هذا الإنسان ، ويجعله يَحيد عن طريق الحق والصواب ، كان لابد من أَن يكون للإنسان قرار يكون هو المسؤول عنه ، ولكي يُثبت الله سبحانه وتعالى لإبليس أن هذا المخلوق هو محطّ الثقة التي أَودعها الله فيه ، بغض النظر عن النسبة التي ستَتَبع إبليس ، إلا أن المعادلة تميل إلى كفة المؤمنين الذين إتبعوا دين الحق ، وإتبعوا رُسلهم وما أُوتوا من كتب سماوية . فالإنسان مُخير في كثير من قراراته خصوصاً التي تَتَعلق بالإختيارات الشخصية والحياتية التي لا عِلاقة لها بالغيب أو القَدر ، وهذا ما أَوضَحه الله تعالى في كتابه العزيز حينما أَبانَ للإنسان أن كثيراً من الأمور جعلها الله سبحانه وتعالى بيَده ، لكي يكون قد أدرَك الحقيقة الآلهية التي تؤهله لدخول الجنة وأَن يكون مُفضلاً على سائر المخلوقات بواسطتها ، وأن يُميز بعقله الذي وَهبَه الله إياه بَينَ خالقه وبَينَ إغواء الشيطان ، وأن يعرف من يختار في العبادة والطاعة ، فبَيّن الله له ذلك في القرآن فقال (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا)(1) . هداه الله طريق الحق ، وكذلك بَيّن له طريق الباطل . أَبان له طريق الخير ، وايضاً أَبان له طرق الشر ، ورَسَم له حياته في ظل الايمان ، كذلك أَخبره مَصيره وحياته إذا إتّبع الشيطان . فكان القرار للإنسان في أي الطريقين يختار ، وهذا كله داخل من ضمن الإختبار الرباني للإنسان .

" فهي التبعية الفردية التي تربط كل إنسان بنفسه ، إن إهتدى فلها ، وإن ضَلّ فعليها . وما من نفس تحمل وزر أُخرى ، وما من أحد يخفف حِمل أحد ، إنما يسأل كلٌّ عن عمله ، ويُجزى كلٌّ بعمله ولا يسأل حميمٌ حميماً .. وقد شاءت رحمة الله ألا يأخذ الإنسان بالآيات الكونية المبثوثة في صفحات الوجود ، وألا يأخذه بعهد الفطرة الذي أخذه على بني آدم في ظهور آباءهم ، إنما يُرسل إليهم الرُسل مُنذرين ومُذكرين : (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهي رحمة من الله أن يعذر إلى العباد قبل أن يأخذهم بالعذاب "(2) . فالله سبحانه وتعالى ذَكر ذلك في سورة الإسراء فقال (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ، وَمَنْ أَرَادَ الْآَخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا)(3) ، وأعطى حرية الإختيار للإنسان مع تسهيل ما أراد له ، فإن أراد طريق الخير سَهّل له ذلك الطريق وجعل له النور والسراج المُضئ لكي يسلكه بأمان وإطمئنان . وإذا أراد الانسان طريق الشيطان والمَلذات والحياة الفانية ، فإن الله يُزين له ذلك الطريق إن أَصّرَ عليه الإنسان وإستمر في ظلم نَفسه وظلم غيره ، (اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ)(4) ، وذلك لأنهم رأوا طريق الحق فإنكروا ، وعَرفوا الله فإستَكبروا ، وجاءتهم الرُسل فكذَبوا ، فأولئك الذين ظلموا أنفسهم بأعمالهم ، وساقوا أنفسهم إلى

---

(1) سورة الإنسان، الآية 3 .

(2) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج3، ص2217 .

(3) سورة الإسراء، الآية 18-19 .

(4) سورة البقرة، الآية 15 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

طريق جهنم بِسوء إختيارهم . " يقول تعالى ذكره : من كان طلبه الدنيا العاجلة ولها يعمل ويسعى ، وإياها يبتغي ، ولا يوقن بمعاد ، ولا يرجو ثواباً ولا عقاباً من ربه على عمله ، يعجل الله له في الدنيا ما يشاء من بسط الدنيا عليه ، أو تقتيرها لِمن أراد الله أن يفعل ذلك به ، أو إهلاكه بما يشاء من عقوبات "(1) . وهذا هو العدل الآلهي بأن جعل الإنسان على عِلم بكل إختياراته في الحياة ، وسَهَّل له إختياراته ومَهّد له الطريق إليها ، ليكون هو المسؤول الوَحيد والمباشر عن تلك الإختيارات ، فالمنهج واضح ، والطريق إليه واضح ، وكل السبل التي تؤدي إلى سلوك هذا المنهَج مُتاحة ومُيَسرة ، قال تعالى (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ)(2) ، أي أبانَ له الطريقَين ؛ طريق الحق وطريق الضلال ، وأعطاه حرية الإختيار أيّ الطريقين سَيَسلك . وفسَر النبي عليه الصلاة والسلام بأنهما الخير والشر فقال : " يا أيها الناس إنهما النجدان : نجد الخير ونجد الشر ، فما جعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير "(3) . وهذا أفضل رد على القائلين بأن الإنسان مُجبر في أفعاله وليس له من الأمر شئ ، فقد أثبت القائلون بهذا الأمر وهم (الجبرية) أن الله ظالم ليسَ له من الحِكمة شئ ، فتعالى الله عن هذا القول ، لإن من أساسيات عدل الله أن لا يفرض العقوبة على الإنسان بأمر لا قرار ولا إختيار ولا رأي له فيه ، ومن أساسيات حِكمة الله تعالى في الخلق ، أَن خلقَّه للإنسان ليس من باب العَبث واللهو وتمضية الوقت حاشاه سبحانه ، وإنما كان خلقُّه للانسان مع التكليف وإسناد بعض المَهام له والواجبات التي عليه أن يُنفذها على وجه الأرض ، وهي الغاية من خَلق الإنسان . فلا يُمكن أن يسلبه القُدرة على الفِعل أو إختيار الفِعل أو القرار بِعمل أو قول .

كذلك أن الله سبحانه وتعالى لا يتَدخل في النتائج التي تكون نتيجة فِعل الإنسان ، فقرار الإنسان يؤدي الى فِعل ، وهذا الفِعل يكون الإنسان وحده مَسؤول عنه ، ويتَحمل تَبِعاته ونتائجه ، فالله سبحانه وتعالى يعلم سَلفاً بماهِية قرار الإنسان وهو لازال فكرة في جوفه ، ومن ثم يَعلم أفعاله والنتائج التي تخرج من هذه الأفعال ، إلا أن الله سبحانه وتعالى أعطى الفرصة للإنسان بأن يعمل (سواء سلباً أو إيجاباً) ، وأمده الله بجميع الأسباب وهيأ له الفرص ، فيُثبّت على المُحسن إحسانه ، ويُعطي الفرصة للمُسئ بأن يُصحح عَمله ويتراجع عن سيئاته .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فأعمال الإنسان وأفعاله هو مَسؤول عنها من بدايتها منذ ان كانت فكرة وإلى خروجها بنتائج ومعطيات ملموسة ، وهذا من كمال عدل الله بحق هذا الإنسان . وأنه مخلوق وهبه الله العقل والإرادة والقُدرة ، فالإرادة حُرة ، والقُدرة مُستعدة لتنفيذ القرارات وفق الإمكانيات المُعطاة للانسان ، ونتيجة العمل هو بسَبب المُسبب الذي أُعطي للإنسان لتَنفيذ الفِعل ، وليس العمل نِتاج المؤثِر الذي يؤثِر على الإنسان وهو الله سبحانه ، فالله سبحانه المؤثِر على الإنسان بأفعال ليس للإنسان لا تكليف فيها ولا قُدرة ، كالغيبيات والقضاء والقَدر الذي هو من إختصاص الله تعالى وحده .

---

(1) الطبري، تفسير الطبري، ج5، ص18 .

(2) سورة البلد، الآية 10 .

(3) إبن كثير، مختصر تفسير إبن كثير، ج3، ص641 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبذلك يكون الإنسان قد وجَّه إرادته إلى الفِعل بإختياره الحُر ، ولهذا يتم إمتحانه وإختباره وإبتلاءه ، وهذا ما يُثبِت عدل الله بالعقل والنقل ، فيترَتب على العِباد أفعال المدح والذم ، والثواب والعقاب .

وما الإختبارات والإمتحانات إلا وسائل ليَرجع الإنسان إلى رُشده ويُصحح من مساره أو يَثبُت على رأيه ، وأيضا تَعد وسيلة لِمد جسور الصِلة بين العبد وربه وتقويَتها . فكُل إنسان يعمل ، ولكن هل يكون عَمله رؤوف بنَفسه ، أم يظلمها ويَقسو عليها بهذا العمل الذي يَحمل بنهايته ثواب وعقاب ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : " كل الناس يغدو فبائع نفسه فمُعتقها أو مُوبقها "(1) . وعن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ما من خارج يخرج من بيته إلا ببابه رايتان : راية بيد ملك ، وراية بيد شيطان ، فإن خرج لما يحب الله أتبعه الملك برايته ، فلم يزل تحت راية الملك حتى يرجع إلى بيته ، وإن خرج لما يسخط الله - عز وجل - أتبعه الشيطان برايته ، فلم يزل تحت راية الشيطان حتى يرجع إلى بيته "(2) ، فهذه الأحاديث تُثبت أَن للإنسان حق الإختيار والقرار ، وإنما عمله هو من يُحدده وفق ما إقتنع به وآمن ، وإن العمل سيكون محفوفاً برعاية الإتباع ، فأما أن يكون محفوفاً بالملائكة التي تبارك هذا العمل وترفعه إلى خالقه بكل خير وسرور ، وأما أن يكون العمل محفوفاً بالشياطين الذين يفرحون بِعصيان العبد لربه . فهذا حق الإختيار البشري .

أما الجانب الذي لا يكون للإنسان الحق في القرار والإختيار ، وأن ليس لإنسان أي يد فيه أو رأي أو إرادة أو قُدرة ، وأن ما يجري لهُ وفق سُلطان القضاء والقَدر ، والتي هي من شأن الله وحده ولا يمكن لأي مخلوق أن يكون له يَد فيها،كالحياة والموت،والصحة والمرض،والعِز والذل، والرزق والتوفيق .

" وحول مُختلف هذه الامور التي لا تُحصى تدور دائرة القضاء والقدر الكبرى . ونستطيع أن نقول : أننا في هذه الدائرة الكبرى مُسيّرون لا مخيّرون ، محكومون بسلطان القضاء والقدر ، ألسنا نشعر بأننا ولِدنا دون إرادتنا ؟ وكبرنا دون إرادتنا . ووُهِبنا العقل

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

دون أن يكون لإرادتنا تدخل في ذلك . ومُنحنا حرية الإرادة إلى غير ذلك مما لا يُحصى ؟ وربما لو كان لنا في كل ذلك إرادات لأخترنا غير الأوضاع والأحوال التي نحن عليها الآن . ونحن في هذه الدائرة الكبرى التي لا خير لنا فيها ولا سلطان لنا عليها لسنا مسؤولين عما يجري بها ، ولسنا مُكلفين بشئ منها ، لأنها فوق إستطاعتنا ، أما حدود إرادتنا فيها فلا تتناول إلا الرضى بما يتم بالقضاء والقدر في جانب الطاعة ، أو السخط في جانب المعصية ، ومن رضي فله الرضا ، ومن سخط فعليه السخط "(3) .

فإرادة الله ثابته لا تتغير ، ولا يُمكن أن يَجعل للإنسان إختيار وإجبار في نفس الوقت ، كأن يَجعل له التكليف بِعمل مُعين ويُعطيه الإرادة والحرية ، وبنفس الوقت هنالك إجبار عليه في نفس الموضوع وسَيف مُسلط ، فهذا من قبيل إجتماع الضدين أو النَقيضين ، وعند الله لا يُمكن أن يحدث هذا .

---

(1) النووي، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، ص250، رقم الحديث (223) .

(2) أنظر: نور الدين الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج1، ص132 .

(3) الميداني، العقيدة الاسلامية وأُسسها، ص752 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبصدد هذا الموضوع أود أن أذكر نقطتين مُهمتين :

الأولى : أن الله تعالى لا يُمكن أن يُحمل الإنسان تكليفاً أكبر من طاقته ، أو أن يُكلفه بعمل أكبر من إمكانياته وقُدراته ، قال تعالى (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ)(1) ، فحينما يكون التكليف أكبر من الإستطاعة ، تَكون النتائج سلبيه على الإنسان ، ويكون الإخفاق حليفه ، بالتالي فالفَشل والإخفاق في تنفيذ التكليف يكون نتيجَته غضب الجبار وسَخطه وسَعيره ، وهذا مُحال عند الله تعالى ، لأنه يُنافي سِمة العدل والرحمة الآلهيتين .

الثانية : كل ما يُحدِثه الإنسان من أفعال وقرارات إنما هي بعلم الله وإرادته ، إذ لا يمكن للإنسان أن يسلك طريقاً أو يتخذ قراراً ، أو أن يعمل عملاً يكون مُنافي لما أراد الله ، أو أن يختلف مع الله تعالى فيَسير عكس إرادته سبحانه ، لأن في ذلك أمرين :

أولاً : أما أنه يَنفي قُدرة الله وسُلطانه على بني البشر ، وأن الإنسان غير خاضع لِحكم سماوية ، وهذا يؤدي إلى أن الله حاشاه ضعيف وليس له الحُكم على الإنسان ، وهذا مُحال نقلاً وعقلاً ومنطقاً ، فالله سبحانه هو المُسيطر على الإنسان ، والعالِم بكل خطواته منذ نَفخ الروح فيه ، وإلى تقرير مصيره أما إلى الجنة أو النار يوم القيامة . (إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ، هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)(2) ، وقال تعالى (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ)(3) ، فدلائل حُكم الله سبحانه وتعالى على الإنسان واضحة ، حتى وإن أنكر الملحدون آيات القرآن ؛ ومهما علا الإنسان وتجبر فهو ضعيف في تركيبته البدنية ،عاجز عن تأمين لقمة عَيشه ، ولا قُدرة له على تَصريف أعماله وحياته بغير تدبير الخالق ، ولا يملك من الأمر شئ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً : أن الإنسان يَملك حق تقرير مصيره بيَده ، وأنه يملك حق القرارات الفردية ، فلا الجنة حق ، ولا النار حق ، واذا كانتا حق فإن الإنسان من يستطيع أن يقرر بإيهما يكون ، وهذا يتنافى مع قدرات الإنسان وإمكانياته التي تجعله مؤَهلا لهكذا أُمور . فتقرير مصير الإنسان بيد الواحد الأحد ، ولا يمكن لأي إنسان أن يكون له مِقدار ولو بحجم الذرة من القرار . فذكر الله الفريقَين اللذان سَيكونان يوم القيامة وجزاءَهما نهاية المطاف ، فذَكر المُتقين المؤمنين الذين إتبعوا دين الله وصَدّقوا رُسله فقال (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ، إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ، فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ، فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ، قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ، كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ)(4) ، بالمُقابل ذكر الفريق الذي سَيكون النار مصيره من المُنكرين والمُلحدين والجاحدين

---

(1) سورة البقرة، الآية 286 .

(2) سورة آل عمران، الآية 5-6 .

(3) سورة آل عمران، الآية 26-27 .

(4) سورة الحاقة، الآية 19-24 .

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

وغيرهم مِمن كَفروا بالله ورُسله وكُتبه ، فقال فيهم المولى عزوجل قولاً لا يسمَعه عاقل فَيَمّر على أُذنه مرور الكرام دون أن يُصيبه القلق والوَجل وأن يتفكر فيه (وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ، وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ، يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ، مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ، هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ، خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ، ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ، ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ، إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ، وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ، فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ، وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ، لَّا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ)(1) . فمَن يمتلك هكذا قوة وهكذا بطش غير الله سبحانه وتعالى ؟ ومن يَمتلك السَطوة والعِزة ؟ ومن يمتلك الإرادة والحُكم ؟ إنه الله الجبار المُتكبر وحده ، ولا يمكن لإحد أن يَملك حتى نَفَسْه الذي يدخل ويَخرج في جوفِه .

فالله سبحانه وتعالى هو من أراد أن يمنح الإنسان السُلطة والإرادة على العمل ، إلا أنه ليس بالضرورة أن يكون الله راضياً عنه ، فإن فَعل الإنسان ما يَسرُه ويُرضيه ، كان هذا المطلوب ؛ أما إن فعل ما يُغضب الله ويَعصيه ، فإن الله يمتَحنه ويَختبره ، ثم يوُبخه ويؤَدبه ، ثم يُحذره ويُنذره ، وبعد أن يبقى مُصراً على الإساءة يكون وقت أَخْذِه وقصْم ظَهره .

" اعلم يا اخي ان اختلاف الليل والنهار وممرهما يسرعان في هدم بدنك وفناء عمرك وانقضاء اجلك ، فينبغي لك يا اخي ان لا تطمئن حتى تعلم اين مستقرك ومصيرك ، وساخط ربك عليك بمعصيتك وغفلتك او راضٍ عنك بفضله ورحمته "(2) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فبَعد كل هذا الأمور التي ذكرتُها ، وبعد هذا التدبير ، وهذه العناية الربانية لهذا الإنسان الضعيف ، لابد له أن يُفكر في كيفية المُضي نحو خالقه بسلوك الدرب الصحيح ، وإتخاذ المنهج الحق ، الذي يقوده إلى الفلاح في الدنيا ، والنجاة في الآخرة . هذا الطريق الذي يرسمه بنفسه ، وتُحدده قراراته ، ليكون الإنسان الصالح على وجه الأرض ، الذي يُعمِر ويبني ويُصلِح ، ويكون مثالاً بين الأُمم ، المثال بالإتباع الصحيح ، وبالمنهج السليم ، وبالعقلية الإيجابية التي تجعله يَسير بخُطى واثقة لتحقيق التطور الحياتي ، سواء الديني أو الدنيوي، للوصول إلى أعلى القمة، قمة الهرم الذي يُمثله الإسلام .

---

(1) سورة الحاقة، الآية 25-37 .

(2) أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (510-597هـ)، ذم الهوى، تحقيق: خالد عبد اللطيف السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1418هـ ، 1998م، ص561 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني : علاقة الإنسان مع نفسه

تمهيد :

لكلِ شئ بداية ونهاية ، وبداية هذه الحياة بالنسبة للنفس البشرية تبدأ من خلّق الإنسان ، وتكوينه وطبيعة تركيبته البدنية والنفسية ، فكلما كانت طبيعة الإنسان وتركيبته سليمة ؛ كلما إنتظم سلوكه ، وسَهُل التحكم في قراراته . فالبداية عند الإنسان ، والنهاية عند نتائج قرارته التي ستُحدد مصيره .

فعِلاقة الإنسان مع نفسه تَعتمد على طريقة تربيتها وترويضها وشحنها بالشحنات الإيجابية التي ينطلق من خِلالها الإنسان إلى مُجتمعه والمُحيطين به . وتربية النفس والسيطرة على سلوكها ، وكبح جِماح شهوتها وملذّاتها ورغباتها ، يعتمد على كيفية فهم الانسان لحقيقة خَلقِه ، وإستشعار عظمة الخالق في الغاية من إيجاد هذا المخلوق . فالضّيق والمحاسبة المُتَعنّتة ، والمبالغة في التدقيق على النفس في الكبيرة والصغيرة ، يوقع في النفس الضيق والوَحشّة مما حولها ومن الناس ، فتنحرف عن طبيعة العلاقة السوية ، فلا تُحسن المخالطة أو المُعاشرة . بالمقابل لا يُترك الحبل لهذه النفس لتصنع ما يحلو لها ، فإن في ذلك إتباع الهوى ، وسلوك درب الملذّات والشهوات ، وإستسهال المعاصي والمُنكرات ، لأنه كما هو معلوم أن النفس البشرية تميل إلى ذلك وتستسهل هذا العمل ، وتتثاقل من التكاليف الشرعية ، وهذا الغرض من الترويض والتربية . والحل في ذلك يكون بإتباع الأوسط من الطرق ، فلا التشديد ينفع ؛ ولا الفلتان ينفع ، ولكن بالإعتدال والإقتصاد تكون حياة الإنسان مُرتبة ومُنتَظمة . فالتوسط والاعتدال يكون مابين الإفراط والتفريط ، وأن خير الأُمور أوسطها ، لأن التربية المعتدلة تُعطي الأمور حَقها دون مبالغة توصلها إلى الإفراط ، ودون جفاء فيوصلها إلى التفريط . والدليل على أن الوسطية والإعتدال في تربية النفس من الإيمان ، ما عَلّم النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه وأرشدهم إليه ، فعن حنظله الأسَيّدي

www.manaraa.com

وكان من كُتّاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لقيني أبو بكر فقال : كيف أنت يا حنظله ؟ قال : قلت نافق حنظله ، قال سبحان الله ما تقول ؟ قال : قلت نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يُذكِرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين ، فإذا خرجنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيراً . قال أبو بكر : فوالله إنا لنلقى مثل هذا ، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : نافق حنظله يا رسول الله ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ذاك ؟ قلت : يا رسول الله نكون عندك تذَكِرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيراً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده إن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ولكن يا حنظله ساعة وساعة - ثلاث مرات - "(1) .

فعلاقة الإنسان مع الإنسان أما أن تكون علاقة سلبية أو إيجابية ، فالعلاقة السلبية تكون علاقة تنافر

---

(1) صحيح مسلم، كتاب التوبة ، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات والاشتغال بالدنيا، ج4، ص2106، رقم الحديث (2750) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتَضّاد وكُره ونُفرة ، يكون فيها الإنسان من النوع العشوائي الذي لا يَحكمه شرع ولا دين ، ولا يرتَدع بِرادع ، ولا يَخضع لقوانين إلآهية تُنير له الدرب ، ولا أن يكون صاحب هدف أو رسالة ، فيكون مُظطرب الفكر ، مُتذبذب في القرارات ، سَئ السُمعة مع الآخرين ، ذو طبيعة عداونية غير مستقرة بالشكل العام .

أما العلاقة الإيجابية فهي التي تكون مبنية على ثوابت دينية تجعل منه إنساناً مُتحكماً في نفسه وفي علاقته مع غيره كإنسان في هذا المجتمع لديه حقوق وعليه واجبات ، ويخضع هذا الإنسان إلى أحكام تُسَّيره ويَمشي عليها وتَضمن له الإنسانية ، هذه الثوابت الدينية التي تُربيه وتُنظم حياته الخاصة والعامة وتَبنيها ، وتُنظم علاقته بالمجتمع الذي يعيش فيه .

فإن سلوك الإنسان يَخضَع لِما في النفس مهما كان ، فالشجاعة والجُبن ، والإقدام والهَزيمة ، والنجاح والفَشل ، كلها تتَعلق بِما في النفس . فبتَغيير ما في النفس يتَغير سلوك الإنسان سَواء بالإيجاب أم في السِلب ، فمَن يمتلك القُدرة على تغيير ما في النفس فأنه يستَطيع تغيير ما في القوم . ولنا في الأَنبياء خير قدوة . فهذا سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام عندما أراد السَيطرة على سُلطان الشهوة ، وكبح جِماح الفِتن وما يتبَعها ، سَيطر على نفسه ورَبّاها التربية الصَحيحة ، وجَعل عليها حاكم ومُسيطر ، فهو قد إمتلك القوة والسَيطرة أمام أعتى غريزة موجودة في النفس البشرية ، بينما نرى غيره أن الغريزة والشهوة قد عَصفت به بسبب ضُعف السيطرة على النفس وعدم القُدرة على إمتلاكها ، وإطلاق العنان لها بلا رادع ولا مُسيطر ولا مُلهِم .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والنبي صلى الله عليه وسلم عِندما إمتَلك القُدرة والسَيطرة على النفس ، فكبَح جِماح الإنتقام وأبطل مفعول الغضب عندما دخل على قريش في فتح مكة ، وظن الجميع أَن النبي عليه الصلاة والسلام سينتَقم منهم ويقتَص ، إلا أن الحْلم سَبق الغضب ، والعفو سَبق الإنتقام ، فكان قرار النبي صلى الله عليه وسلم نابع من نفس قد تَرَبت على الدين والقرآن والسلوك الحَسن ، فسِلوكه مع غيره وعلاقته بِهم قد بُنِيَت على أساس مَتين ثابت من خِلال بِناء نفسه وعلاقتِه معها صلى الله عليه وسلم .

بهذه الشخصية النبوية نستَمد العَزم والعَزيمة ، بعد أن رأينا كيفية علاقته صلى الله عليه وسلم بنفسه وكيفية تربيَتها وتَعليمها بطُرق الشريعة ، وطُرق تَعلقها بِخالقها ، وكيفية علاقته بمن حوله ، فأسس الدولة ، وبنى الحضارة ، وأعلى البُنيان ، وفَتح الدنيا مشرقاً ومغرباً ، فكانت سِيرته مثالاً ونبراساً لكل مسلم يريد أن يبني حضارته وبلاده ومن حوله .

وفي المقابل فإن ما تشهده بعض المجتمعات من جرائم اجتماعية وأمراض نفسية وحالات اكتئاب أدت إلى نِسَب مرتفعة ومقلقة في الانتحار ، إنما هو ثمن عادل تدفعه البشرية جزاء إعراضها عن الله وعن الحق (فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ، وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ)(1) .

---

(1) سورة طه، الآية 123-124 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ففي سورة الإسراء بَيّن الله لنا بعضاً من الأُمور التي تساعد على تربية الانسان لِنفسه وتُعزز علاقته بها ، فأعمال يومية ، وأُخرى واجبة الإتباع ، وثالثة يجب أن تَخضع للتطوير والإهتمام ، سأوردها في مطالب لكي أُعطيها حقها من خلال أَهميتها للإنسان فيما يُقوي علاقته بنفسه وتعكس نتائجها على المجتمع ، وأيضا بإعتبارها المُنطلق للسلوك الفعلي للإنسان نحو مُجتمعه ومن حوله ، لكي يتواصل مع العالم ويُنشئ الحضارة ويَرفد الإنسانية بالمَدنية والعِلم ، ويَسمّوا بالتعاليم الربانية نحو العالمية والحداثة ، ليوصلها إلى كل البشر طاهرةً نقية كما هي ، مُنقذة للبشرية ، مُلهمة للإنسانية .

المطلب الأول - العِبادات

من أساسيات علاقة الإنسان بنفسه هو بِناء رابط متين يكون خاضعاً لمعايير إلهية في الأداء ، ويكون هذا الرابط قَلبي روحي أكثر مما هو جسدي عضلي ، إذ أن البناء القلبي يكون ملهم للأعمال البدنية . وماثبتَت قناعة العقل وإطمأن القلب له تَرجَم هذه القناعات إلى أعمال وأفعال وسلوك . والعبادات أكثر هذه الروابط قوة ومتانة ومشروعية . ومثلما يحتاج الإنسان العبادات للتقرب بها إلى الله سبحانه وتعالى ، فإنه يحتاجها لتهذيب النفس وتربيتها على الإستقامة وفِعل الخيرات ، فالعبادة من أفضل الطُرق التي تُعلم وتُربي وتُهذب سواء النفس البشرية أم العادات والتعاليم والسلوك . وذلك لأن المُحافظة عليها وتأديتها بصورتها الصحيحة يَدخل الإنسان في عالم الروحانية القلبية والنفسية لصِلتِها بخالِقها ، وأنه المُطّلع عليها والآمر بها والذي يستقبلها ويتَقبلها من الإنسان العابد .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتأدية العبادات بصورتها الصحيحة هي إعتراف من الإنسان بالشكر والإمتنان تِجاه خالقه ومولاه على ما أَنعم عليه من خير وفضل . فالعبادة في اللغة هي : " من مصدر عَبَدَ ، والعبودية هي إظهار التذلل ، والعبادة أبلغ منها لأنها غاية التذلل ولا يستحقها إلا مَن له غاية الأفضال وهو الله تعالى ولهذا قال (أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ) "(1) . والعِبادة : " هي فِعل المكلف على خلاف هوى نفسه تعظيماً لربه "(2) . والعِبادة في الإصطلاح هي : " التذلل لله عزوجل بفعل أوامره ، وإجتناب نواهيه محبةً وتعظيماً "(3) .

وهي : " إسم جامع لِكل ما يُحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة "(4) .

---

(1) أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني (502هـ)، المُفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، كتاب (العين)، ص319. (لم يذكر الطبعة والتأريخ) .

(2) الجرجاني، معجم التعريفات، باب (العين)، ص123 .

(3) محمد بن صالح العثيمين، القول المفيد على كتاب التوحيد، تحقيق: سليمان بن عبدالله بن حمود ابا الخيل و خالد بن علي بن محمد المشيقح، دار العاصمة للنشر والتوزيع، ج1، ص10 .

(4) محمد بن حسن بن عقيل موسى الشريف، العبادات القلبية واثرها في حياة المؤمنين، دار المجتمع للنشر والتوزيع، ط2، 1419هـ ، 1999م، ص12 (والتعريف لإبن تيمية) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والعِبادة هي كل عمل يُحبه الله سبحانه وتعالى من العبد ، سواء كان هذا العمل قَوّلي أم فعلي ، داخلي أم خارجي ، قلبي حسّي أم بَدني عَضلي ، ويكون هذا العمل مما يُرضي الله تعالى عن العبد ، ومشروع ومَقبول ، غير مُبتَدَع ، ولا يحصل فيه الإجتهاد المُضِر .

فهي لُب الطاعات وأَدوم الروابط الموصِلة الى الجَنّات . أقسامها كثيرة ، وأحوالها عديدة ، وطرق تأديتها متنوعة ، وفيها تلذُذ وحلاوه فريدة . والعبادات ضد المعاصي ونقيضها ، فبما أن المعاصي تجّر صاحبها إلى الضياع والهلاك والزلل ، فإن العبادات تجّر صاحبها إلى الإستقامة والرضا والراحة والفوز . ومثلما العبد يحتاج إلى المأكل والمَلبس كغذاء جَسدي ؛ فإنه يحتاج إلى العبادة كغذاء روحي لتهذيب النفس وتنظيمها ، كالنظافة الشخصية وآداب الممارسات الحياتية ، والطعام والشراب ، والنوم والجنس ، وقضاء الحاجة واللباس . ولإصلاح القلب والروح التي لا تَستقيم ولا تَصّلح إلا بإله تَسعد به الأرواح ، وتطمئن إليه النفوس ، فلا السرور بغير الله يدوم ، ولا اللّذات من غيره لها طعم أو حلاوة . فالراحة باقية ببقاء الله ، واللّذة والمُتعة في كل شئ موجودة بوجود الله في قلوبنا ونفوسنا ، والسكون والسَكينة مستقرها القلب قبل الجوارح والأعضاء ، لإن بذكر الله تسكن القلوب وتطمئن (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)(1) . فعبادة الله وإجلاله والتلذذ بقربه وطاعته هي غذاء الانسان الأبدي والحقيقي ، لأن فيه سمو الروح ، وإرتفاع الهمة ، ودَبيب كلِ نشاط وقوة وحيوية للقلب قَبل الجسد . فهي حق الله على العباد ، وليس تَمنُن من العبد أو تطوع ، فعَن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يامعاذ، أتدري ماحق الله على العباد ؟ قال : الله ورسوله أعلم . قال : أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً . أتدري ما حقهم عليه ؟ قال : الله ورسوله أعلم . قال : أن لا يُعذبهم "(2) . كذلك هي أمر عقدي بحت ، إذ أن بإتقان العبادة يكون تسليم الجوارح القلبية والبدنية لله خالقها ، وإعترافاً بحقوق هذا الإله علينا ، وأَخذّ الخطوة للتقدم بإتجاهه بتهذيب النفس من خلال العباده ، وجعّل بصمة وماركة مسجلة لكل إنسان خاصة به من خلال هذا العمل الذي عن طريقه يكون الإنطلاق نحو بقية الأعمال .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والإنسان عندما يُريد اللجوء إلى ربه ويطلب العون والمساعدة ، فأنه يلجأ بذلك إلى العبادات كوسيلة لتحقيق ما يُريد . فبعمل الطاعات يكون قد نال رضا رَبه الذي يُغدق عليه الخير والنِعم .

بالمقابل يجب على الإنسان أن يكون واعي فاهم لِما يعمل حتى لا يَدخل في أَمرين :

الأمر الأول : أن يكون عَمله خالياً من الرياء والنفاق ، وهذا مِما يُحبِط العمل ويمحَقه ، لأن الله سبحانه وتعالى غني عن أعمال العباد وليس له بها حاجة ، ويُحب ماكان خالصاً له وحده . فالاعمال التي يَعتريها الرياء تكون كسراب يحسبُه الضمآن ماءاً ، لا وزنَ لها ولا قيمة . والله سبحانه وتعالى يَقول في الحديث القدسي : " أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عَمل عَملاً أشرك فيه معي غيري ،

---

(1) سورة الرعد، الآية 28 .

(2) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، ص1820، رقم الحديث (7373) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تركته وشِركه "(1) . وهذا مما يجعل حافزاً للانسان بأن يَتيقن من عمله ويحرص على صفاء النية وتنقيح العمل من الشوائب التي تُفسده ، لكي يتَقبله الله منه على أفضل حال . ولا يكون عمله وتَعَبه هباءاً منثورا بِلا فائدة . وورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال " كم من صائم ليس له من صيامه إلا الظمأ ، وكم من قائم ليس له من قيامه إلا السَهر "(2) . وهذا الحديث ذَكر فرضين من فروض الله عزوجل ، ويُقاس عليه بقية الفروض والأعمال .

الأمر الثاني : أن يتَجنب البِدع تقليداً أو إحداثاً ، فلا يُقلد عملاً لا يَعرف أصلَه أو دليل مشروعيته ، ولا يُحدث أمراً من الدين ليس عليه دليل أو نَص ، وهي على أنواع ثلاث :

النوع الاول : أن يُحدث عبادة أو عمل ليس له أصل في الشرع أو نَص ، كأن يُحدث صلاة لا أصل لها ، أو أن يُحدث عيداً غير الاعياد الشرعية التي ورد فيها نص كـعيد الحُب (Valentine's day) الذي يحتفل به كثير من المسلمين كل عام ، وغيرها من مُحدثات الأعمال .

النوع الثاني : أن يُحدث زيادة على عبادة مُعينة أو عمل مُعين ، وتكون هذه الزيادة لا أصل لها شرعاً ، كأن يزيد ركن على أركان الصلاة (مثل زيادة ركعة ثالثة في صلاة الفجر) ، أو زيادة ركن في الحج ليس منصوص على إقامته في الشرع .

النوع الثالث : التشدد في العبادة حتى تُصبح حد المشقّة على النفس البشرية خلاف ما أمر به النبي بحيث يخرج عن سُنته صلى الله عليه وسلم ، كتكرار التسبيح والأوراد إلى المئات بل الألوف عند بعض فِرق الصوفية ، أو صيام الأيام كلها طيلة العام ، كحديث النبي عليه الصلاة والسلام الذي يرويه أنس بن مالك رضي الله عنه إذ قال : " جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي ، فلما أُخبروا كأنهم تقالُّوها ، فقالوا :

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأين نحن من النبي ؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . قال أحدهم : أما أنا فأنا أُصلي الليل أبداً . وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أُفطر . وقال الآخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً . فجاء الرسول صلى الله عليه وسلم فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأُفطر ، وأُصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني "(3) .

فكل الأنبياء والمُرسلين كانت دعوتهم مبنية على توحيد الله سبحانه وتعالى وعبادته ، وما تَضمنته كلمة التوحيد إنما هو إفراده سبحانه بالإلوهية والعبادة ، والنفي والبراءة لِمن سواه ، قال تعالى مُبيناً دعوة أنبياءه لإقوامهم . فجاءَ على لسان نبي الله شعيب قوله (يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ)(1) ، ووصية موسى لقومه فقال (لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ)(2) ، ونوح وما دعى به قومه فقال (أَنِ

---

(1) النووي، المِنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله، ص1717، رقم الحديث (2985) .

(2) القاري والتبريزي، مرقاة المفاتيح وشرح مشكاة المصابيح، كتاب الصوم، باب تنزيه الصوم، ج4، ص445 .

(3) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، ص1292، رقم الحديث (5063) .

(4) سورة الأعراف، الآية 73 .

(5) سورة البقرة، الآية 83 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ)(1) ، فكُل هذه وغيرها كثير كانت على لِسان الأنبياء صلى الله عليهم وسلم أجمعين لأقوامهم الذين أُرسلوا إليهم . وتَنقسم العبادات إلى :

أولاً : عبادات قلبية عَقدية . ويُقصَد بها العبادات التي تكون في القلب ، ولا تعتمد في أدائها على أفعال ظاهرة ، فهي العبادة الأعظم شأناً والأكثر أثراً ، والأجمل ملامسةً وممارسةً ، لأن القلب هو الذي يحسّ بالقرب من الله ، وهو المُتصل به والمُتعلق بجلاله ، والمُطيع له والخاضع لحِكمته وعَظمته ، وأن القلب هو المُهيمن على جميع الجوارح والأركان والأعضاء ، فهو سيدها وهو حاكمها وهو الآمر لها . بالمقابل فإن العصيان أيضاً مَنبعه القلب ، وكما القلب يأمر الأعضاء وجميع الجوارح بالطاعة لله ، والقيام بالعبادة بجميع أجزاءِها ؛ فإنه أيضاً من يأمر بالعصيان ، ويُحرض على الفسق والفجور . فهو مَنبع التقوى والعِلم ، والحُب والبغض ، والطاعة والعصيان ، والرحمة والشّدة ، وهو العالِم بالله والساعي إليه ، وأنما كل الجوارح تَبع له وخَدّم . قال المصطفى صلى الله عليه وسلم " ألا وأن في الجسد مُضغة ، إذا صَلُحت صَلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب "(2) .

فمنبع التوحيد هو القلب ، ومنبع الإخلاص هو القلب ، وهذه أساس الأعمال كلها ، فمن التوحيد بالله تنطلق ، وعلى الإخلاص تستند . فيجب سلامة الصدر من المعاصي القلبية ، وسلامته أي نقاءَه وخلوّه من الحقد والضَغينة وسواد القلب ، فصفاء القلب من الدين . لأنه لا يجتمع بغض وحقد مع محبة الله ومايرضاه . فالواجب على القلب محبة لله ، والشوق إليه ، والتوكل عليه ، والإستعانة به ، والتسليم الكامل له سبحانه . وحُبه أو الحبّ القائم على حُبه ، كالحُب في الله ولله ، والخوف من الله ، ورجاء مغفرته ، والإنابة إليه ، قال تعالى (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ)(3) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وللعبادات القلبية صعوبة ولَذّة ، فصعوبتها تكمن في السيطرة على الهوى وترك الملذّات والتعلق بالله وما يُحب ، وقطع الطريق على كل مُتسلل غير مرغوب فيه ، وكل نازغٍ وَوِسواس ، كذلك السيطرة على النفس وما تريد ، والهوى وما يطلب ، فأن ذلك من أصعب الأمور . أما حلاوة العبادة القلبية فتكمن في ممارسة العشق مع المعشوق ، والتلذذ في الخلوات مع الخالق ، والتمتع في الأعمال لإنها تُرضي المولى . وهذا ما يحسّه الإنسان إن كان قلبه موصولاً بالله . فالفرق كبير بين الصلاة بِخشوع وتأمل وقلب حاضر ، وصلاة بِعاده وثُقل وقلبٍ غافل . كذلك هنالك فرق بين العمل بِخشوع وتضرع وإخلاص وإنكسار ، وبين العمل بإستكبار وتَمُنن ورياء . قال أحد السلف : " مساكين أهل الدنيا ، خرجوا من الدنيا وما ذاقوا أطيب ما فيها ، قالوا : وما أطيب ما فيها ؟ قال : محبة الله والأُنس به ، والشوق إلى لقاءه ، والإقبال عليه ، والإعراض عما سواه "(4) .

---

(1) سورة نوح، الآية 3 .

(2) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، ص23، رقم الحديث (52) .

(3) سورة الإسراء، الآية 57 .

(4) إبن قيم الجوزية (751هـ)، تهذيب مدارج السالكين، دار التوزيع والنشر الاسلامية، القاهرة، ط2، 1424هـ ، 1997م، ص223 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والعبادة القلبية دافعة للعقل بالتفكر و للجوارح بالعمل ، فكلما كان القلب مُتعلقاً بالله ، وبإنشغال به سبحانه ؛ كان حافزاً للإنسان بأن يتفكر في دلائل وجود الله ، وإعجازه في صنعه ، وإبداعه في خَلقه ، قال تعالى (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)(1) ، ومن علامات قوة الصلة بين العبد وربه أيضاً أن يستشعر المؤمن ذكر الله في نفسه ، وأن يكون ذِكره بخشوع وتفكر وإحساس بقيمة هذا العمل ، قال تعالى (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)(2) . وجاء في الحديث " عَنْ عِكْرِمَةَ عن إبنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما قالَ : قالَ أَبُو بَكْر رضي الله عنه : يا رسول الله قَد شبت . قال : شيبتني هود ، والْواقعة ، والمرسلات ، وعمّ يتساءلون ، وإذا الشّمس كوّرت "(3) . بالرغم من أن الحديث مُختلف على صحته إلا أن له عدة روايات وطرق ، فالألباني رحمه الله رواه بأصح الطرق وأكثر الروايات قوة . فهذا منهج القلب العابد الذي يدفع بصاحبه إلى تقوية أواصر المحبة للخالق والتفكر في نِعَمه علينا وآلآءه في الكون ، وما أنزل لنا من علامات بيّنات لنتفكر فيها ونصل إليه سبحانه ، وإلى الطريق المستقيم الذي يُريدنا أن نسلكه بأمان وإطمئنان ، لِنصل إلى نهايته وهي جنة عرضها السموات والأرض أُعدها الله للمتقين . أما أن تكون العبادة القلبية دافعة للجوارح بالعمل ؛ فذلك لإن القلب هو من يصدر الأوامر وهو من يوجّه الأعضاء ، وهو منبع النيّة الموجبة للعمل ، فإن من عرف الله أَحبه ، ومن أَحب الله تعالى أطاعه .

قال الإمام الشافعي :

تعصي الآله وأنت تظهر حبه ... هذا مُحال في القياس بديـعُ

لو كان حُبك صادقاً لأطعتـه ... إن المحب لمن يُحب مُطيـعُ(4)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا مما لا شك فيه أن الإتباع يسبِقه قناعة المتبِع بالمَتبوع ، وأن المُحب يَتبَع المحبوب ، فإذا ثَبتَت صحة المحبة والإتباع، إجتهد القلب بالعمل والفِعل، فكانت النتيجة عبادات وطاعات وسلوك مستقيم.

وبما أن العبادة القلبية هي الدافع للجوارح ؛ فذلك لأنها أشمل وأَعمّ ، وأنها الباقية الخالدة . إذ أن العبادة بالتكليف تنتهي بموت الإنسان ، وأن التكليف الآلهي للإنسان ينتهي بموته - أي الانسان - فلا عبادة بعد الموت ، لكن العبادة القلبية باقية حتى في الجنة ، فعن أبي سفيان عن جابر قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ، ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون . قالوا : فما بال الطعام ؟ قال : جُشاء ورشح كرشح المسك ، يلهمون

---

(1) سورة آل عمران، الآية 191 .

(2) سورة الأنفال، الآية 2 .

(3) أنظر: الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ج2، ص639، رقم الحديث (955) .

(4) محمد بن إدريس الشافعي، ديوان الإمام الشافعي المُسمى الجوهر النفيس في شعر الإمام محمد بن إدريس ، إعداد وتقديم: محمد إبراهيم سليم ، مكتبة إبن سينا للنشر والتوزيع، ص96، (بلا طبعة ولا تأريخ) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التسبيح والتحميد كما تُلهمون النَفس "(1) . فلابد من المواظبة على صلاح القلب وإحياءه بنور الله الذي أنار به دُنيانا ، ومَنحنا الحياة والطمأنينة . وهذا ما يجب أن يكون عليه صاحب الدعوة ، وحامل الرسالة . أن يكون صافي القلب ، نقي السريرة ، متّصل بالله . نيته وسريرته تترجمها أفعاله وأعماله ، خاضع للأمر الآلهي ، مقبل إليه غير مدبر . لكي يُبلّغ دعوته ، ويَعرض بضاعته لكل الناس ، فلا يُصيبهم منه إلا الخير ، ولا يرون منه إلا الإستبشار ، وهذا كله مُستَمد من نور الله الذي ألبسه إياه .

يقول إبن القيم عن أصحاب هذه العبادة : " وهي روح الإيمان والأعمال ، والمقامات والأحوال ، التي متى خلتّ منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه . تحمل أثقال السائرين الى بلاد لم يكونوا إلا بشق الأنفس بالغيها ، وتوصلهم إلى منازل لم يكونوا بدونها أبداً واصليها ، وتُبوؤهم من مقاعد الصدق مقامات لم يكونوا لولاها داخليها ، وهي مطايا القوم التي مسراهم على ظهورها دائماً إلى الحبيب ، وطريقهم الأقوم الذي يبلّغهم إلى منازلهم الأولى من قريب ، تالله لقد ذهب أهلها بشرف الدنيا والآخرة ، إذ هم من معية محبوبهم أوفر نصيب ، وقد قضى الله - يوم قدر مقادير الخلائق بمشيئته وحكمته البالغة - أن المرء مع من أحب ، فيا لها من نعمة على المحبين سابغة "(2) . وهذا مادَل عليه قوله تعالى (وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ)(3) ، فهذا الحُب لا يُدركه إنسان إلا مؤمن بالله ، ولا يمتلكه شخص إلا من مَدّ حبال الوِصال وتَطلّع إلى لُطف اللطيف . ولا يصل إليه إلا من ناجاه وإختلى به عندما يُرخي الليل سدوله ، فيَختلي الحَبيب بحَبيبه .

عند هذا تتحقق العبادة القلبية بأبهى صورها ، وبأجمل حُلتها ، لتُنير الدرب ، وترسم الطريق ، وتُطبِق المَنهج ، فتَتَحقق العبودية الخالصة لله عزوجل .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً : عبادات لسانية لفظية . وهي العبادات التي تعتمد على النُطق باللسان ، كالنُطق بالشهادتين ، وذكر الله والإستغفار والدعاء ، وقراءة القرآن ، وغير ذلك مما يعتمد على اللسان . وأن يكون الإنسان مولعاً بذكر الله تعالى ، فلا يتوقف لسانه ولا يخلو قلبه من الذكر ، فمن أحب شيئاً أكثر من ذكره ، فكيف بمن أحب ربه كيف لا يُكثر من ذكره ومناجاته ؟ وكيف لا يُكثر من قصده ودُعاءه وطاعته وطاعة رُسله وأولياءه ؟ وهذه العبادة تكون في كل الأحوال والضروف ، فلا تُغيرها راحة ورخاء ، ولا تعاسة وشقاء ، ولا سِلم ولا حرب ، بل وحتى في أقسى المواقف وأقواها يكون ذكر الله حاضر ثابت لا ينفك عن الإنسان ، فقد ذكر الله سبحانه وتعالى نموذج من هذه المواقف وهو الحرب ، وهل يوجد أقسى وأشقى من هذا الوقت ؟ قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)(4) ، حتى في ظل ضرب السيوف وصهيل الخيول ووطيس

---

(1) أنظر: صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها واهلها، باب في صفات الجنة وأهلها وتسبيحهم فيها بكرةً وعشياً، ج4، ص2180، رقم الحديث (2835) .

(2) إبن قيم الجوزية، تهذيب مدارج السالكين، ص453 .

(3) سورة البقرة، الآية 165 .

(4) سورة الأنفال، الآية 45 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المعارك يجب أن يكون ذكر الله هو الحاضر الثابت ، فذكر الله في السِلم والحرب ، وفي الرغبة والرهبة ، دليل على صدق المحبة ، ودليل على متانة الصلة بين العبد وربه .

كذلك جَعّل الله تعالى أول المذكورين عند الإستيقاظ ، وأن يكون آخر من المُناجَين قبل المنام ، بل في كل حال ومقال ، فالذكر يُلزم التفكر ، والتفكر يُلزم الخشوع والرغبة والرهبة ، وكلها توصل إلى الله ، قال تعالى (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)(1) ، فهذه من دلائل الإيمان والصلاح ، ومن دلائل القلوب الحية ، والألسُّن الرطبة ، والفؤاد السليم العامر ، قال صلى الله عليه وسلم : " مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر كمثل الحي والميت "(2) .

فهذه الهمهمات التي تخرج من جوف الإنسان يكون مستقرها الرضوان من الله ، وكلما ذكر الإنسان ربه ، ذكره ربه في ملأ خير من ملأه ، وأَطاف عليه الملائكة يحفّونه بالرحمة والمغفرة ، ويدعون ويستغفرون له ، قال تعالى (وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا)(3) ، وأيضاً ما دلّ عليه حديث المصطفى عليه الصلاة والسلام من كلام مُشوق ، وحديث مُنعش للقلوب يذكر فيه ما يكون للذاكرين من أَحوال إلهية ، ونفحات ربانية ، ونور ورضوان ، فعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ما إجتمع قوم في بيت من بيوت الله ، يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم ، إلا نَزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة وحفّتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده "(4) . فهل بعد هذا الفضل من فضل ؟ وبعد هذا التكريم من تكريم ؟

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كذلك قول الحق عبادة ، والإحسان إلى الناس بالكلمة الطيبة عبادة ، بل وحتى تشميت العاطس ، والبسملة على الأكل ، والإبتسامة بوجه الآخرين ، كلها أجر وعبادة ، فكل ما ينطقه الإنسان ليُصيب به الخير فهو عبادة . لأن أخلاق المسلم تُترجمها كلماته التي ينطق بها أمام المجتمع ، ومقياس درجة الصلاح والإستقامة أيضاً يحددها الكلام وما يخرج من الفم ، بل وأن من موجبات الداعي إلى الله أن يكون ذو منطق حسن وذو كلام مؤثر ليرشد الناس إلى طريق الله المستقيم . فللدعوة رجال ، والرجال يُقَيمّهم الكلام الحسن ، والأسلوب الفعّال ، وطيب الحديث . وما إنتشر الإسلام في أرجاء المعمورة إلا بِلين الكلام وطيب الإسلوب وبراعة الداعي في نشر الرسالة وعرض البضاعة على الناس ، فيُصيب بها قلوب الملأ ، ويخطف اللّب والقلب بكلمات مِن فَتْح الله عليه .

ومن العبادة القولية عدم الإنجرار خلف السفهاء بالقول وعدم مجابهة المُنكر بالمُنكر ، وهجر الكلام الذميم ، والقول السئ ، والذي ليس من الدين في شئ ، وهجر المجادلة التي توصل إلى المشاحنة والبغضاء ، وإجتناب أصحابها ، خصوصاً ممن يريدون الكيد بالإسلام وأهله بإتباع الأساليب التي

---

(1) سورة آل عمران، الآية 191 .

(2) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله عزوجل، ص1596، رقم الحديث (6407) .

(3) سورة الأحزاب، الآية 35 .

(4) صحيح مسلم، كتاب الذكر، باب فضل الإجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، ج4، ص2074 ، رقم الحديث (2699) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تجرّ المسلم إلى الجدال العقيم وإلى النقاش الذميم الذي يكون الكلام البذئ عاقبته ، وتكون التفاهات وسلبية اللغو نتيجته ، قال تعالى (وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا)(1) . أي إذا خاطبهم الجاهلون بالله بما يكرهونه من القول ، أجابوهم بالمعروف من القول ، والسداد من الخِطاب ، أو تركوهم بلا جدال ولا مِراء .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من صفات المسلم ، ومن العبادة أيضاً ، لأنهما أمر من الله وفريضة ، ومن ضمن الواجبات على الإنسان أن يأمر بكل معروف ، وأن يسعى إلى الإصلاح وإلى إقامة شرع الله وبيانِه للناس في كل زمان ومكان مع مراعاة عدم الإضرار لا بالنفس ولا بالآخرين . كذلك النهي عن المنكر وهو الرديف للأمر بالمعروف ، وما أكثر المنكَرات في أيامنا ، لكن الأمر بالمنكر مع بيان سماحة الإسلام في هذا الموضع ، والحكمة من النهي عن المنكر ، وبيان مصلحة الناس في ذلك ، بلا تَعنت ولا شِجار ولا غِلظة ، كما عَلّمنا المصطفى عليه الصلاة والسلام حينما كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بأسلوب النبي الرحيم ، وبأسلوب المسلم الذي يريد الإصلاح لا الإهلاك ، والذي يريد نجاة الناس لا البحث عن العثرات والزلّات ، لإن إسلامنا يهدي للتي هي أقوم ، وليس يدعو إلى النار وسوء المَصير .

" ان العمل اذا كان خالصا لله عزوجل فان الله يرزق الناس محبة العبد فيبقي في قلوب الناس محبة العبد وعلى السنتهم الثناء عليه ، ويبقى له الاجر عند الله عزوجل ، فان محبة الخلق وثناءهم علامة على محبة الله عزوجل ، وقد قيل للنبي صلى الله عليه وسلم : الرجل يعمل العمل لا يريد به الا وجه الله فيحبه الخلق او فيثني عليه الخلق. فقال : تلك عاجلة بشرى المؤمن"(2) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولكم نحن بحاجة الى دُعاة ينقلون للناس الإسلام الحقيقي بلا تعصب ولا تحريف ولا ميل للفِرق والطوائف ، ذلك الإسلام الذي نزل إلينا رحمةً وهدى ، ليُرشدنا إلى الله سبحانه وتعالى ، في الزمن الذي إضطرب فيه الناس ، وقَلّ العلم ، وإختلطت على الناس المفاهيم الحقيقية ، وطَغت المادة وزينتها ، والدنيا وزُخرفها ، وكثر الهرج والمرج ، وسادَ الجهل والتخلف ، وضعُفت الإرادة ، وقلّت الهمة ، وإنتشر الظلم وساد الفجور .. اليوم ديننا بحاجة إلى من يُغير كل هذا ، وينشر بدل الظلم العدل ، وبدل الجهل والتخلف ينشر العلم والنور والضياء ، ويضع التعاليم الإسلامية النورانية بين أيدي الناس ليُخرجهم من ضيق الدنيا إلى سِعة الآخرة ، ومن جَوّر الأديان والمُعتقدات إلى سماحة الإسلام ، ومن ظلام العصيان إلى نور العبادة ، فالعلماء والدعاة هم ورثة الأنبياء ، وهم رهبان هذا الزمان .

ثالثاً : عبادات بدنية عضلية. وهي العبادات القائمة على الفعل الجسدي ، وعلى الأعضاء والأركان البدنية الإنسانية ، وتحتاج إلى جهدٍ وحركة وإنتقال ، كالصلاة ، والحج ، والجهاد ، وسائر العبادات

---

(1) سورة الفرقان، الآية 63 .

(2) عبد الله بن المبارك المروزي (181 هـ)، الزهد والرقائق، تحقيق: احمد فريد، دار المعراج الدولية للنشر، الرياض، ط1، 1415هـ 1995م، ج1، ص229 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العملية الأُخرى القائمة على فعل الجسد . فالعِبادة الجسدية أما أن تكون فردية شخصية أو مُتعدية ، والمقصود بالعبادة الفردية الشخصية هي ما يقوم به الإنسان لِنفسه ، كالصلاة والحج والسعي للرزق الشخصي . أما العبادة الجسدية المُتعدية فهي العبادة التي يعملها الإنسان ليُفيد غَيرُه منها ، كسعيه للكسب المادي الذي يُوفر القوت لعياله ، أو أن يقوم بأعمال تعود بالنفع على آخرين كالمساعدة في حمل المتاع عن الضعفاء والمحتاجين للعون ، أو المساعدة في بناء منزل لجار أو قريب أو صديق ، وهكذا من الأعمال التي ينتَفع منها الغير ، فهي بمفهومها العام عبادة .

فالعبادات الجسدية ورَد جزء منها في القرآن الكريم كدليل على أهميتها وأنها لا تختلف عن العبادتين السابقتين (القلبية واللسانية) في الأهمية والأجر ، فذَكر الله سبحانه وتعالى عبادة الصلاة والتي هي أهم عبادة جسدية عملية يؤديها الإنسان في حياته ، وأنها عماد الدين وموصى بها من فوق سبع سماوات ، قال تعالى في سورة الاسراء (أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ، وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا)(1) . فجَمع ربنا عزوجل ثلاث عبادات بدنية فرض على الإنسان بصيغة الأمر الشرعي من الله له ، وهي عبادة الصلاة وقراءة القرآن ونافلة الليل (التهجد) كنموذج للعبادات الجسدية التي على الأنسان عملها وتأديتها والمحافظة عليها ، لأن الفرض مستمر ، والتكليف فيه باقٍ إلى أن يموت الإنسان . وقوله تعالى (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا)(2) . وهذا ركن آخر من أركان الإسلام وفرض من فرائض الله تعالى على الإنسان ، ذَكره ربُنا في القرآن ليكون مُخلّداً للذكر طيلة دوام هذه الدنيا وبقاء الإنسان عليها ليكون نموذج على التكليف الجسدي التعبدي . وغيرهما العديد من العبادات البدنية التي يسعى الفرد من خلالها إلى نيل رضا الله سبحانه وتعالى وإستحصال أكبر قدر من الأجر كذخيره له ينفعه يوم القيامة لنيل شرف وطأة ثَرى الجنة .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالإضافة كون هذه العبادة مضاعفة الأجر إذا أحسن النية ، لأن كل الأعمال التي يقوم بها الإنسان من تحدد كيفيتها وإتجاه سيرها هي النية التي بيتت من أجل القيام بهذا العمل . فالرسول عليه الصلاة والسلام أوضح هذه الفقرة فقال : " إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لِكلِ إمرئ ما نوى ، فمن كان هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى إمرأة ينكحها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه "(3) . فإن في العبادة الجسدية الأجر والمنزلة إن عُقِدت ألنية أنها خالصة لوجه الله ، دون رياء أو نِفاق أو إبتغاء أمر دنيوي ، والعبادة الجسدية التي تعود بالنفع فيها على الآخرين أيضاً فيها الأجر والمَنزلة إذا عُقِدت النية أنها خالصة لوجه الله دون ان يعتريها الزيغ أو النفاق أو غاية الوصول إلى أمر دنيوي ، بل وحتى أن للمرأة في خدمتها لزوجها وأطفالها الأجر الكبير إن عَزمت النية أنه طاعة لله وأداء الواجب الذي عليها ، والرجل عندما يُداعب ولده ويُلاعبه له الأجر في ذلك إن عَقد النية على أن هذا العمل لنيل رضا الله تعالى في أداء الواجب الذي عليه في الإحسان للإبن . وهكذا بقية الأعمال التي

---

(1) سورة الإسراء، الآية 78-79 .

(2) سورة آل عمران، الآية 97 .

(3) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ص7، رقم الحديث (1) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يعملها الإنسان إن عَزم النية وعَقَد على عملها إبتغاء وجه الله تعالى ولمرضاته وكسب الأجر من ذلك ، فإن له ذلك مالم يخالطها الرياء ، أو النية في الغاية الدنيوية ، أو لإرضاء غير الله تعالى . فالحديث الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم يُبيّن كيف أن النيّة والإخلاص في العمل هي من تقرر درجة قَبوله من عدمها ، وهي التي تُرَجح في أي كفة يكون ، أما أن يكون مقبول ومُثاب عليه ، أو أن يكون مردود ومُعاقب عليه ، قال عليه الصلاة والسلام في الحديث : " إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه ، رجل إستُشهد فأتى به فعَرّفه نعمة فعَرفها . قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلتُ فيك حتى إستُشهدت . قال : كذبت . ولكنك قاتلت لأن يقال جرئ . فقد قيل . ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار . ورجل تعلم العلم وعَلمه وتعلم القرآن . فأتى به . فعّرفه نعمه فعَرفها . قال فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن . قال : كذبت . ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم ، وتعلمت القرآن ليقال هو قارئ . فقد قيل . ثم أُمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار . ورجل وسع الله عليه وأعطاه من اصناف المال كله . فأتى به فعّرفه نعمة فعَرفها . قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك . قال : كذبت . ولكنك فعلت ليُقال هو جواد . فقد قبل . ثم أُمر به فسحب على وجهه ، ثم أُلقي في النار "(1) .

بل وحتى بذل الجّهد البدني لمساعدة الحيوان أو إطعامه أو حمايته يعتبر من الطاعات والعبادات ، بالرغم من أن الحيوان الذي هو أصلاً مُسخر لخدمتنا وتحت إمرتنا وتصرفنا . ألا أن الاسلام حَفظ حقوق كل ذي روح ، وأمر بالإحسان لكلِ مخلوق ، قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي يرويه قتادة عن أنس رضي الله عنهم عن هذا الأمر : " ما من مسلم يغرِس غرساً ، أو يزرع زرعاً ، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة ، إلا كان له به صدقة "(2) . ولكي يُعمّق النبي شعور المسلم بأهمية جميع أنواع العبادة حتى وإن كانت مرتبطة بحق الحيوان ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فإنه أخبر أصحابه والمسلمين من بعدهم عن قصة رجل من السابقين في الحديث الذي يرويه أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " بينما رجل يمشي بطريق إشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني فنزل البئر فملأ خفه ماء ثم أمسكه بفيه حتى رقي فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له . قالوا يا رسول الله وإن لنا في هذه البهائم لأجراً ؟ فقال : في كل كبدٍ رطبةٍ أجر "(3) . فإذا كانت العبادة حتى في الحيوان فكيف بمن أعان الإنسان أو ساعده أو حمل عنه الحمل المادي أو المعنوي ؟

فالسعي في الأرض والعمل والكسب ، من العبادات التي أمرنا الله سبحانه وتعالى بفِعلها ، وهي تعتمد بالدرجة الأساس على المجهود البدني ، والتي من خلالها يتم تحقيق ثلاث أهداف :

الهدف الأول : على الصعيد الشخصي كما ذَكرت سابقاً . لأن فيه الكسب المادي أو المعنوي

---

(1) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة إستحق النار، ج3، ص1513، رقم الحديث (1905) .

(2) صحيح البخاري، كتاب الحرث والمزارعة، باب فضل الزرع والغرس إذا أُكل منه، ص558، رقم الحديث (2320) .

(3) صحيح مسلم، كتاب السلام، باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها، ج4، ص1760، رقم الحديث (2244) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الشخصي والنفع بكل إتجاهاته . فهو أمر إلهي للسعي في هذه الحياة وكسب القوت الحلال لضمان لقمة العيش الكريمة وفق ما أمر الله سبحانه وتعالى به (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ)(1) . إذ لا يمكن للإنسان أن يعيش في هذه الحياة بلا قوت ولا زاد ، أو يكون إعتماده على غيره في الرزق وهو قادر على تأمينه .

الهدف الثاني : على الصعيد الأُسَري . وهذه العبادة التي تعود بالنفع على الآخرين ممن حولنا ، كالمساعدة في طواف الضرير بوقت الحج ، ومساعدة المرأة المسنة في حمل أغراضها ، وقبل ذلك تأمين حياة كريمة لأفراد الأُسرة من الزوجة والأبناء ، والسَعي لتأمين لقمة العيش الحلال لهم ، وتربية الأبناء التربية الإسلامية الصحيحة لوقايَتهم من شرور الحياة ومن عذاب يوم القيامة ، قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ)(2) . ولنا في رسول الله أُسوة حسنة ، حيث كان يسعى في قضاء حوائج الناس ، ولا يرّدُ سائلاً ، ولا يمنع مَعونةً . وأما في بيته الشريف صلى الله عليه وسلم فكانَ يَكون في مِهنة أهله : يحلب شاته ، ويرقع ثوبه ، ويخدم نفسه ، ويخصف نعله ، فإذا حانت الصلاة خرج إلى الصلاة وصلى بالناس ، ثم جلس إليهم فحدثهم وعلمهم ووعظهم وذكّرهم واستمع إلى شكواهم وأصلح بينهم ، ثم يعود إلى بيته . " وقد سئلت عَائِشَة رضي الله عنها : مَا كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ ؟ فقَالَتْ : كَانَ بَشَرًا مِنَ الْبَشَرِ يَفْلِي ثَوْبَهُ ، وَيَحْلُبُ شَاتَهُ ، وَيَخْدُمُ نَفْسَهُ "(3) .

الهدف الثالث : على الصعيد المجتمعي . وهذه العبادة تشمل فِعل الإنسان لأعمال تخدم مجتمعه وبيئته وبلده ، كأن يكون تقديم خدمة في وظيفة مُعينة تعود بالنفع على المجتمع ، أو أن يكون في مِهنة تكون منطَلق له لتقديم المساعدة والمعونة للناس ، والإرتقاء بالواقع المجتمعي من خلال هذه المهنة ، كالطبيب والمهندس وغيرهم ، أو أن يكون من المخترعين الذين يرفدون المجتمع بأفكار ومشاريع تخدمه وتطّوره وتَزيد من حجم الفائدة التي تعود بالنفع على الناس كافة وفي كل أنحاء العالم . فهذا النوع من العبادة البدنية تكون محمودة عند الله ورسوله .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالإختراعات والإبتكارات التي خدمت الإنسانية ، كالكهرباء والطائرات والسيارات وغيرها الآلآف من الإبتكارات ، كان لأصحابها الدور الكبير في النهضة العالمية وخدمة البشرية . فهذه من العبادت لو أنها خرجت من شخص صحيح النيّة ، يبتغي بها وجه الله تعالى . عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام أنَّه قال : " أحبُّ الناسِ إلى اللهِ أنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ ، وأحب الأعمال إلى الله عزَّ وجلَّ سرور يدخلُه على مسلمٍ ، أوْ يكشف عنه كربة ، أو يقضي عنه دينًا ، أو تطْرد عنه جُوعًا ، ولأن أَمشي مع أَخٍ لي في حاجة أحب إِلَيَّ من أن اعتكف في هذا المسجد ، يعني مسجد المدينة شهرًا ، ومن كَفَّ غضبه ستر الله عورته ، ومن كَظَم غيظه ، ولَو شاء أن يمضيه أَمضاه ملأ الله قلبه رجاءً يوم القيامة ، ومن مشى مع أَخيه في حاجةٍ حتى تتَهَيَّأ له أَثبت الله قدمه يوم تَزُول الأَقدام ، وإِنَّ سوء

---

(1) سورة المُلك، الآية 15 .

(2) سورة التحريم، الآية 6 .

(3) أنظر: الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشئ من فقهها، ج2، ص275، رقم الحديث (671) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخلُق يفْسد العمل ، كما يُفْسِد الخل العسَل "(1) . فالعِبادة البدنية مهما كانت أحوالها وتَعددت أفعالها مادامت إيجابية وتخدم الفرد أو المجتمع ؛ فهي من العبادات التي يباركها الله سبحانه وتعالى ويجزل العطاء بالأجر والثواب لِفاعِلها . ولِكل شي نَقيضه وضِده ، بالمقابل إن هذه الأفعال إذا كانت في الأمور المنهي عنها شرعاً ، أو في الطرق الغير صحيحة ؛ فإن الله يعاقِب فاعلها ، ويؤتيه من الجزاء على مانوى عليه وعَقَدّ . فمثلاً فِعل جِماع الزوج لزوجته فيه أجر ، فإن وطأها بغير عقد ولا زواج ولا بأيٍ من طرق الحلال ؛ كانت زنا ، وقد إستحق فاعِلاها إثم الزنا وعقوبته . قال عليه الصلاة والسلام : " وفي بضع أحدكم صدقة . قالوا : يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال : أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجرا "(2) . فحتى الأعمال الغريزية يمكن أن تُصبح عبادة بالنية الصالحة . كذلك تبسمك في وجه أخيك عبادة ، وإرشاد الانسان الظال مكاناً وحالاً ، وإماطة الأذى عن الطريق ، والمشي في قضاء حوائج الناس ، وهو الحال في الأكل والشرب إن قصد بهما التَقوّي على طاعة الله تعالى ، بشرط عَقد النية السليمة ، وأن يكون العمل مُباحاً في ذاته ، غير منهي عن فعله .

رابعاً : عبادات مالية . كإخراج جزء من المال في أبواب مخصوصة حثّنا الشارع الحكيم عليها ، وأمرنا بمواصلتها ، وأنزل النصوص لإثبات مشروعيتها . فمنها ما هو فرض كالزكاة ، ومنها ماهو سُنه كالصدقة . فالعبادات المالية لا تقل أهمية عن غيرها من العبادات ، إذ أن كثير من الأحيان يُصبح المُستحب واجب ، ويصبح أجر السُنة فيه أكثر من أجر الفرض ، لأن المال له أهمية كبيرة في تغيير القرارات والأحوال ، وقلب موازين الأمور . على سبيل المثال عندما جَهّز الخليفة الراشد والصحابي الجليل عثمان بن عفان رضي الله عنه جيش المسلمين وقت العُسرة ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حيث كان لا مال ولا سلاح ، وهم مُقبلون على معركة تبوك المهمة " نظر الرسول عليه الصلاة والسلام إلى الصفوف الطويلة العريضة من الذين تهيأوا للقتال وقال : من يُجهز هؤلاء ويغفر الله له ؟ وما كاد عثمان يسمع نداء الرسول صلى الله عليه وسلم هذا حتى سارع إلى مغفرة من الله ورضوان ، وهكذا وجدت العسرة الضاغطة (عثمانها المعطاء) ، وقام رضي الله عنه بتجهيز الجيش ، حتى لم يتركه بحاجة إلى خطام أو عقال . وقد قدم عثمان لجيش العسرة في غزوة تبوك تسعمائة واربعين بعيراً ، وستين فرساً أتم بها الألف "(3) .

ويشترط في العبادة المالية أن يكون المال حلالاً طيباً لا شائبة فيه ، لأن الله لا يتقبل إلا الطيب الحلال ، الذي أتى نتيجة عمل مأذون شرعاً ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) وقال (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا

---

(1) الالباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشئ من فقهها، ج2، ص574 ، رقم الحديث (906) .

(2) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أن إسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، ج2، ص697، رقم الحديث (1006) .

(3) علي محمد الصلابي، تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان، دار الفجر للتراث، القاهرة، ط2، 1431هـ ، 2010م، ص41 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رَزَقْنَاكُمْ) ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك ؟ "(1) .

فالعبادة المالية تكون على أقسام وأنواع :

أولاً : الزكاة . وهذه الفرض المالي الوحيد الذي هو ركن من أركان الاسلام ، ونَزل فيه نص شرعي في القرآن الكريم ، قال تعالى (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ)(2). وقد تكرّر ذِكر الزَّكاة في القرآن الكريم إثنتين وثلاثين مرَّة ، والزَّكاة واجبةٌ في الأموال النَّامية وهي على نوعين : صنف ينمو بنفسه كالماشية والحرث والزرع . وصنف ينمو بالإدارة والبيع والشراء كعروض التِجارة والنَقدين . وقد أنزل الله تعالى عقوبته للمقصر بحقها والممتنع عن أداءها فقال (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ، يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ)(3) . هذه عقوبة الله في الممتنعين عن أداء هذا الفرض ، وبتر هذه العبادة ، فتخيل من حجم العقوبة ، حجم أهميتها في الاسلام .

ثانياً : الصَدقة . من العبادة المالية المستحبة ، ليست فرضاً وإنما تأتي مواضع يكون حُكمها حكم الفرض . كأعطاء أولي القربى من أموال الميراث إذا حضروا القسمة . وأيضاً هذه العبادة ذكرها الله تعالى في القرآن ، وحثّنا عليها ، وذكر فضلها ، وأن السَلَف كانوا لا يُفرِقون بين الفرض والمستحب وغيره ، فيعتبرونه كله فرضاً مادام أنه ذُكر في القرآن الكريم ، وأن الله أوصى به ، وأنه محبوب من قبل الله تعالى ، فكما ذَكر الزكاة وحَثّ عليها ، ذَكر الصدقة ايضاً وحَثّ عليها ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم)(4) . وقال أيضاً (لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ)(5) . وغيرها كثير من المواضع . ولها فوائد كبيرة في الدنيا وفي الآخرة . وقد ذكرها النبي عليه الصلاة والسلام كثيراً ، وذكر فوائدها ، منها قوله صلى الله عليه وسلم : " والصدقة تُطفىء الخطيئة كما تُطفىء الماء النار "(6) . وايضاً غيرها كثير من الأحاديث التي تُثبت فضل وعِظم هذه العبادة ، والتي تعمل فوائدها بإتجاهين .

الإتجاه الأول : المَنفعة الشخصية للمُنفِق . وهذا مايعود إلى من يؤديها بالنفع الشخصي الدنيوي والأُخروي . فمن فوائدها الدنيوية أنها مُطهرة للمال من الدرن الذي يُصيبه نتيجة الحلف الكاذب واللغو والغفلة . وأن في الصدقة دواء للأمراض البدنية كما ورد في الحديث الذي يرويه إبن مسعود

---

(1) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها ، ج2، ص703، رقم الحديث (1015) .

(2) سورة البقرة، الآية 43 .

(3) سورة التوبة، الآية 34-35 .

(4) سورة البقرة، الآية 254 .

(5) سورة آل عمران، الآية 92 .

(6) إبن رجب، جامع العلوم والحكم، ص602، رقم الحديث (29) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : " حصنوا أموالكم بالزكاة ، وداووا مرضاكم بالصدقة "(1) . هذا على الصعيد الدنيوي ، أما في الآخرة فهي كما قال عنها المصطفى صلى الله عليه وسلم : " صدقة السر تُطفئ غضب الرب "(2) . وغيرها الكثير من الفوائد لا يسع المقام لِذكرها ، ولكن عرّجنا على أمثلة منها ومقتطفات .

الإتجاه الثاني : المَنفعة العامة للمُنفَق إليهم . وهذا الإتجاه يكون المُستفيد منه المُستحقين للصدقة من الناس ، سواء الفقراء أم المساكين أم الذين ضاقت بهم الدنيا بعد أن كان لهم فيها فسحة . فهذه العبادة تُمثل باباً من أبواب التكافل الإجتماعي والتواصل الأُسري ، ومنفذ من منافذ الرحمة الإنسانية التي جعلها الله تعالى في نفوس العِباد مع بعضهم البعض ، قال تعالى (إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءِ فَهُوَ خَيرٌ لَّكُمْ)(3) . فحينما يشعر العبد بأن هنالك غيره محتاجين للصدقة ، فيشعر بآلامهم ، ويلامس معاناتهم ، فإن ذلك من لُب الدين . وهذه العبادة من حق الجميع ، إبتداءاً بالأقرب فالأقرب ، وخيرها ما يُنفقه الرجل على عياله وأهله ومن هم الأقرب . فعن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " دينار أنفقته في سبيل الله ، ودينار أنفقته في رقبة ، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار انفقته على أهلك، أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك "(4) .

ثالثاً : الطعام والكسوة . النوع الثالث من أنواع العبادة المالية هي ما تطعم به جائع ، أو تكسوا به عريان أوبردان ، فإنها كسابقتها من منازل الآخرة في الأجر والمنزلة . وباباً من ابواب التكافل الإجتماعي ، وجانب من جوانب الإيثار وحُب الخَير للغَير ، فعن أَنس عن النبي صلَى الله علَيه وسلَّم قال : " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه "(5) . ومن أسباب رقيّ المجتمعات الإحساس بالآخرين ومعاناتهم الحياتية في ظل الضروف القاسية التي تمر بها الكثير من البلاد حول العالم ، فالإنسان مَكرّم عند الله تعالى ، مهان من قِبل البشر ، ومن واجبنا إكرام من قد أكرمه الله ، ولنتذكر أننا كلنا في المنزلة سواء . فكرامة الإنسان والحفاظ على آدميته وإنسانيته من أساسيات ديننا العظيم ، والله سبحانه وتعالى أمرنا بالبذل في سبيل الفقير والمسكين ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويُذكرنا ربنا أن النِعم التي في أيدينا إنما هي من عند الله وحده ، وليس لنا من أمرها شئ ، إلا أننا مُستخلفين فيها ، قال تعالى (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ، إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا)(6) . هذا التوجيه الرباني لِبَني البشر يَتبَعه سبب ونتيجة ؛ فالسبب من هذا التبليغ هو (إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا)(7) . فوعدنا الله سبحانه وتعالى بالنتيجة الحتمية للعمل

---

(1) أبي القاسم سليمان بن احمد الطبراني (260هـ - 360هـ)، المعجم الأوسط، تحقيق: قسم التحقيق بدار الحرمين، دار الحرمين للطباعة والنشر، 1415هـ ، 1995م، عدد الأجزاء 10، ج2،ص274، رقم الحديث (1963) .

(2) العجلوني، كشف الخفايا ومزيل الإلباس، ج2، ص22، رقم الحديث (1593) .

(3) سورة البقرة، الآية 271 .

(4) صحيح مسلم، كِتَاب الزَّكَاةِ، بَاب فَضْلِ النفَقة على الْعِيال وَالمَملوك، ج2، ص692، رقم الحديث (995) .

(5) صحيح البخاري، كتاب الايمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ص13، رقم الحديث (13) .

(6) سورة الانسان، الآية 8-9 .

(7) سورة الانسان، الآية 10 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الدؤوب فقال (فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ، وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا)(1). وهذا مادلَ عليه حديث النبي عليه الصلاة والسلام الذي ذَكرتُه آنفاً في أن الصدقة تُطفئ غضب الرب ، وتُدافع عن صاحبها ، وهذا هو المطلوب .

المطلب الثاني - عادات وتعاليم وسلوك (الأخلاق)

إهتم الاسلام بتربية الانسان وفق معايير وضوابط تضمن له الإستقامة وحسن السلوك ، إبتداءاً من الإخلاص ونقاء السريرة التي هي مُنطلق لكل الأعمال وأساس إعتمادها ، حيث يكون مقرها القلب والمُحرك لها والدافع لتَنفيذها . فحسن التعامل مع الآخرين من بِر ووفاء ، وبِر الوالدين والإحسان للغير ، وإكرام الفقير والمسكين وكفالة اليتيم ، كُلها تُحقق الهدف من تربية الانسان لِنفسه والإهتمام بإستقامة سلوكه ، والغرض من تنمية الأخلاق ومكارمها وغرائزها في نفوسنا . فالأخلاق هي : " ما يتجه به نحو سلوك الإنسان بالنظر إلى مثلٍ أعلى حتى يمكن وضع قواعد عامة للسلوك والأفعال تُعين على فعل الخير والإبتعاد عن فِعل الشر "(2). وهي مجموع العادات والسلوك الإنساني الذي من خِلاله تَصدر الأفعال والأعمال مع النفس ومع الآخرين ، وتكون مبنية على أساس الدين أو الفِطرة ، فتكون أما حميدة وأما ذميمة ، حسب إفراز العقل ورغبته لطبيعة العمل .وهذه العادات والتعاليم والسلوك انما هي اساسيات تكوين الاخلاق لدى الفرد المسلم ، فهي لبنات البناء الاخلاقي .

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في سورة الإسراء بعضاً من دلائل الأخلاق وأوصى بأخذ الحذر من بعض الأفعال التي تَضّر بها ، قال تعالى (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا)(3) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالإنسان في حياته الدنيوية دائماً يحتاج إلى الإستمرار في التربية النفسية وتطوير حُسن الخُلق لكي يكون على صِلة وثيقة مع نفسه أولاً ، ومن ثم مع مُجتمعه والمُحيطين به . لأن البناء الحضاري الذي تسعى إليه الأُمم المبني على العَقيدة الربانية الصَحيحة يكون مُنطلقه من إحداث التغيير الفعّال في السلوك البشري للفرد ، بحيث يبدأ تغيير المجتمعات من تغيير الانسان للسلوك والأخلاق والعادات من السلبية في العمل إلى الإيجابية في العطاء . ومن الإحباط في التفكير والدافعية إلى التفاؤل والعزيمة والهِمة في العمل والتطبيق . لأن إنشاء المجتمعات السليمة والحضارات المتطورة ، وسِلوك درب المدنية والحداثة في الحياة لابد من إحداث التوازن الإيجابي بين الانسان والمجتمع ، وهذا يعتمد على إحداث التوازن للإنسان مع نفسه أولاً ، وضبط حركتها وتحديد البوصلة نحو

---

(1) سورة الانسان، الآية 11-12 .

(2) مصطفى حلمي، الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ ، 2004م، ص15 .

(3) سورة الإسراء، الآية 36 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإتجاه الصحيح . فهذه هي الإنطلاقة نحو الأخوّة التي مصدرها الإسلام ، وهذه الأخوّة هي المصدر لِبناء المجتمع الفعّال الإيجابي الذي يضمن حَق الحياة الكريمة للانسان ، وحَقه في البناء والتطور والإستمرارية .

وإستمرارية متابعة الإنسان لِسلوكه وتربية نفسه والعمل على تنمية مهارته الإيجابية إنما لتحقيق الخير والصلاح ، وترسيخ مبدأ التعاون على البِر والتقوى ، ونشر روح التكافل الاجتماعي والذي مَنبعه من الدافع الخفي الذي يكمن داخل النفس البشرية ، كذلك يهدف إلى الإبتعاد عن المُنكر والرذيلة ، وهجران البُغض والشر الذي ينتج عن سوء إعداد النفس البشرية وعدم توجيهها نحو الطريق الصحيح .

فالأخلاق هي ميزان الإنسان ، وهي من يُحدد سلوكه وعاداته بين نفسِه وبين المجتمع ، والإسلام غرس بذور الأخلاق لدى الإنسان وأمره بِسَقيها والإعتناء بها لكي تزدهر وتُثمر ، فتكون مُتعة للناظرين ، وفيها لَذة للمُنتهلين ، فتَسمو بها الروح ، ويأنس بها الجَليس ، ويغرُف من عذب مياهها القريب والبعيد ، لِتعكس التربية الإسلامية التي يَتحلى بها أهل الإسلام ، وتعكس المَنهج المتين الذي رَبى فيه النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه وأتباعَه ، وأَخبر أن الأخلاق من صفات الصالحين والأتقياء الأنقياء ، وأنهم يتَحلوّن بها لِيكونوا مُقربين من الله ورَسوله ، قال عليه الصلاة والسلام " إن من أحبكم إلي ، و أقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً ، و إن أبغضكم إلي و أبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون ، والمتشدقون ، والمتفيهقون ، قالوا : قد علمنا - الثرثارون و المتشدقون - فما- المتفيهقون ؟ قال : المتكبرون "(1) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والإسلام يدعو إلى العلم والتعلم والمَعرفة ، والشريعة الإسلامية جاءت من أجل تحقيق مصالح العباد ، فأحلّت للإنسان الطيبات وحَرمت عليه الخبائث ، وأرخصت لهُ سَن القوانين التي تُحقق مصالحه التي لا تتنافى مع إرادة الشارع ، ولا تتضارب مع التكليف الألهي للإنسان في إقامة العدل الذي هو روح هذه القوانين ، وزَين الانسان بجوهرة العَقل الذي من خِلاله يستطيع أن يُحدد سلوكه وطبيعته التي ينطلق من خلالها نحو معرفة إيقاعات الكون الحضارية ، وأن يُحدد أساليب البناء والإنتاج والتنمية ليَتقدم المجتمع المُسلم وفق قوانين وسُنن إلهية ،

قال تعالى (لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر)(2) .

قال سيد قطب في مستعرض هذه الآية : " والعقيدة الاسلامية عقيدة الوضوح والإستقامة والنصاعة . فلا يقوم شئ فيها على الظن او الوهم أو الشُبهه ، وان كلمات هذه الآية القليلة تقيم منهجاً كاملاً للقلب والعقل ، يشمل المنهج العلمي الذي عرفته البشرية حديثاً جداً ، ويضيف إليه إستقامة القلب ومراقبة الله ، ميزة الاسلام على المناهج العقلية الجافة . ومتى إستقام القلب والعقل على هذا المنهج لم يبق مجال للوهم والخرافة في عالم العقيدة ، ولم يبق مجال للظن والشبهه في عالم الحُكم والقضاء

---

(1) الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشئ من فقهها، ج2، ص418، رقم الحديث (791) .

(2) سورة المدثر، الآية 37 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والتعامل ، ولم يبق مجال للأحكام السطحية والفروض الوهمية في عالم البحوث والتجارب والعلوم . والأمانه العلمية التي يشيد بها الناس في العصر الحديث ليست سوى طرف من الأمانه العقلية القلبية التي يعلن القرآن تبعتها الكبرى ، ويجعل الانسان مَسؤولاً عن سمعه وبصره وفؤاده ، أمام واهب السمع والبصر والفؤاد .. إنها أمانه الجوارح والحس والعقل والقلب . أمانه يُسال عنها صاحبها ، وتُسال عنها الجوارح والحواس والعقل والقلب جميعاً ، أمانه يرتعش الوجدان لدِقتها وجسامتها كلما نطق اللسان بكلمة ، وكلما روى الإنسان رواية ، وكلما أصدر حكماً على شخص أو أمر أو حادثة "(1) .

ولا يتحقق حسن الخلق إلا بإمور أود أن أذكر أهمها :

أولاً : العلم . هذا الميزان الذي يَعتمد عليه الانسان في تشخيص السلوك والأفعال بأن يضع كل فِعل في الخانه التي تلائمه وتوافقه ، فلا يمكن وضع الغضب في السلوك الإيجابي ، ولا يمكن وضع الكلام البذئ موضع القول الحَسن ، ولا العكس من ذلك ، فلِكل حَدث خانته التي تلائمه وتوافقه .

فتمييز الانسان لمواضع الأمر بالمعروف يكون بالعلم من حيث أهميتها بالنسبة للفرد ودلائل مشروعيتها وموافقتها للمنهج السليم ، كذلك المنكر ومواطن السوء لا يمكن السلوك في دربها ما دام العلم بيّن لنا ضَررها وعدم صلاحيتها للإنسان بإعتبار أن الشارع الحكيم بيّنها لنا وبيّن نتائجها السلبية علينا . فوضع الأفعال في نصابها الحقيقي الذي تستحقه من دلائل العلم ورجاحة العقل .

ثانياً : الصبر . وهذا الأمر يحمل الانسان على كظم الغيظ والتريث في الحُكم ، وعدّ الطيش والعجلة في إرتكاب الأفعال التي قد تؤدي به الى نتيجة عكسية وسلبية خلاف الحق وخلاف العدل ، وأيضاً الصبر يحمِل الإنسان على كف الأذى والترفق بالآخرين ، قال تعالى (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ)(2) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهو أعظم الإستعانة على كل مطلوب كما دلّت الآية . وأيضاً من دلائل الصبر عدم مقابلة الإساءة بالإساءة ، وعدم إظهار خلاف ما أمر الله به حتى وإن تعرض الإنسان لِسوء من أي إنسان آخر ، لأن جزاء الإحسان هو الإحسان ، وجزاء الإساءة أيضا الإحسان ، وهذا ماعلّمنا إياه نبينا محمد عليه الصلاة والسلام حينما صَبر على أذى قريش ومن معهم من القبائل أول الدعوة ، فبما أنهم قابلوه بالشتائم والضرب بالحجارة والإساءة المُباشرة ، ووصل الأمر بالنفي خارج مكة في شعب أبي طالب ؛ إلا أن النبي صَبر على الأذى ، وجابه الإساءة بالإحسان ، وتَحمل وكَظم غيظه وسَيطر على إنفعالاته ، فكانت النتيجة أن فتح البلاد وهدى الله به العباد ، وبَقيت دعوته قائمة الى يومنا هذا تجوب البلاد شرقاً وغرباً تفتح الآفاق وتُنير الدروب ، وينتَهل الناس من مَنهلِها العذب .

---

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج4، ص2227 .

(2) سورة البقرة، الآية 45 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثاً : العدل . تحمل هذه الخصلة صاحبها على البذل والعطاء في دفع الظلم عن النفس أولاً ، بأن يجعلها تسير في الطريق الصحيح ، وهذا أسمى هدف للعدل ، بأن يحفظ الانسان نَفسه من السوء الذي أراد به الشيطان من خلال إظلال الإنسان عن الطريق المستقيم ، فمِن العدل أن يرشد الإنسان نفسه ويُعلمها ويُربيها . ومن العدل أن يحكم بِما أنزل الله بين العباد ، وأن لا ينزل منزلة الذين يأخذون من الشرع ما ينفعهم ، ويتركون ما يضر مصالحهم ، ويَتَلونون بين الآيات والأحكام حسب الأهواء والإحتياجات ، قال تعالى (أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)(1) . ومن دلائل العدل على النفس البشرية أن يُعطي كل ذي حَق حقه ، ولا يخون الأمانة ، ولا يُفرِق في المعاملة بين الناس إلا بالعدل ، وأن يُحسن الى المُحسن ، وأن لا يظلم أحداً بأي جريرة كانت . فهذه من مروءة المُسلم الخلوق .

رابعاً : العِفة . وهي ما تحمل الإنسان على الإبتعاد عن مواطن السوء ، وإكبار الأعمال الرديئة في نفسه ، وعدم إعطائها أهمية في الحياة ، لأن مَن عفَّ نفسه عن الملذّات والمنكرات كَبُر في عين الله والعباد ، وكانت المهابة له في عين الخلق . والعفة تكون عن رذائل الامور كالكذب والنميمة والغيبة وقول الزور والمنكر ، فمن عف عن الملذّات عوضه الله خيراً منها في الدنيا والآخرة ، قال عليه الصلاة والسلام : " إنك لا تدع شيئاً إبتغاء وجه الله إلا أثابك الله ماهو خير منه "(2) .....

ونقيض هذه الأركان الأربعة لِبناء الأخلاق الحميدة ، فإن هنالك الضّد منها ، وهي أركان الأخلاق الذميمة ، والأخلاق السوء ، وأركانها الجهل والظلم والغضب والشهوة ، ولكل منها أعمالها التي تجلب للإنسان غضب الله والسُمعة السَيئة بين الناس ، وأن يكون صاحبها مذموماً في الدنيا والآخرة ، فلا ينتسب لدين ، ولا تُلزِمه شريعة ، ولا يَحمِل المقبولية مطلقاً .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالدين كله خُلق ، ومن زاد في الخُلق زاد في الدين ، وهذه من صفاة النبوة (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ)(3) . " والأخلاق الإسلامية أصيلة في في نفس صاحبها لا تفارقه في كل الأحوال ، فليست قميصاً يلبسه متى شاء وينزعه متى شاء ، بل هي لازمة لهُ لزوم النور للشمس ، لأنها تعبدية يدور صاحبها مع الحق حيث دار ، ويثبت عليه في كل حال . فلا يتغير خُلقه مع الضعفاء والأقوياء ، ولا مع الفقراء والأغنياء ، ولا يتغير خُلقه في حال رِضاه وغضبه ، ولا في حال فقره وغناه ، ولا في حال خلوته وجلوته ، ولا في حال سَفره وإقامته ، ولا فيما له ولا فيما عليه ، فالمسلم ثابت على أخلاقه التي أمره الله بها . أما أخلاق الكفار فهي متقلبه تدور مع المصالح والأهواء وتدير صاحبها حسب تقلبها "(4) .

---

(1) سورة البقرة، الآية 85 .

(2) أبي عبد الله محمد بن سلامة القضاعي، مُسند الشهاب، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1405هـ ، 1985م، ج2، ص178، رقم الحديث (1137) .

(3) سورة القلم، الآية 4 .

(4) محمد التويجري، فقه القلوب، ج3، ص2612 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والآية الثانية التي ذكرها الله تعالى في سورة الإسراء لأعمال منبوذة لاتمت إلى الأخلاق بِصلة ، حذّرنا الله تعالى منها ، لأن هذا الصفات هي من صفات الله تعالى وحده ، ولا يُحب ان يشاركه فيها أحد ، وهي صفة التكبر ، قال تعالى (وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ، كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا)(1) ، فدلالة من خلا قلبه من الله أن يتكبر ويتبَختر ويجوب الارض طولاً وعرضاً غروراً وعُجباً ، فقد يُعجبه منصبه ، او تُعجبه ثروته وأملاكه وأمواله ، وقد يُعجبه جسمه وقوته ، فيغتر ويتكبر ويتجبر ، ونسي أن الله هو القوي المتين ، والمتكبر والمتجبر ، ولو أن عظمة الله إستمكنت في قلب الإنسان لَما أصابه الغرور ولا الكِبر ، ولأذلّ نفسه لخالِقها ، وَجالَ في الارض بتواضع وإنكسار ، لأن فوق القوي من هو أقوى ، وفوق الغني من هو أغنى . وأورد إبن كثير أحاديث في هذا الجانب فقال : " كما ثبت في الصحيح (بينما رجل يمشي فيمن كان قبلكم وعليه بردان يتبختر فيهما إذ خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة) وكذلك أخبر الله تعالى عن قارون أنه خرج على قومه في زينته ، وأن الله تعالى خَسف به وبداره الأرض ، وفي الحديث (من تواضع لله رفعه الله فهو في نفسه حقير وعند الناس كبير) "(2) .

" والقرآن يجبه المتطاول المختال المرح بعجزه وضعفه وضآلته (إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا) فالإنسان بجسمه ضئيل هزيل ، لا يبلغ شيئاً من الأجسام الضخمة التي خلقها الله ، إنما هو القوي بقوة الله ، عزيز بعزة الله ، كريم بروحه الذي نفخه الله فيه ، ليتصل به ويراقبه ولا ينساه . ذلك التطامن والتواضع الذي يدعو إليه القرآن بتذليل المرح والخيلاء ، أدب مع الله ، وأدب مع الناس . أدب نفسي وأدب اجتماعي ، وما يترك هذا الأدب الى الخيلاء والعجب إلا فارغ صغير القلب صغير الإهتمامات . يكرهه الله لبطره ونسيان نعمته ، ويكرهه الناس لإنتفاشه وتعاليه "(3) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويكفينا أن نتأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان خُلقه القرآن ، وكان ممن يُشهد له حتى من قبل البِعثة على أنه أحسن الناس خُلقاً وأدباً وأسلوباً . ولنا في سيرته العطرة دروساً وعبر ، ننتهل من منهلها ونأخذ منها أطيب الحديث ، وأروع الحكم ، وأشجع المواقف ، قال أنس رضي الله عنه : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خُلقاً . وقال : ما مَسست ديباجاً ولا حريراً ألين من كف رسول الله ، ولا شَمَمت رائحة قط أطيب من رائحة رسول الله ، ولقد خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين ، فما قال لي قط : أُف ، ولا قال لشئ فعلته : لم فعلته ؟ ولا لشئ لم أفعله : ألا فعلت كذا ؟ "(4) . والأحاديث في هذا الجانب كثيرة ، منها ما يَحثُ على حُسن الخلق ، ومنها ما يحثُ على الأدب في التعامل والسلوك ، ومنها ما يُحذر من الكبر والإستعلاء على الناس ، ومنها ما يُحذر من سوء الخُلق ، إلا أن الميزان في ذلك ما يُقرره العقل ويُبنى على العلم ، مستندان

---

(1) سورة الإسراء، الآية 37-38 .

(2) إبن كثير، مختصر تفسير إبن كثير، ج2، ص377 .

(3) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج4، ص2228 .

(4) إبن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي (691-751 هـ)، مدارج السالكين، تحقيق: صالح بن عبد العزيز التويجري ، دار الصميعي للنشر والتوزيع، ط1، 1432هـ ، 2011م، ج3،ص2183 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إلى النص الشرعي والسيرة العطرة في إستنباط الأفعال الحَسنة التي يجب على المسلم أن يقوم بها ليَصل إلى مَنزلة حُسن الخُلق ، والتميز في الأفعال والسلوك الإسلامي المستقيم ، ليكون قد سار على المنهج الآلهي في الغاية من خَلقه ، وإستخلافه في الأرض ، لأن ما يُريده الله منا هو تطبيق هذا المبدأ والسير إلى تحقيقه بالطريقة الصحيحة لِنصل إلى رتبة الخلفاء وليس إلى رتبة المُتَخلفين ، مادام الإنسان الذي قَبِل حمل الأمانه دون السموات والأرض والجبال حيث ثقلت عليهم حملُها ، وتَصدر لها الإنسان وتكفَلَ بِحملِها ، فيجب عليه أن يكون على قَدر المسؤولية التي أنبرى لها ، فلا يَخذل نبيه ، ولا يخرج عن أمر ربه ، فيُفرح بها الشيطان وأتباعه . ولا ننسى أبداً أن ننظر إلى المُسلمون الأوائل كنماذج أخلاقية متطورة تُجسد كل معاني الصدق والطهر والشرف والتجرد ، لذلك سادوا الأُمم وتَسَيدوا على الدنيا وقادوا قافلة البشرية بكل جداره ، فمَشت وراءهم الشعوب والأُمم راضخة ذليلة ، متَعلمة متأسية بصفاة النُدرة التي كانوا يحملونها ، والتي كان مَنهلهم فيها القرآن والسنة ، وما بنى العرب منها قبل أن يأتي الإسلام فيُكملها ويُرتب من جماليتها ويعلوا من شأنها . أما اليوم وهذا الجيل الذي لم يَعر لأسلافه أهمية ، ولم يتخذ من النماذج المُشرقة التي حكمت الدنيا قُدوةً ونموذجاً ، بل نحن اليوم نجري ونلهث وراء الغرب لما وَصلوا إليه من أخلاق وقوانين حَفِظت للإنسان إنسانيته ، وللفرد قيمته ، وذلك لإن وزن الاخلاق عندنا ضعيف ، وإرتباطنا فيها ضعيف أيضاً . فإنشغلنا بالملذات وإتباع الهوى ، ونُصرة النفس ، وإستسهال الحرام ، حتى تسَلَط علينا أراذل القوم ، فتَفرق شملنا ، وصَغُرنا في أعينهم ، وقلّت قيمتنا ، وتناحرنا فيما بيننا ، وساد الظلم وكثُر الخَبث ، ونسينا أن ما نتركه لله من ملذات وشهوات ومعاصي فإن الله سيعوضنا خيراً منها لأنفسنا في الدنيا والآخرة ، وأن مانتركه لله من قرارة أنفسنا أنهُ خطأ ، فأن التعويض الآلهي بالأمر الصحيح فوري وعاجل ، قال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم : " لا يقدر رجل على حرام ثم يدعه ، ليس به إلا مخافة الله عزوجل إلا أبدله الله في عاجل الدنيا قبل الآخرة ماهو خير له من ذلك "(1).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالأخلاق هي روح الدين ، وترجمة نصوصه ، وبيان معانيه ، ولا يمكن فصل الأخلاق عن الدين بتاتاً ، ومهما عَمل الغرب والعلمانيون من أجل ترسيخ فكرة ان الدين ظاهرة ، وليس له علاقة بالحياة العامة ، كالسياسة والإدارة والتعاملات مابين الأفراد سواء المالية أم الإجتماعية ، إلا أن هذا المفهوم بات غير مقبول لدى الناس بمختلف إنتماءاتِهم ، بسبب أن الروحانية الدينية والطقوس التعبدية لمختلف الديانات أثبتت أن الدين دافع لإيجابية السلوك ، وأن الأخلاق نتيجة الدين ومتَفَرع منه ، " وعن فكرة إرتباط الأخلاق بالدين ، فإننا نرى واحداً من أشد خصوم هذه الفكرة ومن أبرز الذين سعوا للفصل بينهما ، نراه يُسّلم بالإرتباط الوثيق بينهما ، يقول دور كايم (أن الأخلاق والدين قد إرتبطا إرتباطاً وثيقاً منذ أمدٍ بعيد ، وظلا طوال قرون عديدة متشابكين ، فلم تصبح العلاقات التي تربطهما علاقات خارجية أو ظاهرة ، ولم يعد من السهل فصلهما بعملية يسيرة كما نتصور) "(2) .

---

(1) أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (510-597هـ)، ذم الهوى، تحقيق: خالد عبد اللطيف السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1418هـ ، 1998م، ص244، رقم الحديث (698) .

(2) مصطفى حلمي، الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام، ص102 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا إعتراف واحد من آلآف الإعترافات أن الدين مَصدر الخير ومَنبع المنافع للإنسان ، وأن كل سلوك الفرد وأفكاره مُستَمدة من الدين ، خصوصاً وأن الدين الإسلامي الشامل الذي لم يدع مجالاً من مجالات الحياة إلا وأعطاه الإهتمام ، وزَوّده بالتفاصيل التي تجعل منه نموذجاً فريداً يسير عليه الناس بلا خوف ولا وَجل . وجانب الأخلاق من أهم هذه الجوانب ، إذ أنه الصِلة وأداة الربط بين جميع جوانب الحياة ، وبين جميع أفراد المجتمع ، بكافة إختلافاتهم ، وأن تعامل الإنسان مع الإنسان يكون من خلال هذا الجانب الحيوي والمُهم . والأهم من ذلك عَلّم الإسلام الإنسان كيفية إستغلال هذا الجانب لِبناء نفسه وتطوير قُدراته ، وأعطاه أساسيات هذا البناء ، وفكَ رموزه وجعلها في متناول يده ، ليَبنى ذلك النموذج البشري الفريد الذي ينتمي لأعظم إله ، وأعظم دين ، ويَتّبع أعظم رسول ، فالحمد لله ربِ العالمين ....

المطلب الثالث : الدُعاء على النفس

الدعاء سلاح المؤمن وهو مُخ العبادة ، وجزء من الدين ، وقد ذكره الله سبحانه وتعالى في سورة الاسراء فقال (وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا)(1) . وهو في اللغة : " والدعاء الى الشئ الحث على قصده ، قال تعالى (وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ)"(2) . وهو " الطلب "(3) . وهو " النداء والإستدعاء ، تقول : دعوت فلاناً أي ناديته وصِحت به "(4) . والدعاء في الإصطلاح : " طلب الأدنى للفِعل من الأعلى على جهة الخضوع والإستكانة "(5) . وهو " سؤال العبد ربه على وجه الإبتهال ، وقد يطلق على التقديس ، والتحميد ونحوهما "(6) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إذاً فالدعاء بالصيغة اللغوية عبارة عن طلب ، لكن ممن هذا الطلب ؟ بالتأكيد يكون من شخص محتاج إلى من بيده تلبية الطلب ، وإغاثة الطالب ، وأفضل الطلب ما صدر من العبد نحو خالقه ، لأن كل الطلبات قابلة للرد إلا الطلب من الله فهو لا يُرد . والدعاء هو اللجوء إلى الله في السراء والضراء والخضوع له والطلب منه في كل الأُمور سواء الدنيوية أو الأخروية يحتاجها الإنسان من الله ، وذلك لقرب الله عز وجل من العبد أكثر من أي شئ ، بل وحتى أقرب إلينا من أنفسنا ، قال تعالى (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)(7) .

---

(1) سورة الإسراء، الآية 11 .

(2) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص170 .

(3) الجرجاني، معجم التعريفات، ص91 .

(4) أحمد بن فهد الحلي (841هـ)، عدة الداعي ونجاح الساعي، صححه وعلق عليه: احمد الموحدي القمي، دار الكتب الاسلامية ، ط1، 1407هـ ، 1987م، ص12 .

(5) المصدر السابق، ص12 .

(6) سعدي أبو حبيب، القاموس الفقهي- لغةً وإصطلاحاً، دار الفكر، دمشق، ط2، 1408هـ 1988م، ص131 .

(7) سورة البقرة، الآية 186 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهو أداة فعّالة بيد الانسان لتحقيق غايتين :

الأولى : أن يكون أما لطلب حاجته ومراده من الله تعالى مباشرة دون واسطة ، لأن الله سبحانه وتعالى أقرب للإنسان من نفسه ، قال تعالى (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ)(1) . وأما أن تكون وسيلة لدفع البلاء والشقاء والأمراض عن هذا الإنسان ، بالتالي فهو طلب حاجة من الله . وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا آتاه الله إياها ، أو صرف عنه من السوء مثلها ، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم "(2) .

الثانية : هي حبل وصل بين الانسان ورَبه ، يُناجيه ، ويُحاكيه ، ويَخلو به ، ويَستأنس بأنواره ، فلا مصلحة له بذلك إلا إبتغاء وجه ربه ورضوانه ، لأنه إذا إختلى الحبيب بحبيبه أبدع في الكلام ، وإرتقى بذكره وسيرته ، قال تعالى (تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ)(3) . وقال (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)(4) . فهذه هي أحوال المؤمنين الذين تعلقت قلوبهم بالله ، وتلذذوا بمناجاته ومخاطبته بلسان الحُب والشوق .

هذا فضل الدعاء ومَنزلته ، وماذكرتُه لا يعدل قطرة في بحر من فضائِله وأهميته ، والأحاديث النبوية التي توصي به وتتحدث عنه وعن مكانته في الاسلام كثيرة وشَيقه ، إلا أن المقصد الرئيسي من هذا المطلب هو ماذكره الله تعالى في سورة الإسراء عن نَهيه بدُعاء الانسان على نفسه ، لما لذلك من ظُلم له - أي الانسان - . قال تعالى (وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا)(5) . فبما أن الدعاء يجلب الرحمة والخير والغفران ، وأن الانسان يلجأ إليه في ضَنك الحال ، أو في طلب الغفران ، ويرجو جلبّ الخير والنفع منه ، فلا يمكن أن يُستخدم في الشر ، او طلب إنزال السوء ، سواء في على النفس ام على الغير .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهاهو النبي صلى الله عليه وسلم حينما إضطهدوه في الطائف ، وآذوه ، وأسالوا الدم من قَدمِه الشريفة ، وطردوه ، إلا أنه لم يدعو عليهم بالسوء أو الشر ، مع أن المَلَك واقف بين يديه صلى الله عليه وسلم يطلب الإذن بأن يَطّبق عليهم الأخشبين عقوبةً لهم على ما فعلوه به ، إلا أن النبي عليه الصلاة والسلام دعى الله أن يُخرج من أصلابهم من يعبد الله ، ودعى بدعائه الشهير " اللهمّ إليك أشكو ضعف قوّتي وقلّة حيلتي وهواني على النّاس ، يا أرحم الرّاحمين ، أنت ربّ المستضعفين ، وأنت ربّي ، إلى من تكلني ؟ إلى بعيدٍ يتجهّمني ؟ أم إلى عدوٍّ ملّكته أمري ؟ إن لم يكن بك عليّ

---

(1) سورة ق، الآية 16 .

(2) أبي العلى محمد عبدالرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (1283هـ - 1323هـ)، تحفة الاحوذي بشرح جامع الترمذي، أشرف عليه وصححه: عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر للنشر والتوزيع، باب ماجاء ان دعوة المسلم مستجابة، ج9، ص323، رقم الحديث (3441) .

(3) سورة السجدة، الآية 16 .

(4) سورة آل عمران، الآية 191 .

(5) سورة الإسراء، الآية 11 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

غضب فلا أبالي ولكن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الّذي أشرقت له الظّلمات ، وصَلُح عليه أمر الدّنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو يحل عليّ سخطك ، لك العتبى حتّى ترضى ، ولا حول ولا قوّة إلّا بك "(1) . هذا حال النبي عليه الصلاة والسلام مع من ناصبه العداء وكادَ له وآذاه ؛ فكيف بالدعاء على النفس ؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تدعوا على أنفسكم ، ولا تدعوا على أولادكم (ولا تدعوا على خدمكم) ولا تدعوا على أموالكم ، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم "(2) .

وقال الإمام الرازي في مستعرض هذه الآية : " المُراد أنه في وقت الضَجر يلعن نفسه وأهله وولده وماله ، ولو أستُجيب له في الشر كما يُستجاب له في الخير لهَلك . وروى أن النبي عليه الصلاة والسلام دفع الى سودة بنت زمعة أسيراً ، فأقبل يئن بالليل فقالت له : مالك تئن ؟ فشكى ألم القدّ فأرخت له من كتافه ، فلما نامت أخرج يده وهرب ، فلما أصبح النبي صلى الله عليه وسلم دعا به فأُعلم بشأنه ، فقال عليه الصلاة والسلام : اللهم إقطع يدها ، فرفعت سودة يدها تتوقع أن يقطع الله يدها ، فقال النبي عليه الصلاة والسلام : إني سالت الله أن يجعل دُعائي على من لا يستحق عذاباً من أهلي رحمة لأني بشر أغضب كما تغضبون ، فلترّد سودة يدها "(3) .

وهذه من رحمة الله تعالى أن الدعاء بالسوء على النفس أو الأهل لا يُستجاب مباشرة ، لأن الله أرحم بِعباده من أنفسهم ، ويعلم أن الغضب يُفقد الانسان عقله فيقول كلاماً ثم يندم عليه ، ولو أن الله تعالى إستجاب لِدعاء الانسان على نفسه أو ولده مباشرةً لهلك ومن ثم لا ينفع الندم ، ولكن الرب الرحيم يعرف غرائز الانسان فيُجاريه عليها .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالله سبحانه وتعالى حينما حثّ الانسان على الدعاء ذلك لأن الله سبحانه يُريد به الخير فيُلهمه طلب الخير ، ولما قال تعالى (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ)(4) ، إنما ليَلتَمس الدعاء من ذلك العبد بما ينفَعه ، وبما له من خير الدنيا والآخرة ، لا أن يطلب الهلاك والعقوبة والسوء . وليعلم الإنسان أهمية ما أعطاه الله من باب في السماء مفتوح لِبني الانسان يطلبه متى شاء وفي أي وقت ومكان وزمان ، وفي أي حال ، لأن الدعاء يجد ظالته في السماء مباشرة عند الرب الجليل ، بلا واسطة ولا دليل ولا حِجاب لأنه (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ)(5) ، لذلك يستجيب الله الدعاء ، ويسمع النجوى ، ويعلم ما في الصدور ، والنبي عليه الصلاة والسلام بَيّن ذلك ، وأخبر أن من الدعاء ما يقع موقعه من الله مباشرة دون وساطات أو حُجُب أو مؤثرات ، فقال عليه الصلاة والسلام : " اتَّقِ دَعْوَةَ

---

(1) أنظر: محمد الغزالي، فقه السيرة، مراجعة وتخريج الاحاديث: محمد ناصر الدين الالباني، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط6، 1965، ص131 .

(2) عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (581-656هـ)، الترغيب والترهيب، حكّم على أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الالباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1424هـ باب الدعاء، كتاب الترهيب من دعاء الانسان على نفسه وولده وخادمه وماله، ج2، ص677 .

(3) الرازي، التفسير الكبير- مفاتيح الغيب، ج20، ص163 .

(4) سورة غافر، الآية 41 .

(5) سورة ق، الآية 16 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الْمَظْلُومِ فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ "(1) .

لكن الغريب في عالمنا العربي والاسلامي نجد أن كثيراً من الناس قد تَعوّدَت ألسنتهم على السب والشتم والدعاء بالسوء على كل من حولهم ، وبِمُختلف الألفاظ والمصطلحات ، بأن يُهلكهم الله وأن يلعنهم ويأخذهم أَخذ عزيزٍ مقتدر ، وأن يدعون عليهم بالمرض والخبائث ، ونَسّوا أن المسلم ليس بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذئ ، وأن له محكمة وقاضٍ عادل يلجأ إليهم في حال أصابَته نائبة أو ظيم أو عُسر أو ظلم ، ونَسي بأن يُوكل الله بكل أموره ، ونَسي (حسبي الله) . فماذا يقول الإنسان لو فعلاً تقبل الله منه دُعاءه ؟ وهو قد دَعى من قَبل على نفسه بالمرض فمرِض ! وماذا تكسب الأُم من دعاءها على إبنها لو تقبل الله منها دُعاءَها ؟ وهي قد دعَت عليه بالهلاك فَهَلَك ! وماذا يكسب الفرد حال دُعاءه على ماله بالزوال فَزال ؟ سوف تكون حسرة وندامة ، ويكون وبالاً عليه مدى الحياة ، لأنه يرى نتيجة دعاءه مُلازمة له ، وهي من كسب يده ، ولا شأن للأقدار أو الآخرين في ذلك.

فالسبب في هذا الدعاء واحد ، وهو الغضب ، والشيطان يدخُل من هذا الباب على الانسان فيُسهل له الطريق ، ويفتح له قريحته بما تسُوءه ، قال تعالى (وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)(2) ، وهذا علاج حاله اليأس والغضب الذي يعتري الانسان ، وقبل أن يدعو على نفسه أو على أي أحد أن يتذكر أن الشيطان يفرح بذلك ، وهو الذي سَهلَ له وأغراه بالكلام ، فليَستَعذ بالله وليَترَيث ولا يَقلّ كلاماً يندم عليه طيله حياته ، وهذه أيضاً وصية النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه قال : " أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم : أوصني . قال : لا تغضب . فردده مراراً ، قال : لا تغضب "(3) . فلدينا سبب وحافز للدُعاء على النفس ، فالسبب هو الغَضب ، والحافز هو الشيطان ، والقرآن والسنة أعطتّنا الحل لهذا الأمر ، وأعطتّنا التنبيه لنتيجة هذين الأمرين ، وعلمَتنا كيف نتصرف ، فهل يأخذ الانسان العبرة منهُما وينتهي لما نهانا الله ورسوله عنه ؟

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والعَجلة أيضاً تتَسبب للانسان بالدعاء على النفس ، والعجلة مصدرها الغضب ، فحينما يتعرض الإنسان إلى موقف يسُوءه ، أو الإساءة من أحد ، فإنه يغضب من ذلك الموقف ، مما يؤدي إلى النُطق بالألفاظ المَنهي عنها على عُجالة ، دون أن يَتفكر في عواقبها ، ونتيجتها ومردودها عليه ، وهذا مِصداق قوله تعالى (وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا)(4) ، فالعجلة طريقة شيطانية وأُسلوب من أساليب النزغ التي تُمارَس على الانسان من قِبَل الشيطان وأتباعه ، لكن الله لها بالمرصاد ، فلا يؤاخذه بالدعاء في حالات الغضب والتَعجل فيه ، ولا يستَجيب له ، قال الطبري : " ويدعو الإنسان على نفسه وولده وماله بالشر ، فيقول: اللهم أهلكه وإلعنه عند ضَجره وغضبه ، كدعائه بالخير ، يقول :

---

(1) صحيح مسلم، كتاب الايمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الاسلام، ج1، ص50، رقم الحديث (19) .

(2) سورة الأعراف، الآية 200 .

(3) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، ص1529، رقم الحديث (6116) .

(4) سورة الإسراء، الآية 11 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كدعائه ربه بأن يهب له الخير والعافية ، ويرزقه السلامة في نفسه وماله وولده ، يقول : فلو استُجيب له في دعائه على نفسه وماله وولده بالشر كما يُستجاب له في الخير هلك ، ولكن الله بفضله لا يستجيب لذلك "(1) .

والله سبحانه وتعالى دائماً يذكر آيات الدعاء والغاية منها ؛ فطلب الرحمة والمغفرة ، وسؤال الله تعالى الجنة ونعيمها ، والإستعاذة من النار وجحيمها ، وسؤاله تعالى الصحة والعافية والخير ، هي ما يُرجى من الدعاء ، قال عزوجل في سورة الإسراء (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا)(2) . هذا نموذج من نماذج الدعاء لله تعالى ، وهذا الكلام المنطقي الذي يجب أن يَخرج من إنسان عاقل ، يطلب فيه الهداية والرحمة وحسن العاقبة .

وكفارة الدعاء على النفس بالسوء هي التوبة إلى الله من ذلك ، وكثرة الدعاء لها بالخير كما أمرنا ربنا ، فإن الدعاء يدفع البلاء بإذن الله ، وهذا المغزى الحقيقي من وجود الدعاء في حياتنا .

فكل هذا الدعاء على النفس إنما يأتي من إحباط ويأس ، وهذا لا يمكن أن يخرج من إنسان مؤمن ، لأن الإسلام أمرنا بالتفاؤل والأمل ، وأعطانا الدوافع لذلك ، وعلّمنا طرق السعادة والنجاح ، سواء في الدنيا أم الآخرة ، وأرشدنا إلى العلاج النفسي الروحاني ، سواء من خلال القرآن أو من خلال السيرة العَطِرة التي تُعطي للنفس البشرية طاقة إيجابية ، لِنُبدع ونرتَقي في حياتنا ، ونأخذ منها الدروس والعِبر في إجتياز مِحن الحياة وإبتلاءاتِها ، وان نَضع بصمتنا الأبدية في المجتمع رغم مرارة الضروف وسوء الأحداث ، كما فعل النبي عليه الصلاة والسلام حينما دَخل المدينة المنورة مهاجراً ، فلم يكن يملك من الدنيا شئ إلا بعيره ، ولكن البعير شئ مادي ملموس ، فكان يملك أعظم شئ روحاني عَقدي سماوي ، كان يَملك رساله وهدف ، ويملك رجالاً صدقوا ماعاهدوا الله عليه ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فأسس الدولة ، وأعلى البُنيان ، وغرس الأمل في نفوس أصحابه ، وأنشأوا الحضارة الاسلامية التي حَكمت البلاد ، وَرَقّ لها العباد ، وشيدوا منارات الهدى والعلم ، وبزغ فجر الاسلام في أحنك الضروف وأصعب الأوقات . ومن بعده صلى الله عليه وسلم كان أصحابه كل واحد منهم جبلاً شامخاً في وجه الصِعاب ، فثَبتّوا الدين ، وأوسعوا رقعته ، وأعلوا شوكته ، وهم في وسط صحراء جرداء يصعُب العيش فيها ، ولا يملكون أبسط أنواع الرفاهيه والحياة الرغيدة ، فطعامهم التمر واللبن ، وكِسوتهم من أخشن الثياب ، وفُرشهم من جريد النخل والخَصف ، ولكن قلوبهم أغلى من الياقوت ، و أروع من المرجان ، لأنها حيكت من سور القرآن ، وإنتَهلت من منهل خير الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام .

---

(1) تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق وضبط وتعليق: بشار عواد معروف و عصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة، ط1، 1415هـ 1994م، ج5، ص14 .

(2) سورة الإسراء، الآية 57 .

www.manaraa.com

المبحث الثالث : علاقة الإنسان مع غيره

تمهيد :

الله سبحانه وتعالى خَلَق هذه الحياة من عدة أركان ، وجَعل العيش فيها تكاملي تشاركي ، فلا يمكن لأي صنف من الأحياء على هذه الإرض أن يعيش بمفرده وبمنأى عن الجميع ، ولا يُمكن للدواب(1) ان تعيش كلٌ بمعزل عن الآخرين . وجاءت المِهن والحِرف لِتثبت هذا المفهوم ، فلا غِنى لأي إنسان عن أي إنسان ، لأن الفرد ليس كاملاً ولا عارفاً بكل شئ ، ولا يُمكنه أن يَعيش بمفرده دون الإحتياج إلى شخصٍ آخر . هذا إذا تحدثّنا عن المصالح والفائدة المشتركة في الحياة جراء التنوع والإختلافات البشرية . لكن هنالك جانب إجتماعي تكافلي آخر يعتمد على أركان مُهمة بالنسبة للإنسان مثل الأبوين والأولاد والزوجة والإخوة والأخوات ، وغيرهم من الأقرباء والأصدقاء . فلِكلٍ من هؤلاء فوائد إجتماعية عديدة ، ولكلِ ركن منهم أهميته بالنسبة للفرد تختلف عن الآخرين ، فأهمية الوالدين في حياتنا تختلف عن الإخوة ، وأهمية الزوجة تختلف عن أهمية الأولاد ، وهكذا أهمية الأقرباء تختلف عن أهمية الأصدقاء . بل أن لكل فقرة من الفقرات المتساوية له أهمية تختلف عن قرينتها ، مثلاً أهمية الأب في حياتنا تختلف عن أهمية الأُم ، وكلاهما والدان . وأهمية الأبناء الذكور في حياتنا تختلف عن أهمية الأبناء الإناث ، وكلاهما أبناء . قال عليه الصلاة والسلام : " ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا إشتكى منه عضواً تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى "(2) . فالله سبحانه وتعالى بتقديره الذي فاق مستويات عقولنا جَعل هذه الحياة تكامُلية في البناء ، تشاركية في المَعيشة ، وأن أحلى ما فيها هذا التنوع الغريب في خَلق الأشياء ، مثل خَلق الانسان الذي يحتوي على الطويل والقصير ، والأبيض والأسود ، والجميل وما هو دون ذلك .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والطريق إلى الله سبحانه وتعالى يَعتمد أيضاً على علاقة الإنسان بمن حوله سلوكاً ومنهجاً ، لأن الدين الإسلامي شَرَّع للمحيطين بنا طُرق معينة للتعامل وخَصَص لها شرائع وأحكام ، وأن الله سبحانه وتعالى لم يجعل الوصول إليه فردياً إجتهادياً ، بل تشارُكياً مُمنهَجاً . قال تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)(3) . وجَعَل الله سبحانه وتعالى التعامل مع الآخرين مقياساً للرضى والغَضب ، وطريقاً للجنة أو النار . وذَكَر في القرآن الكريم الكثير من أحكام المُعاملات ، والسُنة النبوية أيضاً فَصّلت في التعاملات الإجتماعية وسلوك الفرد مع الآخرين الكثير من الأحكام ، والعديد من التشريعات لِتُنظّم حياة الإنسان ، وجَعّل الطريق الذي يقصده واضح جلي ، ولا ينقصه في ذلك إلا الأختيار وتحديد القرار ، وهذا من إختصاص ونتائج العقل . ومن المثال على هذه الأحكام والنُظم أن القرآن الكريم بَيّن أحكام الميراث والزواج والطلاق وأحكام الغيبة والنميمة والشراكة والتعاملات النقدية

---

(1) الدواب: هي كلمة تشير الى كك ما دب - أي مشى وتحرك - على وجه الأرض ، وهي من الدبيب أي المشي .

(2) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، ص1508، رقم الحديث (6011) .

(3) سورة الحجرات، الآية 13 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والبيوع وغيرها كثير ، وفَصّل فيها الأحكام وأوضحها للإنسان . والسُنة النبوية أيضاً بَيّنت هذا الأمر وأسمَت باباً من أبوابها المُهمة بِفقه المُعاملات ، فُصِّلت فيه كُل أحكام تعامُلات الانسان مع غيره ، سواءً المالية أو الأخلاقية أو السلوكية .

وهذه العلاقات يجب أن تكون بِلا إفراط ولا تَفريط ، والوسط من الحلول هو أنجَح طريقة للتعامل مع الآخرين ، لأن في مُجتمعاتنا اليوم نرى الخِلافات العائلية والأُسرية والإجتماعية قد تَفشّت وإنتَشَرت ، فتَسبَبت بقطيعة الرحم والعِداء والمُشاحنة ، بل وصل الأمر إلى الإقتِتال فيما بين الأقرباء والأصدقاء على أُمور الدُنيا الزائلة . (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا)(1) . بل توازُن الأمور وتحكيم العقل في التعامل ، وإعطاء كل شخص مَنزلته الحقيقية التي أمر بها ربنا أو لكونها واقع حال عرفاً .

ومن أهم مصادر بناء المجتمعات والثقافات والحضارات ، فالعلاقات الإجتماعية ، والتعاملات التشاركية أرسَتّ قواعد المجتمع وأَخذته نحو التطور والحداثة ، فالإنسان بِمفرده لا يستطيع أن يبني ويرسم ويُخطط ، لأن أي عمل يجب أن يخدم الآخرين ، فلا فائدة من عمل لا يستفيد منه أحد ، ولا فائدة من جهد لا يُنتَفَع منه ، فنرى العالم اليوم عبارة عن أخذ وعطاء ، يأخذ الإنسان من الآخرين نِتاج عملهم ومحصول تَعبِهم وأفكارهم ، ويُعطيهم ما يستطيع توفيره من مجهود فكري وبدني وخَدَمي ، وبهذه الطريقة التكاملية تستمر عجلة الحياة بالدوران ، ويستمر مؤشِر الرفاهية والحداثة والنمو المجتمعي بالصعود والإرتقاء ، لأن عِلاقة الفرد مع الآخرين تُوصِله إلى هذه النتائج ، والتي لا يمكن أن يَصل إلى أي شئ منها بمفرده أو كان بِمَعزل عن الآخرين،وهذه سُنة الله في الأرض وفي الإنسان .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فمن خلال سورة الإسراء ذَكر الله سبحانه وتعالى نموذج من هذه العلاقات الإجتماعية الضرورية والواجب على الإنسان أن يقوم بِها في حياتِه ، وأن يَبنيها ويُطورها ويُحسن من التعايش معها ، وبَيّن لنا أهميتها بالنسبة للفرد والمجتمع ، سأقوم بِذكرها على ثلاث مطالب ، مع إستعراض بيانها وأحكامها من الجانب العقدي وتأثيرها في البناء الحضاري ....

---

(1) سورة البقرة، الآية 143 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول - علاقة الفرد مع والديه

لِكل عَمل أساس ولكلِ شئ نُقطة بداية ، ولابد من بداية لِكلِ فِعل ، ونقطة إنطلاق وإرتكاز يدور في مِحورها بقية الأفعال ، فمثلاً الصلاة هي عماد الدين ونُقطة إرتكازه ، كذلك العلاقات الإجتماعية وأخلاق الإنسان لها نُقطة إرتكاز تعتمد عليها بقية العلاقات ، وإن هذه البداية أو نقطة الإرتكاز لدى الفرد هي علاقته بوالِديه ، قال تعالى (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا)(1) . هذه العلاقة التي تُعتبر دَيّن في رقبة بَني البشر يُسلمها جيلاً لِجيل ، ومن جدود الجدود إلينا ومن ثم إلى أحفاد الأحفاد ، فهي سِلسلة متصلة ببعضها لا تنقطع ، لأن فيها أخذ وعطاء ، وفيها تغذية راجعة ، مثلما تَربينا من قِبل آباءَنا فإننا نُربي أبناءَنا ، ومِثلما عامَلنا آباءَنا فإن أبناءَنا سَيُعاملونَنا بنَفس المكيال ، هذه سُنة الله في الناس ، وهذه أيضاً من صَميم عدلِه ألآني في الأرض على بَني البشر ، فالجملة الأكثر عدلاً في الارض (كما تَدين تُدان) نراها فعلاً وحاضرة في علاقة الأبناء بالآباء على مر الزمان ، فالشواهد على ذلك أكبر من أن تُحصى . ومن صميم عقيدة الإنسان أنه عندما يَقرأ كلام الله ، ويَتمعن في آياته ، يَستخلص منها أساسيات الدين ، فعبارات المقارنة أكثر ماتكون أهمية من غيرها خصوصاً إذا ما قُورِنت قيمة إنسان بِقربها من خالِقها ، ولا يمكن أن نقول مُقارنتها بالله لأن ذلك من جوانب الشرك وإنزال الله سبحانه وتعالى مَنزلة البشر حاشاه من ذلك . ولكن نُقارن شخص بأهميته وقُربه من الله عزوجل ، ومن باب أن الله سبحانه وتعالى ما ذَكر هذه المقارنة إلا لأهمية هذا الشخص المُقارَن . فمثلاً قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)(2) . قَرنَ الله سبحانه وتعالى طاعة النبي محمد صلى الله عليه وسلم بطاعته جلّ وَعلا ، كما ورَضي بتحكيم النبي بين المسلمين ورَدّ قضاياهم ومسائلهم إليه بعد الرجوع إلى حُكم الله ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالتالي فإن من الواجب على المسلمين أن يرضّوا بِحُكم النبي عليه الصلاة والسلام ، وأوامره صلى الله عليه وسلم حقّ علينا . كذلك لما ذكر أهمية الوالدين وأعقبها بعد ذكر توحيد الإلوهية في آية من آيات القرآن ، فلابد أن تكون لنا وقفة تأمل في ذلك وطرّح العديد من الأسئلة ؛ لماذا الوالدان بالتحديد ؟ ولماذا قَرنَ طاعتهم بطاعته؟ وما ذلك إلا لأهمية هذان الشخصان في حياتِنا ، وأننا سنكون مكانهم في يوم من الأيام ، ومِثلما كنا أبناء سَنكون آباء ولدينا أبناء ، فهُما سَبب الإيجاد ، وهما من يُعطي من النشأة الأُولى للفرد أساسيات دينه ويضعه على الطريق السليم ، في الوقت الذي يكون الإنسان فيه طفلاً صغيراً لا يَعي ما يَعمل ولا يَعرف ما يَصنع ، فإن هذان الشخصان هما من يقودانِه ويعملان على تربيته وتأديبه وملئ عقله بالتعاليم الصحيحة التي أمر بها ربنا ، بالتالي يكون الدَيّن دَيِنّان ، الدَيّن الأول هو التربية والتعليم والإيجاد من العدم بأمر الله ، والدَيّن الثاني هو إرشاد الأبناء إلى دين الله الحق ووضعهم على طريق المنهج الآلهي المُستقيم ، فعن أبي هريرة رضي

---

(1) سورة الإسراء، الآية 23 .

(2) سورة النساء، الآية 59 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما من مولود إلا يولد على الفطرة . فأبواه يُهودانه ويُنصرانه ويُمجسانه "(1) . فبميلاد الإنسان تتجلى عظمة عمل الأبويّن في تحديد مصير الطفل في سلوك المنهج الذي سَيسير عليه ، وهذه من حق الأبناء على الآباء ، ولكن بالمقابل مطلوب من الأبناء سَداد هذا الديّن . لأن التأثير يحصل من الآباء ولا يُمكن ان يَحصل التأثير من الأبناء على الآباء مُطلقا خصوصاً في فترة الصِغر والنشوء . وخير دليل على عدم تأثير الأبناء على الآباء ما حصل لخليل الرحمن إبراهيم عليه الصلاة والسلام مع أبيه عندما عَرض عليه الإسلام وطلب منه أن يتَّبعه في عبادة الله تعالى ؛ لكن ماذا كان رد الأب على إبراهيم عليه الصلاة والسلام ؟ مشهد يُصوره القرآن الكريم لنا لكي يكون دستور لِبَني البشر يمشون عليه ، والأجمل من ذلك ما كان موقف إبراهيم عليه الصلاة والسلام عندما رَفض أبيه أن يُسلِم . قال تعالى (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ، إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ، يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ، يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ، يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ، قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ، قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا)(2) . حِوار جميل يُبرز لنا الطرق السليمة في عرض البضاعة على من هم الأقرب إلينا وخصوصاً الآباء ، وكيفية أدب الحوار معهم ، وعدم اليأس من هدايتهم ، وعدم التعصب من عصيانهم ورفضهم للإسلام ، بالتالي الرد الجميل من إبراهيم عليه الصلاة والسلام لأبية آخر المطاف . هذه الأخلاق والآداب النبوية التي يجب على الجيل أن يتعلمها في أدب الحوار مع الآخرين ومن هم الأقرب إلينا في المَنزِلة والنَسَب .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حتى في إعراضِهما عن الله وطلبهما إتباعهما في الشرك وترك الإسلام ، فالواجب عدم نَهرِهما وتركهما ، بل مُصاحبتهما بالمعروف والقيام بواجباتهما رغم إختلاف الدين ، قال تعالى (وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)(3) . حتى في إقسى الضروف وفي أصعب الحالات لم يسمح الله سبحانه وتعالى بِمخاصمتهم وأذيتهم ، او هجرانهم وتركهم ، لِمنزلة الأبويّن الكبيرة عند الله تعالى وعند رسوله، وهذه هي مكانتهم في الإسلام، مكانة التكريم والإمتنان والعرفان.

وإذا لم يصبر الإنسان على أذى الوالديّن ؛ فكيف سَيصبر على أذى المُجتمع ؟ وإذا لم يكن هيناً لَيناً في دعوتهم وكسبهم ؛ فكيف سَيكون سَبباً في هداية المجتمع وتغييره نحو الإيجابية ؟ فأدب التعامل مع الآخرين يكون مُنطَلقه من أدب التعامل مع الوالديّن .

---

(1) صحيح مسلم، باب القدر، كتاب معنى كل مولود يولد على الفطرة، ج4، ص2047، رقم الحديث (2658) .

(2) سورة مريم، الآية 41-47 .

(3) سورة لقمان، الآية 15 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول سيد قطب رحمه الله : " بهذه العبارات الندية والصور الموحية ، يستجيش القرآن الكريم وجدان البِر والرحمة في قلوب الأبناء ، ذلك أن الحياة وهي مندفعة في طريقها بالإحياء ، توجه إهتمامهم القوي إلى الأمام . إلى الذُّرية ، إلى الناشئة الجديدة ، إلى الجيل المُقبل ، وقلما توجه إهتمامها إلى الوراء ، إلى الابوة ، إلى الحياة المولّية ، إلى الجيل الذاهب ، ومن ثم تحتاج البنوة الى إستجاشة وجدانها بقوة لتنعطف إلى الخلف ، وتتلفت إلى الآباء والأُمهات "(1) ، فالوالدان بالفطرة يبذلان كل الجهد في رعاية الطفل منذ اللّحظة الأولى لِعلمِهم بخَلقِه ، ومن ثم عنايته والإهتمام به بعد ولادته ، فقُوَتَهما وصِحتهما وكل ما يملكون إنما مُسخّرة لهذا الطفل منذ دبيب الروح فيه وهو في بطن أُمه إلى أن يكبر شيئاً فَشيئاً ويشتد عُوده ، وهما سعيدان بذلك رغم قساوة الحياة ومرارتها على الكثير من الناس بسبب تفاوت الحالة المادية لهذه العوائل ، إلا أن الوالدان يعملان المستحيل في سبيل راحة أبناءِهما . بالمقابل ماذا يفعل الأبناء تِجاه هذه التضحيات وهذا الصبر والتحمل والمشقة ؟ كثير من الأبناء نرى الجحود ونُكران الفضل يُلازمهم ، وعُميت أبصارهم عن مُعطيات الوالدين تجاههما منذ الصِغر ، فلا يردعهم دين ولا أخلاق ولا مروءة . فيكون جُلّ إهتمامهم بالزوجات والأبناء والتجارة والعمل ، وليس للأبويّن نصيب لهما فيهم . لكن الاسلام حَفِظ للوالدين حقهما في الحياة وحقهم في أبناءهم ، فَقَرَن طاعتهما ومحبتهما وطلب الرضا منهما بما يُحبه الله سبحانه وتعالى ، وجعل الوالديّن في آية واحدة مع الأمر بعبادة الله وطاعته ، قال تعالى (وَاعْبُدُوا اللّهَ وَ لا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً)(2) . بالمقابل قَرَن عصيانهم بمعصيته سبحانه وبدرجة الإشراك به ، قال تعالى (قُلْ تَعالَوْا أَتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً)(3) . فهل هنالك دين أو إلآه أعطى هذه الأهمية أو أوصى بهكذا عناية للأبويّن غير الله سبحانه وتعالى ودين الإسلام ؟ الذي أعطى كل معاني الرأفة والرحمة لهذان الشخصان عند كِبرهما وضَعفهما وإلتجاءِهما لأبناءِهما ، فأوصى الأبناء بِعَدم الضَجر منهم وعدم التذمر من خدمتهم ورعايتهم ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بل أوصاهم حتى بأطيب العبارات أن تُقال لهم ، ومَنع عنهم أقل كلمة وهي (أُفّ) أن تُقال بوجهِهم ، وليستذكر الإنسان سنين التعب والسهر والمشقّة في تربيته عندما كان صغيراً ، أفلا يَرُدّ الدَيّن بعد أن كبُر هو وضَعفوا هم ، وبعد أن قوي عُوده وشاخوّا هم ، " فعن سليمان بن بريدة عن أبيه ان رجلاً كان في الطواف حاملاً أُمه يطوف بها ، فسال النبي صلى الله عليه وسلم : هل أديتُ حقها ؟ قال : لا ، ولا بركزة واحدة "(4) . كذلك حديث الغار المشهور عندما إنفرجت الصخرة التي كانت على باب الغار فَور ذكر الرجل إحسانه لأبوية في حديث الصخرة المشهور(5) . فمعنى البِر للأبويّن هو الإعتناء بِهما ، والإئتِمار بأمرهما ، والقيام على خدمتهما وقضاء حوائجهما ، ومساعدتهما في أُمور الدنيا والآخرة وتسهيل وتذليل العقبات التي في طريقهما ، والإنفاق عليهما

---

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج4، ص2221 .

(2) سورة النساء، الآية 36 .

(3) سورة الانعام، الآية 151 .

(4) نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (735هـ - 807هـ)، كشف الأستار عن زوائد البزار، تحقيق: حبيب الرحمن الاعظمي ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1399هـ ، 1979م، كتاب البر والصلة، باب بر الوالدين، ج2، ص371، رقم الحديث (1872) .

(5) أنظر: المصدر السابق، كتاب البِر والصلة، باب بر الوالدين، ج2، ص366، رقم الحديث (1866) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقضاء دَيّنهما ، فهذا جزء من الوفاء لهما وَرَد الدَّين وإنصافهما .

وبما أن فرّض الصلاة قائم على الإنسان إلى حين موته ؛ كذلك بِر الإنسان لوالديه قائم إلى أن يموت . وهو أفرض صِلة يجب أن يُحافظ عليها الإنسان ، لأن العلاقة التي لا تنتهي إلا بالموت لَهي أفضل العلاقات وأقواها وأعظمها . فهي نفس العلاقة التي تنتهي بصاحبها إلى المغفرة من الذنوب وإلى رضا ربنا جلّ وعلا ، فهُما باب من أبواب الجنة مفتوح ومُهيأ للانسان على وجه الأرض ، يستطيع من خلالهما أن يضمن ذلك ، لأن الصادق المصدوق الذي ما ينطق عن الهوى قال : " رغم أنف ، ثم رغم أنف ، ثم رغم أنف . قيل من يارسول الله ؟ قال : من أدرك أبوّيه عند الكبر ، أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة "(1) . فهذا جزاء الإحسان إلى الأبوين هبة وعطية من عند الله ، وإكراماً لهذان الشخصان الموجودان في حياتنا .

فما الحضارة إلا تأدية الحقوق وسَداد الديون ، وما المدنية إلا الوفاء بالعهود وتأدية الأمانة ، وما الثقافة ألا أدب الحوار ورِقّة الأسلوب ورُقيّ التعامل ، فإذا أراد الانسان أن يجمع الحضارة والمدنية والثقافة فليبدأ بالوالديّن ، لأنهما مُنطلق كلِ شئ ، وهما البداية لكلِ شئ ، ومِنهما تبدأ الإنطلاقة إلى المجتمع ، فمهما كان التعامل معهما في أَوج سمُوه ، كان المجتمع أكثر رُقيّ وإنتقائية ، ومهما يُؤَدى إليهم من خضوع وطاعة والتزام ، كان المجتمع أكثر نظام وحيوية وإزدهار ، والتربية النفسية الإنسانية تبدأ من طريقة إلتزام الإنسان مع والديه وإحترامهما والقيام بواجباته تجاههما . ولنتذكر أن طاعتهم من طاعة الله ، وإغضابهما من إغضاب الله . لأن الله قضى ذلك سَلفاً بقوله (وَقَضَى رَبُّكَ) أي أنه أمر وإنتهى ، فلا رادَّ لأمره ، ولا تبديل لِحكمته وحُكمه .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني - الإيفاء بحقوق الناس

من عدل الله في الأرض أن حقوق الناس لايتم سَدادها إلا من الناس ، ولا يُغتَفر للمقصر بِحقهم إلا بمُسامحة الآخرين له أو أداء حقهم بما يُرضي الله سبحانه وتعالى ، فالحياة تُجبر الإنسان على خوض العلاقات الإجتماعية مع الناس ، بالتالي فإن هذه العلاقات تَنتج عنها حقوق وواجبات يجب على الفرد أن يقوم بها ويُعطيها حقها ، سواء من الجُهد الفكري أم البدني أم المالي . وهذه من علامات إزدهار الحضارات وتَقدم الأُمم وَرُقيّ الثقافات ، إذ أن الانسان مُستحيل أن يعيش في هذه الأرض بلا وجود أُناس آخرين في حياته ، بالتالي يترَتب عليه حقوق وواجبات يلتزم بها مع مُجتمعه ، والإسلام رَكّز على هذه الحقوق والواجبات وأعدّ لها القوانين والأنظمة السماوية قبل

---

(1) صحيح مسلم، كتاب البِر والصلة والأدب، باب رغم أنف من أدرك أبويه أو أحدهما عند الكبر، ج4، ص1978، رقم الحديث (2551) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الوضعية ، التي تُرتب من حياة الناس وتُنظم مَعيشتهم ، وقبل ذلك إطاعة الله سبحانه وتعالى رَب العالمين ، وتَضمن للفرد الإعتدال وحُسن العلاقات مع الآخرين .

والله سبحانه وتعالى ذَكر نموذج من هذا الحقوق التي يَجب على الانسان أن يلتزم بها وَيؤديها إلى أصحابها ، وَيُوَفيها حقوقها والتي بذمته إلى الآخرين ، وهذه الحقوق أما أن تكون مادية كالإلتزامات المالية مثل الإرث والدين والزكاة ، أو معنوية كصِلة الرحم وشهادة الحق وإصلاح ذات البين . بالإضافة إلى أن هذه الحقوق رَبَطها الله سبحانه وتعالى بطاعته وبعبادته في كثير من المواقف والتي سَتَرْد في سياق الحديث عنها . سأوُرِد ماذكره الله تعالى من هذه الحقوق العقدية الإيمانية ، والتي وَرَدت في سورة الإسراء على نقاط :

أولاً : حقوق ذوي القربى . دائماً يذكر الله سبحانه وتعالى ذوي القربى وفي كثير من الآيات ، وما ذلك إلا لأهميتهم بالنسبة للفرد ، وذلك أن العرب قديماً كانوا يتفاخرون بالأقرباء والنَسب والعشيرة ، فكانت مجالس الفخر تُقام على مدار السنة للتباهي بذلك . وجاء الاسلام وعَزّز من مكانة ذوي القربى وأعطاهم مكانتهم التي يستحقونها بالنسبة للفرد ، بالمقابل أن لذوي القربى حقوق كما أن عليم واجبات ، فسأتناول فقط الحقوق لأنه موضوع البحث . قال تعالى (وَآَتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ)(1) ، وهذا الكلام الرباني إنما هو أمر لنا من الله سبحانه وتعالى وواجب علينا تنفيذه ، وصِلة الرحم من حقوق الأقرباء ، والتي حَظيت بإهتمام رباني ، وجَعَلها مُعلقة تحت عرشه سبحانه ، تنادي وتقول " الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ ، تَقُولُ : مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ "(2) . ومن الإلتزامات مع ذوي القربى تأدية حقوقهم المالية من جانب الميراث والزكاة والصدقة ، قال تعالى (وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا)(3) . وهذا من باب الإحسان إلى ذوي القربى حتى وأن كانوا ليسوا من أصحاب الميراث ، فالواجب ذِكرهم وإعطاء حِصة لهم من باب القربى والإحسان إليهم .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فَقَرَن الله سبحانه وتعالى الإحسان إلى ذوي القربى بِبر الوالدين والتي هي أصلاً من المُوصى بها من قِبل الله سبحانه وتعالى في الآيات القرآنية المُنزَلة إلينا ، قال تعالى (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى)(4) ، والإحسان يشمل القول والفِعل ، فالقول مثلاً أن يسأل عنهم ويتَفقدهم ويَسعى للإصلاح بينهم إذا ما حصل خلاف . أما الإحسان إليهم بالفِعل كأن يتصدق على فقيرهم ، ويَعود مريضهم ، ويُعين محتاجهم ، ويُساعد من له حاجة . قال رسول اللَّه صلّى اللَّه علَيه وسلَّم : " دينار أنفقته في سبيل الله ، ودينار أنفقته في رقبة ، ودينار تصدّقت به على مِسكين ، ودينار أنفقته على أهلِك ، أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلِك "(5) .

---

(1) سورة الإسراء، الآية 26 .

(2) صحيح مسلم، كتاب البِر والصِلة والآداب- باب صِلة الرحم وتحريم قطيعتها، ج4، ص1981، رقم الحديث (2555) .

(3) سورة النساء، الآية 8 .

(4) سورة البقرة، الآية 83 .

(5) صحيح مسلم، كتاب الزكَاة، باب فضل النفقة على الْعيال والمملوك، ج2، ص692، رقم الحديث (995) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كذلك توقير كبيرهم والرحمة بصغيرهم ، وإنزالهم منازلهم التي يستحقونها ، وإجابة دعوتهم ، وعدم حمل الضغينة والسوء والشر عليهم ، كذلك أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر بالطرق التي لا تَتسبب بالمشاحنة أو النُفرة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت "(1) .

بالمقابل يجب على ذوي القربى أن يُبادلوا الفرد نفس المعاملة بالحُسنى وأن لا يكون لهم أذية عليه ، لأن أذيتهم ضِعف أذية الغَير ، لِما لها من وقع في النفس شديدة ، ولِما لها من تَبِعات قد تُضِر بالعلاقات وصِلة الأرحام . قال الشاعر :

وظلم ذوي القربى أشدُّ مضاضةً　　　على النفس من وقع الحُسامِ المُهندِ

ثانياً : الإحسان إلى المِسكين : ذَكر الله سبحانه وتعالى المِسكين وأوصى به ، وجاءت التوصية به بآيات إشتملت على أحكام العقيدة ، مما يُثبت لنا أن المُوصى بهم لهم منزلة خاصة عند الله وفضل ، وأن من يقوم عليهم وعلى رعايتهم وقضاء حوائجهم يكون من المُفَضلين عند الله ، قال تعالى (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ)(2) . والمِسكين هو " من يجد نصف أو معظم كفايته من مال أو غلته أو كسب حلال لائق به ، كما لو كانت كفايته عشرة دراهم في اليوم ، ويأتيه من كسبه أو غله ماله خمسة أو سبعة دراهم في اليوم "(3) . ويختلف مع الفقير بأن الفقير لا يملك شيئاً بتاتاً ، أما المِسكين فإنه يملك لكنه لا يسد الحاجة . والسبب في الوصية أن لله أُناساً جُعِلوا من المقربين لديه لأنهم مِلح الارض ، فَهُم التغذية الراجعة لكثير من البشر بسبب الإحسان إليهم ، كمُساعدتهم بالصَدقة أو المأكل أو المَلبس أو المأوى ، بالتالي فإن الخير راجع للمتصدق بعظيم الأجر والثواب من الله سبحانه وتعالى جزاءاً على هذه الأعمال .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما وأخبرنا الله سبحانه وتعالى عن هذا الصنف ودرجة قُربهم من الله وأنهم من المتميزين في عبادتهم وتَقرّبهم إليه سبحانه ، بسبب أما ضررهم المادي الذي يجعلهم كثيري اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى بمُختلف العبادات ، أو لأنهم ليسوا من أصحاب الدنيا ولا زينتها ، بالتالي تكون المسافة بينهم وبين الله أقرب من بينهم وبين الدنيا ، قال عليه الصلاة والسلام : " رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبرّه "(4) . ولعل المسكين يكون من هذا النوع من البشر .

وأن الإحسان إليهم أمر واجب من الله سبحانه وتعالى مُنزل التشريع والبيان ، قال تعالى في سورة الإسراء (وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا)(5) . وهذا مما لا شك فيه أن

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه، ص1533، رقم الحديث (6138) .

(2) سورة البقرة، الآية 83 .

(3) عبد الكريم زيدان، المُفصّل في أحكام المرأة والبيت المسلم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1413هـ 1993م،عدد الاجزاء 11، ج1، ص416 .

(4) صحيح مسلم، كتاب البِر والصِلة والأدب - باب فضل الضعفاء والخاملين، ج4، ص2023، رقم الحديث (2622) .

(5) سورة الإسراء، الآية 26 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لهؤلاء الصنف من البشر أهمية ومَنزلة خاصة عند الله سبحانه لدرجة أنه أوصى بهم في قُرآنه الذي سَيَذكرهم إلى قيام الساعة ويُوصي بهم ويُعظم من أهميتهم وشأنهم . وتذكير لغيرهم من الناس أنه من المُمكن أن يكون أي إنسان مِسكينا ، وأن الدنيا تُعطي اليوم وتَمنع غداً وأن قسمة الله فيها للناس لا يعرفه أحد ، فالله بِحكمته يرفع أقواماً ويُذل أقواماً ، والمَيسورين من الناس اليوم ، من المُمكن أن يكونوا مَساكين الغد ، وهذا مما يجب على الانسان أن يُفكر فيه دوماً ويُراعي حَق الله في المساكين .

ثالثاً : مساعدة إبن السبيل : صنف آخر من الأصناف الذين ذَكرهم الله سبحانه وتعالى في القرآن العظيم وأوصى بهم ، وأمر بالتواصل معهم ورعايتهم ، والعمل على مساعدتهم وتقديم الإحتياج اللّازم لهم ، وإبن السبيل هو : " المُسافر المُنقطع عن أهله ، الذي لا يوجد عنده من المال ما يرجع به إلى بلده ، فهذا يُعطى من الزكاة ما يستطيع به أن يُنفقه على رجوعه إلى أهله ، وإن كان غنياً في بلده ، لأنه عاجز عن الوصول إلى ماله والإنتفاع به ، فيكون حُكمه حُكم الفقير الذي لا مال له "(1) . فماذا يفعل من تَقطعت به السُبل ، وحُرم من أهله وماله وعياله ؟ ولجأ إلى الناس لِمُساعدته في الوصول إلى بلده وأهله ؟ فالله سبحانه وتعالى أرحم بِعباده من أنفسهم أو فيما بينهم ، فأوصى بالعديدة من صنوف الناس وذلك لعلم الله بِحالهم وماذا سيكون إليه مآلهم . قال تعالى ذاكراً إبن السبيل ومُوصياً به (وَآَتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا)(2) ، وغيرها كثير من الآيات في القرآن الكريم تَذّكر أمر ووجوب مساعدة ورعاية إبن السبيل ، بل حتى وصل الأمر بِشموله كواحد من الذين تُصرف إليهم الزكاة . وأيضاً أمر إلهي آخر بالإحسان إلى صنف آخر من صنوف أهل الله في الارض ، وهذا الأمر عام لِبَني البشر بمِراعاة إبن السبيل والعمل على إنقاذه من مِحنته ولا يُرَدّ سؤالِه ، والإيفاء بحقوقه التي أمر الله سبحانه وتعالى بِها ، والسَعي في تَنفيس كربته وإدخال السرور عليه ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالله سبحانه وتعالى ما أمر أمراً بِحق أحد من البشر إلا ولهُ حِكمة في ذلك ، فسبحان الله في حِكمته التي تُرسل إشارات للانسان بأن يتَفكر ويتَدبر ، ويُفكر في نفسه بإحتمالية أن يكون في نفس موقف إبن السبيل وتَتَقطع السُبل به ، فماذا سيفعل لولا لطف الله ووصيته بِمن يكون في مثل هذا الموقف ؟ فهي عطية الرحمن لِبَني الانسان أن يكون مُكرماً أينما حلَّ وإرتَحل ، فلا يُضلم ولا يَشقى ولا يؤكل حقه ، بل حقه محفوظ في أكثر الكتب خلوداً في الأرض وإلى قيام الساعة . فهذا عهد الله مع الناس .

فمِن مسؤليتنا تِجاه إبن السبيل الشعور بأنه مَدخل لرضاء الله سبحانه وتعالى ، وحتى لا نُشعِره بأنه ثُقل على المُجتمع وأن مساعدته تَمَنُن عليه ، بل إشعاره بأن مساعدته هي مسؤولية الفرد وإلتزامه مع خالقه بالدرجة الأولى ، لأنه مَدخل من مَداخل الثواب والأجر من الله ، وأن خِدمته ومُساعدته مُرَحبٌ بِها . ومن الواجبات تجاه إبن السبيل أيضاً إرشاده الى الطريق الصحيح الذي يؤدي به إلى الوصول إلى بلده وأهله ، وإدلاله وتوعيته لكِي يكون على عِلم ودراية بالطُرق وكيفية سلوكها لبلوغ مُبتغاه .

وتزويده بالمال اللاّزم لذلك ، سواء كان المال زكاة أم صدقة ، فالغاية الأساس هي وصول

---

(1) عبد الكريم زيدان، المُفصّل في احكام المرأة والبيت المسلم، ج1، ص442 .

(2) سورة الإسراء، الآية 26 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إبن السبيل إلى بلده وأهله ، بالتالي يكون على الإنسان أن يُهئ جميع الأسباب والمُسبِبات لذلك ، سواء توفير المال ، أو التوجيه الصحيحة بالوِجهة التي سَيسلُكها ، أو عنايته ورعايته في أي شئ يحتاجه أو يعينه ، أو إيوائِه .

رابعاً : حِفظ أموال اليتامى وعدم أكلها ظلماً وباطلاً : من أهم الحقوق التي يجب على الإنسان أن يلتزم بها ويؤدي حَقها ، ويُوفي بإلتزاماته ومَسؤوليته تجاهها هي أموال اليتيم ، ومن قبلِها رعايته والإهتمام به ، والعمل على حِفظ مصالحه وأمواله إذا كانت لهُ اموال . واليتيم هو الذي فَقَد أبويه كِلاهما أو أحدِهما ، وكان في عُمر لايُمَكّنه من الإعتماد على نفسه ، أو لا يستطيع إتخاذ القرارات المُناسبة وليس لديه مَصدر كسب مادي ، وليس له مُعيل يُعيله . قال تعالى في سورة الإسراء (وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا)(1) . فكان الأمر بالنهي هو الإيعاز الرباني لِبَني البشر بالتَنبه لهذا الأمر العظيم الذي ذَكره الله سبحانه وتعالى في كثير من الآيات ، وَنال إهتمام النبي عليه الصلاة والسلام بشكل مباشر ، فوَرَدت فيه العديد من الكتب والمؤلفات والبحوث ، لعظيم قدر هذا الكائن الذي يعيش بيننا ، وقليل من الناس من يهتمون به ويُقدمون الرعاية والمساعدة له . ولم يذكره الله سبحانه وتعالى بالصيغة الطبيعية عندما يُرشدنا إلى أمر مُعين فقط كسائر الأوامر والتوجيهات ؛ وإنما في آيات ذكر الله فيها أحكام عقدية تخصه هو سبحانه وألحَقَ بهذا الآيات مايُريد توجيهنا تجاه اليتيم ، مثل قوله تعالى (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً)(2) ، فعندما يذكر الله سبحانه وتعالى ويَفتتح الآية بأمر عَقدي بَحت ، فلا بد أن ما يتبع هذا الإخبار شئ أكثر أهمية بالدرجة التي تَصل إلى أهمية الأمر العَقدي الذي سَبقه ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لذلك فإن الله سبحانه وتعالى حدَد بعض الأمور المُهمة والتي يجب على الانسان الإهتمام بها وتَوليَتها الجانب الذي تَستحقه من حيث الأهمية . وأن هذه الأمور التي تحدّثتُ عنها إنما هي من حق الانسان على الإنسان وفي مصلحة الإنسان ، بالتالي فإن الله سبحانه وتعالى أثبت لنا أن أهمية الانسان وقيمته تكون بالمنزلة الأولى ومن الأولويات عنده سبحانه ، وأن كل شئ مخلوق هي مادونه في الأهمية والمرتبة .

ومن عظيم شأن اليتيم أن جَعل خير خَلقه يتيماً ، وأن النبي عليه الصلاة والسلام عانى اليُتم مُبكراً بفَقدِهِ لأبيه وهو في بطن أُمه صلى الله عليه وسلم ، ومن ثم توفيت أُمه وهو لازال طفلاً صغيراً .

وبعد أن مَنّ الله عليه بالنبوة والرسالة ، ومن ضمن أهم النقاط التي ركزّ عليها بالتزامن مع آيات القرآن الكريم هي سَن دستور خاص لليتيم بَيّن فيه منزلته وأجر من يُقيم عليه وعقوبة من يأكل ماله ظلماً وعدواناً ، كذلك بَيّن أجر من يقوم على رعايته وتَربيته ، وإختَتمها بأجمل معلومة قد تتبادر إلى ذهن الإنسان في المُحصلة النهائية للجزاء على رعاية اليتيم ، حيث قال الصادق المصدوق عليه

---

(1) سورة الإسراء، الآية 34 .

(2) سورة البقرة، الآية 83 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الصلاة والسلام : " أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا ، وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئاً "(1). فهذا الجزاء الأكبر والهدية الأجمل لِمن رعى اليتيم وأقام على تنشأته وتربيته والإهتمام به وبما لهُ ، أما عقوبة من يأكل أمواله ويظلمه فقد ذكرها الله تعالى في قرآنه فقال (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا)(2) .

" يشدد الاسلام في مال اليتيم ويبرز النهي بمجرد قُربه إلا بالتي هي أحسن ، وذلك أن اليتيم ضعيف عن تدبير ماله ، ضعيف عن الذود عنه ، والجماعة الاسلامية مُكلفة برعاية اليتيم وماله حتى يبلغ أشده ويرشده ويستطيع أن يدبر ماله وأن يدفع عنه . ومما يُلاحظ في هذه الأوامر والنواهي أن الأمور التي يُكلف بها كل فرد بصفته الفردية جاء الأمر والنهي فيها بصيغة المفرد . أما الأمور التي تُناط بالجماعة فقد جاء الأمر أو النهي فيها بصيغة الجمع ، ففي الإحسان للوالدين وإيتاء ذي القربى والمسكين وإبن السبيل .... إلخ كان الأمر أو النهي فيها بصيغة المفرد لما لها من صبغة فردية . وفي النهي عن قتل الأولاد والأمر برعاية اليتيم والوفاء بالعهد كان الأمر أو النهي بصيغة الجمع لما لها من أهمية جماعية . ومن ثم جاء النهي عن قرب مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن في صيغة الجمع ، لتكون الجماعة كُلها مسؤولة عن اليتيم وماله . ولأن رعاية مال اليتيم عَهْد على الجماعة أَلحَق به الأمر بالوفاء بالعهد إطلاقاً، يسأل الله جلّ جلاله عن الوفاء به، ويُحاسب من ينكث به وينقضه "(3) .

هذا بإختصار شديد بيان ماهية هذا المخلوق فيما بيننا ومنزلته عند الله ورسوله ، فمنزلته عندهما تفرض علينا أن نفكر ملياً قبل أن نتخذ أي خطوة بإتجاه اليتيم سواء كانت سلبية أو إيجابية ، لأن أي خطأ يحصل أو تقصير بحقه يكون وبالاً على المُقَصر ، وأن منزلته أيضاً تُحتم علينا السعي والجد والإجتهاد في طلبه والتسابق إلى نيل رضاه ، والمنافسة على الإهتمام به ورعايته ، لأن أوله صفة النبوة ، وآخره مرافقة الحبيب في الدخول إلى الجنة ، وما بينهما أنهاراً من الأجر والثواب من عند الواحد الديان .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خامساً : الوفاء بالعُهود : من الأخلاق الاسلامية ومن المروءة الفطرية أن يَفي الفرد بالعهود والمواثيق مع الآخرين ، لأن ذلك من صفات وأخلاق المُسلم الصدوق ، قال تعالى (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ)(4) . فهذه صفة من صفات المؤمنين التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم . فهو من أنبل الصِفات والأخلاق الإنسانية وهو مرادف للغدر والخيانة ، والوفاء خُلق إجتماعي إسلامي من أجمل ما يُوصف به المرء . وهو الخُلق الكامل الذي يدُل على تمام مكارم الأخلاق عند المرء ، وهذه الصفة لا يتحلى بها كافر ولا منافق ، لإنها مبدأ من مبادئ الإلتزام . والإلتزام صفة المُسلم والتي تكون خاضعة لمبدأ الثواب والعقاب ، قال تعالى (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الطلاق، باب اللّعان ، ص1352، رقم الحديث (5304) .

(2) سورة النساء، الآية 10 .

(3) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج4، ص2226 .

(4) سورة المؤمنون، الآية 8 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا)(1) ، أما الكافر أو المُنافق فلا تكون هذه الصفة عندهم خاضعة لأي معايير ، بالتالي يكون نقظ العهود والمواثيق سهلاً لديهم وأمر طبيعي إذا أرادوا ذلك لعدم توفر الوازع الديني لديهم .

" وقد أكد الاسلام على الوفاء بالعهد وشدَّد ، لأن هذا الوفاء مناط الإستقامة والثقة والنظافة في ضمير الفرد وفي حياة الجماعة "(2) . والوفاء بالعهد تكرر ذكره في القرآن الكريم وفي أحاديث المصطفى عليه الصلاة والسلام ، وتكرر ذكر أقسامه وأحكامه وتفرعاته ، سواء الوفاء بالعهد فيما بين الإنسان وبَين الله سبحانه ، أو فيما بين الإنسان والإنسان ، وسواء العهد بين الفرد أو الجماعة ، أو الحاكم والمحكوم ، حتى دخل ضمن الدساتير والنصوص التي تُنظم حياة الناس والدوّل والمُجتمعات ، وهذه من مميزات الإسلام التي سبقت بها بقية الأُمم والحضارات . ومن أقسام العهود التي يجب على الإنسان أن يلتزم بها :

1 - الوفاء بعهد الله . وهذا أهم عهد وميثاق يجب على الانسان أن يلتزم به ، وهو إجتناب ما ينهى الله عنه ، والإلتزام بما أمر به ، لأن الإنسان هو من إنبرى لحمل الأمانة بعد أن أثقل حِملها على السموات والإرض والجبال ، فحريّ به أن يصون تلك الأمانة ، ويوفي بالعهد ، ويخرج من دنياه وربه راضٍ عنه غير غضبان ، قال تعالى (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ، وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ)(3) . فهذا عهد الله سبحانه وتعالى مع الإنسان وهو أصل العهود جميعاً ، وغيره يُبنى عليه . فمن أحب الله وأطاعه وعَبَده ، وجَعله الأول والآخر في كل شئ والوكيل ، وأسنَد إليه كل خير ، وأبعدهُ عن كلِ شر ، وجعل هيبة الله في قلبه ، وعظمته في نفسه ، فقد أوفى بعهدِهِ من الله ، قال تعالى (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ)(4) . فهذه أجمل شهادة من الله سبحانه وتعالى لِمن يوفي بالعهد معاه بأن وصفهم بالمؤمنين . ومن أحب غيره وإعتقد به ، وإستعان ووكل غير الله ، وإعتقد أن غيره من يضر وينفع ، أو أشرك الله أحداً بالعبادة أو الدعاء أو القُربات فقد نقض عهده مع الله .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2 - الوفاء بالعهد مع النبي عليه الصلاة والسلام . بعد أن يؤمن الفرد بالله رباً وبمحمد نبياً ، يكون قد خطى أول خطوات العهد والميثاق مع النبي عليه الصلاة والسلام ، ووجب عليه ان يَفي بمضمون ذلك الإيمان ، وأنه لا يتم إيمان الانسان بالله إلا إذا تحقق الوفاء بالعهد مع نبيه صلى الله عليه وسلم وذلك بتحقيق مبدأ الايمان الشامل به ، قال تعالى (مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ)(5) ، تتضمن هذه الآية إقران وإلتزام . إقران الطاعة والإيمان ، وإلتزام بالعهد والميثاق مع النبي عليه الصلاة والسلام، حيث أوضح هذا العهد للصحابة فقال : " كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى . قَالُوا : يَا

---

(1) سورة الإسراء، الآية 34 .

(2) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج4، ص2226 .

(3) سورة يس، الآية 60-61 .

(4) سورة الأحزاب، الآية 23 .

(5) سورة النساء، الآية 80 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَأْبَى ؟ قَالَ : مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى "(1) . فالعهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم كالعهد مع الله عزوجل ، لأنهما مقترنان بالفِعل والنتيجة ، وعهد الفرد مع الرسول صلى الله عليه وسلم يوصل إلى العهد مع الله سبحانه وتعالى ويُقويه ويُثبت من مبادئه وعقيدته .

3 - عهد الفرد مع الآخرين من الناس . وهذا النوع من العهود أوصى به الله سبحانه وتعالى وأكد عليه ، ويُثيب من يلتزم به ويوفي ، ويُعاقب من يخالفه وينقض ، قال تعالى (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ، وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ)(2) . فهذه الآية تشمل جميع العهود والمواثيق التي تُقام بين بَني البشر ، سواء كانوا أنبياء أم بشر عاديين ، كما فعل النبي عليه الصلاة والسلام في الحديبية عندما تعاهد مع قريش وهو نبي وهم بشر ، فكان أروع مِثال للإلتزام النبوي . فالعهود والمواثيق التي يعقدها المؤمنون مع الآخرين من الناس ؛ إنما تُقام بأسم الله وعلى عهد الله ، فمن حافظ عليها وأوفى بها ، فقد حيزت له أبواب الخير كلها ، لأنه حفظ إسم الله وأكّبرَ من مقامه ، فالإنسان المُسلم الملتزم هو من يُمثل الشرع على الأرض ، وهو خليفة الله ، ولسان حال القرآن ، وممثلاً لخير الأنام ، قال تعالى (وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ، مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)(3) ، فهل بعد هذا الكلام يكون الإخلال بالعهود والنقض بالمواثيق ؟ وقد فتح الله سبحانه وتعالى ماعنده للموفين بعهودهم بقوله (وما عند الله باقٍ) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما من أخلف عهداً ، أو نقض ميثاقاً ، فقد إرتكب خطأً كبيراً ، وقد بَيّن النبي صلى الله عليه وسلم هذه العقوبة والتي هي بحق الغادر الخائن للعهد فقال : " إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة ، يرفع لكلِ غادر لواء ، فقيل : هذه غدرة فلان بن فلان "(4) . فهو فضيحة له على رؤوس الأشهاد جزاءَ ما غدر ونقض من عهود ، وهذا من أكبر الفضائح يوم القيامة . نسأل الله لنا السلامة ....

سادساً : العدل بالمكيال والميزان : هذا نوع من أنواع إيفاء الحقوق للآخرين ، وإعطاء كل ذي حق حقه ، وكل الناس أمام الميزان سواء ، فالغني والفقير ، والكريم والبخيل ، والمالك والمملوك ، كلهم سواء أمام الميزان ، إلا أن الضرر يُصيب أضعف الناس حالاً أكثر من غيره بسبب الفقر والعوز ، وهذا من باب الظلم وأكل مال الناس بالباطل . والله سبحانه وتعالى أعدل العادلين ، لا يقبل بظلم ، ولا يسمح بِجور ، ولا يمدد للمتجاوزين على أموال وحقوق الناس ، فقد شرّع الدين لحماية مصالح العباد، ومن هذه التشريعات فُصّلت في البيوع والتجارة والأخذ والعطاء، والميزان يدخل بها جميعاً،

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة، باب الإقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ص1798، ، رقم الحديث (7280) .

(2) سورة النحل، الآية 91-92 .

(3) سورة النحل، الآية 95-96 .

(4) أنظر: صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تحريم الغدر، ج3، ص1359، رقم الحديث (1735) وما بعده .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال تعالى في سورة الإسراء (وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)(1) . فهذه الآية لا تشتمل على أي تهديد أو وعيد أو عقوبة ، وإنما تشتمل على وصية وأمر بالإحسان في جزء بسيط من أجزاء البيوع والتجارة ، لكنها لا تصبح بسيطة حال حدث تجاوز أو تمادي أو ظلم ، فإنها تُصبح حسرة وندامة ، وتُصبح تهديد ووعيد . فالممارِس للتجارة أما أن يُمارسها عقيدةً فتصبح له باباً من أبواب الخير والإقبال على الله بقلبٍ سليم ، وتكون له حِصناً من النار بمساعدة الفقراء والمحتاجين ومد يد العون لكلِ ذي حاجة ؛ وإما أن يُمارس التطفيف(2) طمعاً وجشعاً وإحتكاراً فتكون له باباً من أبوب النار ، فيُصيبه أكل الحرام ويُطعم أبناءه من السُحت ، فيُساهم في إذلال الفقير ، وإهانة المحتاج ، وأكل مال الناس بالباطل ، فهو في ذلك مابين تهديد ووعيد ، وما بين نار حرها شديد . قال تعالى (وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ، الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ، وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ، أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ، لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ، يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ)(3) . وويل كما هو معلوم هو وادٍ من أودية جهنم ، كان جزاءاً لِمن يسرق الناس في الميزان ، ويُمارس هواية الغش والخداع ، ظناً منه بأن الزيادة في المال والمنفعة هي أفضل ما يجنيه من هذا العمل ، إلا أن الله سبحانه وتعالى له كلام مختلف عن ما يظن ذلك التائه المغرور .

" وإيفاء الكيل والإستقامة في الوزن ، أمانة في التعامل ، ونظافة في القلب ، يستقيم بها التعامل مع الجماعة ، وتتوافر بهما الثقة في النفوس ، وتتم بهما البركة في الحياة (ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) خير في الدنيا ، وأحسن مالاً في الآخرة . والطمع في الوزن والكيل قذارة وصغار في النفس ، وغش وخيانة في التعامل ، تتزعزع بهما الثقة ، ويتبعها الكساد ، وتقل بهما البركة في محيط الجماعة ، فيرتد هذا على الأفراد ، وهم يحسبون أنهم كاسبون بالتطفيف . وهذا كسب ظاهري وقتي ، لأن الكساد في الجماعة يعود على الأفراد بعد حين "(4) . فموضوع التطفيف مرتبط بالتجارة ، والتجارة مرتبطة بالإقتصاد ، والإقتصاد عالمي مالي يتعامل مع جميع البِلاد ، فيُسبب نكسات وكوارث ، ويُسبب إنتعاش وإزدهار ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فمتى ماكان المِكيال والميزان يُمارَس فيه العدل ومخافة الله ، تكون نتائجه إيجابية على المجتمع وعلى جميع أفراد البلد . وإذا كان المكيال والميزان يُمارَس فيه التطفيف والغش والخَديعة ، فإن ذلك سينعكس سلباً بالنتائج على جميع البلد ، بالتالي سيكون الضَرر حليف جميع من فيه . لذلك إفتتح الله سبحانه وتعالى عقوبته بكلمة (ويل) لما لها من مدلولات عميقة تمثل واحد من أودية جهنم المخيفة . بالمقابل لم يذكر لها عقوبة إلا جهنم نفسها لعظيم ذنبها وكبر أثرها على الفرد وعلى المجتمع .

---

(1) سورة الإسراء، الآية 35 .

(2) (التطفيف : التنقيص من الطفيف ، وهو الشيء القليل) انظر: محمد الأمين بن محمد بن المختار الجنكي الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، المؤسسة السعودية، ط2، 1400هـ 1979م، عدد الاجزاء 9، ج9، ص91 .

(3) سورة المطففين، الآية 1-6 .

(4) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج4، ص2227 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث - حُرمة القتل

جاء الإسلام لِصَون كرامة الإنسان وحِفظ إمتداده وضمان عيشه على أرض المعمورة ، وليَسلك السُبل فيها وإليها ويتكاثر ويُعمرها ويُنشئ الحضارات والمُدن ، ويُعلي البنيان ويُشَيد الدول ، وأن جُلّ التشريعات السماوية إنما جاءت لحفظ الضروريات الخمس التي إتفقت جميع الأديان عليها ، والدين الإسلامي ثبّت من قوانينها ، وأرسى قواعدها ، ووضع التشريعات التي تمشي أغلب الدساتير عليها ، ومن ضمن هذه الضروريات وأكبرها وأجّلها هي حفظ النفس البشرية . فالله سبحانه وتعالى أعدل العادلين . ومن عدله أنه يرفض إزهاق الروح والإعتداء عليها تحت أي شكل من الأشكال إلا بحقها الذي وَرد ذِكره في القرآن الكريم أو السنة النبوية المطهّرة التي فيها بيان القرآن ، وفيها توصيات الآله عبر لسان نبيه الأكرم صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى .

قال الله تعالى في سورة الاسراء (وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا)(1) .

والقتل عند الحنفية هو " فِعل من العباد تزول به الحياة "(2) . وهو " فِعل يترتب عليه زهوق روح إنسان بقصد من الفاعل بغير وجه حق "(3) . فهو إزهاق روح آدمي مُكلف بأي طريقة كانت وإنهاء وجوده وحياته في هذه الدنيا . وهذه هي سُنة قابيل إبن سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام عندما قتل أخاه هابيل ، فكانت سُنة منذ ذلك اليوم وإلى يومنا هذا ، بل وإلى أن تقوم الساعة ، فهذه هي السُنة السيئة التي سيتحمل وزرها ووزر من عَمل بها إلى يوم القيامة . والتي خالف بها مراد الله سبحانه وتعالى القاضية بإنشاء الأمم وإنتشار بني الانسان في أرجاء المعمورة ، قال تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)(4) . فهذا هو مراد الله من خَلق البشر ، وهو التكاثر وإنشاء المستعمرات وبِناء البلدان وتكوين الحضارات والتعارف والتزاوج ، وإقامة العلاقات الاجتماعية والإنسانية بين البشر ، وسُنة القتل هي معارضة ونافية لهذا المراد ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالتالي فأن مراد الله شئ والقتل شئ آخر مُضاد له ، فكان العقوبة التي يستحقها مُغلظة مُشددة إلا بِحقها . وإستمرار هذه الظاهرة يمثل خطراً إجتماعياً كبيراً وخطيراً ، ويهدد نسيج وأمن المجتمع وتكوينه وتطوره ، فالغاية الأسمى هي العمل على توفير كافة الوسائل لضمان عيش الإنسان بطريقة حُره وآمنه ومستقره ينطلق من خلالها إلى المجتمع ، ويرسم معالم البناء الحضاري النموذجي الذي يضمن له البقاء والإستمرارية إلى أن يشاء الله بإنهاء تلك الحياة أما بموت الإنسان بالطريقة التي أرادها الله له وبمشيئته سبحانه ، أو بقيام الساعة والتي هي أمر وارد ومحتمل في أي وقت كما أخبرنا الله سبحانه وتعالى عنها ورسوله صلى الله عليه وسلم .

---

(1) سورة الإسراء، الآية 33 .

(2) الشيخ نِظام، الفتاوى الهندية المعروفة بالفتاوى العالمكيرية في مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، تحقيق ضبط وتصحيح: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1420هـ 2000م، عدد الاجزاء 6، ج6، ص3 .

(3) عبد الكريم زيدان، المُفصّل في أحكام المرأة والبيت المسلم، ج5، ص328 .

(4) سورة الحجرات، الآية 13 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فإنقاذ إنسان من غرق أو حريق أو بمساعدة طبية أو من كارثة محققة ، أنما هو كمثل إنقاذ أُمه ، وهو صَون وحماية أفضل مخلوقات الله على الأرض . وبالمساعدة على القتل وإزهاق الروح فكأنما قَتَل أُمه ، لأنه في ذلك إنتهاك لحرمة هذا المخلوق المُفضل لدى الله سبحانه وتعالى وتحدي له سبحانه . قال تعالى (مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًاوَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ)(1) . ويكفي أن تكون أول ما يقضي الله بين الخلائق يوم القيامة هي قضاؤه في الدماء ، ومن ثم يكون القضاء ببقية الأمور ، وما كان ذلك إلا لِعظم هذا الذنب الذي جمع الله جزاءه وعقوبته بين جهنم والغَضب واللعنة والعذاب من الله ، قال تعالى (وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا)(2) ، وما دَلّ على أن الدماء أول ما يُقضى بها يوم القيامة هو قول النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي يرويه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه " أول ما يُقضى بين الناس في الدماء "(3) .

ويُقسم القتل الى قسمين :

أولاً : القتل المشروع . وهو ماكان مأذونا فيه من خلال نص شرعي أما من القرآن الكريم أو من سُنة المصطفى عليه الصلاة والسلام ، وهذا النوع يكون ردعاً على ذنب ، وعقوبة على إنتهاك محرم ، أما في حق الله سبحانه وتعالى وأما في حق العباد وهذا هو الغالب . فهو لِصون المحارم من الانتهاك ، ولِحفظ حقوق العباد من التجاوز والعَبث ، ولِحفظ الدين الذي هو بمثابة الخيمة الكبيرة التي يأوي إليها كل البشر لطلب الحماية والنُصرة والأمان والراحة . ومن الأمثلة على هذا النوع من القتل ماذكره النبي محمد صلى الله عليه وسلم بقوله " لا يحل دم إمرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث النفس بالنفس والثيب الزاني والمارق من الدين التارك للجماعة "(4) . كذلك كان القتل كعقوبة على الحرابة والقتل بحق من أَشهرَ سيفه على المسلمين كالباغي ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكذلك قاطع الطريق والمرتد والزاني المحصن ، كذلك القتل دفاعاً عن النفس والدين والعرض والمال . كل هذه الانواع إنما هي جزاء على عمل مُحرم ومنهي عنه بحق الله والناس . ولا يمكن أن يُقام أي حد من هذه الحدود كعقوبة مالم يتوفر الدليل القرآني على ذلك ، لأن القتل لا يكون عقوبة وحداً إلا إذا وُجِد الذنب الذي يستحق هذه العقوبة ، لأنه أعلى درجات القصاص وآخر الدواء . قال تعالى (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)(5) . ولعل قتل القاتل المُتعمد هو أقواها وأكثرها ردعاً لما يحتويه من دلائل تُشير إلى أن أي قتل يحصل على أي نفس بشرية مهما كان السبب تكون عقوبته القتل بالمثل ، ولأن هذا النوع أكثر الأنواع إنتشاراً حتى تصل في بعض

---

(1) سورة المائدة، الآية 32 .

(2) سورة النساء، الآية 93 .

(3) صحيح البخاري، كتاب الديات، باب قول الله تعالى (ومن يقتل مؤمنا متعمداً فجزاءه جهنم)، ص1698، رقم الحديث (6864).

(4) المصدر السابق، كتاب الديات، باب قول الله تعالى أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن، ص1701، رقم الحديث (6878) .

(5) سورة البقرة، الآية 179 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأحيان إلى الإستهانة به وإستسهاله ، فقد كان حكم الله فيمن قتل عمداً ثابت في القرآن الكريم ليعتبر أُولي الألباب ، قال تعالى (وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ)(1) . وحتى لا يخرج الناس إلى تنفيذ عقوبات القتل على أهوائهم أو على حسب إنتماءاتهم العشائرية أو السياسية أو المذهبية ، حدد الشرع هذه العقوبة بالأنواع التي ذكرتُها آنفا لكي لايرتكب الناس الجرم بحق بعضهم ولا يستسهلوا هذا الحد فيكون أقرب إلى الذنب منه إلى الطهارة .

ثانياً : قتل النفس المعصومة بغير حقّ . فمن إرتكب هذا الفعل كان آثماً بحق نفسه أو بحق غيره ، ولا يحق تنفيذ القتل بحق أي نفس مهما كانت الأسباب ، ويقسم هذا النوع من القتل إلى ثلاث أقسام :

1 - قتل الإنسان نفسه (الإنتحار) . وهذا مما لايحق للإنسان أن يقوم بهذا الفعل مطلقاً لأنه مخالفة لأمر الله بحفظ النفس البشرية وصَونها وحمايتها ، وأيضاً هو مخالف لما أراد الله من الإنسان بأن يحفظ نفسه ولا يُقحمها فيما لا تُطيق حتى في العمل أو الواجبات ، فكيف به وهو يزهقها بلا هدف ولا غاية ؟ قال تعالى (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة)(2) . فهذه وصية الله لِبني الانسان بأن يحرص على حماية نفسه وأن يكون وصياً عليها لتحقيق الغاية من خلقِها ، وأن لا يتسبب بأي أذى يُصيبها إلا إذا أراد بها ربها ذلك من غير تدخل للإنسان في هذا الأمر ، فأقدار الله بيده وحده ، ولا يحق للإنسان التدخل فيها مهما كانت ، لأننا جميعاً مُلك الله وحده ، فهو خلقنا وهو يتولانا متى شاء .قال تعالى (وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَاناً وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَاراً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً)(3) . فالأمر بعدم أذية النفس واضح ، والنهي بعدم قتل النفس أيضاً واضح في القرآن الكريم . فيعزوا كثير من المفسرين لظاهرة الإنتحار أن الأسباب نفسية وشعور بالفراغ الداخلي للمُنتحِر ، لكن الأسلام كان له رأي آخر يُبيّن فيه أن المؤمن الحق لايمكن أن يُقدِم على فِعل أي شئ يضُر بدينه وإسلامه ، وأن يكون مُحدد الهدف ثابت الخُطى نقي السريرة ، أفعاله وأعماله تدلّ على تمكين الإسلام من نفسه ، فذِكر الله إطمئنان للنفس البشرية ، وراحة داخلية لا يستشعر بها إلا من ذاقها ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولا يعرف قيمتها إلا من غاص في أعماقها ، قال تعالى (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)(4). ومن جانب آخر أنزل الله إلينا طبيب فَوري يكون على عاتقه حلّ جميع المشاكل النفسية والأُسرية والإجتماعية التي يتحجج المضطربين أنها سبب الإنتحار ، ويعزوا علماء النفس الغربيين أنها السبب الرئيسي في عدم جعل الإنسان سَوّي ، فالقرآن الكريم أسهم في علاج الأمراض النفسية وحلّ المشكلات الإجتماعية المُستعصية ، فَهو الدستور الآلهي والطبيب الرباني ، قال تعالى (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا)(5) . ومما لا شك فيه أن الإنسان حينما يتّجه إلى قتل نفسه ماهو إلا

---

(1) سورة المائدة، الآية 45 .

(2) سورة البقرة، الآية 195 .

(3) سورة النساء، الآية 29-30 .

(4) سورة الرعد، الآية 28 .

(5) سورة الإسراء، الآية 82 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إذعان للشيطان وقبوله بوسوسته ، وقِلة ثقة هذا الإنسان بِربه ، وعدم تمكن الإيمان من قلبه ، فهو خاوٍ فارغ لا يجد الشيطان صعوبة في زجه في النار بسبب قتلِه لِنفسه ، وهذا من باب اليأس والقنوط من رحمة الله .

كذلك من أسباب إقدام الفرد على قتل نفسه هو أن ذلك الإنسان يكون ضعيف أمام الإختبارات والمِحن والشدائد ، فلا يكاد تمُّر عليه بلوى إلا وجزع وضعف ولجأ إلى الإنتحار لعدم معرفته بكيفية إجتيازها أو التخلص منها لِضعف إيمانه وعدم ثقته بربه ، ولا يعلم إنما الإبتلاءات والمِحن إنما هي من طُرق إختبار الله سبحانه وتعالى لِعباده لِيُميز المؤمن الحق الذي يلجأ إلى الله في السراء والضرار مِن الإنسان الذي لا يعرف الله لا في سراءه ولا في ضراءه ، ولا يستطيع أن يُحكِّم القرآن في أُموره فيجعله نبراساً يسير خلفه لِحل مشاكله وإجتياز المِحن والعقبات . فهذا المُتنتَحر حُكمه يكون بيد الله عزوجل إن شاء عذبه وإن شاء غفر له ، إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يُصلِ عليه وأمر الناس أن يُصلوا ، " فعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : أُتِي النبي صلى الله عليه وسلم برجل قتل نفسه بِمَشاقص فلم يصلِ عليه "(1) . المَشاقص : سهام عراض ، إلا ان حُكمه وَردَ على لسان النبي صلى الله عليه وسلم صريحاً ، والنبي لا ينطق عن الهوى وإنما حُكمه هو حُكم الله عزوجل ، " فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : مَن تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيه خالداً مخلداً فيها أبداً ، ومَن تحسَّى سمّاً فقتل نفسه فسمُّه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً ، ومَن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً "(2) . هذا بِمن قَتَل نفسه إنتحاراً ، فكيف بِمن قَتَل نفسه وقَتَل غيره من المسلمين ؟ فهذا ذنبه أعظم وأكبر ، إذ أن كثير من المُغالين يلجأون إلى الإنتحار بحجة دك حصون العدو ، وهذا مما لا يصح لا شرعاً ولا عرفاً ، لأنه حينما يقتل نفسه عمداً لا يكتفي بذلك

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإنما يقوم بقتل الكثير من المُسلمين غيره ، ويدع حكمهم إلى الله ، وهذا من باب الحُكم على الناس وإلغاء حُكم الله فيهم ، ويُنفذ بهم عقاب ما لا يرتضيه الله . لأن مافي القلب لا يعلمه إلا الله ، ولايمكن الحُكم على الآخرين بظواهرهم فكيف إن كانت ظواهرهم تشهد بالله رباً وبمحمد نبياً ويؤدون الصلاة ويقيمون أركان الإسلام ، " فعن أسامة بن زيد بن حارثة رضي الله عنهما يحدث قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحرقة من جهينة قال فصبحنا القوم فهزمناهم قال ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم قال فلما غشيناه قال لا إله إلا الله قال فكف عنه الأنصاري فطعنته برمحي حتى قتلته قال فلما قدِمنا بَلَغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال فقال لي يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله قال قلت يا رسول الله إنما كان متعوذاً قال أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله قال فما زال يكررها علي حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم "(3) . كذلك يكون قد إرتكب ذنبان ؛ ذنب قَتِل نفسه ، وذنب قَتِل غيره .

---

(1) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب ترك الصلاة على القاتل نفسه، ج2، ص672، رقم الحديث (978) .

(2) نفس المصدر السابق، كتاب الايمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه وأن من قتل نفسه بشئ عذب به في النار وأنه لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، ج1، ص103، رقم الحديث (109) .

(3) صحيح البخاري، كتاب الديات، باب قوله تعالى (ومن أحياها ...)، ص1699، رقم الحديث (6872) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2 - قتل الإنسان لغيره من البشر . إقتضت سُنة الله في الخَلق بأن ينتشروا في الارض ويُعَمروها ويُعلوا بنيانها ويُقيموا شرع الله فيها ، فالإنسان خليفة الله وهو الذي يمثل دينه وشرعه وقرآنه ، بالتالي فأن إعمار الأرض يكون على عاتق الإنسان . ومن ضمن سُنن الله في الأرض هي إقامة العلاقات الإجتماعية وتعدد اللغات واللّهجات ، وتفرعات الأنساب والأوطان ، قال تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)(1) ، وبعد ذلك يأتي الإنسان لِيَسير على خُطى قابيل فيمشي في الأرض بالفساد ويُهلك الحرث والنسل ، فبالحروب تارة ، وبالمجاعات المُفتعلة تارة أُخرى ، وبِمافيات الفساد المُنتشرة بكل أرجاء العالم والتي تقتل وتنهب وتبثّ الرعب والخوف تارة ثالثة ، فالقتل العمد من الكبائر التي حرّمها الله وحرّم العمل بها فيما بين البشر ، وذلك لأن هذا الفِعل هو إعتداء على إرادة الله ومشيئته ، وضد صُنع الله الذي إرتضاه لِبَني البشر ، وإعتداء على الجماعة والمجتمع ، ومن عوامل إندثار الأُمم وفناءِها . فالحضارات والبلاد والأُمم لا تنهض إلا باستمرارية أجيالها وتتابع فئاتها المُجتمعيه ، وتعاقب الأجيال جيلاً بعد جيل ، ليرتقوا بالبلاد ، وينهظوا بالأُمم ، وتَعلوا حضارتهم بتقنياتها وأصالتها وعوامل نهوضها التي إرتضاها الله لنا قبل أن يرتضيه الإنسان لِنفسه ولغيره ، فلا مناصّ من التزاوج والتكاثر والتوسعة المجتمعيه ، والإنتشار البشري ، فإذا نظرنا إلى حجم البشرية في زمن نوح عليه الصلاة والسلام ، ومن ثم إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، ومن ثم في زمن محمد عليه الصلاة والسلام ، سنجد أنها أُمم تعيش في مستعمرات صغيرة لا تتعدى بضع كيلو مترات ، وضَعت لِنفسها دستوراً خاصاً بها وتتعايش فيما بينها . أما المجتمعات في الزمن الحديث فقد ملأوا الأرض وإنتشروا بِكل أرجاءها شمالاً وجنوباً ، شرقاً وغرباً ، وكوّنُوا القارّات والدوّل والبلدان ، فما حصل هذا التطور لولا صيانة النفس البشرية من الهلاك ، وحِفظها من الزوال والفناء

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

. فلو كان القتل مُباحاً لما وصلت بالشعوب إلى ما وصلَت إليه الآن ، ولأنقرضت البشرية منذ قرون ، مثلها مثل شرائع الغاب الذي يأكل فيها القوي الضعيف ، بلا دين ولا قانون ولا دستور ، ولا مبدأ للثواب والعقاب ، ولا رادع ولا مانع ، إلا أن الله أرحم بالعباد من أنفسهم حيث حَرص على إنزال الشرائع لِحِفظ أنفسهم من أنفسهم ، وحِفظ حقوقهم وأموالهم ودماءَهم ، فأنزل في قرآنه قولاً خالداً إلى قيام الساعة يُبيّن فيه حرمة القتل ونهاية القاتل وعقوبته ، قال تعالى (وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا)(2) .

وهذا ما بيّنه النبي عليه الصلاة والسلام في حُرمة هذا الفِعل فقال : " إجتنبوا السّبع الموبقات ، قيل : وما هنّ يا رسول اللّه ؟ قال : الشّرك باللّه ، والسّحر ، وقتل النّفس الّتي حرّم اللّه إلاّ بالحقّ ، وأكل الرّبا ، وأكل مال اليتيم ، والتّولّي يوم الزّحف ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات "(3) .

" والإسلام دين الحياة ودين السلام ، فقتّل النفس عنده كبيره تلي الشرك بالله ، فالله واهب الحياة وليس لأحد غير الله أن يسلبها إلا بإذنه وفي الحدود التي يرسمها ، وكل نفس هي حَرم لا يُمس ،

---

(1) سورة الحجرات، الآية 13 .

(2) سورة النساء، الآية 93 .

(3) صحيح مسلم، كتاب الايمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، ج1، ص92، رقم الحديث/ (89) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وحرام إلا بالحق ، وهذا الحق الذي يُبيح قتل النفس محدود لاغموض فيه ، وليس متروكاً للرأي ولا متاثراً بالهوى . وقد جاء في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يحل دم إمرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلا بإحدى ثلاث : النفس بالنفس والزاني المحصن والتارك لدينه المُفارق للجماعة "(1) . وأن الله سبحانه وتعالى عندما بيّن حكم القتل والقاتل إنما ليَمنع إنتشار هذا العمل وتفَشيه حال الإلتزام بتنفيذ العقوبة المُخصصة بحقه ، وقطّع الطريق أمام الثارات والفِتن وتوسعة القتل فيما بين الأطراف وعدم الإسراف فيها ، قال تعالى (وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا)(2) . فالحُكم واضح وهو الحُرمة كما أسلفتُ ذِكرها ، والعقوبة حال وقوع القتل العمد واضحة وهي القتل بالمثل للشخص القاتل حصراً ، ولا تزر وازرة وزر أُخرى ، قال تعالى موضحاً عقوبة القاتل في الدنيا (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ)(3) . أما في الآخرة فعقوبته النار خالداً فيها مع غضب الله عليه ولعنته والعذاب الأليم كما وَعد وأخبر .

وبما أن الدنيا خُلقت لأجل الإنسان وكل ما فيها مُسخر له ولأجله ، فهو المُفضَّل على كل المخلوقات الأرضية والسماوية ، وبدون الإنسان لا قيمة لهذه المخلوقات ، فوجودها من وجود الإنسان ، وفناءها من فناءه ، وقيمة المسلم أكبر عند الله من قيمتها . قال عليه الصلاة والسلام " لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق "(4) . بهذه المنزلة العظيمه للإنسان وجَب علينا عقائدياً ان نؤمن بأن الله ما خَلق هذا الإنسان إلا لِحكمة أكبر وأجلّ مما نعلمه نحن ، والتفريط بهذا المخلوق والإنتقاص من شأنه وسلّب روحه وحياته عمداً وقصداً إنما هو عصيان لله وحرباً عليه سبحانه ، وإعلان العدوان على مشيئته وإرادته ، وإعتراض على خَلقه وحِكمته ، وتنصيب القاتل نفسه بديلاً عن الله في الحُكم ، وهذا من الغرور والكِبر على الله سبحانه والتعدي عليه .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اما عن الإعانة والتعاون على قتل الفرد فهي أيضاً من ضمن الكبائر ، فالقاتل الواحد أو المجموعة فهي شريكة في الحُكم نفسه ، أما من حَرض على الفِعل ولم يشارك باليد فهو مشمول أيضاً بالحُكم ، لقول النبي عليه الصلاة والسلام " من أعانَ على قتل مؤمن ولو بِشطر كلمة ، لقي الله عزوجل مكتوب بين عينيه : آيس من رحمة الله "(5) . فكلٌ من القاتل ومُساعده والمُحرض على القتل مشتركون بالجريمة ، فحُكمهم واحد ، وعقوبتهم واحدة في الدنيا والآخرة ، وهذا من عظيم حكمته وعنايته بهذا الإنسان ، وإرادة الله له بِحق الحياة والعيش الآمن على الأرض .

---

(1) سيد قطب، في ظلال القرأن، ج4، ص2224 .

(2) سورة الإسراء، الآية 33 .

(3) سورة البقرة، الآية 178 .

(4) أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني إبن ماجه (209 - 273 هـ)، سنن إبن ماجه، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، كتاب الديات، باب التغليظ في قتل مسلم ظلماً، ص445، رقم الحديث (2619) .

(5) إبن ماجه، سنن إبن ماجه، كتاب الديّات، باب التغليظ في قتل مسلم ظلماً، ص445، رقم الحديث (2620) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فشريعة الله سَبقت كل الشرائع ، وحُكمه سَبق كل الأحكام ، وقانونه أعظم القوانين الموجودة على الأرض ، وهذا القانون والأحكام والشرائع التي مصدرها من الله رب العالمين تصبّ في مصلحة الإنسان وتُنظم من حياته وتحفظ حقوقه وتضمن له الإستمرارية لِبناء نفسه ومُجتمعه ، والتي تُعطيه الدافعية للتطور والإرتقاء على الصعيد الفردي أوالجماعي ، لبناء نموذج حضاري إسلامي راقي ضِمن موازين العدل والرحمة والحكمة التي تنتهل أساسياتها من منهل العدل الآلهي .

3 - قتل الأولاد خشية إملاق(1) . الأولاد هُم زينة الحياة وبهجتها ، وهُم ما يسعى إليه الإنسان في حياته من خلال تأسيس الأُسرة والإستقرار الحياتي ، وأن الفطرة الإنسانية تميل إلى محبة الوَلَد والإشفاق عليه والحُزن على ألمه ومرضه وفِراقه ، لكن الكثير من الناس يتركون أولادهم من شدة ما يصيبهم من الفقر والفاقه ، وهذا الأمر يتسبب بمخاطر دينية وإجتماعية كبيرة تُهدد المجتمعات ، وهو جُرم فادح يرتكبه الآباء في سلب حق هؤلاء الأطفال من حقهم في الحياة والعيش الآمن ، وهو أيضاً من الكبائر التي نهى الله تعالى عنها . فبما أن الآباء هُم سبب في إيجاد الأبناء إلا أنه ليس لهم الحق في إنهاء وجودهم ، فهُم خُلِقوا بأمر الله ، ولا يكون إخراجهم من هذه الحياة إلا بأمره سبحانه وحده ، ولا يحق لأحد من سلبهم حياتهم مهما كان ذلك الشخص ، حتى وإن كان الآباء الذين هُم سبب الإيجاد . وقتل الأولاد بسبب الفقر والعوز هذا مما لا شك فيه ضعف في الإيمان وعدم ثقة الفرد بخالقه ، وعدم إيمانه بأن الله هو الرزاق المانح للخير ، قال تعالى في سورة الإسراء (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا)(2) ، فهذا النّهي الآلهي إنما لتنبيه الإنسان من أن قتلهم بسبب الفقر لا يصح لأن الله هو من يرزق الناس ، وأنه مُتكفلٌ بهم وبرزقهم وبإطعامهم . ويدخل في القتل من أجهض مولوداً لنفس السبب أو مَنع حَملاً ، كل ذلك خلل في العقيدة يحتاج من الإنسان أن يُصحح ذلك الخلل وأن يثق بربه الذي خلقه فهو يرزقه مثلما يرزق غيره ، قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي يرويه عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : " سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كمل يرزق الطير تغدو خماصاً وتعود بطاناً "(3) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولا يقيس الإنسان حياته على حياة غيره من الميسورين ، فلكلِ انسان قَدَرٌ قد قَدَرَهُ الله له من الدنيا ، ولولا هذا التنوّع في الأحوال لما سارت الحياة على ماهي عليه . فلا قَتل الأولاد يزيد من رَغد العيش ؛ ولا إبقاءهم يزيد من الشقاء ، فلكلِ إنسان رزقٌ محتوم من الدنيا وله نصيب فيها ، وقتل الأولاد مُدرج من ضمن أعظم الذنوب ، وهذا ما بيَّنه النبي عليه الصلاة والسلام لنا في الحديث الذي يرويه إبن مسعود رضي الله عنه قال : " قلت يارسول الله أي الذنب أعظم ؟ قال : أن تجعل لله نداً وهو خلقك . قلت : ثم أي ؟ قال : أن تقتل ولدك من أجل أن يُطعم معك . قلت : ثم أي ؟ قال : أن تزاني حليلة جارك "(4) .

---

(1) والإملاق : شدة الفقر والفاقة ، يقال : أملق الرجل إملاقًا ، إذا احتاج وافتقر .

(2) سورة الإسراء، الآية 31 .

(3) أحمد بن حنبل (241هـ)، مُسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1429هـ 2008م، عدد الاجزاء 11، ج1، ص175، رقم الحديث (377) .

(4) أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد المعروف بإبن الجوزي (597هـ)، صيد الخاطر، تحقيق: عامر بن علي ياسين، دار إبن خزيمة للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1418هـ 1997م، ص463 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبعد الحُرمة الدينية من قتل الأولاد ، فهنالك أيضاً تبِعات إجتماعية متمثلة بإنحسار وإنكماش في الأمة وأعدادها وحجمها البشري ، وهذه من الثلمات التي تؤخذ عليها ، لأننا في زمن التنافس العددي الذي يفرض نفسه كثُقل وعامل مُهم في إدارة البلاد وقوانينها والتحكم فيها ، فالقيادة للأكثر عدداً في الدولة ، وهُم من يُشرّعون القوانين ويضعون الأنظمة ، وكلما كان العدد الإسلامي أكثر كلما كان له كلمة وحُظور ورأي ، وكلما قلّ وضعف كلما تسلط علينا أعداءنا وأصبحت كلمتهم فوق كلمة الإسلام ، وهذا مُنافي لما يريده الله منا حينما قال (وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا)(1) . فكيف تكون المَنَعة والقوة للمسلمين وهم قِلة ؟ والنبي عليه الصلاة والسلام أوصى بالتكاثر في النسل والإستزادة من الأولاد لِتعظم أُمته بين الأُمم وتكثر ، ولكي يتباهى بنا في الدنيا ويوم القيامة ، قال عليه الصلاة والسلام : " تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم "(2) .

وتدخل أيضاً في حرمة قتل الأولاد مسألة وأد البنات التي كانت مُنتشرة ومُتفشية في الجاهلية ، إلا أن الإسلام حرمها ، وإنعدمت هذه الظاهرة إلى يومنا هذا ، حيث كانت سبب في نزول الآيات التي بيّنت حرمتها ، ولو أن هذه الظاهرة لازالت منتشرة بدون التطرق القرآني لها وعدم تحريمها لتسببت بكارثة إنعدام الجنس البشري بنسبة كبيرة جداً بسبب قِلة أعداد الإناث الموجودين في الحياة مع إرتفاع نسبة الوأد بينهن ، وهذا من رحمة الله سبحانه وتعالى بالنساء ومن رحمته بالإنسانية أن جَعل النسل في أزدياد ، مع صَون كرامة المرأة وحِفظ آدميتها وحقها في الحياة كما الذَكر بالضبط ، وهذا واحد من جملة الردود على من يريد تشويه الدين بزعمهم أن المرأة فيه مُهانة ومعدومة الحقوق .

كما وأن تركَ الأولاد في الشوارع والتخلي عنهم ليُصبحوا مُشردين بلا أب ولا أُم ولا عائلة ولا أُسرة فهو في الحكم سواء ، فالمقصود بالحماية ليست فقط تركه على قيد الحياة ؛ وإنما الحفاظ على آدميته وكرامته التي منحها الله إياه ، وأعطاءه حقه في ممارسة الحياة الطبيعية مثله مثل غيره ممن يعيشون في كنف الأُسرة وفي ظل رعاية الأبوين . فالله سبحانه وتعالى تَكفل برزق الأبناء والتخفيف عن الآباء ، وأنه مثلما يرزق الآباء فإنه يرزق الأبناء ، لأن الله سبحانه وتعالى بيده مفاتح الخير وبيده خزائن السموات والأرض (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إلا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا)(3) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالتربية الحكيمة تغرس الثقة بالله عزوجل ، وتُنبت الفضائل والأخلاق في النفوس ، وأن أسمى التربية النفسية وأجلّها هي ما قُويت علاقتها بالله وتعلقت به سبحانه ، فلا ترى إلا ما يُريد الله ، ولا تنبذ إلا ماحرم الله ، فابتداءَها منه وإنتهاءها إليه سبحانه ، فهذه هي النفس المُطمئنة التي يُحبها الله سبحانه .
وتكريم الإنسان للإنسان يأتي من تكريم الله للإنسان ، لأنه إصطفاء الله من بين جميع الخلائق ، وهو المقصود بإنزال كل الشرائع ، ولأجله نزلت ملائكة السماء ، وأُرسل الرُسل قاطبة لأجل إستقامة طريقه والحرص عليه من الزَلل والخطأ . وأن قُدسيته فاقت كل المُقدسات . وهذه

---

(1) سورة النساء، الآية 141 .

(2) أبي عبد الرحمن احمد بن شعيب بن علي الشهير بالنسائي (215-303هـ)، سنن النسائي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، كتاب النكاح، باب كراهية تزويج العقيم، ص499، رقم الحديث (3277) .

(3) سورة هود، الآية 6 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الروح التي بين جنبيه من نوادر وعجائب خلق الله التي حيرت الدنيا ولم يجدوا لها تفسيراً . وتركيبة أحشاءه التي أعجزت العلماء والعباقرة في كيفية خلقها وطريقة عملها وإنتظام أداءها وإبداع تنسيقها وترتيبها . فالله سبحانه وتعالى من إوجده وصنعه بأدق تفاصيله ، ولا يحق لأحد أن ينتهك هذا الصُنع أو أن يُقرر كيف يُنهيه إلا من خَلَقه ، وإلا فأقسى العقوبة تكون نصيب من ينتهك ويتحدى ويتجاوز إرادة الله سبحانه وتعالى .

المطلب الرابع - إجتناب الزنى

من مميزات الإسلام النقاء والصفاء وخلوّه من الشوائب والأدران ، وأن من يَتّبعه يجب أن يتحلى بنفس صفاته ، فلا يمكن أن يتسلل إلى المُسلم الخَبث أو الخلل لا في السلوك ولا في التصرفات والأعمال . ومع تعدد الديانات وإرسال المُرسلين ظَهرت للبشرية العديد من القوانين والأنظمة التي تهدف إلى تنظيم حياة الناس وإرشادهم إلى الصواب في العمل ، ومثلما تحتوي هذه الدساتير والتشريعات أحكاماً تُعلم الناس كيفية عبادة الله ومعرفته سبحانه ، وأن يلتزموا بأوامره ويقيموا حدوده ؛ أيضاً إشتملت على بيان الطَيب والخبيث ، والجَيد والردئ ، وما يسوق إلى الفسق والفجور مثلما أن هنالك ما يقود إلى الطاعة والإستقامة . كذلك بيّنت هذه التشريعات ماهو طيب وطاهر من الأعمال وما هو خبيث وفاسد ، فلا يمكن أن يُحرم الله طيباً ولا يحل خبيثاً ، لأن الله سبحانه وتعالى طيب ولا يُحب إلا الطيب ، وهذه من صفات الله سبحانه وتعالى . وأن من بين الخبائث التي نهى الإسلام عنها هو الزنى ، قال تعالى في سورة الاسراء (وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا)(1) . والزنا " هو إسم لِوطِء الرجل إمراة في فرجها من غير نكاح ولا شبهه نكاح بمطاوعتها .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أو هو إدخال فرج في فرج مُشتهى طبعاً مُحَرم شرعاً "(2) . أو هو إيلاج المكلف حشفته أو قدرِها بفرج إمرأة حيّة من غيرِ توفر شروط النكاح . وهذا الفِعل من الخبائث المُنتشرة في المجتمعات ومنذ القِدم ، وبعد أن جاء الإسلام حرّم هذا الفِعل الذي كان مُباح عُرفاً ، ووضع له المُحددات التي تقطع على المُنتهكين لهذا الفِعل وتثبت من الحدود التي يجب أن يتوقفوا عندها ، فأنزل الله سبحانه وتعالى حُكمه ، وأردف الحُكم بالعقوبة المُقدّرة على فاعله ، ومن ثم أُتبعت السُنة النبوية ببيان لمُمهداته وطُرق إجتنابه ، فأصبح هذا الفِعل واضح المعالم بائن الأركان والطُرق ، وما على الإنسان إلا إتباع النصوص التي تقوده إلى إجتنابه وإجتناب الطُرق المُوصلة إليه ، فهو حرام شرعاً وعُرفاً .

ولِفعل الزِنى آثاره الكبيرة على الفرد والمجتمع ، والتي تؤدي إلى ضياعه والإضرار بالأخلاق

---

(1) سورة الاسراء، الآية 32 .

(2) عبد الكريم زيدان، المُفصّل في أحكام المرأة والبيت المسلم، ج5، ص28 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والعادات والعلاقات الأُسرية والإجتماعية ، بالإضافة إلى إنتشار الامراض والتي هي عقوبة ربانية على تفشي هذه الفاحشة ، وأن ما تعانيه الشعوب التي يتفشى فيها الزِنى من أمراض خطيرة كالزهري والسيلان اللذان أصبحا دارجيّن في هذه المجتمعات المُنحَلّة ، بالإضافة إلى العديد من الأوبئة المُعدية ومنها القاتلة والمُهلكه تماماً كالإيدز(1) . هذا المرض الذي حصد الملايين من الأرواح في مختلف بِقاع الأرض وخصوصاً المُجتمعات التي تشهد بُعداً دينياً . " فَعن عبد اللَّه بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلّم : لم تظهر الفاحشة في قومٍ قط حتى يعلنوا بها ، إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مَضت في أسلافهم الذين مَضوا "(2) .

كما وأنه أدبياً وأخلاقياً يُقلل من هيبة فاعله ويجعله مُحتقراً بين الناس وذليلاً في مجتمعه ، لأن هذا الفعل منبوذ داخل المجتمعات الواعية المثقفة والتي تمتلك حساً دينياً حتى وإن كان ضعيفاً ، وهذا من رحمة الله سبحانه وتعالى على بني الإنسان أن حرّم عليهم كل ما يضرهم ، ونهاهم عن كل ما يُشتت شملهم ويُفرّق أُسرهم ويهدد مجتمعاتهم . ومن أولويات التشريعات الإسلامية أنها تحافظ على الأُسرة ولمِ شملها وزيادة ترابطها ، وتساعد على تقويتها ، والزنى يُهدد تلك الأُسر ويهدد ترابطها وإستقرارها ، بل أنه ينسفها نسفاً ، فلا يكون للثقة ولا السكينة محل فيها ، فهو يُشتت العوائل ويُهدد علاقة الأزواج ببعضهم ، وبأولادهم ، ويُقطّع الأوصال بينهم ، ويزرع بذور العداوة والضغينة والنفور والكرّه ، فَحرية العلاقات الجنسية الغير شرعية بالنسبة للرجل والمرأة ، وإتخاذ العشيقة بالنسبة للزوج ، والعشيق بالنسبة للزوجة ؛ ما هي إلا خطوات لهدم الأُسر ونسف العلاقات الزوجية المترابطة .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" والحكمة من تحريم الزنى ظاهرة جلية ، لأن إيجاد النسل وحِفظه من المصالح الضرورية التي تحرص الشريعة الإسلامية على تحقيقها ، وقد شرعت النكاح وسيله لإيجاد النسل ، وحرّمت الزنى وعاقبت عليه حفاظاَ على النسل من إختلاط المياه والأنساب ، فيعدم النسل أو يضيع ولا يوجد مَن يرعاه ، لأن ولد الزِنى منبوذ لا يجد أباً يحميه ولا أُماً تُربيه . وما من مجتمع تشيع فيه فاحشة الزنى إلا كان ذلك إيذاناً بخراب البيوت ، وتفكك العائلة وتدهور الأخلاق ، وظهور العِلل والأمراض التي لم تكن في القدامى من المجتمعات ، ومن ثم هلاك الأمة "(3) . فهو من الكبائر التي نهانا الله سبحانه وتعالى عنها ، وأورد العديد من الآيات التي تُبيّن الحُكم والعقوبة لهذا الفِعل ، فقوله تعالى في سورة الإسراء (وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا)(4) قول فصل في هذه المسألة ، فوصَفه بِصفه قبيحة ومصطلح ذميم لما له من صَغْار ، وأنه ليس من صفات المؤمنين الذين جعلوا حُب الله مستمكناً في نفوسهم ، وبنوّا عقيدتهم البناء السليم المتين الذي هو بمثابة السور الفاصل بينهم وبين حدود الله .

والطبيعة الأنسانية التي فطر الله الناس عليها تجعل من الإنسان غيوراً على عرضه

---

(1) هو عبارة عن حالة مرضية تصيب الجهاز المناعي للإنسان، وينتج بشكل أساسي عن فيروس يُعرف بنقص المناعة البشرية (HIV)، والذي يسبب حدوث خلل في ظائف وفاعلية الجهاز المناعي بشكل تدريجي مما يجعل المصابين به معرّضين للإصابة بأنواع مختلفة من الأورام والعدوى الانتهازية

(2) إبن ماجه، سُنن إبن ماجه، كتاب الفتن، باب العقوبات، ص664، رقم الحديث (4019) .

(3) عبد الكريم زيدان، المُفصّل في احكام المرأة والبيت المسلم، ج5، ص29 .

(4) سورة الاسراء، الآية 32 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وشرفه ولا يسمح لأحد من المساس به ، بالتالي فإنه ينظر إلى عَرض الآخرين كما ينظر إلى عِرضه ، ويرفض هذا العمل القبيح مهما كان ، وان إرتضا أن يمارسه فلا يرتضي أن يُفعَل به ، فشيوع الرذيلة وإنتشار الزِنى يتعارض مع فطرة الإنسان ومبادئه ، فهو الأحق بِصَونها والمحافظة على عدم إنتشارها مهما كان . فالمؤمن يحاول أن يحافظ على إيمانه بشتى الطُرق ولا يسمح بضياعه من أجل لذة زائلة يتبعها الندم واللوم ، فعن أَبِي هريرة ، أَنّ رسول اللَّه صلى الله علَيه وسلم، قال : " لا يزني الزاني وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا ينتهب نهبة ، يرفع الناس إليه فيها أبصارهم وهو مؤمن "(1) . كما وذَكر الله سبحانه وتعالى صفات المؤمنين وأن من بينها عدم إتيانهم لفاحشة الزنى فقال (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا)(2) . فَقَرَنَ فِعل الزنى بالقتل والشرك بالله وجعل عقوبته مشابهه لعقوبتهما ، ما لم يُبادر إلى التوبة والندم على فِعلها ، فيعصم نفسه من العقوبة المُحققة نتيجة هذا العمل .

كما وأن فِعل الزنى ماهو إلا إهانة لِقدر المرأة وإنتقاص من كرامتها وجعلها سِلعة يبيع فيها المُستذئبون ويشترون ، وهذا مما لاشك فيه أنه مُخالف لتعاليم الإسلام ووصاياه بحق المرأة ، فبعدما كانت مُهانة بلا قدر في المجتمعات ما قبل الإسلام ، وكانت حقيرة في نفوس الرجال ، إلا أن الإسلام إسترد لها كرامتها وحَفِظ لها حقوقها وجعل لها القرار في قبول الزواج وجعل قبولها شرط من الشروط ، وأباح لها الإنفصال عن الزوج بالطلاق إذا لم تكتسب حقوقها التي أعطاها الإسلام إياها ، وجَعلها جوهرة ثمينة لايستطيع أي إنسان لمسها إلا من إمتلكها شرعاً وعُرفاً ، فلا يمكن بعد هذه المكانة العظيمة للمرأة في الإسلام أن تتحول إلى سِلعة تُباع وتُشترى بإسم الزنى !!

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولابد أن نُركّز على أمر مُهم يكون نتيجة للفاحشة ألا وهو الأولاد من الزنى ، والذي دائماً ما يُغبَن حقهم ، فلا يكون لهم بيت يأويهم ، ولا أب يحميهم ، ولا أُم تُربيهم ، ولا حقوق ولا حتى إحترام ، فالمجتمع يرفضهم ، ويعيشون فيه مُهمشين مَنبوذين مُنتَقصي القيمة والقَدر ، لا لشئ إلا لأنهم ضحية لعمل لا ذَنب لهم فيه ، وهذا من مخاطر الزِنى على الصعيد المُجتمعي . والذي هو نقيض البناء والتطور والرُقي ، فبوجود هؤلاء الأولاد سيكون المجتمع في خطر ، لا الخطر القادم منهم ؛ وإنما الخطر القادم معهم وعليهم ، فباختلاط الأنساب لا يستطيع الإنسان أن يَضمن حقوق الأولاد ، ولا أن يعيش ساكن البال صافي السرِيرة ، فيكون القلق مُساوره ، والشك مُلازمه ، فلا يهدأ له بال ، ولا تسكن له جوارح . فضياع الأنساب يسبب ضياع الحقوق وتفشي المصائب ، وضياع المواريث ، ويكون إحتمالية تزاوج المحارم دون عِلم بسبب إختلاط الأنساب وعدم دراية الفرد إلى من يَعود ؟ أو إلى أي أُسرة يكون نَسبه ؟ وإلى أي أب ينتمي ؟ فتنعدم ثقة الآباء بالأبناء ، ويَطمع الأبناء بالآباء ، فيَتبع الفاحشة جرائم عديدة بسبب عدم رصانه النَسب .

" أن في الزنى قتلاً من نواحي شتى ، أنه قتل إبتداء لأنه إراقة لمادة الحياة في غير موضعها ، يتبعه

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب الزنى وشرب الخمر، ص1677، رقم الحديث (6772) .

(2) سورة الفرقان، الآية 68 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

غالباً الرغبة في التخلص من آثاره بقتل الجنين قبل أن يتخلق وبعد أن يتخلق ، قبل مولده أو بعد مولده، فإذا ترك الجنين للحياة ترك في الغالب لحياة شريرة أو حياة مهينة ، فهي حياة مضيعة في المجتمع على نحو من الأنحاء .. وهو قتل في صورة أُخرى . فتضيع الأنساب وتختلط الدماء ، وتذهب الثقة في العرض والولد ، وتتحلل الجماعة وتتفكك روابطها ، فتنتهي إلى ما يشبه الموت بين الجماعات . وما من أُمة فشت فيها الفاحشة إلا صارت إلى إنحلال ، منذ التاريخ القديم إلى العصر الحديث .. والقرأن يُحذر من مجرد مقاربة الزنى ، وهي مبالغة في التحرز ، لأن الزنى تدفع إليه شهوة عنيفة ، فالتحرز من المُقاربة أضمن ، فعند المُقاربة من أسبابه لايكون هناك ضمان "(1) .

لذلك فقد وضع الإسلام العقوبات المناسبة لهذا الفِعل القبيح ، وجَعل الحد على حسب نوع الفِعل ، فعقوبة الزاني المُحصن تختلف عن عقوبة الزاني الغير مُحصن ، قال تعالى (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ، الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ)(2) . فهذه عقوبة الزاني الغير مُحصن مع توجيه إهانه له بزواجه من نفس جنسه ، ألا وهي الزانية ، فالزاني يتزوج مثيلته ، مثلما الطَيبه لا ينكحها إلا طَيب ، والطَيب لا ينكح إلا طَيبه ، فالجزاء من جنس العمل . أما الزاني المُحصن فعقوبته الرجم حتى الموت ، وذلك لأنه لَمس لذّة الحلال فما إنتهى ولا إنتهت نفسه لذلك ، بل تجاوز الحلال إلى الحرام ، فكان حُكمه كَمن رفض رزق الحلال الذي رزقه الله إياه ورَضي برزق الشيطان له .

والشهوة الإنسانية التي تقوده إلى إرتكاب الفاحشة هي الحد الفاصل بينه وبين الحيوان والملائكة ، فإن سَيطر الإنسان على شهوته وغريزته إرتقى إلى ماهو أعلى من الملائكة ، وإن سيطرت غريزته عليه صارَ أدنى من الحيوان في المَنزلة ، لأن الحيوان لا يمتلك العقل الذي يرشده إلى الصواب والرشاد من الأفعال . فتَحكّم الفرد بأفعاله وغريزته يجب أن يكون نابع من حِرص إسلامي عَقدي بحتّ لكي يكسب الأجر من ذلك بِنيّة الطاعة لخالقه . وكذلك يكون إجتنابه للفاحشة طاعة لمولاه جلّ في عُلاه .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لأن إرادة خالقه له إرادة راقية حضارية شاملة ، إرادة أن يكون له هيبة ووقار وإلتزام ، لكي يبني حضارته ويُبدع فيها ، وحتى يتمكن من السيطرة على سلوكه وأفعاله التي بالطبيعة هي أفعال إنسانية مُتّزنة ، ولا يجب أن تكون أفعال حيوانية همجية عشوائية تائهة تتسبب في الخراب المُجتمعي والدمار الأسري ، وأن لا تكون مُحطِمة للعلاقات الإجتماعية التي هي نتيجة الإنحلال والفاحشة ، فالمطلوب هي إقامة العلاقات والتعارف ، لا أن تكون عداوات ومُشاحنات وتباغض ، فالأُولى أمرنا الله بها وفق معادلات إسلامية إلآهية رصينة ، والثانية نتيجة عدم الطاعة والإلتزام ، ونتيجة الفِعل العشوائي الغير مُنضبط ، الذي لايُمكن معه نشوء أي تطور حضاري ثقافي ، ولا حداثة ولا مدنية ، لأن الأعمال هنا تكون حيوانية بحته ، ولا يمكن للحيوان أن يَبني ويَرتقي .

---

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج4، ص2224 .

(2) سورة النور، الآية 2-3 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الرابع
الإيمان بالغَيب وأثره في البناء الحضاري

المبحث الأول : ما إختص الله به نفسه

المطلب الأول : اللّوح المحفوظ

المطلب الثاني : الأمر الآلهي لِمن في السماء عند خَلق البشر

المطلب الثالث : الروح

المطلب الرابع : رفع القرأن

المطلب الخامس : أن الله سائِلنا

المبحث الثاني : ما حَصل للنبي عليه الصلاة والسلام بإرادة الله تعالى

المطلب الأول : عناية الله فوق كيد أعدائه

المطلب الثاني : التفريق بين دعوة محمد ودعوة موسى عليهما الصلاة والسلام

المبحث الثالث : الإسراء والمِعراج

المبحث الرابع : أعظم إجتماع في التأريخ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تمهيد :

الغَيب هو أكبر مسألة من مسائل الإعتقاد ، وأهم قضية من قضايا العمل ، ولا يمكن لأي شخص من إستيعابه إلا أصحاب القلوب النقيّة والعقول النيّرة واللّب الصالح ، فاللذين يؤمنون بالغيب هم صَفوة الله من خَلقِه ، والمشمولين بالخطاب القرآني الذي دائماً ما يصِفهم الله تعالى به بالمُتّقين تارة ، وبالمؤمنين تارةً أُخرى ، قال تعالى (الم ، ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ ، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ)(1) ، فقد إفتتح هذا الوصف في أول سورة بعد الفاتحة في القرآن الكريم ليبيّن لنا الله تعالى أن كل ما بعد الغَيب هو مبني عليه ، وأن الدين الإسلامي بكافة تشريعاته وأحكامه إنما هو نِتاج الإيمان بالغَيب والذي هو أساس العمل أيضاً . فالغَيب في اللغة هو : " ما غاب عن العيون وإن كان مُحصلاً في القلوب ، ويقال سمعت صوتاً من وراء الغيب ، أي موضع لا أراه "(2) . وهو : " السر الذاتي وكُنْهه الذي لا يعرفه إلا هو ، ولهذا كان مَصوناً عن الاغيار ومكنوناً عن العقول والأبصار "(3) . وفي الإصطلاح : " هو ما غاب عن الناس مما أخبرهم به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من الملائكة والجنة والنار والحساب وغيره "(4) . وهو ما إستأثر الله بِعلمه ولم يَطّلع عليه أحد من البشر إلا من إرتضى من أنبياءه ورُسله . فهو مَحط إختبار وإمتحان للبشر على مدى إيمانهم بالله وثقتهم به سبحانه . فذِكر الأشياء الغير ملموسة وبمجرد الإخبار بها من قِبل الأنبياء والرُسل ، والموجودات الكونية وخلق الإنسان هي الأدلة الوحيدة عليه ، ما هو إلا لبيان مدى إستيعاب البشر لهذا الخَلق ومدى إيمانهم بالله الصانع الخالق ، ومدى تقبُلِهم للدين بجميع أجزاءِه ومكوناته .

فالإيمان بالغَيب هي خاصية يتميز بها الإنسان عن غيره من المخلوقات ، والإنسان أيضاً يُقسم إلى قسمَين : الإنسان العاقل الذي يستخدم عقله للوصول إلى خالقه والإيمان بكل ما أخبر به من خلال القرآن أو عن طريق إخبار الرُسل بذلك ، (إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ)(5) . والإنسان الذي سَخَر عقله للجحود والنكران وعدم تقبُله لموضوع الغَيب ، بالتالي يكون الكُفر والجحود والإلحاد قراره .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والإيمان بالغيب يُعطي للإنسان فِكر حُر نظيف يعتمد على التفكير بالأُمور المُخبَر عنها فقط ، ولا يمِكن أن يتعدى التفكير إلى أشياء خارج نِطاق العقل البشري ، لأن هذا العقل إمكانياته محدودة ولا يستطيع أن يتعدى حدود ما خَلقه الله ، لأنه لا يمكن أن يتوصل إلى نتيجة مهما أستنتج وحَللَ وفَكر ، بالتالي يجب على الإنسان أن ينأى بتفكيره عن كل ماهو غير مُكلّف به ، ولا يستفيد منه شئ . كذلك أن الإيمان بالغيب يُتيح للإنسان التفكّر والتدبّر بالآء الله وخَلّقه ، فهو حَبل يوصلنا إلى الله ، وهو دليل قوي على وجوده وحكيم صُنعه . بالإضافه إلى إنتقال الإنسان من مُحيطه الضيق إلى مُحيط

---

(1) سورة البقرة، الآية 1-3 .

(2) إبن منظور، لسان العرب ، طبعة دار المعارف، باب الغين (غَيب)، ج5، ص3322 .

(3) الجرجاني، معجم التعريفات، باب الغين (الغين مع الواو والياء)، ص137 .

(4) سعدي أبو جيب، القاموس الفقهي لغةً وإصطلاحاً، ص281 .

(5) سورة المُلك، الآية 12 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أوسع وأَشمَل ، فما هو موجود لدينا وما حولنا عبارة عن موجودات مُستمرة الوجود مُهيأة لخدمة الإنسان ، وما يوجد غيرها من أزمنة ومراحل سيَمر بها الإنسان أكبر وأعظم ، لكن غير ملموسة وتحتاج إلى أدلة عليها ، وهذه الأدلة مُجرد إِخبار من الله بها ، وكذلك إِخبار من الأنبياء والرُسل بخصوصها ، مثل مراحل يوم القيامة والقبر والميزان والسِراط والسؤال . فالإنسان يستطيع أن ينتَقل بتفكيره إلى هذه الغير ملموسات لكن بحدود إِخبار النصوص عنها ، ولا يتجاوزها إلى الأسئلة التي لا تُفيد الإنسان بشئ ، خصوصاً عندما توُصِله إلى الشك أو الإلحاد لعدم توفر الأجوبة على أسئلته التي هي أصلاً من إختصاص الله سبحانه وحده ، ولسنا مأمورين بالخوض فيها ، مثل السؤال عن قِدّم الله ، وماذا سيحصل بعد أن يُقضى الأجل بالجنة أو النار ؟ وماحجم السموات ؟ وكيف هو عرش الله ؟ وهل لله أعضاء ؟ وغيرها من الأسئلة التي لا يعلم الأجابة عليها إلا الله . قال تعالى (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ)(1) . فما أخبرنا به الله تعالى والنبي عليه الصلاة والسلام كافي لأن يوصلنا إلى طريق النجاة وحِفظ أنفسنا من الزَلل والخطأ ، وأن ما سواهما من أمور غَيبية وأسئلة يُثيرها المُلحدون ليُزعزعوا الناس عن عقيدتهم ما هي إلا أُمور شيطانية بَحتة ، يستعين بها الشيطان ليوقع أكبر عدد من الناس في شِراك الكفر والإلحاد . فعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " دعوني ما تركتكم إنما هَلك من كان قبلكم بسؤالهم وإختلافهم على أنبيائهم فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما إستطعتم "(2) .

ويكفينا أيضاً المراحل التي يُمكن للإنسان أن يمر بها سواء قبل خَلقه أو بعد الموت لِتكون لدينا معرفة تامة عن ما نحتاجه لتمكين أنفسنا من سلوك الطريق الصحيح ، طريق الأيمان والتوحيد . فما أخبرنا الله سبحانه وتعالى من مراحل سَيمر بها الإنسان بعد الموت والذي هو الحقيقة الغيبية الوحيدة التي يلمسها الفَرد بِهلاك من قَبله من الأجيال وهلاك أقرانه أمام عينه ، والموت هو الحد الفاصل بين الحياة الملموسة والحياة البرزخية الأُخروية الغير ملموسة . قال تعالى (قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)(3) ، هذا بإختصار ما سيكون للإنسان من حقائق يجب العمل على أن يكون واثق الخطوات فيها بما قدمه من إيمان بها .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإذا قارنّا الجيل الذي نعيش فيه بالجيل الذي كان يعيش مع النبي عليه الصلاة والسلام فسنَخرج بنتيجة أن الايمان الموجود في الأجيال المتعاقبة ما بعد جيل التابعين هو يكاد يكون أقوى من إيمان جيل الصحابة برأيي ، لأن الصحابة شاهدوا معجزات ودلائل إلآهية عاصرت فترة وجود النبي عليه الصلاة والسلام بينهم مثل القرآن ونزول آياته ومواكبته للأحداث ، إلى تأييد الله للمسلمين في حروبهم وإنزال الملائكة للقتال معهم ، وإلى غيرها الكثير من الأمور الغيبية والاعجاز الآلهي الذي

---

(1) سورة المائدة، الآية 101 .

(2) صحيح البخاري، كتاب الإعتصام بالكتاب والسُنة، باب الإقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقوله تعالى (وإجعلنا للمُتقين إماماً) ،.. ص1800، رقم الحديث (7288) .

(3) سورة الجمعة، الآية 8 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقَع آنذاك. أما في أيامنا فأننا نفتقر إلى مثل هذه الأدلة ونفتقر إلى نفحات النبوة التي كانوا يستنشقونها بوجود المصطفى عليه الصلاة والسلام حينما كان بين ظهرانيهم ، وإكتفينا فقط بالإخبار الآلهي من خلال القرآن ، وبالأدلة التي وصَلتنا من سُنة محمد صلى الله عليه وسلم ولم نر إلا القليل منها ، وإكتفينا أيضاً بالآيات الكونية وإعجاز الله في خلقِه كأدلة ملموسة توُصِلنا إلى الإيمان بالغيب الآلهي وأسراره . وهذا المعنى ما دل عليه حديث النبي عليه الصلاة والسلام " وددتُ انا قد رأينا إخواننا . قالوا : أولسنا إخوانك يارسول الله ؟ قال : أنتم أصحابي ، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد "(1) ، وكما هو معلوم أن منزلة ومكانة الأخ أكبر من من منزلة الصاحب . وهذا رأيي ..

سأتناول بعض من هذا الأمور الغيبية العَقدية التي ذكرها الله في سورة الإسراء والتي أمرنا ربنا بالإيمان بها والتفكّر فيها ، فمنها ما يخص الذات الآلهية ، وهو وحده سبحانه من يتحكم فيها ، ومنها ما وقَعت على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأخبرنا بها في القرآن الكريم ، أو وصلتنا عن طريق الأحاديث المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وهذه الأمور مما لا شك فيه أنها جُزء من عقيدتنا وأن إيماننا بها يوصِلنا إلى مُعطيات عديدة مُهمة ، أهمها بناء ثقة الإنسان المُسلم بنفسه ، وأن له رباً عادلاً حكيماً خبيراً يلجأ إليه في السراء والضراء ، وأن الإنسان يجب أن يَسير بخُطى واثقة تِجاه تحقيق مبدأ الإستخلاف الفِعلي في الأرض وتكوين النموذج الحضاري للمُسلم الراقي الذي يتطلع إليه بقية الناس من مُعتنقي الديانات الأخرى أو المُلحدين على أنه النموذج الذي يجب أن يُحتذى به ، لأنه نِتاج إستمكان العقيدة الفريدة الصحيحة في النفوس . بالإضافة إلى أننا على إحتكاك دائم بقضية القضاء والقدر الذي نُلامس آثاره في حياتنا اليومة والذي هو جزء من الغَيب الذي كتبه الله على عباده في الأرض . فيكون إيمان الإنسان بالغَيب بمثابة إعطاؤه معنى إيجابياً للحياة وقيمة ضرورية للتعايش بين الناس في سلام وأمان .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول : ما إختص الله به نَفسه

تمهيد :

في عِلم العقيدة هنالك نوعان من العلوم ، عِلم إختص به الله سبحانه وتعالى وجَعله لِنفسه ولا يُمكن لأحد أن يطّلِع عليه أو أن يكون لديه عِلم فيه ، وعِلم عَلّمه الله تعالى لِبَني البشر يحتكمون إليه ويتعايشون فيه ويُنظمون حياتهم وسلوكهم على ضوءه ، وهذا العِلم مما عَلّمه الله تعالى سواء للملائكة أو للإنسان . قال تعالى (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ، إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا)(2) ، فهذا النوع من العلوم عَلّمه الله تعالى لأدم عليه

---

(1) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب إستحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، ج1، ص218، رقم الحديث (249) .

(2) سورة البقرة، الآية 26-27 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الصلاة والسلام ومن ثم لذُريته من بعده ، وهي علوم الأرض وكل ما فيها لتكون في خدمتهم وتحت درايتهم وعِلمهم ، وهذا من إرادة الله تعالى لِبَني البشر ، كذلك أعطى علوم أُخرى للملائكة تساعدهم في تنفيذ الأوامر الصادرة إليهم مِن الله فيما يخص البشر ، قال تعالى (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ، قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ، قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ)(1) . فالعِلم الأساسي هو عِلم الله بكل شئ والذي لا يسمح لأحد أن يَطّلع عليه ، والعِلم الثاني هو العِلم الذي عَلمه الله تعالى لأدم عليه الصلاة والسلام والذي بدوره عَلّمه للملائكة وفق سماح الله له بذلك . وهنالك أيضاً عِلم عَلمه الله تعالى للملائكة ، وهو عِلم مُحدد وفق ما يُسير هؤلاء الملائكة لقضاء أوامر الله ، قال تعالى (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)(2) . فمن أين عرفت الملائكة بطبيعة الإنسان لولا أن علمهم الله سبحانه وتعالى بعض العلوم ؟

ذكر الله سبحانه وتعالى بعضاً من العلوم التي لا يعلمها إلاهو سبحانه في سورة الإسراء ، سأذكرها على مطالب خمس ، وأن هذه العلوم هي من صنع الله وبتقديره وحده ، ولا يد لأحد لا في صنعها ولا بتقرير مافيها ، لأنها أصل خَلّق الانسان وسر من أسرار الله في هذا المخلوق ، وأيضاً هي تخصّ الإنسان وتخصّ حياته وحتى من بعد مماته .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول - اللّوح المحفوظ

لقد ذكر الله سبحانه وتعالى كلمتين في سورة الاسراء تدلان على معنى انقضاء الامر الرباني من قبل في تقرير احوال البشر ، وهي دلالة على سريان الامر الالهي منذ الازل ومن قبل ان يخلق الانسان وتكون له الحياة على هذه الارض . فكلمة (قَضى) في قوله تعال (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ)(3) . وكلمة (قَضينا) في قوله تعالى (وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ)(4) . تدلان على ان الله أحاط بكل شئ علماً ، ووَسِع كل شيْءٍ قُدرةً وحُكماً ورحمةً ، فما من ذرة في السموات ولا في الأرض ، ولا أدنى من ذلك ولا أكبر إلا وهو شاهدٌ لله على تمام الصُنع وإبداع الخَلق وجودة الإيجاد ، ودليل كمال القُدرة والحِكمة . وما خلق الله من شئ عبثاً ، ولا أوجد شيئاً باطلاً ولَهواً ، إنما هو الحكيم بأفعاله والخبير بتصرفاته ، والعدل بأحكامه . وأن مما خلق الله ومن علمه ما أطلَع عليه أحداً من خلقه ، ومنه ما إستأثر به لنفسه ولم يسمح لأحد بعِلمه . وأن مما إستاثر الله بعلمه وجَعَلَه

---

(1) سورة البقرة، الآية 31-33 .

(2) سورة البقرة، الآية 30 .

(3) سورة الإسراء، الآية 2 .

(4) سورة الإسراء، الآية 4 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لِنفسه فقط دون أن يُطلِع عليه أحداً من خَلقه هو اللّوح المحفوظ . والمقصود باللّوح المحفوظ بإجماع الآيات على أنه كتاب كَتَب الله سبحانه وتعالى فيه علم الأولين والآخرين ، وما كان وما سيكون ، وما من ذرة أو أدنى من ذلك إلا وقد وَرد ذِكرها فيه ، فهو محفوظ من التحريف أو التبديل ، أو النقص أو الزيادة ، بحراسة إسرافيل عليه السلام ، " روى إبن أبي حاتم عن عبد الرحمن بن سلمان قال : ما من شئ قضى الله ، القرآن فما قبله وما بعده ، إلا وهو في اللّوح المحفوظ ، واللّوح المحفوظ بين عيني إسرافيل لا يؤذَن له بالنظر فيه "(1) . فمُنذ أن خلق الله الإنسان وإلى نزوله إلى الأرض ومن ثم الإنتشار والإستعمار ، وإلى قيام الساعة وإنصراف الفريقين إلى الجنة أو إلى النار ؛ إنما هو موجود في اللّوح المحفوظ ، فما جرى وما يجري وما سَيجري إنما هو مُقَدر من قِبَل الله تعالى وهو عليم به ، قال تعالى (وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ)(2) ، وهذا من صميم العقيدة الإسلامية أن نؤمن أن الله عالم بِكل شئ وعِلمه أزلي ولا حدود له ، فلا بداية لِعمله وحِكمته ، ولا إنتهاء لها . قال تعالى (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ)(3) . فقد أخبر الله في هذه الآية أن عِلمه واسع وشامل ، وكله موجود في الكتاب ، والذي يُقصَد به اللّوح المحفوظ . وقد عَرّف إبن كثير اللّوح المحفوظ تعريجاً على الآية (بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ، فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ)(4) فقال : " في لوح محفوظ أي : هو في الملإ الأعلى محفوظ من الزيادة والنقص والتحريف والتبديل "(5) .

اما ورود كلمة (في كتاب) بتكرار كثير في القرآن ، ويسبقها إخبار وعِلم الله ؛ إنما هي دليل على اللّوح المحفوظ الذي فيه عِلم الله وأخبار الأولين والآخرين ، وما دلّت الآية من معاني على ذلك واضحة جَليّة لا تحتاج إلى تأويل أو شُبهه . قال تعالى (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ)(6) . وحينما سُأل موسى عن القرون الأولى فأجاب (قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأُولَى ، قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى)(7) ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فذَكر أن جميع الأخبار إنما هي عند الله في كتاب مَحفوظ لا يغيب عنه أي شئ وإن كان أصغر من الذرة . كذلك إستغراب الملائكة لِخَلق الانسان ما حصل لو كان اللّوح المحفوظ مكشوف لغير الله سبحانه وتعالى ، فالملائكة هم أقرب المخلوقات إلى الله ، ولو أن أحداً يعلم ما في الكتاب لَعلِمته الملائكة بسبب قُربها من الله تعالى ، إلا أنهم لا يمكن لهم أن يعلموا ما فيه وهذا ما أثبته القرآن بقوله (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)(8) ، وما حَصل للملائكة من إستغراب لهو دليل على أن الملائكة المُقربون لا يعلمون شيئاً مما حَكَم الله به على

---

(1) إبن كثير، مختصر تفسير إبن كثير، ج3، ص626 .

(2) سورة النمل، الآية 75 .

(3) سورة الحج، الآية 70 .

(4) سورة البروج، الآية 21-22 .

(5) إبن كثير، مختصر تفسير إبن كثير ، ج3، ص626 .

(6) سورة الحديد، الآية 22 .

(7) سورة طه، الآية 51-52 .

(8) سورة البقرة، الآية 30 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخلق ، وما كتبه في كتابه ، وما أقرّه على غيره من الخَلق .

ومن الآيات الأخرى التي وَرَد فيها عِلم الله ، ومن ثم أتبعه بكلمة (كتاب) أذكر بعضاً منها على سبيل الإستشهاد لا الحَصر :

قال تعالى (إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ، وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ)(1)، وقال تعالى (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ)(2)، وقال تعالى (مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ)(3)، وقال (يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ)(4) .

كل ما ذَكرتُ من الآيات تُثبت أن هنالك كتاب يحتوي على عِلم الله ، وعلى حقيقة ما سيجري على الأرض بعد خَلق الانسان ، وأن هذا الإخبار حاصلاً لا مَحالة ، ولا يمكن أن يتغير ولا أن يتبدل مهما حصل وتحت أي ضرف ، وأن ما يجري من تغيير وتبديل في الأحوال الحاصلة للإنسان أنما هو موجود في ذلك الكتاب ، ومُقرر من قَبل .

فهذا الكتاب مُطابق لِعلم الله ، وعِلمه بالاشياء مُطابق لِما هي عليه ، وهذا العِلم لا يتغير عما كان في الكتاب ، وقد أثبت الله ذلك العِلم في القرآن الكريم وأخبر به الإنسان فقال (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجاً وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ)(5) . فإخباره لِبني البشر إنما ليزدادوا يقيناً أن الخَلق كُله بيد الله ، وأن الأقدار جميعاً إنما تجري بأمر الله ، فالإنابة والرجوع المُفتَرضَين لا يكونان إلا لله وحده ، لأنه من بيده مفاتيح كل شئ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فأول ما خلق الله سبحانه وتعالى القلم ، وأَمره بالكتابة ، كتابة ما سيكون من بعد خَلّقه (أي القلم) ، والذي لم يُخلق أي شي حينها سوى العرش ، وأن السموات والأرض خُلِقت بعد القلم بخمسين ألف سنة . فعن عبادة بن الصامت أنه قال لإبنه :" يابني أنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليُخطأك ، وما أخطاك لم يكن ليُصيبك ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (أن أول ما خلق الله تعالى القلم ، فقال له أكتب ، فقال : رب وماذا أَكتب ؟ قال : أكتب مقادير كل شئ حتى تقوم الساعة) . يابني أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (من مات على غير هذا فليس مني) "(6) . وأيضاً مما يدل على إنتهاء الآجال بإنتهاء كتابتها من قِبَل الله في اللّوح ، وأن كل ما يُصيب الانسان إنما هو مُقدر من قِبل الله عزوجل فهو الذي يعلم أحواله وما سيعمل ، وأي الطُرق سيختار ، فهذا الأمر من القَدر الذي وَضع الإنسان موضع التسيير ، فهو مرتبط بِقَدرِه

---

(1) سورة الزخرف، الآية 3-4 .

(2) سورة الحج، الآية 70 .

(3) سورة الحديد، الآية 22 .

(4) سورة الرعد، الآية 39 .

(5) سورة فاطر، الآية 11 .

(6) أبي داود سليمان بن الاشعث السجستاني (202 - 275هـ)، سنن أبي داود، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط2، (لم يذكر تاريخ)، ص850، رقم الحديث (4700) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولا يمكن أن يُخالفه مهما كان ، وأن إختيار الإنسان لطريقه هو معلوم لدى الله سلفاً ، فالإجبار والإختيار حاصل فعلاً في نفس الموضع . وحديث النبي عليه الصلاة والسلام لإبن عباس واضح ويوضح إرادة الله بِبَني البشر ، قال صلى الله عليه وسلم لإبن عباس : " يا غلام إحفظ الله يحفظك ، إحفظ الله تجده تجاهك ، تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا إستعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو إجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رُفعت الأقلام وجَفت الصُحف "(1) . فقول النبي عليه الصلاة والسلام (رُفعت الاقلام وجَفت الصحف) إنما دلالة على حُكم الله القاطع وأجله في بني الإنسان ، وأن ما كتَبه عليه لا يمكن أن يتغير مهما حَصل ، وأن الخير الذي يُصيب الانسان لم يكن لغيره ولا ليُخطأه ، وأن السوء الذي يُصيبه من عمل يده إنما هو مُقدّر عليه لا لغيره ، فالكناية بقوله (رُفعت الاقلام) على أن من يُنهي كتابة شئ مُعين فإنه يرفع القلم دلالة على الإنتهاء ، ونفاذ القلم من الحبر الذي يُكتب فيه ، وقوله (جَفّت الصحف) إنما دلالة على قِدَم الكتابة وإنتهاءها ، وجفاف الصُحف أيضاً يدل على ثبوت الكتابة والقول الفصل فيها . وهذا الأمر مما يحمل الإنسان على الإطمئنان ، وزيادة ثقته بالله سبحانه وتعالى أن الأرزاق محسومة ، وأن الأقدار بيده سبحانه وحده ، فلا حُكم لمخلوق عليه - أي الانسان - ، ولا نفع ولا ضرر يُصيبه إلا بأمر الله وهو مُقدّر من قَبل ، قال تعالى (قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ)(2) .

ومثال على الأمور الغيبية التي أخفاها الله سبحانه وتعالى عن البشر إخفاءاً تاماً ، ولا يمكن لأي أحد معرفتها ألا هو سبحانه ، ما أوردها الله تعالى في الآية (إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)(3) ، فمهما بَلَغ الانسان من عِلم ، ومهما حصل من ثورة في مجال الطب والفلك والتنجيم ، فمن المُستحيل أن يعلم أي أحد بأسرار قد كتمها الله عن خَلقِه ولم يسمح لأحد بمعرفتها . فالطب مهما تطور فلن يعرف ما سيكون للإنسان من ذُرية ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالثورة الحاصلة الآن في مجال زراعة الأجنة ، والتحكم في تحديد نوع وجنس الجنين ؛ ما هي إلا جزء من هذا العلم الذي كتمه الله عن العباد ، والمقصود بِلا يعلم ما في الأرحام ؟ أي لا يعلم أحد بهذه الأرحام ما ستُنجِب من قبل أن تتزاوج أصلاً . ولا من هي مُقدّرٌ لها بالحمل من التي لا تُنجِب نهائياً . ومهما حصل من تطور في علوم الفلك والمناخ ، فإن الإنسان عاجز عن معرفة تصريف الرياح والسحاب ، وعاجز على إمداد الأرض الجدباء بالماء إلا بأمر الله ، وكَم من التقديرات أخطأت ؟ وكَم من الكشف المُبكر عن تغييرات المناخ كالرياح والأعاصير وإنخفاض أو إرتفاع في درجات الحرارة لم يُحالفها الصواب ، وذلك لأن عِلم الله فوق جميع العلوم ، وإرادته فوق جميع التخمينات والتكهنات والإستنتاجات ، وغيرها بقية أسرار الله التي أخفاها عن المخلوقات لِعظيم شأنها ، أو إرداته الخفية التي لا يعلم

---

(1) الترمذي، سُنن الترمذي، ص566، رقم الحديث (2516) .

(2) سورة التوبة، الآية 51 .

(3) سورة لقمان، الآية 34 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حِكمتها إلا هو سبحانه . وفي التعريج على الآية (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إلا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إلا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ)(1) قال الشيخ السعدي : " هذه الآية العظيمة من أعظم الآيات تفصيلاً لعلمه المُحيط ، وأنه شامل للغيوب كلها التي يطلع منها ما شاء من خلقه ، وكثير منها طوى علمه عن الملائكة المُقربين والأنبياء المُرسلين ، فضلاً عن غيرهم من العالمين ، وأنه يعلم ما في البراري والقِفار من الحيوانات والأشجار ، والرمال والحصى والتراب ، وما في البحار من حيواناتها ومعادنها وصيدها ، وغير ذلك مما تحتويه أرجاؤها ، ويشتمل عليه ماؤها. (وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ) من أشجار البر والبحر، والبلدان والقفر، والدنيا والآخرة (إلا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأرْضِ) من حبوب الثمار والزروع ، وحبوب البذور التي يبذرها الخلق ؛ وبذور النوابت البرية التي ينشئ منها أصناف النباتات . (إلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) وهو اللّوح المحفوظ ، قد حواها وإشتمل عليها ، وبعض هذا المذكور، يُبهر عقول العقلاء ، ويذهل أفئدة النبلاء ، فدل هذا على عظمة الرب العظيم وسعته في أوصافه كلها ، وأن الخلق - من أولهم إلى آخرهم - لو إجتمعوا على أن يحيطوا ببعض صفاته لم يكن لهم قدرة ولا وسع في ذلك ، فتبارك الرب العظيم ، الواسع العليم ، الحميد المجيد ، الشهيد المحيط ، وجل مِنْ إله ، لا يُحصي أحد ثناء عليه ، بل كما أثنى على نفسه ، وفوق ما يثني عليه عباده . فهذه الآية دلّت على عِلمه المُحيط بجميع الأشياء ، وكتابه المحيط بجميع الحوادث "(2) .

كذلك أورد الله سبحانه وتعالى بعض الكلمات التي تدل على تقرير الله سبحانه وتعالى لأحوال وآجال مُعَينة على بني الإنسان قد أُقرت سلفاً ، كألفاظ (كَتبنا) و (قَضينا) وكلها تدل على أمر الله النافذ منذ الأزل على بني الإنسان في كَتْبْ أقدارهم وأحوالهم ومآلهم ، فمثال كلمة (كَتبنا) قوله تعالى (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ)(3) . وقوله تعالى (مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ)(4) . فكلمة كَتبنا تعني أن الله كَتب سلفاً على العباد ما ذَكرته الآيات وغيرها كثير من الأقدار المُقَدّرة ، ومن العقوبات المُحتّمة على أفعال مُعينة ، ومن حِلّه وحُرمة .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد ذَكر الله سبحانه وتعالى كلمة (قَضى) في سورة الإسراء مرتين ، للدلالة على أن هنالك أمور مَقضي فيها سلفاً ، وقد خطّها القلم ورُفع بعد كتابتها ، فهي ثابتة عقيدتةً وحُكماً ، ومُقدّرة على البشر ثواباً وأجراً أو عقوبةً وَحَداً . قال تعالى (وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا)(5) . فهذا القضاء على بني إسرائيل بالعقوبة والجزاء على ذنب . وذكر

---

(1) سورة الأنعام، الآية 59 .

(2) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط2، 1422هـ 2002م، ص288 .

(3) سورة الأنبياء، الآية 105 .

(4) سورة المائدة، الآية 32 .

(5) سورة الإسراء، الآية 4 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالمقابل معنى للإحسان واللُطف مُقترناً بعبودية الله ، قال تعالى (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا)(1) ، فكِلا الحالتين قضاء الله بأمر سلفاً على بَني البشر ، وهذا القضاء لا يتغير مهما حصل ، وأن الإنسان سائر لتطبيقه بلا قُدرة على تبديله ، ولا حيلة لتغييره .

وهنا يتبادر إلى الأذهان سؤال مُرادف لسؤال هل أن الإنسان مُخير أم مُسير ؟ فالسؤال يقول لماذا لا يمشي الإنسان مع قَدرِه ومع ماهو مكتوب عليه سلفاً ، فلا يجدّ ويجتهد في طلب أمر مُعين بما أن الله قد كتب علينا الآجال وقدّرها ولا يمكن تغييرها ؟ فيُجيب إبن القيم على هذا السؤال فيقول : " يسبق إلى أفهام كثير من الناس أن القضاء والقدر إذا كان قد سبق فلا فائدة في الأعمال ، وأن ما قضاه الرب سبحانه وقَدّره لابد من وقوعه ، فتوسط العمل لا فائدة فيه . وقد سبق إيراد هذا السؤال من الصحابة على النبي صلى الله عليه وسلم فأجابهم بما فيه الشفاء والهدى . ففي الصحيحين عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه مخصرة فنكس فجعل ينكث بمخصرته ثم قال : ما منكم من أحد ، ما من نفس منفوسة إلا كُتب مكانها من الجنة والنار ، وإلا قد كُتبت شقية أو سعيدة ، فقال رجل : يارسول الله أفلا نتّكل على كتابنا وندع العمل ، فمن كان منا من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة ، ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة ، فقال : إعملوا فكلٌ مُيسر ، اما أهل السعادة فيُيسرون لِعمل أهل السعادة ، واما أهل الشقاوة فيُيسرون لعمل أهل الشقاوة ، ثم قرأ (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ، وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ، وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ) "(2).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

.

ولَعل الحِكمة من مسألة خلق اللّوح المحفوظ ما يلي :

1 - إثبات عِلم الله الأزلي ، وجَعّله حُجة على جميع المخلوقات ، وأن عِلم الله ثابت لا يتغير ، والقرار قرار الله ، والحُكم حُكم الله ، فلا دخل لأي مخلوق فيها ، ولا نصيب لأي أحد في الحُكم أو القرار .

2 - بيان لمشيئة الله النافذة على الخلق ، وأن إرادته هي الواقعة فعلاً وحالاً ، ولا يمكن لأحد أن يُغيرها أو يبدلها ، ولا الأمر الآلهي يستهدف شخص دون المُقرر أن يستهدفه ، ولا يمكن أن يصيب الخير من أراد الله به السوء ، ولا أن يصيب السوء من أراد الله به الخير ، فلِكل مخلوق نصيبه الذي كتبه الله له سلفاً .

3 - إختيار القلم من بين جميع المخلوقات وتكليفه بفعل الكتابة ، إنما لعظيم شأن العِلم والتعلم والكتابة والقلم عند الله ، فيكون حافزاً للإنسان بأن ينتهج منهج العِلم وتسخير العقل لما خُلِق من أجله

---

(1) سورة الإسراء، الآية 2 .

(2) شمس الدين أبي عبد الله محمد بن الشيخ أبي بكر إبن قيم الجوزية (751هـ)، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، تحرير: الحساني حسن عبد الله ، مكتبة دار التراث، القاهرة، ص51 . (بلا طبعة ولا تأريخ) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

، وأن يكون نافعاً إيجابياً في مُجتمعه ، نظيف الفكر حسن التفكير ، يقوى بالعلم والإجتهاد ، وأن لا يضعف بالجهل والتخلف .

4 - إثبات عظيم قُدرة الله وكماله وحِكمته ، ومما لا شك فيه أن معرفة أحوال الخَلق سلفاً وتسيير المخلوقات كلٌ بحسب ما هو مُقدرٌ له ، وأن يورد الصغير والكبير ، والفتيل والقطمير ، وجميع أحوال الكون ، ما هو إلا إعجاز من الخالق وتحدي لجميع المخلوقات ، وإثبات لعظمة الله سبحانه وتعالى و وكمال جلاله وقُدرته على الخلق والإيجاد والتَحكم .

إما عن وصف اللّوح المحفوظ فهو كما وصفه إبن عباس رضي الله عنه حين قال : " أن في صدر اللّوح المحفوظ : لا إله إلا الله وحده ، دينه الإسلام ، ومُحمد عبده ورسوله ، فمن آمن بالله وصدّق بوعده وإتبع رُسله أدخله الجنة ..... وأن الله خلق لوحاً محفوظاً من دُرة بيضاء صفحاتها من ياقوته حمراء ، قلمه نور ، وكتابه نور ، لله فيه في كل يوم ستون وثلاثمائة لحظة ، يخلق ويرزق ويُميت ويُحيي ويُعز ويُذل ويفعل ما يشاء "(1) ..

فأننا حين نعلم بوجود تسيير مَركبة مُعينة بالريمونت كونترول فإن العَجب يعترينا . وحينما نسمع عن مراقبة الأرض بجميع تفاصيلها من خلال الأقمار الفضائية الصناعية ، فإن الدهشة تُسيطر علينا والإستغراب . وحين نسمع بالإختراعات والإبتكارات الحديثة عندما يعلم الانسان بأشياء وهي خارج تغطيته المكانية أو الزمانية ؛ فأننا نضرب الكف بالكف دهشةً وإنبهاراً ؛ فكيف إذا علِمنا أن الله كتب علينا آجالنا وأعمارنا وأرزاقنا وجميع تصرفاتنا من الأزل ، ومنذ قبل الخليقة بخمسين ألف سنة وإلى قيام الساعة ؟ ويعلم دبيب النملة السوداء تحت الصخرة الصماء في الليلة الظلماء تحت البحر . قال عليه الصلاة وةالسلام " قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة "(2).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فاللّوح المحفوظ لهو واحد من طُرق إعجاز الله لجميع المخلوقات وإثبات قُدرته وقوته وحِكمته في الخَلق ، فما أراد الله كان ، وما لم يرد لم يكن ، فهو الخالق والمُصرف لجميع من في الوجود ، ولا رادّ لِحُكمه ، ولا تبديل لقضاءِه ، رضينا بها وإرتضيناها لأنفسنا ، فلا حُكم إلا حُكمه ، ولا رَب سواه.

---

(1) إبن كثير، مُختصر تفسير إبن كثير، ج3، ص626 .

(2) سنن الترمذي، باب ماجاء في الرضا بالقضاء، ص487، رقم الحديث (2156) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني - الأمر الآلهي لِمن في السماء عند خَلق البشر

صوّر لنا الله سبحانه وتعالى الحِوار الذي جرى ، ونوع التحدي الذي كان بسبب الإنسان ، وتهديد الله ووعيده لإبليس ومن إتبعه ، وبالمقابل جزاء من كفر بإبليس وعصى ، بالإضافه إلى حِفظ الله للمؤمنين من البشر من شِراك إبليس وأتباعه ، قال تعالى (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ، قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ، قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ، وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ، إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا)(1) . ما أعظم هذا الحوار الذي جعل من الإنسان الحَكم ، وجَعل من البشر مادته وغايته ، وترك القرار للإنسان بأن يُرجح إحدى الكفّتيّن ، وأن يكون على قَدر المسؤولية التي خُلق من أجلها .

فخَلق الله سبحانه وتعالى جميع المخلوقات وجَعلها مُنقادة له بالطاعة والعبادة ، فمنها ما خلقه بعَقل مثل الملائكة والجن ، فما كان من الجِن إلا الإفساد في الأرض ، وما كان من الملائكة إلا السمع والطاعة والإنقياد التام لله عزوجل ، فهُم الذين لا يتوانون عن العِبادة ولا يفكرون بالمعصية ، فهم رهن الإشارة ، وعند نطق الكلمة من الخالق لتنفيذها . كما أن من بين المخلوقات آنذاك الحيوانات والنباتات ، لكنها بلا عقل ، فعبادتها محدودة وفق ما كلفها الله بها ، فالطبيعة التكوينية تُحتم عليها تقييد كبير في العبادة والإرادة . ومع عبادة الكون كله لله والطاعة والتسبيح الدائمين ؛ إلا أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يخلق مخلوق جديد يعبده بطريقة تختلف عن سابقيه ، يكون له الإختيار ، ويعطيه الإرادة والقوة والتفكير، وأن يعطيه عقلاً يكون مسؤولاً عن تلك القرارات التي تصدر منه بإرادته وحُريته وقناعته . وأن يودع في هذا المخلوق جميع الإمكانات والقُدرات مما يجعله مؤهلاً لأن يبحث عن الطريق السليم ويقرر مصيره ويحدد البوصلة بالاتجاه الذي سيختار .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لكن ايضا يخلق مع العقل الذي سيكون مصدر القرارات سيخلق الشهوة والتي تعتبر النقيض للعقل ، فهذان الضدّان لم يجتمعان من قبل في جسد مخلوق إلا الجن ، لكن الجن أثبت فشله قبل خلق الإنسان بإفسادهم في الأرض وإستباحتهم للدماء وهلّكهم للحرث والنسل ، وهذا ما قصد به الملائكة بقولهم (أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)(2) . وهنا أود أن أطرح سؤالاً لطالما طَرحها المُشككون والذين في قلوبهم المرض والحقد بقولهم : لماذا عصت الملائكة وجادلت ربهم عندما أراد خَلق الإنسان ؟ وإستدلوا بالآية الآنفة الذكر ، وأقول لهم أنها لم تكن مُجادلة أو عصيان أو إعتراض ؛ وغنما هي عبارة عن أحساسهم بالذنب أو تقصيرهم بالعِبادة ، فقولهم (وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ) تدل على أنهم أَحسوا بالتقصير في عبادتهم لله وإعتقدوا أن الله سبحانه وتعالى ما أحب عبادته وقرر أن يخلق مخلوق مكانهم للعبادة ، لكن الله سبحانه وتعالى أجابهم (إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) ، أي أن الغاية ليست كما فهمتم ؛ وإنما

سورة الإسراء، الآية 61-65 .

سورة البقرة، الآية 30 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الغاية تخص الله سبحانه وتعالى وحده . والسؤال الثاني هو كيف علِمت الملائكة بأن الإنسان سَيفسد في الأرض ويسفك الدماء ؟ والجواب ماذكره الإمام القرطبي في تفسيره فقال : " أن الملائكة قد رأت وعلمت ما كان من إفساد الجن وسفكهم الدماء ، وذلك لأن الأرض كان فيها الجن قبل خلق آدم ، فأفسدوا وسفكوا الدماء ، فبَعث الله إليهم إبليس في جند من الملائكة فقتلهم وألحقهم بالبحار ورؤوس الجبال "(1) .

وقوله تعالى (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) فيه مدلولان :

الأول : هو أن القرار من الله سلفاً بإسكان آدم وذريته الأرض ، حتى من قبل أن تحصل لهما المعصية وقصتهما مع الشجرة وعقوبة الإنزال إلى الأرض . أي أن حياة الإنسان مُنذ ما قبل النشأة إلى آخر مطافه بقيام الساعة إنما تحت تصرف الله وعلمه وقراره ، وفي اللّوح المحفوظ المُخطط الكامل لهذه الحياة بكامل تفاصيلها .

والمدلول الثاني : هو قرار الله بإستبدال من كان في الأرض ، وهُم الجن ، فقد أفسدوا فيها وإستباحوا الدماء إلى أن أهلكهم الله وأسند مهمة الإستخلاف إلى الإنسان . " فكان في عِلم الله أنه سيكون في تلك الخليقة انبياء ورُسل وقوم صالحون وساكنو الجنة . وقال إبن عباس : أن أول من سَكن الأرض الجن ، فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء ، وقَتل بعضهم بعضاً ، قال : فبعث الله إليهم إبليس ، فقتلهم إبليس ومن معه ، حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال ، ثم خلق آدم فأسكنه إياها ، فلذلك قال (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) "(2) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبعد الحكم الآلهي والقضاء الرباني بخَلق الإنسان ؛ وبعد أن صاغه الله بالصورة البديعة التي شاء الله له ذلك ، وبعد أن صوره وكوّنه في أحسن تقويم ؛ وبعد أن نَفخ الله في هذا الكائن من روحه ؛ أمر خير خَلقه حينها - أي الملائكة - بالسجود لهذا المخلوق الجديد بالطبيعة والتركيبة والنشأة . فكان السجود سجود تكريم لا سجود عبادة ، سجود معنوي لا سجود حَركي فِعلي ، سجود بأمر من الله لهذا المخلوق . والسبب في هذا الأمر هو لِبيان عظيم منزلة هذا المخلوق عند الله عز وجل ، ولإعطاءه خصوصية وأهمية تجعله مُختلف عن غيره من المخلوقات ، ولِتمييزه عن أقرانه من المخلوقات حينها - الملائكة والجن - وأنه إصطفاء الله من بينهم . عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " خَلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً ، ثم قال : إذهب فسَلم على أولئك من الملائكة فإستمع ما يحيونك ، تحيتك وتحية ذُريتك . فقال : السلام عليكم . فقالوا : السلام عليكم ورحمة الله . فزادوه : ورحمة الله ، فكُل من يدخل الجنة على صورة آدم ، فلم يزل الخَلق ينقص حتى الآن "(3) .

---

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص409 .

(2) فيصل بن عبد العزيز بن فيصل آل مبارك (1313-1366هـ)، توفيق الرحمن في دروس القرآن ، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن ابراهيم الزير آل حمد، دار العاصمة، الرياض، و دار العليان للنشر، القصيم ، ط1، 1416هـ 1996م، ج1، ص118 .

(3) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته، ص 818، رقم الحديث (3326) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد ذكر الله سبحانه موضوع السجود لآدم في كثير من الآيات للدلالة على معاني عديدة لعل أهمها وأصحها ما أخفاه الله عنا لحِكمة يعلمها ، وجَعل التفسير الأكثر تقبلاً هو ماذكرته آنفاً من عظيم شأن هذا المَخلوق ، فقال تعالى في سورة الإسراء (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا)(1) . وبعد أمر السجود الذي أصدره الله لكافة خَلقِه والذين هم في السماء ؛ أطاع الجميع إلا واحداً منهم عصى وإستكبر ، ولا شئ غير الإستكبار من أن يمنعه من إطاعة أمر الله ، ألا وهو إبليس الذي خُلِق من نار ، وهذا سبب العصيان ، لأنه مخلوق من نار وآدام مخلوق من طين ، ولأنه من السابقين للخَلق وآدم من اللآحقين . لكن الله له حكمة في هذا ، فإبليس ليس بعصيّ على الله ، ويستطيع الله سحقه بطرفة عين ، لكن الحِكمة الآلهيه من ذلك لبيان مدى إستيعاب الأنسان للحقيقة الآلهية ، والقُدرة الربانية من خلقه ، وهل سيكون على قَدر المسؤولية التي خُلِق من أجلها ؟

فبدأت رِحلة الإنسان بعد التحدي الذي حَصل ، بأن أسكنه الله الجنة ، وخَلق مع آدم شريكته في الخَلق والوجود والحياة . وجَعلها الشطر الثاني من الإنسانية وسبب في التكاثر البشري . بالمقابل بدأ إبليس عمله على الفور بلا كلل ولا ملل ولا تواني ولا تريث ، فأخذ بالتربص لأدم وحواء في مقر إقامتهما في الجنة ، إلى أن جاءت الفرصة المناسبة وإنقض عليهما بالوسوسة والدفع بإتجاه معصية الله بدون عِلم منهما ولا إنتباه ، فأوقعهما في فخه وشِراكه ، وحصل الذنب الكبير الذي كان سبب في طرد بَني الإنسان وحرمانهم من المَسكن الأصلي والأبدي في الجنة ، وبعد أن سامح الله آدم وحواء وغَفر لهما ذنبهما ، إلا أن العقوبة كانت إنزالهما للحياة في الأرض والعيش فيها وإكمال مشوارهما الذي خُلقا من أجله ، وكان الإمتحان الثاني الذي سيعمل بنو الإنسان للنجاح فيه والعودة مرة أُخرى إلى الدار الأصلية ألا وهي الجنة .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" إذن فهي المشيئة العُليا تريد أن تُسلم لهذا الكائن الجديد في الوجود زِمام هذه الأرض ، وتطلق فيها يده ، وتكل إليه إبراز مشيئة الخالق في الإبداع والتكوين ، والتحليل والتركيب ، والتحوير والتبديل ، وكشف مافي هذه الأرض من قوى وطاقات ، وكنوز وخامات ، وتسخير هذا كله - بأمر الله - في المهمه الضخمة التي وكلها الله إليه "(2) .

فلنتخيل حجم الخلق ، وقيمة الإنسان منذ القرار بخَلقه ، والمحاورة البديعة من الله سبحانه وتعالى لملائكته الأخيار ، ومن ثم الخلق والنشأة ، وتحدي إبليس ونصرة الله للمؤمنين من بَني البشر ، ماهي إلا واحدة من نوادر هذا الكوّن ومافيه ، وحجم وأهمية الإنسان وما وُكِل إليه من مهام ، وحجم التكليف الذي أُسند إليه مع توفر الأدوات والإمكانات ، ومن قبل قد أبان الله له المنهج والشرائع . فهل يكن الإنسان على قدر المسؤولية التي إنبرى لها بحمل الأمانة ؟ وهل هذه الأمانة تجعل من بَني البشر يسيرون بخطى ثابتة واثقة بإتجاه خالقهم ومولاهم ، (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا)(3) . هذا

---

(1) سورة الإسراء، الآية 61 .

(2) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج1، ص56 .

سورة الأحزاب، الآية 72 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإنسان الذي خُلِقت لأجله السموات والأرض ، وجعل جميع الخلق ما بين خادم له وما بين حاسد . وهذا مما يوُلد الشعور في النفس البشرية بالنُدرة ، وأنه فريد من نوعه في هذا الكون العظيم ، مما يُحتم عليه أن يبادر في إبراز الأثر لهذه البذرة الربانية ، فينتج أجيالاً تفر إلى الله بكل جوارحها ، وتُعمر الأرض التي أُنزِل من أجل إعمارها ، وأن يُنشئ الحضارة والمدنية التي تضمن له الإستمرارية السليمة والأيجابية ، وأن يُثبت أنه خيرٌ ممن سَبقه على هذه الأرض .

المطلب الثالث - الروح

إن من بديع الصُنع ولطافة الخَلق أن جعل الله أشياءاً خلقها بنفسه وجعل سِرها بيَده وحده ، فلا إستطاعة لأحد على تفسير هذا الصُنع الخفي . وواحد من هذا الخلق هو الروح ، ذلك الصنع اللطيف الذي يَقلب جميع الموازين ، ويُغيير الاحوال ، ويكون منه البدأ وفيه المنتهى . قال تعالى في سورة الاسراء (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)(1) . فالروح لغةً " بالضم تعني النَفخ ، وسمي روحاً لأنه ريح يخرج من الروح "(2) . وقيل " أن الروح هي النفْس ، وذلك لكون الروح بعض النفْس ، وجعل إسماً للجزء الذي به تحصل الحياة والتحرك وإستجلاب المنافع وإستدفاع المضار "(3) . وفي الاصطلاح فقد عرّف الشافعية الروح " بانها جسم لطيف متخلل في البدن ، فاذا فارقه مات "(4) . وقال الجرجاني : " الروح الانساني هو اللطيفة العالمة المدركة من الانسان ، الراكبة على الروح الحيواني ، نازل من عالم الامر ، تعجز العقول عن إدراك كُنْه تلك الروح قد تكون مجردة وقد تكون منطبقة في البدن "(5) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اما إبن القيم فوصف الروح بـ " أنه جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس ، وهو جنس نوراني علوي خفيف حي متحرك ، ينفذ في جوهر الأعضاء ، و يَسري فيها سريان الماء في الورد ، و سريان الدهن في الزيتون ، و النار في الفحم . فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللّطيف بقي ذلك الجسم اللّطيف مشابكاً لهذه الأعضاء ، و أفادها هذه الآثار من الحسْ والحركة الإرادية ، و إذا فسدت هذه الأعضاء بسبب إستيلاء الأخلاط الغليظة عليها ، و خرجت عن قبول تلك الآثار ، فارق الروح البدن ، و إنفصل إلى عالم الأرواح "(6) . اما

---

(1) سورة الإسراء، الآية 85 .

(2) إبن منظور، لسان العرب، ج2، كلمة (روح)، ص459 .

(3) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، كتاب (الراء)، ص205 .

(4) سعدي أبو جيب، القاموس الفقهي لغةً وإصطلاحاً، ص156 .

(5) علي بن محمد بن علي الجرجاني، التعريفات، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1405هـ ج1، ص150 .

(6) أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب إبن قيم الجوزية (691-751)، الروح، دار الفجر للتراث، القاهرة، ط1، 1419هـ 1999م، ص 254-256 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تعريف الروح عند الفلاسفة فهي " ليست شيئاً يقوم بنفسه ، بل عَرَض والعَرَض في إصطلاحهم هو ما لا يستقل ولا يستقر ، فمَنزلة الروح عندهم من الجسد كمنزلة السمع من السامع والبصر من المبصر ، يذهب بذهابه ، بل قد يذهب البصر والسمع والذات التي يقوم بها موجودة ، فجحدوا أن تكون النفس التي هي الروح شيئاً قائماً بنفسه "(1) .

إلا أن الروح محطّ جدل عند جميع الديانات ، فيرى قسم من الباحثين أنها مرتبطة بالجَسد ، أمّا القسم الآخر فإنّه يَعتبر الروح مادةً (أثيريّة أساسيّة) ، وهي من الخصائص المُعجزة الفريدة في جميع الكائنات الحيّة . كذلك لِكل مُعتقد نظرته الخاصة تجاه هذا الخَلق الغريب على الإنسان في تركيبته ونشأته وماهيته ، لكن تتفق جميعها بأن الروح لُغز فريد ، وسِرها عميق وبعيد ، فيها لغز وطلسم لا يعلمه أحداً من البشر ، وفيه شفرات ورسائل سرية منها وجليّة لِبني الإنسان . فقد وَرَدت في القرآن الكريم أربع معاني مُختلفة بآيات مُختلفة تدل كلٌ منها على معنىً مُختلف ، فقد وَرَدَت بمعنى جبريل عليه السلام ، قال تعالى (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ، عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ)(2) . وجائت للدلالة على الإنجيل ، والذي هو كتاب مُنزَل من الله تعالى على عيسى عليه الصلاة السلام ، قال تعالى (وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ)(3) . وقال (وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا)(4) . وجائت في المعنى الثالث للدلالة على تابعيتها لله عزوجل فقال (وَلا تَيأَسُوا مِن رَوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيأَسُ مِن رَوحِ اللَّهِ إِلَّا القَومُ الكَافِرُونَ)(5) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقال (وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرِيَمَ وَرُوحٌ مِنهُ)(6) ، فهي من خصوصيات الله عزوجل . وجائت في المعنى الرابع للدلالة على عيسى عليه الصلاة والسلام فقال تعالى (وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ)(7) . فهذه دلالة على أن عيسى عليه الصلاة والسلام مخلوق من روح الله ، وجُزء من شئ خاص بالله ، وطبعاً ليس المقصود روح الله الروح التي تُحرك الله حاشاه ، بل هي شئ مخلوق لا نعلم ماهيته لأنه مخصوص لله ، ولم يُخبرنا به ربنا ، ونحن لسنا مأمورين بالبحث عن ماهيته وطبيعته وكيفيته . فلله شؤون وأحوال خاصة به ليست موجودة في غيره إطلاقاً .

" إن الروح الذي نُفخ فيه والقدس هو الله تعالى ، فنسب روح عيسى عليه الصلاة والسلام إلى نفسه تعظيماً له وتشريفاً كما يقال : بيت الله وناقة الله . عن الربيع . وعلى هذا أن المراد به الروح الذي يحيا به الإنسان . ويُضيف الرازي : أن إطلاق إسم الروح على جبريل وعلى الإنجيل وعلى الإسم الأعظم مَجاز لأن الروح هو الريح المُتردد في مخارق الإنسان ومَنافذه ، ومعلوم أن هذه الثلاث ما كانت كذلك إلا أنه سمى كل واحد من هذه الثلاثه بالروح على سبيل التشبيه من حيث الروح ، كما

---

(1) حافظ بن أحمد حكمي، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأُصول، دار إبن قيم الدمام، ط1، 1410هـ 1990م، ج2، ص219-220 .

(2) سورة الشعراء، الآية 193-194 .

(3) سورة البقرة، الآية 87 .

(4) سورة الشورى، الآية 52 .

(5) سورة يوسف، الآية 87 .

(6) سورة النساء، الآية 171 .

(7) سورة الانبياء، الآية 91 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أنه سبب لحياة الرجل فكذلك جبريل عليه السلام سبب لحياة القلوب بالعلوم ، والإنجيل سبب لظهور الشرائع وحياتها ، والإسم الأعظم سبب لأن يتوسل به إلى تحصيل الأغراض "(1) . فالروح والنفس(2) والحياة(3) كلٌ له حالاته وأحواله ، إلا أن النفس والروح بينهما مشتركات كبيرة تكاد تصل إلى أن الروح والنفس هي واحد ، كما سأبيِنُها لاحقاً ، فهي كلمة مستقلة بذاتها لها أحوالها وتركيبه خاصة بها ، فهي ذات طبيعة معنوية غير محسوسة ولا ملموسة ، وهي تركيبة فريدة من نوعها لا يوجد مثيل لها في العالم ، ولها سر تكويني تركيبي لم يتوصل لِحله أو كشفه أحد إلى يومنا هذا ، فهي سر من أسرار الله ، ودليل إعجازي فريد من نوعه ، وهو نوع من أنواع بطشه سبحانه الذي يقصم به ظهور الجبابرة والطغاة . وهي أيضاً محطّ إستغراب من نشأتها وتكوينها من قِبل قريش عندما سألوا النبي عليه الصلاة والسلام عنها إستفساراً وإستفهاماً لهذا الشئ الغريب الغير ملموس والذي حيّر الناس قديماً وحديثاً . فقوله تعالى في سورة الإسراء (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)(4) . فهذا يدل على أن هذا الخلق إنما هو من إختصاص الله سبحانه وحده ولا يمكن لأحد من الوقوف على أسراره ، ولو أراد الله كشفه للناس لأعطى تفاصيله وحيثياته كما حصل مع بقية التوضيحات والأجوبة على الأسئلة التي صدرت من مُشركي قريش للنبي عليه الصلاة والسلام حينئذِ . لكن الله أخفاها عن الخلق لِحكمة يعلمها هو سبحانه ، فالروح مرتبطة بالآجال والأعمار وحياة الانسان وولادته ومماته ، قال تعالى (إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)(5) ، فقد حَصر علم هذه الأمور بِيَده سبحانه ولا يمكن لأي مخلوق من التدخل فيها أو محاولة معرفتها ، فهي من أسرار الله وحِكمته .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" وليس في هذا حجر على العقل البشري أن يعمل ، ولكن فيه توجيهاً لهذا العقل أن يعمل في حدوده وفي مجاله الذي يدركه ، فلا جدوى من الخبط في التيه ، ومن إنفاق الطاقة فيما لا يملك العقل إدراكه لأنه لا يملك وسائل إدراكه . والروح غَيب من غَيب الله لا يدركه سواه ، وسِر من أسراره القدسية أودعه هذا المخلوق البشري وبعض الخلائق التي لا نعلمك حقيقتها . وعِلم الإنسان محدود بالقياس إلى عِلم الله المُطلق ، وأسرار هذا الوجود أوسع من أن يُحيط بها العقل البشري المحدود . والإنسان لا يدبر هذا الكون فطاقاته ليست شاملة ، إنما وهب منها بقدر محيط وبقدر حاجته ليقوم بالخلافة في الأرض ، ويحقق فيها ماشاء الله أن يحققه ، في حدود علمه القليل . وأضاف قائلاً : ولقد أبدع الانسان في هذه الارض ما أبدع ، ولكنه وقَف حسيراً أمام ذلك السر اللّطيف - الروح - لا

---

(1) الرازي، التفسير الكبير- مفاتيح الغيب، ج3، ص190 .

(2) النفس (هي الجوهر البخاري اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الارادية ، وسماها الحكيم الروح الحيوانية ، فهو جوهر مشرق للبدن ، فعند الموت ينقطع ضوؤه عن ظاهر البدن وباطنه . اما في وقت النوم فينقطع عن ظاهر البدن دون باطنه ، فثبت ان النوم والموت من جنس واحد ، لان الموت هو الانقطاع الكلي والنوم هو الانقطاع الناقص)، الجرجاني، التعريفات، باب (النون مع العين)، ص204 .

(3) والحياةُ نقيض الموت ، حيث تعتبر الحياة حالة تميّز جميع الكائنات الحيّة على اختلافها - حتى الكائنات الدقيقة - عن غير الأحياء من كائناتٍ ميتة .

(4) سورة الإسراء، الآية 85 .

(5) سورة لقمان، الآية 34 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يدري ما هو ، ولا كيف جاء ، ولا كيف يذهب ، ولا أين كان ولا أين يكون ، إلا ما يُخبر به العليم الخبير في التنزيل "(1) .

ولقد أُنشأت مراكز خاصة في جامعات أوربا لدراسة الروح وتفاصيلها ، كذلك أُقيمت المختبرات المتطورة لذلك ، وزُوِدت بالأشعة فوق البنفسجية لمراقبة خروج الروح من جسد الإنسان ، كما تمت مراقبتها بأحدث الكامِرات ووسائل الكشف ، وربطّ الشخص الذي تخرج منه الروح بأجهزة كشف الحرارة والتغييرات التي تطرأ عليه أثناء خروج الروح منه ، إلا أن جميع هذه الأجهزة وهذه الإمكانيات أخفقت في رصدها أو التوصل إلى أي جزئية من جزئياتها . وذلك لسبب بسيط جداً وهو أن الله لا يُريد كشف هذا السر . فأوعز إلى العين أن جَعَلها لا تُبصر كل شئ (فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ، وَمَا لَا تُبْصِرُونَ)(2) . ومن الإعجاز القرآني أن الله تعالى يُقسم قسماً بكمية الأشياء التي لا نُبصرها بأعيننا حيث قَدّر العلم الحديث أن نسبة ما تُبصره العين البشرية إلى ما لا تُبصره هو 10/1 مليون وهذه نسبة مَهولة . كذلك السمع فإن الله جَعل للإنسان خاصية سمع الأشياء ، بالمقابل لم يأذن له بسماع أُخرى ، ومن ضمنها أصوات الأرواح . " كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول إذا وضعت الجنازة فإحتملها الرجال على أعناقهم فإن كانت صالحة قالت قدموني وإن كانت غير صالحة قالت لأهلها يا ويلها أين يذهبون بها يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان ولو سمع الإنسان لصعِق "(3) . فقد حجب الله سبحانه وتعالى خاصية البصر والسمع عن الإنسان فيما يخص الروح وذلك لعظيم وقعها على النفس البشرية ، ولِجعل الإنسان دائم البحث والتفكر والجد والإجتهاد في طلب العلم والتعلم ، والسعي وراء التصديق الجازم لكل ما أخبر به القرآن حتى وإن لم يكن رأي العين . بالمقابل أعطى خاصية البصر والسمع للحيوانات لِتُلامس الروح في حركتها وتقلّبها ، فعن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا سمعتم صهيل الخَيل ونباح الكلاب بعد هدأة الليل فإستعيذوا بالله من الشيطان الرجيم فإنها ترى ما لا ترون "(4) . وهذا من رأفت الله بالبشر أن جعلهم يهدأون وينعمون ، ولو سمعوا ورأوا لتحولت حياتهم إلى جحيم من هول ذلك .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" فهي أجسام هوائية مخلوطة بالحرارة الغريزية متولدة أما في القلب أو في الدماغ ، وقالوا أنها هي الروح وأنها هي الإنسان ثم إختلفوا فمنهم من يقول الإنسان هو الروح الذي في القلب ، ومنهم من يقول أنه جزء لا يتجزأ من الدماغ ، ومنهم من يقول الروح عبارة عن أجزاء نارية مُختلطة بهذه الأرواح القلبية والدماغية وتلك الأجزاء النارية وهي المُسماة بالحرارة الغريزية وهي الإنسان . ومن الناس من يقول الروح عبارة عن أجسام نورانية سماوية لطيفة ، والجوهر على طبيعتة ضوء الشمس وهي لا تقبل التحلل والتبدل ولا التفرق ولا التمزق فإذا تكوّن البدن وتم إستعداده وهو المراد

---

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج4، ص2249 .

(2) سورة الحاقة، الآية 38-39 .

(3) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب قول الميت وهو على الجنازة قدموني، ص318، رقم الحديث (1316) .

(4) سُنن أبي داوود، ص923، رقم الحديث (5103) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بقوله (فَإِذَا سَوَّيْتُهُ) نفذت تلك الأجسام الشريفة السماوية الآلهية في داخل أعضاء البدن نفاذ النار في الفحم ، ونفاذ دهن السمسم في السمسم ، ونفاذ ماء الورد في جسم الورد ، ونفاذ تلك الأجسام السماوية في جوهر البدن وهو المراد بقوله (وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي) ثم أن البدن مادام يبقى سليماً قابلاً لنفاذ تلك الأجسام الشريفة بقى حياً "(1) .

فالروح مخلوقة وهي حادثة ، وتُخلق بِخلق الإنسان وعند تكوينه . والدليل على ذلك حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يرويه إبن مسعود رضي الله عنه قال : " حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أن أحدكم يجمع خلقه في بطن أُمه أربعين يوماً ، ثم يكون في ذلك عَلقه مثل ذلك ، ثم يكون في ذلك مُضغه مثل ذلك ، ثم يُرسل الله تعالى المَلَك فينفخ فيه الروح ، ويؤمر بأربع كلمات : يُكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد ، فوالذي لا إله غيره أن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وأن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها "(2) . وغالباً الروح هي النفس في المعنى ، لأن في مفارقة الروح أو النفس للجسد يعني هلاك الشخص ، وهذا ما دلّت عليه الآيات الكريمات ، قال تعالى (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)(3) . وقال (يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي)(4) . وغيرها كثير من الآيات التي يذكر فيها الله سبحانه وتعالى النفس للدلالة على أن في مفارقتها للجسد يكون الموت وإنتهاء الحياة ، وهو نفسه ما يحصل لخروج الروح من الجسد .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كذلك أن الروح أو النفس هي مرافِقة للجسد لكن ليسا واحد ، لأن كثير من الأجساد تُفنى بالحرق أو التمزق أو في بطون الهوام والسِباع ، والروح لا يحصل لها ذلك لأنه كما قلت هي غير مادية ، لكن تبقى الروح تطوف حول الجسد إستعداداً لمرحلة ما بعد الموت ، ومرحلة الحِساب سواء في القبر أم في يوم القيامة ، لأن الروح أو النفس هي من أعطَت للجسد الحركة والأفعال ، وهي من سَيّرت العقل والقلب والجوارح والأركان ، بالتالي هي شريكه للجسد في أفعاله وأعماله ، وهي ستُحاسَب على ذلك ، فأما شقية أو سعيدة .

وهذه من كبرى اليقينيات التي يجب على الإنسان أن يوقن ويؤمن بها وتستقر بها عقيدته ، لأن الروح وما يتبعها أو ما يُحيط بها أنما هي من تكوين وتركيب الله ، ودليل خلقِه وإعجاز صُنعه في الأرض ، وهي من الأمور التي إستصعب على الإنسان فهمها أو التوصل إليها إلا بما أخبرنا بها ربنا جلّ في علاه . وأن أقرب دليل يوصِلنا إليه سبحانه هو موجود بين جَنباتِنا وداخل أجسادنا

---

(1) الرازي، التفسير الكبير- مفاتيح الغيب، ج21، ص45 .

(2) صحيح مسلم، كتاب القَدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أُمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، ج4، ص2036، رقم الحديث (2643) .

(3) سورة الزمر، الآية 42 .

(4) سورة الفجر، الآية 27-30 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومحفوظ من قِبَل ربنا ، لا يمكن أن نتحكم فيها مهما حصل ، ولا أن نتدخل في طبيعة تكوينها أو تغيير تركيبتها ، إذ لا قوة لنا في ذلك . وهذا مما يُلهمنا التسليم بِخلق الله وإسنادِه إليه سبحانه ، وأن نَكّف الخوض فيما لا يُريدنا ربنا أن نخوض فيه لِحكمة هو يعلمها وحده سبحانه ، وما علينا إلا الإيمان بما خَلق وصَنع ، وأن هذه الروح هي سلاح من أسلحة الله ، وأداة من أدواته ، ومخلوق يتحكم فيه بسهولة بينما يصعب على الإنسان فَهمه أو السيطرة عليه ، وهذا دليل على قوة الله وضعفنا ، وعلى قدرة الله وعجزنا ، وعلى كبرياء الله وذُلنا ، فما نحن إلا مخلوق كما الروح مخلوق ، وكلانا أمرنا بين يدي الله يُقلّبه كيفما يشاء ، ويُسلط بعض مخلوقاته على بعض ، كما سلّط المرض على الأصحّاء ، وسلّط الفقر على الأغنياء ، كذلك سلّط الموت على الجبابرة والطغاة من العباد ليذلهم فيه وينهي حياتهم وآجالهم وآمالهم وأحلامهم ، والحل الوحيد لمواجهة هذا المخلوق العظيم الذي قهر البشر هو بالإستعداد لمواجهته وملاقاته على أتم صورة وكيفية ، وبذلك نكون قد قَهرنا صفة الخوف منه لأن ما بعد الموت هو ملاقاة الحبيب الذي إستعدينا لأجل ملاقاته وعمِلنا من أجل رضاه . ومن الحضارة ان لا نشغل انفسنا في امور لا نستطيع التعامل معها وفوق ادراكنا ، ولهذا البحث في الروح لا يجدي لكن نسلم امرها لله عزوجل . وأول شئ نعمله بإتجاه مجابهة الموت هو الدوام على ذكره ، فإن في المداومة على ذلك يولد التوبة والعمل وسلوك درب الهداية والصواب ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أكثروا من ذِكر هاذم اللّذات "(1) . وما الموت إلا مرحلة ما بعد خروج الروح ، وما خروج الروح إلا نهاية مُدة بقاء الروح في جسد الإنسان ، بالتالي فأن الروح لها أدوار وأحوال وتقلّبات ، ولِكل حال من هذه الأحوال أهوال ومصاعب يَمر بها الإنسان ليتحدد مصيره .

فحَري بنا أن نسير سير القاصدين الطالبين للوصول إلى النهاية التي يطمح لها كل مؤمن ، ولا تكون هذه النهاية إلا بالتسليم المُطلق لله سبحانه وتعالى وأحكامه وتشريعاته ، ونَهج المنهج الذي رسمه الله لنا بعمارة الأرض وتركيز تفكيرنا وأعمالنا صوبها وبإتجاهها ، لِنَفوز بسعادة الداريّن والفلاح فيهما .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الرابع - رَفع القرآن

القرآن الكريم كتاب الله الخالد ، فهو مكتوب من أوائل ما كتب الله في اللّوح المحفوظ ، مع إبتداء الخَلق ، ومن ثم نَزل جملة واحدة إلى بيت العزّة في السماء الدنيا ليُباشر نزوله إلى الأرض بشكل مُفرّق على قلب النبي صلى الله عليه وسلم وفق القواعد الأساسية لِنزول القرآن .

وقد أخبر الله سبحانه وتعالى عن موضوع رَفْع القرآن في سورة الإسراء فقال (وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ

سُنن النسائي، كتاب الجنائز، باب كُثرة ذكر الموت، ص294، رقم الحديث (1824) .

بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا)(1) .

إلا أن لِكل شئ بداية ونهاية ، ولا شئ يدوم غير الله سبحانه وتعالى ، وكل ما موجود على وجه الأرض إنما هو لأجل غاية مُعينة ينتهي بإنتهاءِها ، وتَنتفي الحاجة منه بتحقيق الغاية أو أن لا يعود له أهمية أو حاجة . والقرآن الكريم له غاية سامية وهدف عظيم لتحديد المنهج الصحيح للناس وتشريع إلآهي لهم ، وفيه بيان أحوالهم وتفاصيل حياتهم وجُل ما يحتاجون من تشريعات وتعليمات وأدلة وبراهين ، وبما أن له أهمية ومنزلة كبيرة لدى الله سبحانه وتعالى ؛ فقد شرّف به خير أُمة أُخرجت للناس بأن يكون هذا القرآن مُنطلق منهم لبقية الأُمم ولكافة الناس ، يحمل شرائع الله ، وأساسيات تنظيم حياتهم ، سواء الأُسرية والإجتماعية أم الحياتية أم المعاملات ، وإلى غيرها من الأحكام والقوانين التنظيمية والتقويمية . لكن بالمقابل يجب على بَني البشر من المؤمنين بالله أن يُقدِسوا كلام الله ويُجِلوا ما أُنزل إليهم ، لأنهم مخصوصون به ، ومُصطَفون من بين جميع البشر لِنَيل شرف حَمْل الرسالة ونشر هذا الكتاب العظيم ، والمواظبة على مُذاكرته والعمل بأحكامه ، وإجتناب نواهية ، وأخذ الأوامر الصادرة منه بِكل جدّية وإخلاص ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأن يكون المُوجّه والدليل للمؤمنين بكافة أعمالهم ، ومقياس صنائعهم وأفعالهم . لكن عندما يكون الإهمال نصيب هذا الكتاب ، ويكون الهجران وعدم الإمتثال لأوامره ، وإتيان جميع نواهيه ، وعدم الإكتراث لا له ولا لأحكامه وتشريعاته ؛ فإن وجوده غير مُفيد لبني البشر ، ورفّعه أولى من بقاءِه على وجه الأرض ، لأن الله سبحانه وتعالى غيور على دينه وقرآنه ، وهذا ما أخبرنا به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وحذّرنا منه ، إلا أنه حاصل لا مَحالة بسبب أن النبي عندما يُخبر عن أمر مُعيّن حاصل مؤجلاً ؛ إنما هو إخبار من الله لنا ، لكن حصل بِلسان النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال في الحديث الذي يرويه إبن مسعود رضي الله عنه : " لَيَسرين على القرآن ذات ليلة ولا يترك آية في مصحف ولا في قلب أحد إلا رُفعت "(2) .

" عندما يستمر التعامل الخاطئ مع القرآن ، ويستمر الظلم بآياته ؛ فإن نهاية مخيفة ومفزعة تنتظر الأمة في آخر الزمان ، ألا وهي رفع القرآن من المصاحف والصدور، فيُصبح الناس يوما (ما) فيفتح أحدهم المصحف فيجده فارغاً من آيات القرآن ، فيُصيبه الفزع ، فيُخبِر من حوله فيتأكدوا من صحة قوله ، ويحاول بعضهم النطق بآيات القرآن فلا يتذكر منها شيئاً "(3) .

وعندما أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم وجَعله المعجزة الخالدة التي إختص بها نبيه محمد صلى الله عليه وسلم إنما للإنتفاع من هذا الكتاب ، والذي يستفيد منه المؤمنون من الأولين والآخرين ، ويهتدوا ويقتدوا به ، لكن في آخر الزمان وقبل قيام الساعة يقبض الله أرواح المؤمنين ولا يبقى في الأرض إلا شِرارها ، ويكثر الظلم والهرج والمرج ، فلا تكون صلاة ولا صيام ولا حج ولا صدقة ، فينتفي الحاجة من القرآن ، حينئذ يُقدِر الله أن يرفعه من الأرض برُمتها ومن صدور الرجال ، قال

---

(1) سورة الإسراء، الآية 86 .

(2) عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي السمرقندي (181-255هـ)، سُنن الدارمي ، تحقيق: فواز احمد زمرلي و خالد السبع العلمي ، كتاب فضائل القران، باب في تعاهد القرآن، ج2، ص530 ، رقم الحديث (3343)، (بلا طبعة ولا تاريخ) .

(3) مجدي الهلالي، غربة القرآن، ط2، ص66، (بلا تاريخ ولا دار نشر) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

صلى الله عليه وسلم : " يَدرس الإسلام كما يَدرس وشي الثوب حتى لا يدري ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة ، وليَسرى على كتاب الله عز و جل في ليلة فلا يبقى في الأرض منُه أية ، وتبقى طوائف من الناس والشيخ الكبير والعجوز يقولون أدركنا آباءنا على هذه الكلمة لا إله إلا الله فنحن نقولها "(1) . والكعبة أيضاً يُقدّر الله سبحانه وتعالى خرابها ، لإنتفاء الحاجة منها بسبب ظلم بني الإنسان حيئذ ، ويكون خرابها على يد كافر من الحبشة كما أخبر النبي عليه الصلاة بذلك فقال : " يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة "(2) . وذكر أوصاف الرجل الذي سيهدمها فقال في الحديث عن إبن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كأني به أسود أفحج يقلعها حجراً حجراً "(3) . وهذا الإخبار إنما وقع من النبي الذي لا ينطق عن الهوى ، وأي خبر يُخبر به النبي صلى الله عليه وسلم في الزمن المستقبلي إنما هو إخبار من الله سبحانه وتعالى الذي يعلم كل شئ ، وهو بمثابة تحذير وتنبيه للناس بما سيحصل ، ليأخذوا حِذرهم ويعملوا بما ينفعهم ، فهو حاصل لا مَحال . والقرآن الكريم والكعبة المشرفة إنما هما رمزا الإسلام وأساس إعتماد الدين ، فالقرآن فيه التشريع والإخبار الألهي لِبني البشر ، والكعبة تُمثل قِبلة الإسلام وأساس من أساسياته والتي يعتمد عليها المُصلون في صلاتهم ، إذ لا صلاة بلا قِبلة ، والصلاة لا تكون إلا بقرآن ، وإذا كان الإسلام بلا صلاة ولا قِبلة ولا قرآن فكيف يكون إسلاماً ؟

قال صاحب تفسير توفيق الرحمن في مُستعرض هذه الآية : " قال إبن مسعود : إقرأوا القرآن قبل أن يُرفع ، فإنه لا تقوم الساعة حتى يُرفع ، يَسرى عليه ليلاً فيُرفع ما في صدورهم فيُصبحون لا يحفظوا شيئاً ، ولا يجدون في المصاحف شيئاً ، ثم يفيضون من الشعر . وعن عبد الله بن عمرو قال : لا تقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث نَزل ، له دوي حول العرش كدوي النحل، فيقول الرب:مالك؟ وهو أعلم فيقول:يارب أُتلى ولا يُعمل بي "(4).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فبالإضافة إلى الفوائد الدنيوي التي جعلها الله في القرآن والتي تَحدثتُ عنها ؛ فأن له فوائد أُخروية أيضاً كبيرة ، مثل الدفاع عن صاحبه ، وإظلاله بالغمام يوم القيامة حينما تنزل الشمس فوق رؤوس الخلائق ، ومرافقة صاحبه في القبر ومؤانسته ، كل هذه الفوائد ستزول بزوال القرآن ، وسيُحرم منها أصحاب تلك الفترة ، لأن القرآن رحمة من الله وهدية وفائدة ، والفوائدة موجودة ومُنتَفع بها بوجود القرآن ، وفي حال زواله ستزول عن بَني البشر الذين لم يُقَدِروا قيمة هذه الهدية الكبيرة والعظيمة التي منحنا الله إياها . كذلك حِرمان أصحاب تلك الفترة من مضاعفة الأجر بقراءته ، وحرمانهم من لذّة التعبد به ، والأجر الكبير الذي سَيَجنونه من تلاوته ، فالحرمان من الأجر دليل عدم الرضا من الله على العبد . فعندما يغضب الله سبحانه وتعالى على الإنسان يَحرمه من لذّة العبادة ، ويحرمه من درجات التقرب منه .

---

(1) سنن إبن ماجه، كتاب الفتن، باب ذهاب القرإن والعلم، ص669، رقم الحديث (4049) .

(2) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب هدم الكعبة، ص388، رقم الحديث (1596) .

(3) نفس المصدر السابق، كتاب الحج، باب هدم الكعبة، ص388، رقم الحديث (1595) .

(4) فيصل آل مبارك، توفيق الرحمن في دروس القرآن، ص641 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد أوصى النبي عليه الصلاة والسلام بالمحافظة على القرآن والدوام على تعهده وملازمته قبل فوات الأوان ، فعن عبد اللّه بن مسعود قال : " أكثروا تلاوة القرآن قبل أن يُرفع . قالوا : هذه المصاحف تُرفع ! فكيف بما في صدور الرجال ؟ قال : يسري عليه ليلاً فيُصبحون منه فقراء ، ويَنسون قول لا إله إلا الله ، ويَقعون في قول الجاهلية وأشعارهم ، وذلك حين يقع عليهم القوُل "(1).

وأن يستَثمروا وجوده في سَن القوانين التي تخدم البشرية ، وتثبيت الأحكام الأرضية وفق الأحكام السماوية ، وتسيير الناس ومصالحهم وفق الإرادة الآلهية ، وقبل أن يرفع فتَشيع الفوضى والتخبط وعدم الأستقرار ، ويصير الإحتكام إلى الأحكام الوضعية ، ويلجأ الناس إلى قوانين الجاهلية والعشائرية ، فلا المصالح تستقيم ، ولا الأحوال تسير ، ولا القيم والأخلاق والمبادئ تنضبط ؛ فمثلما كانت الأقوام من قبلِنا عندما فرَّطوا في أنبياءِهم والكُتب التي أُرسلت إليهم ؛ رفع الله منها قُدسيتها وحُرمتها ، فأصبحت بلا قيمة دينية ولا قيمة تعبُدية ، ورُفعت الأحكام من بينها فأصبحت كُتب للتصفح ومصيرها إلى الرفوف ، حتى أصبح أصحابها لا يحتكمون إليها ولا يستلهمون منها قوانينهم أو دساتيرهم . " عن أبي الدرداء رض الله عنه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فشَخصَ ببصره إلى السماء ثم قال : هذا أوان يُختلس العلم من الناس حتى لا يقدروا منه على شئ . فقال زياد بن لبيد الأنصاري : كيف يُختلس منا وقد قرأنا القرآن ؟ فوالله لنقرأنه ولنُقرئنه نساءنا وأبناءنا ، فقال صلى الله عليه وسلم : ثكلتك أمك يا زياد ، إن كنت لأعُدك من فقهاء أهل المدينة ، هذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى، فماذا تغني عنهم ؟ قال جبير : فلقيت عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، قلت : ألا تسمع ما يقول أخوك أبو الدرداء ؟ فأخبرته بالذي قال أبو الدرداء ، قال : صدق أبو الدرداء ، إن شئت لأحدثنك بأول علم يُرفع من الناس : الخشوع ، يوشك أن تدخل مسجد جماعة فلا ترى فيه رجلاً خاشعاً "(2) .

فلِنتصور ديننا من غير قرآن كيف سيكون حاله ؟ كيف هي صلاتنا بدونه ؟ وكيف نستخلص أحكام الزكاة ؟ وكيف نحج ؟ وكيف نُقسّم مواريثنا ونَعدل في الترِكة ؟ كيف نُنظم شؤون الزواج والطلاق وأحكام البنين ؟ كيف نُقّوم أنفسنا ونُربيها بالعادات التي عودنا الإسلام من خلال القرآن عليها ؟

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كيف هي معاملاتنا وقضاء حوائجنا ؟ كيف نبني حضاراتنا ونبني أوطاننا ؟ كل هذه الأسئلة وغيرها المئات تحتاج إلى وقفة تأمل وتفكّر في أجوبتها وكارثية واقعنا في تلك الفترة . فلا صلاتنا تنفع إذ أنها بلا ترتيل ولا قراءة لآية واحدة من القرآن ، ولا إستناد لأفعالنا في الصيام والزكاة والحج ، ولا يوجد دليل لفقه المعاملات . " فعن شداد بن مَعقل ، قال : سمعت إبن مسعود ، يقول : إن أول ما تفقدون من دينكم الأمانة ، وآخر ما يبقى من دينكم الصلاة ، وليصلين قوم لا دين لهم ، ولينتزعن القرآن من بين أظهركم . قالوا : يا أبا عبد الرحمن ، ألسنا نقرأ القرآن وقد أثبتناه في مصاحفنا ؟ قال : يسرى على القرآن ليلاً فيذهب به من أجواف الرجال فلا يبقى في الأرض منه شيء "(3) .

---

(1) سُنن الدارمي، كتاب فضائل القرآن، باب في تعاهد القرآن، ج2، ص530، رقم الحديث (3341) .

(2) مجدي الهلالي، غُربة القرآن، ص67 .

(3) أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (260-360هـ)، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية (بلا تأريخ)، عدد المُجلدات 25، ج9، ص153، رقم الحديث (8700) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن مُقدِمات الرْفع :

1 - أن لايكون للقرآن إحترام بين الناس . وأن تصِل بالحال إلى إعتبار القرآن كتاب حاله حال أي كتاب آخر لا قيمة له أعاذنا الله ، وهذا من ضُعف الإيمان وخوارق المروء وقلة الأدب . فالقرآن في كل الأحوال وفي جميع الضروف هو كتاب مُقدس لا يُشبهه كتاب ، ولا يمكن أن يُقاس بآخر مهما كان لذلك الكتاب (الإنجيل والتوراة) من أهمية حتى وإن كان سماوي . بل يجب أن تُحترم حروفه وكلماته وصفحاته ، ولا يُعامل مثلما يُعامل الآن من تمزيق والإستهانه بصفحاته وآياته ، كأن تُرمى الأوراق المكتوب فيها آيات وسُور ، أو ان يُداس على الصُحف والمجلات التي بين جنباتها آيات من القرآن من أن تُرمى في الشوارع أو أماكن المُهملات والفضلات ، أو أن يُفعل به كما يفعله أغلب طلاب العالم العربي اليوم من تمزيق لأوراقه وإستخدامها في الغش الإمتحاني في المدارس ، أو أن يوضع في أماكن غير لائقة به كما في درج السيارات أو على الارض أو فوق الدولاب أو مع الأواني والمقتنيات ، وأن لا يوضع شئ فوق القرآن كالألبسة أو الكتب الأخرى أو أي شئ ، إلا إذا كان مُصحفان فيوضع أحدهما فوق الآخر ، أو أن تُمَد الأقدام باتجاه المُصحف ، أو أن يحمله من غير طهارة مع الدرايه بِحُرمة ذلك ، وإلى غير ذلك من طُرق عدم إحترام كلام الله تعالى .

2 - هَجر القرآن . وهو أن يترك المُسلم القرآن الكريم تلاوةً وحفظاً ، وأن يترك أحكامه وتشريعاته ، وأن يترك مراجعته والمواضبة على التواصل معه ، أو أن يُرمى على الرفوف فيملأه التراب ولا يُقَلّب إلا كل رمضان . كما يُهجر الإستماع إليه أو الإصغاء ، حتى أن القرآن الكريم لَيَشتكي إلى الله من هِجران الإنسان له ، قال تعالى (وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا)(1) ، وهذا من ضُعف الإيمان ، وقِلّة الإلتزام ، ونقض العهد مع الله سبحانه وتعالى .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3 - عدم الإحتكام إليه في الأحوال والمآل . وهو أن يصل بالحال إلى ان الأحكام التي يحتكم إليها الناس تكون خارج إطار التشريع الموجود في القرآن الكريم ، وأن الأحكام الوضعية هي التي تسود ، فلا يُذكر فيها لا القرآن ولا شئ من تشريعاته ، بالتالي يكون حُكم الإنسان هو السائد ، أو حُكم العشيرة أو الطائفة ، وبالتالي يكون الإستغناء عن أحكام القرآن ، وحينما يُستَغنى عن أحكام وتشريعات القرآن فهي بمثابة رفض لِحُكم الله ، قال تعالى (وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)(2) ، بل حتى يصل الأمر إلى عدم إستساغة أحكام القرآن ونُكرانها وعدم قبولها ، أما لأنها لا تخدم مصلحة الفرد أو بسبب كُفر الفرد أصلاً بالقرآن ، أو بحجة الدولة العلمانية التي لا يتناسب القرآن مع طبيعتها . أو أن يؤخَذ منه جُزء ويُترك جُزء ، كما يحصل عند الساكنين في الأرياف من حجب البنت من الميراث ، أو كما يحصل في كثير من البنوك من تحوير الآيات بما يخدم سياسة البنك وتسهيل المعاملات الربوية تحت إقتصاص أجزاء من الآيات . قال تعالى (أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ)(3) . فيجب أن تُؤخذ أحكام القرآن كاملاً غير مُجزَّئة

---

(1) سورة الفرقان، الآية 30 .

(2) سورة المائدة، الآية 44 .

(3) سورة البقرة، الآية 85 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولا مقصوصة ولا على حسب الأهواء والمصالح .

4 - يُرفع الخشوع حال تلاوته . إن من أسباب فَهم القرآن الكريم ، وواحدة من وسائل الوصول إلى الله سبحانه وتعالى هو الخشوع وترقيق القلب أثناء قراءة القرآن الكريم ، وذلك لأن الخشوع يجعل الإنسان في عُزلة تامة عما حوله ، وإنفراده بخالقه وما أُنزل إليه من الآيات والأحكام ، فحينما يُعرض الإنسان عن الخشوع في القراءة ، ويكون تلاوته عبارة عن سرد سريع ، أو كأنما يقرأ جريدة أثناء ركوبه في الباص ، فإن هذا يؤدي إلى الإستهانة بالقرآن الكريم وعدم فَهم الآيات وما يُريد منّا ربنا ، بالإضافة إلى زوال الأجر من هذه القراءة التي ترمي بصاحبها إلى عالم آخر غير القرآن ، وإلى صرف الفِكر بأمور الدنيا وتفاصيل العَمل ، فهذه التلاوة ليس لله فيها حاجة ، قال تعالى (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آَمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ)(1) ، فهذا عتاب الله للمؤمنين من الصحابة ، فكيف هو كلامه مع المُستهزئين من أجيالِنا ؟ أو المُستهينين بقَدر هذا الكتاب ، أو الذي يقرأونه لا يتجاوز حناجرهم ؟ قال تعالى (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آَيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)(2) . هذا حال المؤمنين الحق ، والذي يُريده منا ربنا حال تلاوتنا لكلامه ، الزيادة في الإيمان ، والخشوع التام ، والإنقياد لله ولأحكامه ، والتوكل عليه سبحانه .

5 - إنعدام الرهبة منه أو ضَعفِها . مثلما أن في القرآن آيات الأحكام ، ومثلما فيه تفصيل للجنة وما أعدّ الله للمؤمنين ؛ كذلك فإن فيه الوعيد والتهديد ، فلا يُمكن لمؤمن أن يقرأ آيات العذاب والتهديد دون أن يُلامس قلبه الخوف والوجل من عذاب الله ، ولا يُمكن لِفرد أن تمرّ عليه حال من أحوال الكافرين أو المنافقين ولا يرجع إلى الله ويتوب ويستغفر خوفاً من أن يُصيبه ما أصابهم . حتى النبي عليه الصلاة والسلام كان إذا مرّت عليه آيات العذاب أو التهديد بكى وإستغفر ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكان يَرهب من بعض الآيات حينما يمُر عليها في قرائته أو حينما تُنَزّل عليه ، مثل قوله : " لقد نَزلت عليّ الليلة آيات وَيل لمن قرأها ولم يتفكر فيها : (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ)"(3) . فالمؤمن يجب أن يكون مُعلّق بين جناحي الخوف والرجاء فلا يفتر عنهما ، ومثلما نُحسن الظن بالله ونأمل في جنته ورحمته ، فإننا يجب أن لا نغفل عن عذابه وسَخطه وإنتقامه ، فكيف بِنا وتَمُر علينا آيات العذاب أو آيات التهديد والوعيد أو آيات النار وأهوالها ؟ أجارنا الله منها .

6 - ضُعف الرغبة والإقبال إليه . لا شك أن الانسان إذا خاف من شئ إبتعد عنه ، لكن حينما يخاف من الله سبحانه وتعالى فإنه يفر إليه ، وهذا الفرار الوحيد في الكون الذي فيه الطمأنينة والسلامة ، قال تعالى (فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ)(4) . والفرار إلى الله بمعنى أن تلجأ إلى كلامه فتسمعه ، وإلى قرآءنه فتَتدبره ، وأن الإنسان كُلما ضاقت عليه الدنيا بهمومها ومصائبها فليس له إلا

---

(1) سورة الحديد، الآية 16 .

(2) سورة الأنفال، الآية 2 .

(3) الألباني ، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشئ من فقهها وفوائدها، ج1، ص147، رقم الحديث (68) .

(4) سورة الذاريات، الآية 50 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الله، قال تعالى (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا)(1). فهو قانون ، وطبيب نفسي ، وحلال مشاكل ، وحَكم عدل و و و و ، لكن إذا أعرض الإنسان عن هذا الكتاب ، فإن البلوى ستُصيبه ، وضيق النفس ، وضَنك العيش ، والخُذلان الدنيوي والأخروي ، وفي حال عدم الإقبال عليه كما لو أن الإنسان أعرض عن ربه ، ولم يكترث له ، وقد إستغنى عنه ، فإلى أين يلجأ الإنسان إذاً ؟ وهذه من أسباب هجران القرآن وعدم الإكتراث له .

فالحمد لله الذي جعل لنا منهاجاً يُنظم حياتنا ، ودستوراً نلجأ إليه في أحكامنا ، ونوراً نستدِل به في حياتنا وأحوالنا ، وشفيعاً مُخلصاً في الآخرة يشفع لنا ، وزيادة في الأجر والحسنات ورزق قد ساقه الله إلينا ، وراحة وطمأنينة للبشر لا غِنى عنها . بالإضافة إلى دستور سماوي نستعين به في بناء حضارتنا وتنمية أوطاننا ، والإستزادة من وسائل ترفيه الإنسان ورُقيّه في ظل هذه الحضارة الربانية التي يكون القرآن الكريم دليلنا إليها . تلك الحضارة التي تضمن حق الوجود للإنسانية ، وتضمن بقاءه وتكاثره تحت بنود الرحمة الآلهية ، وفي ضوء العناية الربانية . فنكون قد وصلنا بالفرد المُسلم إلى مطاف الإستخلاف الرباني في الأرض ، وصياغة صحيحة للتطور والعمران الثقافي والأخلاقي والإسلامي الفريد .

المطلب الخامس - إن الله سائِلنا

لكلِ شيٍ بداية ونهاية ، ولكلِ عملٍ لابد من إتمام ، ومهما دَرس الطالب فلابد من إجراء الإمتحان ، ومهما عَمِل الصانع من أعمال فلابد من إبراز نتيجة عمله . والإنسان أيضاً لابد له من نهاية يَعرض فيها نتيجة عمله وما قدّمت يداه في الدنيا ، والتي كانت له مَحطّ إختبار وإمتحان ، فالله سبحانه وتعالى جعل الحساب أما لثواب المُحسن على إحسانه ، أو لعِقاب المُسئ على إساءته ، ولابد من إسترداد الحقوق ورَدّ المظالم ، قال تعالى في سورة الإسراء (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا)(2) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولأن الله أعدل العادلين ، ومن صِفاته الكمالية العدل والحِكمة ، فهو لا يظلِم أحداً من خلقِه ، ولا يضع الشئ في غير موضِعه ، ومن تمام عدله أنهُ لا يساوي بين مؤمن وكافر ، ولا بين بِر وفاجر ، ولا بين مُحسِن ومُسئ ، لأن التسوية بينهم مُنتهى الظلم ، وهذا ليس من صفات الله ولا قانونه الرباني الفريد . وكل هذا العدل سيكون جلياً للعيان علناً يوم القيامة ، حينما يُنصَب الميزان ويجتمع كل الناس على صعيد واحد ، وتُوَزع الصُحف على البشر ، حينها سيتجلى العدل الآلهي للقضاء بين الناس بالحق ، وتُستَرد الحقوق ، ويُقتص من الظالمين المعتدين أمام جميع الخلائق ، فلا ينفع الإنسان إلا ما قدمت يداه من خير ، ولا يُنقذه إلا طاعته لِمولاه ، قال تعالى (وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

---

(1) سورة الإسراء، الآية 82 .

(2) سورة الإسراء، الآية 36 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ، إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ)(1) . وقال (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ، أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ)(2) . فهذا وعد الله لِبني البشر بأن يُحاسبهم فرداً فرداً على ما قدموا ، ولَيسألنهم على الفتيل والقطمير ، ويَسألهم على الصغير والكبير ، لأن ذلك مكتوب على بَني البشر مُنذ بدأ الخليقة في اللّوح المحفوظ ، وما كَتبه الله لابد من وقوعه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أن أحدكم يُجمع خلقه في بطن أُمه أربعين يوماً ، ثم يكون في ذلك عَلَقه مثل ذلك ، ثم يكون في ذلك مُضغه مثل ذلك ، ثم يُرسل الله تعالى المَلَك فينفخ فيه الروح ، ويؤمر بأربع كلمات : يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد "(3) .

والعَرض على الله من أصعب المواقف التي يمر بها الإنسان ، حيث فيها جانبان حساسان : الجانب الأول : هو أن تُعرض أعمال الإنسان أمام جميع الخلائق فتكون فضائح وفضائع في نفس الوقت ، فيُخرج الله ماكان من أعمال الإنسان طوال مسيرة حياته ، منذ التكليف وإلى إنتهاء حياته بالموت . ويكون كل ذلك على مرآى ومَسمع من جميع البشر ، منذ آدم عليه السلام وإلى آخر إنسان على وجه الأرض . والجانب الثاني : هو محاسبة الله للعبد بشكل فردي فيذوب وجهه خَجلاً من الله عندما يأخذه في كنفه ويُعاتبه على أعماله ، وهذا النوع أكثر وقعَاً على الإنسان من سابقه ، لأنه مخصوص بالسؤال ، وغالباً ما يُصيب المؤمنين ، لأن السؤال بهذه الطريقة يكون أشبه بالعِتاب من الله للعبد ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الله يُدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره ، فيقول : أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا ؟ فيقول : نعم أي رب ، حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هلك قال : سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ، فيُعطى كتاب حسناته . وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد (هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ)"(4) . فهذا هو الموقف الرهيب حيث كل الناس غارقون في الهم والتفكير ، فينادي الله سبحانه وتعالى على البشر فرداً فرداً للمثول أمامهُ للحساب(5) . والسؤال . فهذا هو الخطر الحقيقي على الانسان ، وهذه أصعب نتيجة يستلمها ، لأنها تحديد مصير ، وليس أي مصير ، انه المصير الخالد الذي سيصير إليه الانسان .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن أهم عوامل الإستعداد لهذا الحساب هو الإستشعار الدائم بالخطر والإستعداد للسؤال ، والعمل على تثبيت أركان الجواب بالصورة الصحيحة واللائقة بربنا عزوجل . ولابد من توفر وسائل التغذية للمشاعر بإستشعار الخطر القريب فيزداد عزمه وقلقه وتشميره عن ساعدة للجد والإجتهاد

---

(1) سورة غافر، الآية 58-59 .

(2) سورة ص، الآية 27-28 .

(3) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أُمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، ج4، ص2036، رقم الحديث (2643) .

(4) صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب قول الله تعالى (ألا لعنة الله على الظالمين)، ص590، رقم الحديث (2441) .

(5) الحساب لغةً : العدد . وإصطلاحاً : هو توقيف الله الناس على أعمالهم ، خيراً كانت أو شراً ، قولاً كانت أو فعلاً ، تفصيلاً بعد أخذهم كُتبهم . أنظر: قحطان الدوري، العقيدة الإسلامية ومذاهبها، ص662 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في طلب الرضا من الله ، والعمل على تحقيق الغاية من خَلقِه وما أراد الله منه . كما وأن الإنسان في حاجة دائمة إلى الهجرة المعنوية ، الهجرة إلى الله بالجوارح والأركان ، لأن الهجرة إنتقال من مكان إلى مكان ، ومن حال إلى حال ، فهجرتنا أيضاً إنتقال من الرتابة والخمول إلى الجدّ والإجتهاد ، ومن العصيان والتمرد إلى الطاعة والإنصياع ، ومن التّيه والغفلة إلى الإستقامة وإستغلال الطاقات والقُدرات . قال صلى لله عليه وسلم : " تفرغوا من هموم الدنيا ما إستطعتم ، فإنه من كانت الدنيا أكبر همه أفشى الله ضيعَته ، وجَعل فقره بين عينيه ، ومن كانت الآخرة أكبر همه جمع الله له أمره ، وجعل غِناه في قلبه ، وما أقبل عبد بقلبه إلى لله تعالى إلا جَعل قلوب المؤمنين تفد إليه بالود والرحمة ، وكان الله بكل خير إليه أسرع "(1) .

والله سبحانه وتعالى عندما أوعز للإنسان بأنه سيكون هنالك حساب وسؤال ؛ إنما لكي يُحذر الإنسان من عواقب أعماله ، وليتهيأ لهذا الموقف ، وأن يأخذ بجميع الأسباب لذلك ، لأن هذا الموقف سيكون فيه السؤال على كل صغيرة وكبيرة ، وحتى الأطراف والجوارح سيكون لها نصيب منه ، بل وحتى التنهدات والخواطر ، فالحَركات والهمسات ، والعمل والقول والنيّة ، كلها في ميزان الحساب والسؤال ، والعقيدة الإسلامية تُحتم علينا الإيمان بذلك إيماناً جازماً ، وأن لا ينّجر المُسلم خَلف أقوال المُلحدين ، و أن لا يتأثر بآراء الفلاسفة أو أتباع الديانات الأخرى من مُنكري البعث والحساب ، لأن الحياة يعيش فيها نوعين من البشر : النوع الأول: هم المؤمنين بالله حق الإيمان ، وسليمي العقيدة ، ثابتي المبدأ ، الواثقين من إختيارهم . والنوع الثاني: هم المُلحدين وأتباع الديانات الأخرى التي حُرِفت عقيدتهم ، وزاغَت قلوبهم ، ولعِب الشيطان في عقولهم ، فهُم في تَيه يعيشون ، وفي حياتهم يتخبطون ، فلا قيمة لأعمالهم ولا وزن لأفعالهم ، لأنها بلا أساس ثابت تستند إليه ، وأن النية مُبَيتة في خانة تحقيق المصالح المادية ، والعيش بلا مُحددات تُحدد حياتهم ، وأن الإسلام حسب تفكيرهم كله مُحدِدات ، ولا يعلمون أن هذه الحدود إنما هي لخدمة البشر وفي مصلحة الإنسان أولاً وآخراً لو فقِهوا .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" وتسجيل الأعمال من الأمور التي قد ثَبتت ثبوتاً علمياً ، فما من صوت من الأصوات ، ولا عمل من الأعمال ، ولا حركة من الحركات ، إلا وهي مُسجلة في سِجل الكون ومدوّنة في كتاب الوجود ، فليس منها شئ ضائع ، ولا يُمكن لشئ منها أن يزول . وتبلغ الدقة في الحساب مُنتهى ما يُمكن أن يتصور ، حتى يأخذ كل واحد جزاء ما عَمِل من خير أو شر ، سواء كان ذلك عملاً مارَسه بالفِعل ، أو عملاً نواه وأَصرّ عليه ، فتُقام لذلك موازين القسط ، حتى يتحقق العدل الآلهي على أكمل صورة (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ)"(2) .

أما عن طبيعة السؤال والحساب فهي ثابتة في القرآن الكريم والسُنة النبوية ثبوتاً قطعياً لا خِلاف فيه ، وأن الحَشر والبعث والميزان والحوض والسراط كُلها وَردت واضحة جَلية ، أما عن مُنكريها

---

(1) الطبراني، المعجم الأوسط، ج5، ص186، رقم الحديث (5025) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهُم يتخبطون ، إذ لا رأي بعد كلام الله ، ولا تحليل ولا إستنباط بعد الحديث الصحيح الذي يَرِد عن النبي عليه الصلاة والسلام ، وأن كل إنسان سيتقدم للعرض والمسائلة لامَحالَ .

" فالحساب منه اليسير والعسير ، والسر والجهر ، والتوبيخ والفضل والعدل ، قال بعض العلماء : ذَكر الله تعالى الحساب جُملة ، وجاء الإخبار بذلك ، وفي بعضها ما يدل على أن كثير من المؤمنين يدخلون الجنة بغير حساب ، فصار الناس إذاً ثلاث فِرق : فرقة لا يُحاسبون أصلاً ، وفرقة تُحاسب حساباً يسيراً ، وهما من المؤمنين . وفِرقة تُحاسب حساباً شديداً يكون منها مُسلم وكافر . وإذا كان من المؤمنين من يكون أدنى إلى رحمة الله فيدخل الجنة بغير حساب ، فلا يبعد أن يكون من الكافرين من يكون هو أدنى إلى غَضب الله فيدخل النار بغير حساب "(1) .

وقد صَرح القرآن بطبيعة الإستدعاء ، وأخبر أن الله سيستدعي كل الطوائف والفِرق والأُمم مع ما أُرسل إليهم من أنبياء ورُسل ليرشدوهم إلى الله ، قال تعالى (يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا)(2) ، ولكن أروع مافي الموضوع أن تكون أُمة محمد صلى الله عليه وسلم أول من تتقدم ، مع أنها آخر أُمة وُجِدت على الأرض ، وستكون شاهدة على بقية الأُمم ، وأنها من تدينهم على إعراضِهم عن الله ودينه ، لكن الكارثة لو أخفقت أُمة محمد في التبليغ ، ولم تَقم بواجبها على أكمل وجه ، فسيكون الأمر عليها لا لها ، قال تعالى (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْأُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا)(3) ، وقوله تعالى (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا)(4) . وهذا دليل قاطع وثابت على أن أُمة محمد ستكون شاهدة على بقية الأُمم ، وأن النبي محمد صلى الله عليه وسلم سيكون الشاهد الفصل في ذلك على جميع الأُمم بمن فيها أُمته . فيسأل الله العِباد أسئلة قد سرّبها إلينا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم منذ الآف السنين وأخبرنا أن الله سيسألنا عنها فقال : " لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه ، وعن علمه فيم فعل ، وعن ماله من أين إكتسبه وفيم أنفقه ، وعن جسمه فيم أبلاه "(5) . فهل وعى الإنسان حقيقة السؤال وعمِل من أجل ذلك الموقف ؟

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والشعور بالمسؤولية الفردية هي نِتاج الحضارة الصحيحة ، فالتغيير يبدأ من النفس ومن ثم الإنطلاق إلى المجتمع ، ولا علاقة للإنسان بتصرفات الآخرين السلبية بالتحديد ، لأن كل إنسان سيكون مسؤول عن تصرفاته ، ولا يُحاسب عن غيره أو غيره يُحاسب عنه ، وهذا من عدل الله في بَني البشر ، قال تعال (وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ)(6) ، فيتطلب من العَباد أخذ القرار المناسب ، وأن يستعدوا للهجرة إلى الله بكل جوارحهم وأركانهم ، ولا ينبغي أن يترك الفرد أعماله ومِهنته وأهله ويعتزل

---

(1) قحطان الدوري، العقيدة الإسلامية ومذاهبها، ص664 .

(2) سورة الإسراء، الآية 71 .

(3) سورة البقرة، الآية 143 .

(4) سورة النساء، الآية 41 .

(5) سُنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب في القيامة، ص545، رقم الحديث (2417) .

(6) سورة الانعام، الآية 164 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الدنيا بِرمتها ؛ بقدر ما يحتاج إلى تجديد العهد مع الله وتصحيح النية والعزم على الطاعة ، ونبذ كل معصية ، وتنظيف القلب من الأدران ، وأن يعزم على خدمة هذا الدين ، وضبطّ حياته بميزان الدعوة ، وأن نشد العزم على أن نكون من ذلك الجيل الذي يوقظ الأُمة ، وإن يُخرجها من تيهها وغفلتها ويُعيدها إلى ربها بإذن الله ، وأن نسال الله تعالى أن يُثبتنا على ذلك ، وأن يُلهمنا الهِمة والعزيمة على تحقيق مبتغانا ونصيبنا من الدعوة ومن العمل في خدمة دين الله ، وان نُبلِغه للناس ما إستطعنا إلى ذلك سبيلاً ، لأن كل عمل وكل خطوة وكل همسة سنُسأل عنها ، فليكن السؤال إيجابياً لنا لا سلبي ، وأن يكون السؤال لقد أجَدّت وأحسَنت ، بدل أن يكون لِم لَم تفعل ذلك ؟ ولِم لَم تصنع ذلك ؟ وبدل أن يكون السؤال توبيخ وتأنيب ، يكون مَدح وثناء .

نسأل الله العَفو والعافية والسَلامة في الدُنيا والآخرة .

المبحث الثاني : ما حَصل للنبي عليه الصلاة والسلام بإرادة الله تعالى

المطلب الأول - عناية الله فوق كيد أعدائِه

لا شك أن جميع الأنبياء محفوفين بالعناية الآلهية ومحفوظين بالقُدرة الربانية ، وهذا الأمر من المُسَلمات بسبب أن لهم وضعية وخصوصية تختلف عن غيرهم من البشر ، لأنهم مُرسَلون من قِبَل الله تعالى ، ومؤَيَدون بالرسالة ، ومُهمتهم عظيمة على وجه الأرض . فالعناية الآلهية حاضرة معهم أينما حَلوا وإرتَحلوا ، والشواهد على ذلك عديدة . فعندما حارب قوم نبي الله إبراهيم برسالة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، وقرروا بعد نفاذ حجتهم أن يحرقوه ، وبالفعل تم جمع الحطب وأضرموا فيها النار ومن ثم تم إلقاء إبراهيم عليه الصلاة والسلام في النار ؛ إلا أن العناية الآلهية كانت حاضره فَنُصر إبراهيم على قومِه ، قال تعالى (قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ، قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ، وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ)(1) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وموسى عليه الصلاة والسلام عندما أُرسل إلى فرعون وملأه ، فلما ضاق به ذرعاً أن يؤمنوا ، وقرر فرعون أن يتخلص من نبي الله موسى ومن مَعه من المؤمنين ، طارده حتى وصلوا إلى البحر فَحَصلت مُعجزة موسى عليه الصلاة والسلام بإنفلاق البحر له وقومه فَعَبروا ، بينما غَرق فرعون ومن معه من جيش جرار بعد أن أطبق الله البحر عليهم ، قال تعالى (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدْواً حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ، فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ

---

(1) سورة الأنبياء، الآية 68-70 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ)(1) .

وهذه أحوال الدعاة إلى الله يكون حالهم أشبه بحال الأنبياء ، لأن الدعاة والعلماء وَرثة الأنبياء ، ويحملون هَمّ الرسالة والدعوة والتبليغ ، فكُل من حَمل الهَم أكيد سيواجه هذا الكَيد ، ومثلما يكيد أعداء الدين للأنبياء ؛ فإنهم سَيكيدون لورثتهم مثل ما كادوا لهم .

" وصاحب الدعوة لا يكون قد بلغ عن الله ، ولا يكون قد اقام الحجة لله على الناس ، الا اذا ابلغهم حقيقة الدعوة كاملة ، ووصف لهم ما هم عليه كما هو حقيقته ، بلا مجاملة ولا مداهنة .. فهو قد يؤذيهم ان لم يبين لهم انهم ليسوا على شئ..فالناس يجب ان يعرفوا من الداعية اين هم من الحق .(2)"

وكذلك بقية الأنبياء والمُرسلين الذين أرسلهم الله إلى الأرض لِنشر الرسالة وتبليغ الأمانه ، فقد كانوا محفوظين من قِبَل الله تعالى من الأذى والضَرر الذي تسبب لهم به أقوامهم وأتباعهم .

وفي هذا المطلب سأتحدث عن مسألتين في جانب الحماية والعناية الربانية لشخص النبي صلى الله عليه وسلم وأيضاً فيما يخص تأثير هذه العناية على قومه ..

المسألة الأولى : على الصَعيد الفردي لشخص النبي صلى الله عليه وسلم .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالنبي عليه الصلاة والسلام أشرف الأنبياء والمُرسلين ، ودعوته ورسالته أعظم تلك الرسالات وأوسعها وأكثرها إعماماً وشمولية ، فلابد أن يكون محفوظاً من قِبَل الله سبحانه وتعالى من كيد البشر وغيرهم . والعناية الربانية لمحمد صلى الله عليه وسلم تَجلّت ومنذ اللحظات الأولى لِخلقِه مروراً بفترة ما قبل التكليف بالرسالة ، وإلى فترة الرسالة في مكة ، وإنتهاءاً بالمُدة الزمنية التي قضاها صلى الله عليه وسلم في المدينة . فلِكل مرحلة من هذه المراحل أحداثها التي لامَست شخص النبي صلى الله عليه وسلم ، ولها من المخاطر ما قد يؤثر عليه نفسياً وتكوينياً وعَقدياً ، لولا أن الله تكفل به وبتركيبته الداخلية والخارجية ليكون مُنزَّها عن كل فِعل أو قول يمس الذات النبوية ، وبحيث لا تنعكس على النظرة العامة له وتوابعها التي تحتَك بالرسالة الآلهية إحتكاكاً مباشراً ، كالسُمعة وتركيبة تفكيره ، وطبيعته البدنية ، وتكوين خُلقه وأخلاقه صلى الله عليه وسلم . فقبل البعثة كان النبي محفوظاً من الزَلل والخطأ والإنجرار وراء الطبيعة الشبابية آنذاك التي تعشق اللهو والسمر وإتباع الشهوات والملذّات ، إذ أن الحاكم في تلك الفترة هي الأخلاق التي تربى العرب عليها فقط ، فلا دين يردعهم ولا ديانة ولا عبادة إلا عبادة ماصَنعوا بأيديهم من باطل وكفر . عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " ما هممت بقبيح مما كان أهل الجاهلية يهمون به ، إلا مرتين من الدهر ، كلتيهما يعصمني الله منهما ، قلت ليلة لفتى كان معي من قريش بأعلى مكة في أغنام أهله يرعاها : أبصر إلي غنمي حتى أسمر (السَمَر

---

(1) سورة يونس، الآية 90-92 .

(2) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج2، ص941 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هو الحديث ليلاً) هذه الليلة بمكة كما يَسمر الفتيان ، قال : نعم ، فخرجت فجئت أدنى دار من دور مكة ، سمعت غناء وضرب دفوف ومزامير ، فقلت : ما هذا ؟ فقالوا : فلان تزوج فلانة ، لرجل من قريش تزوج إمرأة من قريش ، فلهوت بذلك الغناء وبذلك الصوت حتى غلبتني عيني ، فما أيقظني إلا حر الشمس فرجعت فقال : ما فعلت ؟ فأخبرته ، ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك ، ففعل ، فخرجت فسمعت مثل ذلك ، فقيل لي مثل ما قيل لي ، فلهوت بما سمعت حتى غلبتني عيني ، فما أيقظني إلا مسُّ الشمس ، ثم رجعت إلى صاحبي فقال : فما فعلت ؟ قلت : ما فعلت شيئاً ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فوالله ما هممت بعدها بسوء مما يعمل أهل الجاهلية حتى أكرمني الله بنبوته "(1) .

أما في مرحلة ما بعد الدعوة وفي مكة بالتحديد فكان الإمتحان صَعب على النبي صلى الله عليه وسلم ، حيث كان يتعرض إلى شتى العذاب النفسي ، والحرب الضروس بين جبابرة قريش آنذاك وبين النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه ، إلا أنهم كانوا يمتنعون عن الإيذاء الجسدي لمكانته في قومه ، ولوقوف عمه أبو طالب بوجههم ، لكن جُل العذاب كان مُنصَب على أتباعه من المؤمنين . لكن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينجو من الكيد والمكر ، والمؤامرات والدسائس ، فكان الصحابة يخافون عليه ويتعاقبون على حمايته . عن عائشة رضي الله عنها تقول : " كان النبي صلى الله عليه وسلم سهر فلما قدم المدينة قال ليت رجلاً من أصحابي صالحاً يحرسني الليلة إذ سمعنا صوت سلاح فقال من هذا فقال أنا سعد بن أبي وقاص جئت لأحرسك ونام النبي صلى الله عليه وسلم "(2) . حتى نزل قول الله تعالى (وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)(3) ، حينئِذ رفض النبي صلى الله عليه وسلم حماية أصحابه ليقينه بأن الله كافيه الشر والسوء . لأن الله تعهد بحفظه ، وأَعلمه بذلك ، فكيف يخاف من كان الله أمانه وحافظه ؟ " ومن عصمة الله لرسوله حِفظه له من أهل مكة وصناديدها وحسّادها ومُعانديها ومُترفيها ، مع شدة العداوة والبغضة ونصب المحاربة ليلاً ونهاراً ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بما يخلقه الله من الأسباب العظيمة بقُدرته وحكمته العظيمة ، فصانه في إبتداء الرسالة بعمه أبي طالب إذ كان رئيساً مُطاعاً كبيراً في قريش ، وخلق الله في قلبه مَحبة طبيعية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا شرعية ، ولو كان أسلم لإجترأ عليه كفارها وكبارها ، ولكن لما كان بينه وبينهم قدر مشترك في الكفر هابوه وإحترموه "(4) .

فالصراع الكبير الذي حَصل بين النبي صلى الله عليه وسلم وأهل مكة يتلخص فيمن سَيستسلم للآخر ، لأن أهل مكة يعلمون أن النبي عليه الصلاة والسلام على حق ، وأن كلامه الحق ، إلا أنهم بإصرارهم على ماكانوا عليه إنما ليَبقوا سادة على قومهم ، ولكي يَبقى كبرياءهم وجبروتهم وطغيانهم ، وأن حُب الزعامة وعشق القيادة مُسيطر عليهم ، فهُم السادة بين القبائل ، وهُم أصحاب

---

(1) أنظر: شهاب الدين احمد بن ابي بكر بن اسماعيل البوصيري، إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، تحقيق: دار المشكاة للبحث العلمي، دار الوطن للنشر، الرياض، ط1، 1420هـ 1999م، عدد الاجزاء 9، ج7، ص55 .

(2) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله، ص712، رقم الحديث (2885) .

(3) سورة المائدة، الآية 67 .

(4) مختصر تفسير إبن كثير، ج1، ص534 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الصيت والأمجاد والفخار ، فلا يمكن أن يرضخوا لمحمد الذي لم يكن يوماً من ضمن قوائمهم ، ولا مُهادناً لهم على أعمالهم ، ولا موافقاً لهم على غرورهم وتجبرهم وبطشهم ونزواتهم ، فكل ماكان يريد هؤلاء من النبي هو أن يَلين بعض الشئ لئلا تنكسر شوكتهم أمام العرب ، لكن النبي حامل رسالة ، وصاحب هَم ودعوة وتبليغ ، والأمر الذي أتى به إنما هو تكليف من الله له بذلك ، وليس من تأليفه أو نابع من قرارة نفسه صلى الله عليه وسلم ، فلا يُمكن أن يَلين أو يُهادن على الحق ، قال تعالى (وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ)(1) .

فرغم المحاولات البائسة لإستمالة النبي إلى صفوفهم ، ورغم الإغراءات التي قدموها له للعدول عن دعوته ، إلا أنه رفض كل ذلك مما جعل أركان الظلم يستشيطون غضباً ويلجأون إلى العُنف والمجابهة والتحدي المباشر لشخص النبي صلى الله عليه وسلم ، وأعلنوا حربهم عليه حتى بمحاولة منعه عن العبادة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : " قال أبو جهل : هل يُعفر محمد وجهه بين أظهركم ؟ فقيل نعم ، فقال : واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لأُعفرن وجهه في التراب ، قال : فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يُصلي زعم ليطأ على رقبته ، قال : فما فجئهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقئ بين يديه ، قال : فقيل له ما لَك ؟ فقال : إن بيني وبينه لخندقاً من نار وهولاً وأجنحة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو دنا مني لأختطفته الملائكة عضواً عضواً "(2) .

وكذلك من ضمن أساليب الضغط على النبي ما مارسه كبار قريش من بطش وظلم على أصحابه وأتباعه ليلينوا ويعدلوا عن موقفهم ، وليثنوا عزيمة النبي بترقيق قلبه وتحميله مسؤليتهم ، إلا أن النبي كان قدوة لهم في كل شئ حتى في الأذى والعذاب ، " بينما النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في حجر الكعبة ، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً ، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفع عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله "(3) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فكل هذا التحدي والقوة والعزيمة التي تخرج من النبي صلى الله عليه وسلم إنما مُستَمدة من الله العظيم ، لأن النبي يعلم أن الله معه ولا يتركه يواجه الكفار بمفرده ، وأن الله حينما أنزل التطمين في القرآن ، انما هو وعد وعهد ، والله سبحانه وتعالى لا يُخلف وعده رُسله . قال تعالى في سورة الإسراء (وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا)(4) . فكانت هذه الآية بمثابة حِصن للنبي عليه الصلاة من أذى قريش وسوراً بينه وبينهم ليَسلم من أذاهم . " بينما النبي عليه الصلاة والسلام يصلي إلى الرُكن اليماني من الكعبة ، وقد غَدت قريش فجلسوا في أنديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل ، فلما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم إحتمل أبو جهل الحجر ثم أقبل نحوه ، حتى إذا دنى منه رجع منهزماً مُنتفعاً لونه مرعوباً قد يبست يداه على حجره ،

---

(1) سورة القلم، الآية 9 .

(2) صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب قوله : إن الإنسان ليطغى، ج4، ص2154 ، رقم الحديث (2797) .

(3) صحيح البخاري، كتاب مناقب الانصار، باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة، ص943، رقم الحديث (3856) .

(4) سورة الإسراء، الآية 45 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حتى قذف الحجر من يده ، وقامت إليه رجال قريش فقالوا له : مالك يا أبا الحكم ؟ قال : قمت إليه لأفعل ما قلت لكم البارحة ، فلما دنوتُ منه عرض لي دونه فحل من الإبل ، لا والله ما رأيت مثل هامته ولا مثل قصرته ولا أنيابه لفحل قط ، فهم بي أن يأكلني .. قال جبريل عليه السلام : لو دنا لأخذه "(1) .

وحينما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم وإبتعد عن مكة مهاجراً إلى المدينة ، ومُبتعداً عن موطن الظلم والبطش والشدة ، أيضاً كانت العناية الآلهية مُرافقة له في طريقه ، فخروجه مع صاحبه وسط الصحراء القاحلة التي لا يطير فوقها طير من شدة حرها ولهيب رِمالها وضخامة حجمها ، لكن الله ناصره ومؤيده أينما حلّ وإرتحل . فقُريش طاردت النبي وصاحبه بعد خروجهما من مكة مهاجِرَين من الضِيق والظلم ، ورصدت الجوائز والهِبات لقاء أما قتله صلى الله عليه وسلم أو إلقاء القبض عليه ، لكن مشيئة الله فوق كل تخطيط وتهديد ووعيد ، فقد حَفِظهما أفضل حِفظ ، حتى أن من لحق بالنبي من فرسان مكة ليوقع فيه الأذى حاق به مَكر ما مَكر ، فسُراقة الفارس المغوار الذي أتقن فن الصحراء ، وأجاد مداخلها ومخارجها وقف عاجز من أن يمس النبي وصاحبه بأي أذى ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : " أقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وهو مردف أبا بكر وأبو بكر شيخ يعرف ونبي الله صلى الله عليه وسلم شاب لا يعرف قال فيلقى الرجل أبا بكر فيقول يا أبا بكر من هذا الرجل الذي بين يديك فيقول هذا الرجل يهديني السبيل قال فيحسب الحاسب أنه إنما يعني الطريق وإنما يعني سبيل الخير فالتفت أبو بكر فإذا هو بفارس قد لحقهم فقال يا رسول الله هذا فارس قد لحق بنا فالتفت نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال أللهم أصرعه فصرعه الفرس ثم قامت تحمحم فقال يا نبي الله مرني بما شئت قال فقف مكانك لا تتركن أحداً يلحق بنا قال فكان أول النهار جاهداً على نبي الله صلى الله عليه وسلم وكان آخر النهار مسلحة له "(2) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالبرغم من كل المُغريات التي قدمها زعماء قريش للنبي عليه الصلاة والسلام بُغية عدوله عن دعوته لكن الله ثبّته على موقفه لكي لايلين ، وأعانه على نفسه وعلى قومه فثبَت على الحق وصَمد ، قال تعالى (وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا)(3) . فكل الثبات الذي كان عند النبي لم يكن لبشر لولا أن الله قد منحه إياه ومكّنه في قلبه ، فكان كالجبل الشامخ أمام أعتى الرياح ، فلا لآن ولا إنثنى ولا إنطوى . وبكل مرحلة من مراحل حياة النبي عليه الصلاة والسلام في مكة كانت له مخاطر ومصاعب ، لكن الله كان معه أينما كان وفي كل موقف ، فطويت صفحة مكة بكل مراحلها . وحينما إنتقل النبي إلى المدينة ، وببداية المرحلة الجديدة ، مرحلة تكوين الدولة وبناء المجتمع وتربية الصحابة ؛ كان الخطر لازال موجوداً ، والكيد للنبي مُستمر ، إذ أن أعداءه كُثر ، فالمدينة كان بها المنافقين واليهود وغيرهم ممن يريدون الكيد للنبي عليه الصلاة والسلام ودعوته ، لكن الله

---

(1) إبن هشام (213 او 218هـ)، السيرة النبوية، علق عليها وأخرج أحاديثها: عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1410هـ 1990م، ج1، ص327 .

(2) صحيح البخاري، كتاب مناقب الانصار، باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة، ص960، رقم الحديث (3911) .

(3) سورة الإسراء، الآية 74 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أبدله بأسباب الحماية البشرية ، مثلما أيضاً كان هنالك بشر سخرهم الله لحمايته في مكة .

" فلما مات عمه (أبو طالب) نال منه المشركون أذاً يسيراً ، ثم قَيضّ الله له الأنصار فبايعوه على الإسلام ، وعلى أن يتحول إلى دارهم وهي المدينة ، فلما صار إليهم منعوه من الأحمر والأسود ، وكلما هم أحد من المشركين وأهل الكتاب بسوء كاده الله ورد كيده عليه ، كما كاد اليهود بالسحر ، فحماه الله منهم ، وأنزل عليه سورة المعوذتين دواء لذلك الداء ، ولما سمّه اليهود في ذراع تلك الشاة بخيبر أعلمه الله به وحماه منه ، ولهذا أشباه كثيرة جداً يطول ذِكرها "(1) .

وهكذا تَتم سلسلة الحماية الآلهية في المدينة لتُكمل روعة العناية الربانية للعبد إذا أراد الله ذلك ، ومحمد صلى الله عليه وسلم ليس أي عبد ، انما هو أساس من أساسيات هذا الدين المتين ، ومُبلِغه ، وحامل رايته . وهذه المرحلة ليس أقل خطورة من سابقتها في مكة ، بل أنها أكبر أهمية وأكثر خطراً ، لأنها كانت مليئة بالأحداث العسكرية والحروب والمعارك والمعاهدات ، فالقتال كان واحداً من أكثر المخاطر على شخص النبي صلى الله عليه وسلم ، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : " غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة قِبَل نَجد ، فأدركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في واد كثير العضاه (شجر فيه شوك) ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة فعلق سيفه بغصن من أغصانها . قال : وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن رجلاً أتاني وأنا نائم فأخذ السيف ، فإستيقظت وهو قائم على رأسي ، فلم أشعر إلا والسيف صلتا في يده ، فقال لي : من يمنعك مني ؟ قال : قلت : الله ، ثم قال في الثانية : من يمنعك مني ؟ قال : قلت : الله ، فشام السيف (رَدّه في غَمده) فها هو ذا جالس ، ثم لم يعرِض له رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعاقبه وجلس)(2) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فمهما بلغ الإنسان من حَذر وتخطيط وأخذ بأسباب الحماية على النفس لا تتحقق إذا ما الله أراد ذلك ، وإلا فالنبي عليه الصلاة والسلام كان صيداً سهلاً لقريش بادئ الأمر ، ومن ثم لأعداءه في المدينة ، لكن لم يتحقق الأذى لشخصه الكريم لأن الله لم يُرد ذلك ؛ أما لمنزلة النبي صلى الله عليه وسلم عند ربه ، أو إكراماً للرسالة التي كان يحملها . بالنتيجة فإن العناية الآلهية تحققت وأثبتت للعالم بأن النبي ومن قبله جميع الأنبياء إنما هم في ذمة الله ، وبحماية الله ، فلا يثنيهم كيد أعداءهم ، ولا تُثنيهم المُغريات المادية الدنيوي ، لأن مافي جعبتهم أكبر من حجم هذه الدنيا .

المسألة الثانية : العناية الربانية تجلّت على مكة وأهلها .

كل الأنبياء الذين سبقوا محمداً صلى الله عليه وسلم كان لهم مواقف مع أقوامهم ، وأغلب هذه الأقوام أبادها الله عن بَكرة أبيها بما إرتكبوا من ظُلم بحق أنبياء الله ، فالنبي عليه الصلاة والسلام تميز عن بقية الأنبياء بأنه لم يدعو على قومه ولم يرتضي لهم العذاب ، فمثلاً نوح عليه الصلاة والسلام دعى

---

(1) مختصر تفسير إبن كثير، ج1، ص534 .

(2) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة ذات الرقاع، ص1015، رقم الحديث (4136) . وصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الخوف، ج1، ص576، رقم الحديث (843) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

على قومه فعاقبهم الله بالغرق جميعاً وأبادهم عن بَكرتهم ، قال تعالى (وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا)(1) . وقال (فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ)(2) . فعاقبهم الله بالعقاب الذي دعا به نبيهم عليهم به . وموسى عليه الصلاة والسلام أيضاً دعا على قومه بالهلاك نتيجة على أعمالهم وتصرفاتهم معه ، فكان له ما أراد ، قال تعالى (وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ)(3) . كذلك إشترك سيدنا عيسى وسيدنا داوود عليهما الصلاة والسلام في الدعاء على بني إسرائيل ، قال تعالى (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ)(4) . وإبراهيم عليه الصلاة والسلام أيضاً كان لدعاءه على قومه الوقع الكبير كما حصل ما غيره من الأنبياء ، قال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ)(5) . بالمقابل إمتنع النبي محمد صلى الله عليه وسلم عن الدعاء على قومه ولم يسمح بأذيتهم مُطلقاً ، فهو الرحمة المُهداة وهو صاحب المقام المحمود ، قال تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)(6) . وقال عليه الصلاة والسلام عن نفسه وواصفاً حاله حينما قيل له يارسول الله أدع على المشركين . فقال : " اني لم أُبعث لعاناً ، وانما بُعثت رحمة "(7) . فلا ينبغي من الرحمة أن يدعوا بالعذاب ، ولا يمكن من الهداية أن يتمنى الهلاك والزوال ، فالصفات الربانية التي جعلها الله في شخص النبي صلى الله عليه وسلم إنما من النُدرة ما تكون في شخص غيره ، وأن الشفاعة يوم القيامة لابد لها من فارس ، وفارسها لا يكون لعاناً ولا طعاناً ، ولا يحمل في قلبه السوء على أحد من البشر ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لذلك فإن جميع الأنبياء لا يستطيعون أن ينبروا للشفاعة بسبب ما حصل مع أقوامهم ، إلا النبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي لم يُكِن لأي إنسان من حقد أو كره أو ضغينة أو أن يدعو على أحد بسوء ، فهو صاحب الشفاعة والمقام المحمود ، فيتقدم للشفاعة بكل ثقة وثبات ، قال عليه الصلاة والسلام : " لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة "(8) . هذا فيما يخص موقف النبي من قومه ، الذي لم يصحبه ما حصل للأنبياء من قبله مع أقوامهم كما ذكرت . أما للحكمة الربانية التي جعلت الأمور تسير بهذا المنحى وجَنَب مكة الهلاك والإبادة واللعنة فلعلها تنحصر فيما يلي :

أولاً : لم يخرج النبي قسراً من مكة وإنما خرج بإرادته وقرر الهجرة إلى المدينة ، وهذا ما إختلف مع بقية الأنبياء به . حيث أن أغلب الأنبياء إنما أُخرجوا من ديارهم نتيجة أعمال أقوامهم معهم ، أما

---

(1) سورة نوح، الآية 26 .

(2) سورة القمر، الآية 10 .

(3) سورة يونس، الآية 88 .

(4) سورة المائدة، الآية 78 .

(5) سورة البقرة، الآية 126 .

(6) سورة الانبياء، الآية 107 .

(7) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النَّهْيِ عَنْ لَعْنِ الدَّوَابِّ وَغَيْرِهَا، ج4، ص2007، رقم الحديث (2599) .

(8) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النَّهْيِ عَنْ لَعْنِ الدَّوَابِّ وَغَيْرِهَا، ج4، ص2006، رقم الحديث (259) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالقتل أو المواقف العدائية الكبيرة التي تؤذي أنبياء الله ، أو كما حصل مع نبي الله لوط عليه الصلاة والسلام وموقف قومه من ضيوفه الذين هُم ملائكة الله أصلاً ، فَقرر أن يترك المدينة .

ثانياً : إكراماً للنبي صلى الله عليه وسلم ، ولأن فيها أناس من أتباعه مُستضعفون لا يقوون على الهجرة ولا يستطيعون ذلك خوفاً من بطش زعماء قريش ، ولوجود عشيرة النبي التي سانَدته وأيَدته وعانت معه ، خصوصاً سنوات نَفيهم إلى شِعب أبي طالب ، وما رافقته من مصاعب وضَنك .

ثالثاً : قُدِر مُسبقاً لأن تكون الكعبة قِبلة المسلمين ، وأن لها بُعد تاريخي ، وأنها ليست مجرد حَجر ، فلو أن مكة أصابها الخَسف أو محو معالمها بإزالتها ومن يسكنون فيها ؛ لما علِمنا كيف ستكون وِجهة المسلمين وقِبلتهم بعد ذلك ، إذ أن الصروح تُبنى وتُشَيد في أي مكان قيمتها عادية وليس كقيمة العكبة عند الله ، وهي إرث سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام ودُعاءه بأن تكون أفئدة الناس تأوي إليها ، (رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ)(1) .

رابعاً : لَعل مكة قُدِر لها السكن والوقار للبشر الساكنين فيها خلاف بقية المناطق . فهذه رغبة أبينا إبراهيم عليه الصلاة والسلام لهذه الأرض . فالمناطق التي تعرضت للخسف أو الرجم بالحجارة أو الغرق أو الهلاك بمختلف أنواعه من الله إنما هُجِرت تماماً ولم يعد فيها مَنفعة من السَكن أو الإستيطان ، لأنها منطقة ملعونة ، وليست أي لعنة ؛ انها لعنة الله سبحانه وتعالى .

خامساً : بسبب عدم دُعاء النبي عليهم ورحمته بقومه مهما حصل ، ولم يسمح بأذيتهم ، وأنه عندما عاد إلى مكة فاتحاً عفا عنهم جميعاً . فلم يدعو عليهم أبداً ولا في أي حال من الأحوال ، قال عليه الصلاة والسلام : " إن الله بعثني رحمة للعالمين وهدى للمتقين "(2) . وهذه ميزة النبي عليه الصلاة والسلام إنما هو رحمة وليس نذير عذاب أو عقاب . وهذا أيضاً ما حصل له عندما نَهره أهل الطائف وآذوه ، فلم يكن للحقد أو حُب الإنتقام إلى قلبه من سبيل ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم : " هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أُحد ؟ قال : لقد لقيت من قومك ما لقيت وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عَرضت نفسي على إبن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت ، فإنطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بِقرن الثعالب ، فرفَعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال : أن الله قد سَمع قول قومك لك وما ردوا عليك ، وقد بعث إليك مَلَك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداني مَلَك الجبال فسلم عليّ ثم قال : يامحمد فقال ذلك فيما شئت إن شئت أن أطبِق عليهم الأخشبين فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يُشرك به شيئاً "(3) . ولو شاء لأمر مَلَك

سورة إبراهيم، الآية 37 .

(2) الطبراني، المعجم الكبير، ج8، ص232، رقم الحديث (7804) . ورواه ابن عدي في " الكامل " (111/6) ، ومن طريقه ابن عساكر (152/49) ، ورواه الخطيب البغدادي في " الجامع لأخلاق الراوي " (275/2) .

(3) صحيح البخاري، كتاب بدأ الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فوافقت أحدهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه، ص798، رقم الحديث (3231) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الجبال فأطبق عليهم الأرض بما فيها ومحاهم عن بَكرتهم ، إلا أن هذا الأمر ليس من مشاريع النبي عليه الصلاة والسلام الدعوية والنبوية ، فما كان منه إلا أن جابه الأذى والعِناد بالدُعاء لهم بالهداية ، وإستغل هذا الموقف ليتقرب إلى الله أكثر ويَمد جسور الحُب والود له سبحانه ، وإعتذر لله عن تقصيره ، وطمع برحمته ومغفرته فقال : " اللهم إليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت ربي ، إلى من تكلني ، إلى بعيد يتجهمني ، أم إلى عدو ملكته أمري ، إن لم يكن بك غضب على فلا أبالي ، غير أن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا و الأخرة ، من أن تنزل بي غضبك ، أو يحل على سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله"(1) .

سادساً : لعل تأخير تحقيق مطالبهم أو عدم تحقيقها سبب في عدم فناء أهل مكة ، فكُل الأنبياء السابقين عندما طلب أقوامهم منهم الآيات ومن ثم تحققت ونكروها وكفروا بها ؛ أتاهم العذاب بسبب تكذيبهم لهذه الآيات بعدما تحققت بناءاً على رغبتهم في ذلك ، أما النبي صلى الله عليه وسلم فلم يكن بيده تحقيق تلك الطلبات والرغبات ، فيرفع كل شئ إلى قاضي السماء ليحكم فيه ، " فبينما نحن حوله - أي النبي صلى الله عليه وسلم - إذ نزل عليه الوحي فلما سري عنه قال : والذي نفسي بيده لقد أعطاني ما سألتم ، ولو شِئت لكان ، ولكنه خيرني بين أن تدخلوا باب الرحمة فيؤمن مؤمنكم ، وبين أن يكِلكم إلى ما إخترتم لأنفسكم فتظلوا عن باب الرحمة فلا يؤمن منكم أحد ، فأخترت باب الرحمة فيؤمن مؤمنكم ، وأخبرني أنه إن أعطاكم ذلك ثم كفرتم أنه يعذبكم عذاباً لا يُعذبه أحداً من العالمين ، ونزلت (وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ) ، وقرأ ثلاث آيات ، أي نبعث الآيات ونأتي بها على ما سأل من قومك منك ، فإنه سهل علينا يسير لدينا ، إلا أنه قد كذب بها الأولون بعدما سألوها ، وجرت سُنتنا فيهم وفي أمثالهم أنهم لا يؤَخرون إن كذّبوا بها بعد نزولها "(2) . ومن الأمثلة على ذلك ما طلبه الحواريون من عيسى عليه السلام من إنزال مائدة من السماء ، قال تعالى (إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)(3) ، لكن كان جواب الله لهم (قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ)(4) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كذلك ماكان من قوم نبي الله صالح عليه الصلاة والسلام عندما عقروا الناقة التي طلبها قومه ، (وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا)(5) ، فلما عقروها جاءهم أمر الله وقراره فيهم (فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ، فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ، وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ، كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا

عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (701-774هـ)، البداية والنهاية، إعتنى به: حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية ، ط1، 2004م، ج1، ص425 .

(2) إبن كثير، البداية والنهاية، ج1، ص385 .

(3) سورة المائدة، الآية 112 .

(4) سورة المائدة، الآية 115 .

(5) سورة الإسراء، الآية 59 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بُعْدًا لِّثَمُودَ)(1) . وهكذا بقية الأقوام وبقية الأمثلة التي ضَربها لنا ربنا في القرآن .

فالعناية الآلهية بمحمد وقومه ومدينته كانت مُميزة ومُختلفة عن بقية الأُمم والأقوام والأنبياء ، لأنها مخصوصة بالرسالة الخاتمة ، ومُصطفاة من بين جميع الرسالات ، فالله سبحانه وتعالى يشاء والإنسان يشاء ، وما يكون إلا ما شاء الله .

وهذا مايدلنا على أمر مُهم جداً وهو أن كل ما يحصل لنا وكل ما نخاف من حدوثه من مكروه لا يكون إذا ما لم يرد الله ذلك ، وهذا يبعث فينا الطمأنينة والسكون إلى أن الأقدار حاصلة بأمر الله ، وأن الله حافظ أولياءه وأتباعه والذي يسعون إليه ، وأن حمايته حاصلة بشرط التعلق به سبحانه ، وإتيان ما أمر به ، وإقامة حضارة الله في الأرض ، وبِناء النموذج الأنساني الفريد كما أمر وأراد سبحانه ، فلا نحزن ولا نبتأس بجوانب الأمور ، ولِنضع نصب أعيننا الطريق الذي يجب علينا السير فيه ، الطريق المستقيم الذي علينا سلوكه للوصول إلى بر الأمان .

المطلب الثاني - التفريق بين دعوة محمد ودعوة موسى عليهما الصلاة والسلام

سورة الإسراء التي تحتوي ذِكر قوم موسى عليه الصلاة والسلام وبعض مما حَصل لهم ، كذلك ذِكر لمحمد صلى الله عليه وسلم وقومه وما كان بينهم ، فكِلا النبيَين وأقوامهما ذُكرا في السورة ، وهذا مما يوصلنا إلى أن هنالك روابط ومشتركات بين القومَين ، ولِكل مشتركات لابد أيضاً من وجود إختلافات ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولابد من معرفة أوجه الشَبه والإختلاف فيما بينهما ، والحِكمة من ذِكرهما معاً دون بقية الأقوام ترجع أولاً لحكمة يعلمها سبحانه ، وثانياً سأحاول أن أستنبط بعض من هذه الحكمة من خلال إفراز أوجه الشبه والإختلاف فيما بينهما ، لَعلّنا أن نتوصل إلى غاية أراد أن يوصلنا إليها ربنا جلّ وعلا . والصراع اليوم قائم على هذا المُختلفات ، لأن اليهود يعملون بكل طاقتهم من أجل محوها وإخراج أنفسهم بالصورة المُختلفة تماماً عن حقيقتهم ،

والعالم اليوم يُعاني منهم بسبب طبائعهم وتاريخهم ، ولابد أن نرسم الخطوط العريضة التي تضع هؤلاء القوم بموقعهم الصحيح الذي رسموه هم أنفسهم لأنفسهم ، فلابد من أن يعلم البشرية ما الإتِّباع الأوثق والأشمل والأصح ؟ لكي يعملوا من أجل ذلك ، وان تستقيم حياة البشر لِما يُحقق الرخاء في البلاد ، ويُحقق التقدم المطلوب لإنجاح حياة البشرية على وجه الأرض . وسأقوم بتقسيم المَطلب إلى مسائل ، وهذه المسائل ستكون على مستوى الأنبياء ومن ثم على مستوى أقوامهما من باب أوجه الشَبه والإختلاف فيما بينهم .

---

(1) سورة هود، الآية 65-68 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المسألة الأولى : أوجه الشَبه بين موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام من حيث الرسالة .

1 - كلا النبيَين دعاهما ربهما إليه ، فموسى عليه الصلاة والسلام دعاه ربه إليه ، وكلَّمه من وراء حجاب ، وكانت دعوته له قبل التبليغ ، وفي خلال الموعد المُحدد تم تبليغه بالرسالة ، فكان المكان بقرب جبل الطور المشهور(1) ، قال تعالى (وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا)(2) ، فكان إستدعاء موسى عليه الصلاة والسلام عن طريق نار موقدة في وادي طُوى ، ليستدرجه رَبه إلى الوادي وحيداً مُنفرداً ليتم الحوار فيما بينهما ، والتكليف لموسى بالرسالة . " لما قصد موسى إلى تلك النار التي رآها فإنتهى إليها ، وجدها تأجج في شجرة خضراء من العوسج(3) ، وكل ما لتلك النار من إضطرام ، وكل ما لخضرة تلك الشجرة في إزدياد ، فوقف متعجباً ، وكانت تلك الشجرة في لحف جبل غربي عن يمينه ، كما قال تعالى (وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ) وكان موسى في وادٍ اسمه (طُوى) فكان موسى مُستقبل القِبله ، وتلك الشجرة عن يمينه من ناحية الغرب ، فناداه رَبه بالوادي المُقدس طُوى ، فأمر أولاً بخلع نعليه تعظيماً وتكريماً وتوقيراً لتلك البُقعة المباركة ، ولا سيما في تلك الليلة .. وعند أهل الكتاب : أنه وضع يده على وجهه من شدة النور ، مَهابة له وخوفاً على بَصره (4)" .

أما دعوة الله سبحانه وتعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فجاءت بعد التكليف بالرساله ، وكانت أكبر وأعظم من دعوة موسى عليه الصلاة والسلام ، حيث طُويت لمحمد صلى الله عليه وسلم الأرض فكانت إسراءاً ، وطُويت له السموات السبع فكانت مِعراجاً ، حيث أُسري به من مكة إلى بيت المَقدس في القدس ، ومن ثم عُرج به إلى السماء السابعة في آخر محطة وتسمى سدرة المنتهى(5)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

. بمرافقة جبريل عليه السلام ، لمقابلة الله جلّ جلاله ومُحادثته عبر حجاب ، قال تعالى (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آَيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)(6) . وهذا أصدق إخبار بقصة الإسراء . ومن ثم تم التَعرف من قِبل النبي عليه الصلاة والسلام على أمور كثير وعقوبات بِحق ذنوب ، ومصير أناس وغيرها من المعارف ، وإختُتمت الزيارة الجميلة بإصدار التكليف للعِباد بفرض الصلاة . " نجد أن الحق سبحانه وتعالى قد حدد مُهمه الإسراء من مكة إلى بيت المقدس .. وهي أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم من آيات ربه ، وكلمة الآية لا تُقال على كل شئ موجود ، وإنما تُقال على الموجود العجيب ...

---

(1) والطور إسم لجبل في سيناء ، وهو المكان الذي دعا ربنا موسى إليه وبلّغه بالرساله. وهو الذي يكون فيه أشجاراً ، واذا لم يكن فيه اشجار لا يسمى طور. عماد الدين ابي الفداء إسماعيل إبن كثير الدمشقي (774هـ)، مختصر تفسير ابن كثير، تحقيق: محمد علي الصابوني، دار القران الكريم، بيروت، ط6، 1402هـ ، 1981م، عدد الاجزاء 3، ج3، ص388 .

(2) سورة مريم، الآية 52 .

(3) العوسج : الشوك ... عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (774هـ)، قصص الأنبياء، تحقيق: عبد الحي الفرماوي، دار الطباعة والنشر الاسلامية، القاهرة، ط5، 1417هـ 1997م، ص394 .

(4) المصدر السابق ، ص395 .

(5) سدرة المنتهى : (هي المكان الذي ينتهي عنده علم الخلائق كلها ، ولو بالوحي)، الشعراوي، المعجزة الكبرى، ص110 .

(6) سورة الإسراء، الآية 1 .

www.manaraa.com

وتُطلق أيضاً على المعجزات التي يخرق الله بها قوانين الكون لأنبياءه ، لإثبات صدق بلاغهم من الله (1)" .

بالتالي كِلا النبيَين تم إستدعائهما من قبل الله سبحانه وتعالى لتبليغهم بأمر مهم ، بغض النظر عن طبيعة الإستدعاء وتفاصيله التي أسلفت ذِكرها .

2 - كلا النبيَين من أُولي الهِمة والعزيمة في تبليغ الرسالة ، وكِلاهما عانوا وجاهدوا وجَدّوا في التبليغ ودعوة أقوامهم . ولقب أُولي العزم لم يأتي من فراغ ، وإنما من صفات كثيرة جَعلتهم مؤهلين لهذه التسمية أكثر من غيرهم ، فعيسى عليه الصلاة والسلام عانى مع بني إسرائيل أشد المعاناة ، وأن بنو إسرائيل من أكثر الشعوب دموية وعِناد ومزاجية ، فكانت العقوبات تأتيهم بشكل فوري نتيجة أعمالهم وعِنادهم ، كيف لا والله سبحانه وتعالى قد سَيّر الجبل فوق رؤوسهم وأعطاهم كلامه بالقوة ، فأخذوه رغم أُنوفهم ، وأن الله تيههم في صحراء سيناء وسَيّر الجبل فوقهم ، فكان البطش بهم قاب قوسين أو أدنى ، قال تعالى (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)(2) . فهُم الأُمة الوحيدة التي تأخذ أوامرها بالقوة والتهديد ، وهم أكثر أُمة تقتل أنبياء الله ، وهم أكثر أُمة مُتمردة على أوامر الله ، " ولم يشهد تاريخ أُمة ما شهده تاريخ إسرائيل من قسوة وجحود وإعتداء وتَنكر للهداة . فقد قتلوا وذبحوا ونشروا بالمناشير عدداً من أنبيائهم - وهي أشنع فعلة تصدر من أُمة مع دعاة الحق المُخلصين - وقد كَفروا أشنع الكفر ، وإعتدوا أشنع الاعتداء ، وعصوا أبشع المَعصية ، وكان لهم في كل ميدان من هذه الميادين أفاعيل ليست مثلها أفاعيل "(3) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كذلك قريش كانوا سادة العرب آنذاك ، فكانوا قُساة على النبي صلى الله عليه وسلم ، لِما فيهم من خوف لضياع هيبتهم وضياع قوَتهم ، وتسلطهم وحكمهم وسيطرتهم . فقد سطروا في صدودهم عن دعوة النبي صلى الله عليه وسلم من أكبر صور الجحود والنُكران ، فلم يعترفوا ولا بآية أو دليل على صِدق النبي ولا دعوته ولا رسالته ، فوصفهم الله تعالى قائلاً (وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ، لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ)(4) . فهل من جبروت أكبر من هذا الجبروت ؟ وهل من عِناد وصدود أكبر من هذا العِناد ؟

" لقد سَخروا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وطالبوا بأن تكون له آيات أُخرى ، وتسائلوا : كيف يمكن أن يزعم أنه رسول وهو يأكل الطعام كما يأكلون ، ويغشى الأسواق لِكسب العيش كما يفعل البشر ؟ ولو كان رسولاً لكفاه الله مشقة كسب العيش ، ولأنزل إليه مَلَكاً يساعده في الإبلاغ عن الله ، أو أن يُنزل الله إليه بكنزل من السماء يُساعده في الإنفاق ، أو تكون له حديقة غناء يأكل من ثمارها . فتارة يتهمونه بأنه مسحور ، وتارة أُخرى بأنه مجنون ، وثالثة بأنه يهذي ، ورابعة بأنه كذاب ،

---

(1) الشعراوي، المعجزة الكبرى، ص74 .

(2) سورة البقرة، الآية 63 .

(3) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج1، ص75 .

(4) سورة الحجر، الآية 14-15 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وخامسة بأنه يتلقى القرآن من أعاجم ، ويدحض الحق كُل هذه الأكاذيب وكل تلك الإفتراءات التي ضلوّا وأضلوّا بها كثيراً "(1) .

فكلا النبيّين عانا أكثر من غيرهما من الأنبياء مع أقوامهما بسبب الصِدام المُباشر معهما ، وأن القَومَين يعلمون جيداً أن رُسلهم على حق ، وأن ما أتوا به الحق ، ولكن العِناد والكِبر جعلهم يُعرضوا عن ما أتوا به ، ويحاربوهما أشد الحرب ، لا لشئ إلا للمُحافظة على السُلطة والسيطرة .

3 - موسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم إستخدموا في دعوتهما إسلوب الإنتقال وتغيير الأماكن للمُحافظة على الدعوة والأَتباع ، وإستخدموا طريقة تأمين الأرض المُناسبة لِنشر الرسالة ، والإنطلاق إلى الآخرين . فعيسى عليه الصلاة والسلام إنتقل من مصر إلى سيناء ومن ثم إلى القدس ، فَمرّ بمراحل لكي يستطيع تأمين الأرض المُناسبة لتبليغ رسالته ، والمكان الأمين لهُ ولأتباعه .

كذلك النبي محمد صلى الله عليه وسلم إنتقل من مكة بيت الظلم والإضطهاد والقسوة إلى المدينة المنورة بيت الأمان وأرض النُصرة ، فكان إنتقاله ضمان أكيد لأمن أصحابه من العذاب الذي واجهوه في مكة ، ولأن المدينة أرض خَصبة ومكان مُهيأ لنشر الرسالة وتبليغ الدعوة ، وبالفعل كانَ له ذلك ، حيث أسس الدولة وأقامها ، إلى أن سَيطرت على الدنيا مَشرقاً ومَغرباً .

المسألة الثانية : أوجه الإختلاف بين موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام من حيث الرسالة .

1 - بما أن الله سبحانه وتعالى دعا إليه أنبياءه محمد وموسى عليهما الصلاة والسلام ؛ إلا أن الإختلاف في توقيت الدعوة كان مُختلفاً ، فموسى عليه الصلاة والسلام كانت دعوة الله له قبل البعثة ، وأن التبليغ بالرسالة حدثت حينما لَبى موسى دعوة ربه سبحانه . بينما محمد صلى الله عليه وسلم كانت الدعوة الربانية بعد وأثناء تبليغه الرساله . وهذا بمعنى أن الدعوة التي وُجِهت لموسى عليه الصلاة والسلام بمثابة إنزال الرساله لكن من الله سبحانه وتعالى مُباشرة بدل أن ينزل بها جبريل عليه السلام ، وأن الدعوة التي وُجهت لمحمد صلى الله عليه وسلم هي مواكبة وداعمه لرسالته . فالدعم والإسناد أبلغ من التبليغ وأعمق .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما وأن منطقة اللّقاء بين موسى عليه الصلاة والسلام مع الله تعالى لا تتجاوز الجبل والوادي ، فهي منطقة ضيقة وصغيرة ، أما منطقة اللّقاء بين محمد صلى الله عليه وسلم وبين ربه فكانت من مكة مروراً بالقدس ، ومن ثم إجتياز السموات السبع إلى أن وَصل سِدرة المُنتهى في أقصى مكان يستطيع أن يَصل إليه مخلوق ، فهي منطقة شاسعة جداً وضخمة تدل على أهمية الشخص المدعو . فموسى عليه الصلاة والسلام كانت تبليغ رسالته خاصة بقومه ومُحددة ؛ لذلك نال هذا القَدر من إهتمام الله عزّ وجلّ . أما محمد صلى الله عليه وسلم فكانت رسالته شاملة لجميع البشر ، بل وحتى الجن والعوالم الأخرى ؛ لذلك نال هذا القدر الكبير من إهتمام الباري عز وجلّ .

---

(1) محمد متولي الشعراوي، قصص الأنبياء ومعها سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، إعتنى به: إبراهيم عبد الستار علي و محمد سامح عمر، حسن محمود ودار القدس، ط1، 1426هـ 2006م، ص526 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2 - موسى عليه الصلاة والسلام أُيد بمعجزات كثيرة خلال فترة دعوته غير الكتاب الذي أتى به ، قال تعالى (وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا)(1) ، فبالإضافة إلى الإنجيل كان هنالك آيات عديدة وعلامات كثيرة تدل على نبوة موسى ، ومنها ما طلبه قومه منه فتحقق لهم ما أرادوا ، وكل هذه وقومه كذّبوا بما جاء به ، ومن ضمن ما أتى به أيضاً (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا)(2) . بالإضافة إلى طلبات بني إسرائيل المُستمرة والتي تتحقق دائماً لإسكاتهم عن طَيشهم وتكذيبهم ، كنزولِهم في مصر آمنين ، وطلبهم أن يكون طعامهم مُميز فاذاقهم الله ذلك من المنّ والسلوى وغيرها من الآيات الكثيرات .

أما محمد صلى الله عليه وسلم فلم يؤَيد إلا بالكتاب الذي أتى به كتحدي لقومه وهو المُعجزة الأكبر والأقوى والأبلغ والتي بَقيت إلى يومنا هذا ، بل وإلى قيام الساعة ، قال تعالى (وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ، وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا)(3) . أما عن طلبات قومه فما كان منه أن يُحققها لسبب بسيط ؛ وهو أنه نَبي بشر مُكلف بتأدية الرسالة فقط ، قال تعالى (وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ، أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ، أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ، أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا)(4) . فسبب عدم تحقيق تلك الطلبات أسلفتُ ذِكره في المطلب السابق . " والذي يجمع في تصورهم بين هذه المُقترحات كلها هو أنها خوارق . فإذا جاءهم بها نظروا في الإيمان له والتصديق به ، وغفلوا عن الخارقة الباقية في القرآن ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهم يعجزون عن الإتيان بمثله في نظمه ومعناه ومنهجه ، ولكنهم لا يلمسون هذا الإعجاز بحواسهم فيطلبون ما تدركه الحواس ! والخارقة ليست من صُنع الرسول ، ولا هي من شأنه ، إنما هي من أمر الله سبحانه وفق تقديره وحكمته ، وليس من شأن الرسول أن يطلبها إذا لم يعطه الله إياها ، فأدب الرسالة وإدراك حِكمة الله في تدبيره يمنعان الرسول أن يقترح على ربه مالم يُصرح له به (قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا)"(5) .

3 - إسناد الرسالة إلى موسى عليه الصلاة والسلام جاءَ بشكل مفاجئ حينما دعاه ربه إلى وادي طوى كما أسلفت ذكره ، فكانت بلا مُقدمات ولا مُمهدات . أما محمد صلى الله عليه وسلم فسَبقت رسالته عدة مُقدمات مَهّدت الطريق إلى تلقي الرساله منها الرؤيا الصادقة وتسليم الشجر والحجر عليه صلى الله عليه وسلم . " أن أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة حين أراد

---

(1) سورة الإسراء، الآية 2 .

(2) سورة الإسراء، الآية 101 .

(3) سورة الإسراء، الآية 105-106 .

(4) سورة الإسراء، الآية 90-93 .

(5) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج4، ص2251 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الله كرامته ورحمة العباد به : الرؤيا الصادقة ، لا يرى رسول الله رؤيا في نومه إلا جاءت كَفلق الصبح ..... وإذا خرج لحاجته أبعد حتى تحسر عنه البيوت ، ويفضي إلى شعاب مكة وبطون أوديتها ، فلا يمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يارسول الله . قال : فيلتفت رسول الله حوله ، وعن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى إلا الشجر والحجارة . فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك يرى ويسمع ما شاء الله أن يمكث "(1) . كما وحُببت إليه صلى الله عليه وسلم الخَلوات إلى أن جاءه جبريل عليه السلام في الغار وبلّغه بالرسالة .

4 - درجة المفاضلة في الشفاعة يوم القيامة تأتي لِمن كانت مَسيرته خاليه من الذنوب والمعاصي من الأنبياء ، فلِكل نبي هفوة في حياته ، فموسى عليه الصلاة والسلام قتل نفساً ، ودعى على قومه وغضب عليهم ، قال تعالى (وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ)(2) . هذا على الصعيد الشخصي لموسى عليه الصلاة والسلام . أما بدعاءه على قومه فقال تعالى (وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ)(3) . فلدعاء موسى على قومه وقع كبير عليهم ، لأن دعوة الأنبياء مُجابة ، وهذا الحال تكرر مع بقية الأنبياء جميعاً بإستثناء محمد صلى الله عليه وسلم . حيث وصفه الله تعال بقوله (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)(4) ، فهو رحمة لِكل الناس ولم يدعو يوماً على أحد .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما على الصعيد الشخصي للنبي محمد عليه الصلاة والسلام فلم يُذنب ذنباً قط في حياته ، فكان نقياً مُنقى من الخطايا ، وهذا ماذكره صلى الله عليه وسلم بقوله : " ما هممت بقبيح مما كان أهل الجاهلية يهمّون به ، إلا مَرتين من الدهر ، كلتيهما يعصمني الله منهما ، قلت ليلة لفتى كان معي من قريش بأعلى مكة في أغنام أهله يرعاها : أبصر إلي غنمي حتى أسمر (السَمَر هو الحديث ليلاً) هذه الليلة بمكة كما يسمر الفتيان ، قال : نعم ، فخرجت فجئت أدنى دار من دور مكة ، سمعت غناء وضرب دفوف ومزامير ، فقلت : ما هذا ؟ فقالوا : فلان تزوج فلانة ، لرجل من قريش تزوج إمرأة من قريش ، فلهوت بذلك الغناء وبذلك الصوت حتى غلبتني عيني ، فما أيقظني إلا حَر الشمس فرجعت فقال : ما فعلت ؟ فأخبرته ، ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك ، ففعل ، فخرجت فسمعت مثل ذلك ، فقيل لي مثل ما قيل لي ، فلهوُت بما سمعت حتى غلبتني عيني ، فما أيقظني إلا مسُّ الشمس ، ثم رجعت إلى صاحبي فقال : فما فعلت ؟ قلت : ما فعلت شيئاً ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فوالله ما هَممت بعدها بسوء مما يعمل أهل الجاهلية حتى أكرمني الله بنبوته "(5) .

---

(1) إبن هشام، السيرة النبوية، ج1، ص254 .

(2) سورة القصص، الآية 15 .

(3) سورة يونس، الآية 88 .

(4) سورة الأنبياء، الآية 107 .

(5) البوصيري، إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، ج7، ص55 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فبهذه الدرجة كسب صلى الله عليه وسلم الشفاعة للخلائق يوم القيامة ، بينما يتخلى عنها جميع الأنبياء لذنوب إقترفوها في حياتهم ولو كانت صغيرة، إلا أنها حائل بينهم وبين هذه الدرجة الرفيعة.

المسألة الثالثة : أوجه التشابه بين أقوام موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام .

1 - كِلا القومَين كانا في زمانهما أقوياء ومتمكنون على أرضهم ، فبنو إسرائيل كانوا كُثر في مصر ولهم قوة ومَنعه ، وكان أولياء الأمر في مصر يستميلونهم لأنهم يُرجِحون كفة دون أُخرى . " وتطيب لهم الإقامة في مصر ، وتستقيم لهم فيها أُمور الحياة ثم تنزل بالمصريين بعض الشدائد ، وتحلّ بديارهم بعض المِحن والنوائب ، فيتنكر لهم بنو إسرائيل ويتربصون بهم الدوائر ، ويعملون على إفقارهم ، وإضعاف الروح المعنوية بين طبقات الشعب ، إبتغاء السيطرة على وسائل العيش في هذا القُطر ، ليفرضوا عليهم سلطانهم ، تارة عن طريق الضغط الإقتصادي ، وأُخرى عن طريق الدين والعقيدة "(1) . بغض النظر عن فترات الضعف التي مروا بها .

أما قريش فأيضاً كانوا سادة بين بقية القبائل وكانت لهم القوة والمَنَعة ، سواء على الصعيد التجاري أو الديني أو العسكري . " لا يوجد رابط بين هذه القبائل ، ولا قانون عام يحكمها ، وكل قبيلة لها عزوتها ولها شوكتها ولها حروبها ، وكل فرد في قبيلة لابد أن يكون مُقاتلاً يحمل سلاحه مُستعداً للحرب في أي وقت ؛ لأنه مُهدد في أي لحظة أن تُغِير عليه قبيلة أُخرى ؛ إلا قبيلة واحدة هي قريش أخذت السيادة فلا يُعتدى عليها ولا تُهاجم قوافلها ، ولا تستطيع قبيلة في الشمال أو في الجنوب أن تهاجم تجارتها ، لأن هذه القبائل كُلها ستأتي في يوم من الأيام وتحج إلى بيت الله الحرام في مكة . وخلال الحج فإن هذه القبائل مُحتاجة إلى الأمان من قريش ؛ لذلك حرَصت كل قبائل العرب أن تحافظ على علاقاتها مع قريش ؛ لأن السيادة على بيت الله الحرام جعلها الله لقريش "(2) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فكل القبائل العربية في الحجاز كانت تودِ أن تمَد جسور الصداقة والتعاون والكسب مع قريش ليس لكونها وجهه دينية ؛ وإنما تعتبر مركز الصحراء ، وكل المسافرين لابد أن يمروا من حدودها ، وكانت لهم شوكة عسكرية قوية ، والدليل ما إخرجت لنا من قادة سيَّروا الجيوش ، وفتحوا الفتوحات ، وأثبتوا جدارة وتميز في المعارك والحروب .

2 - كِلا القومين كانوا يعلمون أن ما جاء بهِ أنبيائهم هو الحق ، وأنهم فعلاً مُرسَلون من عند الله ، لكن الغُرور والتكبر منعهما من الإيمان بالأنبياء . فبَنو إسرائيل معروف عنهم العِناد وكُثرة الطلبات عندما بُعث إليهم موسى عليه الصلاة والسلام ، فكانوا يطلبون الشروط التعجيزية في سبيل ألا يؤمنوا ، وهم يعلمون أن موسى نبي مُرسَل ، وأن ما جاء به الحق ، لكن بطبيعة بنو إسرائيل أنهم لا يُحبون أن يحكمهم شخص ، ولا يتقبلون فكرة الإنصياع للأوامر ، فهُم متمردون متآمرون ، يسري الخُبث في دمهم ، ففي ظل نبوة موسى كانوا يستغلون الفرصة لأن ينقلبوا عليه . فعندما ذهب موسى

---

(1) محمد سيد طنطاوي، بنو إسرائيل في القرآن والسنة، ص21 .

(2) الشعراوي ، قصص الأنبياء، ص505 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عليه الصلاة والسلام لمواعدة الله تعالى وإستلام الألواح ، غاب عنهم بضع أيام ، فما كان منهم إلا أن صنعوا عِجلاً من الذهب فقاموا بعبادته ، وهذا في وجود نبي لهم مُرسَل ، فتارة يميلون مع موسى ، وتارة ينقلبون عليه ، وتُحدد ذلك أهواءهم ومصالحهم ، قال تعالى (وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ)(1) .

كذلك يعلمون أن ما أتى موسى من شرائع وألواح أنما هي من الله فلم يعترضوا عليها ، وإنما قاموا بالإعتراض ضمناً على أمور كانت مُشرعة لهم ، مثل يوم السبت وما فيه من أوامر وأحكام كانوا لم يرضوا بها ، حيث قاموا بالإلتفاف على هذه الشرائع وإنقلبوا عليها ، فعاقبهم الله بالمسخ إلى قِرَدة عقوبة من الله على هذا التمرد . قال تعالى (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ)(2) .

أما قريش فكانت تعلم أن محمد صلى الله عليه وسلم الصادق الأمين ، وأنه من خِيرتها ومن أنبلها ، وأنهم كانوا يثِقون فيه ثِقة مُطلقة ، وهم أنفسهم يشهدوا بذلك ، يشهدون بصدقه وأمانته وعِفّته ، " صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل يُنادي يا بني فهر ، يا بني عدي ، لبطون قريش حتى إجتمعوا ، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو ، فجاء أبو لهب وقريش فقال : أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي ؟ قالوا : نعم ما جربنا عليك إلا صدقاً . قال : فإني نذير لكم بين يدي عذابٍ شديد "(3) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فكانوا يعرفون أنه ليس بساحر ولا كاهن ولا شاعر ، وهُم يعلمون أنه قد وُكِل إليه أمر عظيم ، فكانوا يسمعون منه كلاماً لم يسمعوه من قبل قط ، وكانوا يتسحبون ليلاً ليستمعوا منه ويستمتعوا ببلاغته وطِيب كلماته . " خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يُصلي من الليل في بيته ، فأخذ كل رجل منهم مَجلساً يستمع فيه ، وكلٌ لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق ، فتلاوموا ، وقال بعضهم لبعض : لا تعودوا ، فلو رآكم بعض سفهاءكم لاوقعتم في نفسه شيئاً ، ثم إنصرفوا . حتى إذا كانت الليلة الثانية ، عاد كل رجل منهم إلى مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ، ثم إنصرفوا . حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض لا نبرح حتى نتعاهد ألا نعود على ذلك ثم تفرقوا "(4) .

---

(1) سورة الأعراف، الآية 148 .

(2) سورة البقرة، الآية 65 .

(3) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك ألن جانبك، ص1196، رقم الحديث (4770) . وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى وأنذر عشيرتك الأقربين، ج1، ص193، رقم الحديث (208) .

(4) إبن هشام، السيرة النبوية، ج1، ص342 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كذلك تعلم قريش أن القرآن الكريم هو من عند الله فعلاً ، وأنه ليس من إختراع النبي صلى الله عليه وسلم ، لما لمسوا من بلاغة وفصاحة ، وورود كلمات لا يستطيع العرب آنذاك صياغتها ، ولا نَظم ولو آية من آيات القرآن الكريم . " أن الوليد بن المغيرة جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن ، فكأنه رقَّ له ، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال : يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً. قال : لِمَ ؟ قال : ليعطوكه فإنك أتيت محمداً لتعرض ما قبله . قال : قد علِمت قريش أني أكثرها مالاً. قال : فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك مُنكر له. قال : وماذا أقول ؟ فوالله ما منكم رجل أعرف بالأشعار مني ، ولا أعلَم برجزه ، ولا بقصيده مني ، ولا بأشعار الجن ، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا ، ووالله أن لقوله الذي يقوله حلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمُثمر أعلاه مُغدق أسفله ، وإنه ليعلو ولا يُعلى ، وإنه ليُحطم ما تحته "(1) .

فالإعتراف بقدسية القرآن وأنه من عند الله مُنزل على قلب النبي صلى الله عليه وسلم من قِبل قريش بذلك لا يَخفى على أحد ، لكن عنادهم وتكبرهم حالَ بينهم وبين أن يؤمنوا به بادئ الأمر .

3 - توالت على بنو إسرائيل أحكام الأنبياء واحداً تلو الآخر ، فما إنفك زوال نبي إلا وأتى بعده نبي مباشرةً ، أو أتبعه بمدة قليلة من الزمن ، وأن أغلب الأنبياء كانوا من حصة بنو إسرائيل ، إلا أن الأمر لم يُفرق معهم ، فكانوا مواكبين لتشريعات السماء وقوانين أنبياءهم ، إلا أنهم ظلوّا في غيهم وعِنادهم ولم تستقم حياتهم ولم تنتظم أمورهم . فالإنتقال بين الأنبياء من يوسف عليه الصلاة والسلام إلى حُكم داوود وسليمان عليهما الصلاة والسلام ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن ثم موسى وأخيه هارون عليهما الصلاة والسلام ، وإنتهاءاً بيوشع بن نون عليه السلام ، وإنتقلوا في الأمصار وتنقلوا في البِلاد ما بين بلاد الشام وبيت المقدس ومصر ، ومن ثم بابل وعودتهم إلى بيت المقدس ، وتيههم في صحراء سيناء ، أغلبها كانت بمرافقة الأنبياء ، إلا أن النظام والقانون لم يرقّ لهم ، والتشريعات الربانية لم تُعدّل من إسلوبهم ولا عقولهم ، فلازالوا يُمارسون الخُبث وكيد المكائد وحياكة الدسائس ، فلم يَسلم منهم نبي مُرسل ولا ملك مُنزل ، ولا بشر على هذه الأرض . بالرغم من أن هنالك من كان ينصحهم ويرشدهم وينزل لهم بالتشريعات والقوانين التي تخدمهم ، فهم مواكبون لأغلب الأحداث السماوية والتشريعات الربانية ، فهي ليست بجديدة عليهم ، فكانوا في ظِل حُكم وقانون ودستور .

أما قريش فلم يواكبوا أي نبي أو رسول ، بل كانت تأتيهم أخبار من قبلهم من الديانات أو الأنبياء ، وكان بين ظهرانيهم ورقة بن نوفل الذي يُعتبر راهب قريش وفقيههم في الدين ، لكن لم تكن له عليهم لا سلطة ولا ولاية . كذلك كانوا يسمعون بأخبار الراهب بحيرا عندما يمرّون بمنطقته عند تجارتهم إلى الشام ، ولكنهم لم يفقهوا طبيعة عبادته أو ديانته . وكان أول إحتكاكهم بالنبوة وأخبار السماء كانت مع محمد صلى الله عليه وسلم ، حيث كانت كل الأخبار والأوامر غير مألوفة لديهم ، فكانوا يسيرون خلف الآلهة التي كانوا يعبدونها ، والتي كانوا يصنعونها بأيديهم ، فقَضوا على هذه

---

(1) عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (774هـ)، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، 1412هـ 1991م، باب مجادلة النبي صلى الله عليه وسلم الكفار وإقامة الحجة الدامغة عليهم، ج3، ص60 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحال سنين عديدة ، وأجيالاً بعد أجيال ، فما عرفوا غيرها ، ولم يختلفوا معها . فلما جاءهم النبي صلى الله عليه وسلم بالنبوة والرسالة ؛ ورافقه القرآن كدليل وبُرهان ؛ حَصل ما حَصل من عِناد وكفر وجحود ، لأن هذا الموضوع جديد عليهم ، ولم يألفوا مثله من قَبل ، ولو كانوا مثل بني إسرائيل لديهم عِلم وأخبار من الأنبياء لكان رأيهم غير الذي كان ، ولَما حَصل كل هذا التزمّت والعِناد ، والله أعلم . لأن قريش يمتازون بالذكاء والفِطنة ، وهكذا أمور يزِنوها بميزان العقل والرجاحة ، فلا تفلت الأمور لديهم . بالتالي لم يكن يحكمهم حاكم ولا قانون ، لأن الحُكم كان عشائرياً بحتّ ، وللقبيلة رؤوس متعددة تتشاور فيما بينها لإصدار أي حُكم أو قرار ما .

المسألة الرابعة : أوجه الإختلاف بين أقوام موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام .

1 - كِلا القومَين طلبوا طلبات من أنبياءهم ، من باب التحدي والإصرار على المُكابرة والعِناد ، لكن الفرق في إن قوم موسى عليه الصلاة والسلام إستجاب لهم الله سبحانه وتعالى وحَقق لهم ما طلبوا ، وبالرغم من طلباتهم الكثيرة والتعجيزية ؛ إلا أنهم بقوا على عصيانهم وعنادهم لنبيهم . " لما دخل بنو إسرائيل التيّه قالوا لموسى عليه السلام : كيف لنا بما ههنا ، أين الطعام ؟ فأنزل الله عليهم المَن . فكان ينزل على شجر الزنجبيل ، والسلوى وهو طائر يشبه السماني أكبر منه فكان يأتي أحدهم فينظر إلى الطير ، فإن كان سميناً ذبحه وإلا أرسله فإذا سَمُن أتاه ، فقالوا : هذا الطعام فأين الشراب ؟ فأمر موسى فضرب بعصاه الحجر فإنفجرت منه إثنتا عشرة عيناً فشرب كل سبط من عين ، فقالوا : هذا الشراب فأين الظل ؟ فظُلل عليهم الغمام ، فقالوا هذا الظل فأين اللباس ؟ فكانت ثيابهم تطول معهم كما تطول الصبيان ولا يتخرق لهم ثوب . قال إبن عباس : خُلق لهم ثياب لا تَخرق ولا تَدرن "(1) . فكانوا كلما طلبوا طلباً من موسى إستجاب لهم ربهم على الفور ، فهُم في تخبط وطيش بحسبهم أنهم يُحسنون صنعاً ، فتارة يطلبون أن تَظلهم الغمام ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأن يمدهم ربهم بأطيب الطعام تارة أُخرى ، وفجّر لهم الماء من الصخر تارة ثالثة ، كلها طلبات تعجيزية لا تحصل لغيرهم ، والله يعلم أنهم ماكرون ؛ لكن موسى كان يأمل في إستقامتهم . قال تعالى (وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)(2) ، وغيرها أمثلة كثيرة . وبعد أن حقق الله لهم الكثير من الطلبات والأُمنيات ؛ وبعد أن جابهوها بالعصيان والمكائد ؛ أنزل الله عليهم عذابه وعقابه في كثير من المواقف التي مرّ بها بنو إسرائيل . وذكر الله سبحانه وتعالى في القرآن بعضاً من هذه العقوبات فقال (وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ)(3) ، وقال (فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ)(4) . فتارة يُعاقبهم بأن أخذتهم الصاعقة فمَحتهم عن بكرتهم ، وتارة أنزل عليهم رِجزاً(5) من السماء .

مُختصر تفسير إبن كثير، ج1، ص67 .

سورة البقرة، الآية 57 .

(3) سورة البقرة، الآية 55 .

(4) سورة البقرة، الآية 59 .

(5) الرجز : (هو العذاب على قول إبن عباس : إن كل شئ في كتاب الله من الرجز يعني به العذاب ، وقال أبو العالية : الرجز الغضب ، وقال سعيد بن جبير: هو الطاعون) أنظر: مختصر تفسير إبن كثير، ج1، ص69 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما قريش فلم يستجب لهم الله ولا بأي طلب من طلباتهم ، لأن تركيبة قريش تختلف عن تركيبة بنو إسرائيل الفسيلوجية والتكوينية ، لأن بنو إسرائيل طبيعتهم العِناد والمَكر والتمرد ؛ أما قريش فكل ما في عِنادهم وصدودهم هو خوفهم من أن تضيع سيادتهم على قومهم ، وضياع هيبتهم بين العرب . لذلك لم يستجب الله لهم . ولكي لايؤخَذوا بالعذاب مثل غيرهم من الأُمم عندما يتحقق لهم طلبهم ويكفروا به . وأن قريش كانت طلباتهم كثيرة وتعجيزية ولايستطيع أحد أن يُلبيها إلا الله سبحانه وتعالى ، (وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ، أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ، أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ، أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا)(1) ، وغيرها أيضاً كثير من الطلبات ولكن كلها كانت تعجيزية ، مثل إزالة الجبال من مكة وجعلها أرضاً مُنبسطة ، وإنزال ملائكة من السماء يرافقون محمداً صلى الله عليه وسلم ويراهم أهل مكة ، وغيرها ، لكن الله لم يستجب ولا لأي طلب ، لأن دواءهم وشفاءهم أعطاهم إياه سلفاً ألا وهو القرآن ، فإنه المعجزة الأكبر التي تُثبت لقريش صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم . لأن كل هذه الطلبات التعجيزية لم يكن أنفسهم مقتنعون بها حتى وأن تحققت ، لأنهم سلفاً أصدروا الحكم والقرار بحق رسالة النبي عليه الصلاة والسلام . ولأنها أيضاً سبب في عدم إنزال العقوبة القاسية بحقهم كما حصل مع بقية الأُمم السابقة عندما تحَقق لهم ما طلبوا خسف الله بهم الأرض ومحاهم لأنهم كَفروا بتلك الآيات والمعجزات التي تحققت بِناءاً على رغبتهم .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2 - الأيمان بالله هو غاية الأنبياء من خلال دعوتهم لأقوامهم ، لكن أغلب الأقوام حالَ التكبر بينهم وبين الأيمان بالله . وقوم موسى كانوا من ضمن هؤلاء الأقوام حينما تقلبوا بأحوالهم على حسب أهواءهم ، فبإستمرار سلسلة الأنبياء الذين أُرسلوا إلى بنو إسرائيل كانت أحوال القوم تتقلب من كُفر إلى إيمان ، ومن ثم إلى كُفر فإيمان ، وهكذا على حسب ما تقتضيه مصالحهم ، فلما أُرسل إليهم سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام وبعد جُهد جَهيد آمنوا لا لشئ وإنما ليُخلِصهم من بطش فرعون وأهل مصر ، ومن ثم عبر بهم البحر وأنزلهم منزل آمن ، عادوا إلى الكُفر بعدما صنعوا العجل بمساعدة السامري حينما إستغلّوا غياب موسى عليه الصلاة والسلام عندما ذهب لتلقي الألواح من ربه . فالبرغم من وجود نبي بين ظهرانيهم ؛ وأنقذهم للتو من بطش فرعون ومن معه ؛ إلا أنهم سرعان ما إنقلبوا إلى الكُفر ورجعوا إلى حالهم الأول برفض النبوة وعصيان الآله ، واللجوء إلى ماتستقر إليه نفوسهم وتحنّ إليه أهواءهم . " ويستحضر أمام خيالهم مشهد نجاتهم من فرعون وملئه كان حاضر ، ومشهد النِعم الآخرى التي ظلّت تتوالى عليهم من تظليل الغمام إلى المَن والسلوى إلى تفجير الصخر بالماء .. ثم يُذكّرهم بما كان منهم بعد ذلك من إنحرافات متوالية ، ما يكاد يردهم عن واحدة منها حتى يعودوا إلى أخرى ، وما يكاد يعفو عنهم من معصية حتى يقعوا في خطيئة ، وما يكادون ينجون من عثرة حتى يقعوا في حفرة .. ونفوسهم هي هي في إلتوائها وعِنادها وإصرارها

---

(1) سورة الإسراء، الآية 90-93 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

على الإلتواء والعناد ، كما أنها هي هي في ضعفها عن حمل التكاليف ، ونكولها عن حمل الأمانة ، ونكثها للعهد ، ونقضها للمواثيق مع ربها ومع نبيها "(1) . فهم مُتقلبون ما بين إيمان وكُفر إلى يومنا هذا .

أما قريش فقد إنتقلوا من بعد الكُفر والعصيان والعِناد إلى الإيمان ، فلم يكونوا مُتقلبين كحال بنو إسرائيل ، وأن أغلبهم أسلم تدريجياً قبل فتح مكة ؛ وعند فتح مكة أسلم البقية أجمعين . وحتى بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام لم يرتدوا ولم يعودوا إلى الكُفر ، وأن من إرتد هم بعض قبائل العرب الأخرى ، أما قريش فهم باقون على ما آمنوا به ، لأنهم أهل موقف ووعد وكلمة ، ولا تتزعزع عقيدتهم التي يؤمنون بها أبداً . خصوصاً وأن الرسالة التي أُنزلت إليهم ليست أي رسالة ؛ إنها خاتم الرسالات وأنهم المخصوصون بها ، فأصبح فخرهم فخران ، الفخر الأول أنهم سادة القبائل ولهم حضورهم ومكانتهم ، والفخر الثاني أنهم أتباع خاتم الأنبياء والمُرسلين وأنهم خير الأُمم ، والمُصطَفوُن من بينها . فإنتقلوا من حال جيد ومحترم إلى حال أرقى منه قبولاً وإحتراماً وإجلالاً بالنبي عليه الصلاة والسلام .

3 - بسبب مشاكل بني إسرائيل المُتكررة والكثيرة نراهم كثيري التنقل بين المُدن ، فتارة يسكنون بيت المَقدس ، وتارة أُخرى ينتقلون إلى الشام ، وبعدها ينتقلون إلى مصر ، ومن قبلها يتعرضون للسبي فيذهبون إلى بابل للمكوث فيها والعيش ، ومن ثم يعودون إلى بيت المقدس ، وبعدها مصر وسيناء ومن ثم عودتهم إلى بيت المقدس ، ويَستقرّون مؤخراً في عهد النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة ، ومن ثم يجليهم النبي إلى خيبر ويطردهم من المدينة ، كل هذه التنقلات ما أتت من فراغ إلا لكونهم يفتعلون المشاكل ، ويُعرضون أنفسهم إلى المتاعب والطرد والسبي بما حاكت أيديهم من الدسائس والمكائد ، ومن قبلها غَدرهم بأنبياءهم وكُفرهم بما أتوا به . " وقد قلنا آنفاً أن هؤلاء اليهود خضعوا لمصر وبابل والفرس واليونان والبطالسة والرومان ، وكانوا يعادون الجميع وينتهزون الفرصة للثورة على سادتهم ، ومن أجل ذلك أنزل بهم هؤلاء السادة ألواناً من التدمير والتعذيب ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد أدركوا ألا مُقام لهم بهذه البلاد ، فساحوا في الأرض وأقاموا هنا وهناك ، وبدأ لهم بذلك عصر تشرد طويل وهو عودة باليهود إلى سيرتهم الأولى ليعيشوا في إنحلال وتشرد ، وقد نزلوا بعد نهاية اليهود في فلسطين سنة 135م أكثر دول أُوربا ، كما نزلوا بمصر وشمالي أفريقيا واليمن وغيرها من الدول ، وقد كان هذا العصر بالغ الأثر في سلوك اليهود وتصرفاتهم "(2) . وليس فقط التنقل بين الأماكن وإنما تعرُضهم للسبي والحروب كثيراً ، وتعرُضهم للتدمير في المدن والنسل .

أما قريش فلم يكن للتنقل إليهم سبيلاً ، وأن ما حصل من هجرة سواء إلى الحبشة أو إلى المدينة لم يكن لأهل قريش جميعاً ، وإنما نفر قليل من المسلمين هاجروا إلى الحبشة ، ومن ثم العدد الذي هاجر مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أيضاً ليس بالضخم ، بالتالي فقريش كانت مُستقرة

سيد قطب، في ظلال القرآن، ج1، ص64 .

(2) أحمد شلبي، مقارنة الأديان (اليهودية)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط8، 1988، ص91 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في مكة ، تلك المنطقة التي كانت حُلمهم ومُنتهى عشقهم ، فلا يستطيعون العيش بعيداً عنها ، وكذلك لأنهم ليسوا مثل بني إسرائيل أهل مَكر وخديعة ومشاكل وعداوات ، بل أن لهم مكانتهم العالية بين جميع قبائل المنطقة ، ولهم وزنهم وإحترامهم وهيبتهم ، فلم يتجرأ أحد على مقارعتهم أو أذيتهم ، ولأن مكة فيها جميع المواصفات للقريشي العربي البدوي ، حتى أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من مكة وهو يتطلع إليها بِعَيّن الحنان والشوق والحُب ، فلم يكن يرغب بالخروج منها لأن لها منزلة كبيرة في نفسه . قال عليه الصلاة والسلام : " والله إنك لخير أرض الله ، وأحب أرض الله إلى الله ، ولولا أني أُخرجت منك ما خرجت "(1) . فهَيبة قريش أكثر من هيبة بنو إسرائيل ، ومكانتهم في البُقعة التي يسكنون فيها أكثر وأكبر من بنو إسرائيل ، حتى أن النبي عليه الصلاة والسلام أثنى على قريش وخصهم بخصائص ، قال عليه الصلاة والسلام : " أن هذا الأمر في قريش ، لا يعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه ، ما أقاموا الدين "(2) . فهُم مخصوصون بخصائص أكثر من غيرهم من الأقوام .

فبالرغم من وجود مُتشابهات بين دعوة موسى ودعوة محمد عليهما الصلاة والسلام إلا أن هنالك مُختلفات كبيرة تفصل بين الدعوتيّن ، وبما أن منبعهما واحد وغايتهما واحدة ، إلا أن إنتهاءهما بشكل مُختلف تماماً ، وهذا لا يُقلل من هِمة وعزيمة الأنبياء ؛ وإنما طبيعة الأقوام التي أُرسلوا إليها . ومهما تشدق اليهود بأنهم شعب الله المختار وأنهم أفضل ما على الأرض ؛ فإن الحقيقة تكبّهم على وجوههم ، فتاريخهم أسود ، وسيرتهم على مرّ العصور مليئة بالمهانة والذُل والصغار ، فلا يستقيم لهم عود ، ولا تُرفع لهم راية ، لأن الله لا يُريد لهم ذلك ، وأن دين محمد صلى الله عليه وسلم قائم إلى قيام الساعة ، وأن محمد هو المصطفى من بين جميع الأنبياء والخلائق ، وأن أُمته هي الأُمة الوسط التي خصّها الله وميّزها عن بقية الأمم ، وستكون شاهدة على جميع الناس .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأن الصراع الذي يقوم اليوم إنما صراع قصير الأمد ، لأن الخلود قد كُتب من قَبل ، وأن ما يقوم به اليهود اليوم إنما هو الرفس الذي يسبق الموت ، وقال الله قولته الخالدة التي تُحبط كل تصرفات اليهود وخططهم ، (كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ)(3) . ودين الله اليوم هو دين الإسلام الذي أتى به محمد صلى الله عليه وسلم ، وسار المسلمون المؤمنون عليه ، وأقاموه ، وطبّقوه ، وعمِلوا به ، وعَلّموه ، وأنه هو الذي سيحكم العالم بلا شك . فقد كتب الله ذلك في اللّوح المحفوظ قبل بدأ الخليقة ، وأمر الله نافذ لا مَحال .

---

(1) سُنن الترمذي، كتاب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب فضل مكة، ص880، رقم الحديث (3925) . وفي رواية أُخرى " ما أطيبك من بلد ، وأحبك الي ، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك " سُنن الترمذي، كتاب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب فضل مكة، ص880، رقم الحديث (3926) .

(2) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب قريش، ص865، رقم الحديث (3500) .

(3) سورة المُجادلة، الآية 21 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث : الإسراء والمِعراج

قضية الإسراء والمعراج من المسائل العَقدية البحتة ، والتي يعتمد الإيمان بها على قوة التصديق بإخبار القرآن الكريم ، كذلك على قوة الأخذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن كِلا الإخبارين إنما تحدثا عن رحلة عظيمة مليئة بالتشويق والمعلومات والأخبار والتعليمات ، إلا أن هذه الرحلة لم تُرى بالعين المُجردة ، وليس لها دليل مادي ملموس إلا ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من علامات تُثبت صِدق الرحلة . وهذه العلامات لم يُصدق بها قريش لولا أنها حقيقية وصحيحة مائة بالمائة ، لأن قريش يأخذون كل إخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم بمحمل الجد والتفكر والدراسة ، قبل أن يتخذوا القرار الذي يظنونه المناسب في الرد عليه صلى الله عليه وسلم ، فبادئ الأمر فرحوا فرحاً عظيماً حينما سمعوا بأمر الرِحلة ، ظناً منهم أن هذه القاصمة والضربة النهائية لمحمد صلى الله عليه وسلم ودعوته ، لما فيها من أمر خارق للعادة ، ولا يستطيع أحد تصديق ما حصل بهذه الرِحلة ، لكن العلامات والأدلة التي أعطاهم إياها النبي صلى الله عليه وسلم جعلتهم يقفون عند حدود لا يستطيعون المواصلة بعدها من تكذيب أو عِناد .

قال تعالى (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)(1) ، فإفتتاح السورة بهذه الآية العظيمة إنما للدلالة على عِظم ما جرى ، وأهمية هذه الرحلة الكبيرة في نفوس المسلمين ، وإختبار كبير لهم ليَميز من صَدق في إيمانه ممن كان ضعيفاً مُتردداً فيه ، كذلك عندما يفتتح السورة بأمر غيبي كبير ، إنما ليكون ما بعده أقرب للتصديق والأخذ به من قِبَل المسلمين ، مثلما تُعطي للطالب سؤال صعب ومن خارج المنهج ويحتاج إلى تركيز وتفكير كبيرين ، فإن ما بعده من أسئلة من ضمن المنهج ومقروءه من قِبَل الطالب تكون أسهل وأكثر مقبولية وراحة للمُمتحِن ، كذلك إفتتاح السورة بأمر عظيم غيبي يكون مُمهداً لأن تكون جميع الأحكام التي تليه أكثر قبولاً وإستسهالاً من قِبل المسلمين .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالقصة عبارة عن جُزئين : الجزء الأول هو إسراء النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى بيت المقدس ، وهذه لها دلالات وأحكام خاصة بها تختلف عن الجزء الثاني والذي هو مِعراج النبي صلى الله عليه وسلم من بيت المقدس إلى السماء السابعة وملاقاة الله عزوجل . وقد تطرقت للمعراج كونه متّصل بالإسراء وأنهما في نفس الرحلة ، ودلالتهما واحدة وإرتباطهما وثيق ولا يمكن أن يكون الإسراء بلا المِعراج ولا العكس . والإسراء هو : " من السرى ، أي السير ليلاً . فكلمة (أسرى) تحمل معها زمانها ، ولا تحتاج إلى ذِكره "(2) . والمِعراج هو : " من العروج وهو الذهاب في صعود ، والمِعراج بالكسر شبه السلم ، مفعال من العروج بمعنى الصعود فكأنه آله له "(3) .

---

(1) سورة الإسراء، الآية 1 .

(2) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج4، ص2211 .

(3) القاري والتبريزي، مرقاة المفاتيح وشرح مشكاة المصابيح، ج10، ص547 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالمرحلة الأولى تمت بواسطة البُراق(1) ، والتي هي من فِراشه صلى الله عليه وسلم في مكة وإلى بيت المقدس في فلسطين ، والمرحلة الثانية وهي المِعراج(2) . تمت من بيت المقدس صعوداً إلى السموات السبع وإلى سدرة المنتهى . وطريق العودة تم بنفس الطريقة ونفس الخطوات .

وكان خلاف قريش مع الرسول عليه الصلاة والسلام في هذه القضية لم يكن في مِعراجه إلى السماء ، لأن هذا الأمر من ضمن الغيبيات التي يُخبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم قريش كل حين ، مثل الوحي ونزول القرآن عليه ، وما حصل من علامات حينما جهر النبي بالدعوة ؛ وإنما خلافهم في الفترة القصيرة جداً التي قطعها النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى بيت المقدس ذهاباً وإياباً ، والتي لا يمكن أن تحدث مُطلقاً لولا أن الله سبحانه وتعالى أراد لنبيِّه ذلك ، حتى في ظل التكنلوجيا الحديثة ووجود الطائرات النفاثة ، ووجود أسرع طُرق المواصلات فإنها لا تحصل مُطلقاً ، لأن الفارق بين قيامه من فِراشه ورحلته من مكة إلى القدس ؛ ورجوعه قبل صلاة الفجر كانت بالمُدة الزمنية القياسية الخارقة للعادة ، " أسرى الله بجسده ، فسار به ليلاً على البُراق من بيته الحرام إلى بيته الأقصى حتى أتاه ، فأراه ما شاء أن يُريه من عجائب أمره وعِبره وعظيم سُلطانه ، فجُمعت له به الأنبياء ، فصلى بهم هنالك ، وعُرج به إلى السماء حتى صعد به فوق السموات السبع ، وأوحى إليه هنالك ما شاء أن يوحى ، ثم رجع إلى المسجد الحرام من ليلته ، فصلى به صلاة الصبح "(3) . فنهوضه من فِراشه ليلاً وقيامه بالرحلة العظيمة ورجوعه قبل صلاة الصبح كان مَحط حيرة من قريش وشَكّ .

ولأن قريش كانت تُفسر الأشياء وفق القواعد الثابتة وأحكام الطبيعة والحياة آنذاك ، فوَضعت خبر الإسراء بتلك المقاييس ، وهذا من الخلل العقلي والفكري للإنسان أن يَقيس قوانين الله ومشيئته بالقوانين الطبيعية للأرض ، لأن قوانين الله لا حجم لها ولا حدود ، وأن قُدرات الخالق أكبر بكثير من حجم تفكيرنا وقُدراتنا العقلية .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" فأنه إذا كان لله فعل . فلا يمكن أن يُقارَن بأفعال البشر . بل إن فِعل الله خارج عن نطاق قُدرات البشر . وأكبر من طاقة عقولهم وتفكيرهم ، ولذا إذا فَعل الله شيئاً فلا تسأل كيف ؟ لأن طاقة عقلك لا يمكن أن تُدرك أسرار الفِعل ، ولأن الله يفعل ما يشاء ، لا تحده قوانين ، لأنه هو خالق القوانين ، ولا يحتاج إلى أسباب ، لأنه هو سبحانه وتعالى من أوجد الأسباب ، وقد أبطل الله سبحانه وتعالى قوانين الكون لرُسله وأنبيائه ، ليُعطيهم معجزات تؤكد صدق بلاغهم عن الله "(4) . وهذا من قُصر حجم العقل أن يربط تفكيره ومخيلته بما يريده الله وما يشاء ، وأنه لَخلل في العقيدة إذا حاولنا إدراك حجم إرادة الله ، وحاولنا أن نتصور مايفعل الله ، لذلك فإن عقيدتنا وإيماننا أكبر وأمتن من عقيدة وإيمان

---

(1) البراق (هو أبيض طويل فوق الحمار دون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه)، منير محمد الغضبان، فقه السيرة النبوية، مركز بحوث الدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، ط2، 1413هـ 1992م، ص287 .

(2) المعراج (هو السلم فصعد فيه الى السماء ، ولم يكن الصعود على البراق كما قد يتوهمه بعض الناس ، بل كان البراق مربوطا على باب مسجد بيت المقدس ليرجع عليه الى مكة ، فصعد من سماء الى سماء في المعراج حتى جاوز السابعة)، إبن كثير، البداية والنهاية، ج1، ص414 .

(3) تفسير الطبري، ج5، ص6 .

(4) الشعراوي، المعجزة الكبرى، ص27 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قريش آنذاك لسبب بسيط ؛ وهو أننا قرأنا القرآن وصدقناه بلا أدلة آنية ولا شرح من نَبي ولا صحابي ، وأننا قد وصَلت إلينا أخبار نبينا فآمنا بها بلا تردد ولا شكّ ، ومن غير وجود لشخص النبي بيننا ، أو أنه صلى الله عليه وسلم وَضح لنا مثلما وَضّح لقريش وأَبان من أدلة ، بالتالي فأن تصديقنا الجازم بكل ما أتى إلينا عن طريق القرآن والحديث لم يكن بالأمر الهَيّن ، ولو أننا بشخوصنا الحالية وحجم تفكيرنا الطبيعي وُجِدنا في زمن النبوة لكان إصرارنا على الأيمان أكبر ، ولثبتت عقيدتنا منذ الوهلة الأولى بسبب أن أخبار السماء تأتينا مباشرةً عبر النبي صلى الله عليه وسلم ، فكيف لهؤلاء القوم أنكروا وجحدوا وصدّوا ؟ واليوم عندما نقرأ آيات الإسراء فأننا نؤمن بها إيماناً قاطعاً بلا أدنى شكّ أو سؤال أو إستفهام ، بِغض النظر عن من شكَكَ وألّحَد ، لأن هؤلاء القوم أشبه ما يكون بكفار قريش سابقاً ، مهمتهم التكذيب والإنكار تحت أي سبب أو مُسمى ، وبسبب أن طريق الباطل لابد له من أتباع ؛ فلا يخلو زمن من الأزمنة من هؤلاء الأتباع . ومهما شَكَكو في الكيف والنوع والطريقة ؛ فهذا كما قُلت لقصور في عقولهم ، قصور في عقل كل من يقيس قدرة الله على ما متوفر من ماديات ملموسة في داخل هذه الحياة . أو أن يقيس البُراق كالطائرة ، أو العروج إلى السماء كالمَكوك الفضائي ، فهذا مُحال عند الله أن تكون قدرته وقوته مثلما خَلق للبشر وأُوجد .

" وروي انه كان نائماً في بيت أُم هانئ بعد صلاة العشاء فأسري به ورجع من ليلته ، وقص القصة على أُم هانئ وقال : مُثِل لي النبيون فصَليت بهم . ثم قام ليخرج إلى المسجد ، فتشبثت أُم هانئ بثوبه ، فقال : مالك ؟ قالت : أخشى أن يُكذبك قومك إن أخبرتهم . قال : وإن كذبوني . فخرج فجلس إليه أبو جهل ، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث الإسراء . فقال أبو جهل : يا معشر بني كعب إبن لؤي هلم . فحدثهم ، فمن بين مُصفق وواضع يده على رأسه تعجباً وإنكاراً ، وإرتد ناس ممن كان آمن به "(1) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولعل السبب في إرتداد بعض ضِعاف الإيمان هو أن الله يريد لهذه الدعوة رجالاً قادرين على حملها والوقوف بوجه الظالمين ، ولا يريد أن ينخرط بها ضِعاف الأنفس الذين لا يستطيعون الصمود أمام المُغريات المادية ، فتهتز بهم أركان دعوته ، لأن أمام أصحاب محمد مَهام كبيرة ، وأفعال عظيمة سيقومون بها إبتداءاً بالتبليغ والدعوة ، وإنتهاءاً بفتوحات البلاد والأمصار . وأن الأمر الغيبي يُمثل جُزءاً كبيراً من دعوة الأنبياء ، والتصديق به يحتاج إلى ثبات ودافع عَقدي ، وأن الماديات لا قيمة لها ، لأن الماديات إنما هي مرادفة ومساعِدة للغيبيات . فمن يعتقد أن الماديات وقياس الرسالة بالموجودات هو من باب الأيمان فهو واهم ، لأن الله له مشيئة وإرادة لا يمكن للبشر أن يعلموا ماهيتها ، أو الغاية منها ، أو كيف حصل ذلك ؟

" يقول انشتاين واضع نظرية النسبية : أنه ليس للزمن من حقيقة قائمة بذاتها وأنه من خواص المادة ، وأن المستقبل قد يتصل بالحاضر وقد يلحق بالماضي ، ففي كل لحظة نحن نقتطع من المستقبل جزءاً نضُمه إلى الماضي فلا ينقص هذا ولا يزيد ذلك لأن كلاً منها لا نهائي ، وأن المستقبل يلتف على شكل دائرة وبذا يدخل في الماضي "(2) . وهذا ردّ على من أنكر هذا الأمر لإستحالة التنقل بهذه

سيد قطب، في ظلال القرآن، ج4، ص2210 .

عبد الحميد جودة السحار، الإسراء والمِعراج ، مكتبة مصر، القاهرة، (بلا طبعة ولا تاريخ)، ص24 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفترة الزمنية البسيطة ، لأن الزمن لا حدود له ولا بداية ولا نهاية ، وأن من خَلق الزمن هو من يتحكم فيه ، وأن من خَلق الأرض هو من يتحكم فيها فيَطويها لمن يشاء ، ويبسطها لمن يشاء . فمثلاً الجان أيضاً لهم قوانينهم التي تختلف عن قوانين الإنسان ، فعندما عرَض عفريت من الجن على نبي الله سليمان أن يأتيه بعرش بلقيس قبل أن يقوم من مجلسه ، وعرش بلقيس في اليمن ، والمسافة بين اليمن والشام أكبر من المسافة بين مكة وبيت المقدس ، ومع ذلك يستطيع الجان أن يأتي بعرش بلقيس بمدة زمنية قصيرة جداً أقصر من المدة الزمنية لرحلة النبي عليه الصلاة والسلام ، (قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ، قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ، قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ)(1) . وبما أن الجنّ كانت لهم هذه القدرة الرهيبة على التنقل بين الأمصار بهذه السرعة ؛ إلا أن الله جعل للذي عنده عِلم من الكتاب القُدرة والقوة أضعاف ما عند الجان ، فجاء بعرش بلقيس بطرفة عين ، وهذه من مشيئة الله وإرادته لأن يكون الأمر هكذا مع سليمان عليه الصلاة والسلام ، وما هذه المشيئة أمام مشيئة الله سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه والسلام بالإسراء والمِعراج إلا واحد بالمليون أو أقل من ذلك .

وكل هذا يوصِلنا إلى نتيجة واحده وهي أننا يجب علينا التصديق بكل ما أخبر به القرآن الكريم وما ورَد فيه ، لأن القرآن الكريم قطعي الورود ، وما جاء فيه هو قطعي الورود من الله سبحانه وتعالى لِبني البشر ، فنؤمن به بلا سؤال أو تشكيك أو إستفهام ، وهذا لسلامة القلب والمُعتقد .

أما من السُنة ما يُثبت الحادثة فكثير من الأحاديث التي ورَدت في ذلك ، ولكنني إخترت حديثاً واحداً يُجمل الرحلة بكاملها ، من باب الإستدلال وذِكر الذي ذَكره النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الخصوص ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ففي صحيح البخاري يروي حديث المِعراج عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال :" أن نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسري به . بينما أنا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجعا إذ أتاني آت فقد قال وسمعته يقول فشق ما بين هذه إلى هذه فقلت للجارود وهو إلى جنبي ما يعني به قال : من ثغرة نحره إلى شعرته وسمعته يقول من قصه إلى شعرته ، فاستخرج قلبي ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيمانا فغسل قلبي ثم حشي ثم أعيد ، ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض فقال له الجارود : هو البراق يا أبا حمزة ؟ قال أنس : نعم ، يضع خطوه عند أقصى طرفه ، فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فإذا فيها آدم فقال : هذا أبوك آدم فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد السلام ثم قال : مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ، ثم صعد بي حتى أتى السماء الثانية فاستفتح قيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت إذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة ، قال : هذا يحيى وعيسى

---

(1) سورة النمل، الآية 38-40 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فسلم عليهما فسلمت فردا ثم قالا : مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ، ثم صعد بي إلى السماء الثالثة فاستفتح قيل : من هذا ؟ قال جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ؟ قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت إذا يوسف قال : هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال : مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ، ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح قيل : من هذا ؟ قال جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : أوقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت إلى إدريس قال : هذا إدريس فسلم عليه فسلمت عليه ، فرد ثم قال : مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح قيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فإذا هارون قال : هذا هارون فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح قيل : من هذا ؟ قال : جبريل قيل : من معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قال : مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فإذا موسى قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح فلما تجاوزت بكى قيل له : ما يبكيك قال : أبكي لأن غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي ، ثم صعد بي إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : نعم ، قال : مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فإذا إبراهيم قال هذا أبوك فسلم عليه قال فسلمت عليه فرد السلام قال : مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم رفعت إلي سدرة المنتهى فإذا نبقها مثل قلال هجر وإذا ورقها مثل آذان الفيلة قال : هذه سدرة المنتهى وإذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت : ما هذان يا جبريل ؟ قال : أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات ثم رفع لي البيت المعمور ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل فأخذت اللبن فقال : هي الفطرة التي أنت عليها وأمتك ثم فرضت علي الصلوات خمسين صلاة كل يوم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فرجعت فمررت على موسى فقال : بما أمرت ؟ قال : أمرت بخمسين صلاة كل يوم ، قال : إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم وإني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت إلى موسى فقال : مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت إلى موسى فقال : مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت إلى موسى فقال : مثله فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم فرجعت فقال : مثله فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم فرجعت إلى موسى فقال : بم أمرت ؟ قلت : أمرت بخمس صلوات كل يوم قال : إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم وإني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك قال : سألت ربي حتى استحييت ولكني أرضى وأسلم قال : فلما جاوزت نادى مناد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي "(1) .

---

(1) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب حديث الإسراء، ص951، رقم الحديث (3887) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بهذا الحديث ، وبالآية التي ذكرتها آنفاً ، وبغيرها الكثير من الآيات ؛ يثبت لدينا بالدليل القاطع حصول رحلة الإسراء ، بغض النظر عن الكيف والنوع وما ؛ لأننا لسنا مأمورين بهذه الأسئلة ، وأننا نُصدق يقيناً وقطعاً بها ، وهي من المُسَلمات لدينا . وأن الغَيب هو من إختصاص الله عزوجل ، ولا علاقة لنا به إلا ما أخبرنا به سبحانه ، وأن ما ورد بهذه الرحلة حدَث ، وأن ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من خلال ما رآى في تلك الرحلة أنه سيحدث فإنه سيحدث لا مَحال ، آمنا بالله وما أنزل إلى محمد ، وما أرسل إلينا من آيات بينات .

المبحث الرابع : أعظم إجتماع في التأريخ

حينما يجتمع قادة أو ملوك لدوّل أو حكومات ؛ نرى الدنيا تتناول هذا الحَدث بأهمية بالغة وبإهتمام كبير ، وحينما يتم تسليم السُلطة بين حاكم وحاكم آخر ؛ نرى لهذا الإحتفال صدىً بين أوساط الشعوب ، وحينما تخرج القِمم بقررات أو تتناول حادثة مُعينة ؛ فإن لهذه القِمم والتجمعات تأييداً وتصفيقاً وترحيباً لا مثيل له ؛ فكيف وأن كان الإجتماع يضم كُل الأنبياء والمُرسلين الذين أرسلهم الله سبحانه وتعالى في الأرض لِكل الأُمم والأقوام ؟ ولكنه بالفعل حَصل هذا الإجتماع ، ولكن حصوله تم بشكل سرّي ومَحصور بين الأنبياء أنفسهم ، فلا الإعلام سَلّط الضوء عليه ، ولا حضور جماهيري كبير حَضر هذا الإجتماع أو عَرَف به أو عَلِم بتفاصيله ، ولا إشادة من هذا أوذاك أو قبول أو إستنكار .

لكن ملائكة السماء حَفّت إجتماع الأنبياء ، وحَضره أفضل الملائكة ألا وهو جبريل عليه السلام ، وهو من قَدّم النبي صلى الله عليه وسلم لأن يأُم الأنبياء في صلاة تُعتبر الأهم ، وشَهد هذا الإجتماع دلالات ومعاني كبيرة سأوردها في نقاط . وقد ذَكر النبي صلى الله عليه وسلم لنا ما جرى بالتفصيل ، ولكن الإختلاف بين أهل العِلم في هل الإجتماع حَصل قبل المِعراج إلى السماء أم بعد النزول منها ؟ وهذا برأيي لا يهم ؛ لأن الأهم هو حصوله ، فإن حصل قبل المِعراج أو بعده فالنتيجة واحدة ، ولا يختلف بالمُخرجات شئ . فأهل العلم في ذلك على رأيَن :

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الرأي الأول : أن الإجتماع حَصل قبل أن يَعرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى السماء ، وفور أن وَصل النبي برفقة جبريل عليهما السلام إلى بيت المقدس دخلا الحرم . وكان الأنبياء مجموعين في وقتها - أي من قبل أن يحضر النبي صلى الله عليه وسلم - . ومن الأدلة على ذلك الحديث الذي يرويه أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " حتى أتيت بيت المقدس فأوثقت دابتي بالحَلقة التي كان الأنبياء تَربط بها ، فدخلت أنا وجبريل بيت المقدس صلى كل واحد منا ركعتين . ثم دخلتُ المسجد فعرفتُ النبيين من بين قائم وراكع وساجد ، ثم أُقيمت الصلاة فأممتهم.(وفي رواية)

فلم ألبث إلا يسيراً حتى إجتمع ناس كثير ، ثم أذن مؤذن فأقيمت الصلاة فقمنا صفوفاً ننتظر من يؤمنا ، فأخذ بيدي جبريل فقدّمَني فصلّيت بهم "(1) . فهذا وصف كامل لِما حدث للنبي عليه الصلاة والسلام عندما وَصل إلى بيت المقدس ، والحديث الواضح الصريح الصحيح هو أفضل ما نتشبث به . كذلك أورد الطبري في تفسيره كلاماً آخر يُعضد من هذا القول مُستنداً إلى روايات صحابة أخذوا الكلام عن رسول الله فقال : " أسرى الله بجسده ، فسار به ليلاً على البُراق من بيته الحرام إلى بيته الأقصى حتى أتاه ، فأراه ما شاء أن يريه من عجائب أمره وعِبره وعظيم سُلطانه ، فجُمِعت له به الأنبياء ، فصلى بهم هنالك ، وعُرج به إلى السماء حتى صعد به فوق السموات السبع ، وأوحى إليه هنالك ما شاء أن يوحى ، ثم رَجع إلى المسجد الحرام من ليلته ، فصلى به صلاة الصبح "(2) .

فاللقاء حَصل قبل أن يعرج النبي صلى الله عليه وسلم كما دلّت الأحاديث ، وغيرها كثير تدل على نفس المعنى .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الرأي الثاني : أن الإجتماع بالأنبياء والصلاة بهم حصل بعد أن نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من السماء ، وهذا الرأي لا يستند على أحاديث صريحة ؛ وأنما إستند إلى إستنتاجات وتحليلات من العلماء المُهتمين بهذ الشأن ، ولعل أقواها ما ذكره إبن كثير في البداية والنهاية فقال : " ثم هبط رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس ، والظاهر أن الأنبياء هبطوا معه تكريماً له وتعظيماً عند رجوعه من الحضرة الآلهية العظيمة كما هي عادة الوافدين لا يجتمعون بأحد قبل الذي طلبوا إليه ، ولهذا كان كلما مرَ على واحد منهم يقول له جبريل عند مقدم ذلك للسلام عليه : هذا فلان فسلِم عليه ، فلو كان قد إجتمع بهم قبل صعوده لَما إحتاج إلى التعرف بهم مرة ثانية ، ومما يدل على ذلك انه قال (فلما حانت الصلاة أممتهم) ولم يحن وقت إذ ذاك إلا صلاة الفجر ، فتقدمهم إماماً بهم عن أمر جبريل فيما يرويه عن ربه عزوجل - فإستفاد بعضهم من هذا أن الإمام الأعظم يقدم في الإمامة على رب المنزل حيث كان بيت المقدس محلتهم ودار إقامتهم - ثم خرج منه فركب البُراق وعاد إلى مكة فأصبح بها وهو غاية الثبات والسكينة والوقار "(3) . فقوله (والظاهر) أي أن الأمر تحليل وإستنتاج وليس مُستند إلى نَص .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأنا أُرجح الرأي الأول لسَببين : السبب الأول لأن هذا الرأي مُستند إلى حديث ، وما وُجِد فيه الحديث لم يُعتد بالرأي . والسبب الثاني أن هذا الرأي أيضاً أكدته أُم هانئ رضي الله عنها في قولها : " ما أُسري برسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو في بيتي ، نائم عندي تلك الليلة في بيتي ، فصلى العشاء الآخرة ، ثم نام ونمنا ، فلما كان قبيل الفجر أهبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى الصبح وصلينا معه "(4) . فكان رأي إبن كثير أن الصلاة التي صلاها النبي صلى الله عليه

---

(1) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (773-852هـ)، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وابوابه واحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي ، المكتبة السلفية، (بلا طبعة ولا تاريخ)، كتاب مناقب الأنصار، باب المِعراج، ج7، ص208 .

(2) أنظر: تفسير الطبري، ج5، ص6 .

(3) أنظر: إبن كثير، البداية والنهاية ، ج1، ص414 .

(4) منير محمد الغضبان، فقه السيرة، ص289 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وسلم مع الأنبياء كانت الفجر ، وأُم هانئ رضي الله عنها قالت أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الفجر وصلوا معه ، فهل رأي أُم هانئ أصح أم إستنتاج إبن كثير ومن معه ؟ بالتأكيد ما روته أم هانئ يكون هو الأصح . كذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم أكد في أكثر من حديث أن الاجتماع والصلاة كان بعد دخوله إلى بيت المقدس مباشرةً برفقة جبريل عليه السلام . " فنزلتُ فصليتُ ، فقال (أي جبريل) : أتدري أين صليت ؟ صليت بـ (بيت لحم) حيث ولد عيسى عليه السلام . ثم دخلت بيت المقدس ، فجُمع لي الأنبياء عليهم السلام ، فقَدمني جبريل حتى أممتهم . ثم صعد بي إلى السماء الدنيا ...."(1) .

بالتالي فان حدوث الاجتماع قبل أو بعد المِعراج لا يؤثر شئ في النتائج ، المُهم أنها وقعت ، وهذا ما أثبتته جميع الأحاديث ، ومن ضمنها حديث النبي صلى الله عليه وسلم " فحانت الصلاة فأممتهم ، فلما فرغت من الصلاة قال قائل : يامحمد ! هذا مالك صاحب النار فسلِم عليه ، فالتفت إليه ، فبدأني بالسلام "(2) .

وبما أن الجميع مُتّفق أن الإجتماع حَصل ، فلا بد من الوقوف على دلالاته ، وأهم المخرجات التي خرج بها ، فأوجِزها في نقاط :

أولاً : تسليم الراية إلى أُمة محمد صلى الله عليه وسلم ، والإنتقال بها من أُمة إلى أُمة ، وتسليم الدين من المسيحية والتي هي آخر ديانة(3) قبل ظهور محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته ؛ إلى محمد ومن تبِعه . لأن الأسلام هو دين الأنبياء جميعاً ، وأن ما أتوا به يصدر من نور واحد ، وينتهي لغاية واحدة ، على الرغم من إختلاف التعليمات والتعاليم ؛ إلا أنه بالتالي يصب في مصب واحد ، وما الإختلافات التي حدثت في التعليمات إلا بسبب إختلاف تركيبة القوم الذي أُرسلت إليهم ، ولكن الإختلافات لم تكن في الجوهر وإنما في القشور ، فمن الخطأ أن يُقاس بنو إسرائيل بالنصارى ، أو أن يُقاس قوم نوح بِقوم النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، فلِكل قوم رسالتهم التي لها مغزى منها ومدلول ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إنما اللّب مُتفق عليه ألا وهو الوحدانية لله وعبادته . فالنبي صلى الله عليه وسلم أخبَر أنه ليس بينه وبين عيسى عليه الصلاة والسلام نبي ، وأن المسيحية هي آخر رسالة قبل رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" أنا أولى الناس بإبن مريم ، الأنبياء أولاد علات ، وليس بيني وبين إبن مريم نبي "(4) . فتعاقُب الأنبياء لنفس الغَرض إنما هو دليل على أنهم جميعاً مُرسلون من نفس المصدر ألا وهو الله

---

(1) أنظر: محمد ناصر الدين الألباني، الإسراء والمِعراج وذِكر أحاديثهما وتخريج وبيان صحيحها من سقيمها، المكتبة الاسلامية، عمّان، ط1، 1421هـ 2000م ، ص12 .

(2) محمد ناصر الدين الألباني، الإسراء والمِعراج، ص8 .

(3) هنا ذَكرتُ كلمة (ديانة) باعتبار ان الدين واحد وهو الاسلام وان غيره من اليهوية والمسيحية انما هما ديانة وليست دين ، ومعتنقوها يتبعون انبيائها ، والفرق بين الدين والديانة ان الدين هو الاسلام وهو واحد كما ذكرت ، والديانة هي إتّباع القوم لِمُعتَقد مُعين غير الاسلام .

(4) منير محمد الغضبان، فقه السيرة النبوية، ص292 . قال الألباني حديث صحيح، صحيح الجامع، رقم الحديث (1452) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العلي الكبير ، فليس من المعقول أن يتتابع الأنبياء على مَر الآف العصور وآلآف الأجيال ؛ وهم يتلون كلام واحد ورسالة واحدة وتعاليم واحدة ، إلا أن يكون المُرسِل واحد ، قال تعالى (إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ)(1) . وهذا يحسم كل خلاف ، إن دين الله واحد ، وأن جميع الأنبياء أتوا به تتابعاً ، وأن الراية تم تسليمها من نبي إلى النبي الذي يليه ، وأن كل دين ينسخ ما قَبله من الأحكام والجُزئيات ، وفي الإجتماع العظيم الذي حَصل في بيت المقدس كانت تسليم الراية لأُمة محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن آخر ديانة وهي المسيحية ونبيها عيسى عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم وأُمته . بدليل الحديث السابق . " (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإسلام) إخبار منه تعالى بأنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الإسلام ، وهو إتباع الرُسل فيما بعثهم الله به في كل حين ، حتى خُتِموا بمحمد صلى الله عليه وسلم الذي سد جميع الطرق إليه إلا من جهة محمد صلى الله عليه وسلم ، فمن لقي الله بعد بعثة محمد بدين على غير شريعته فليس بمتقبل منه "(2) . والذي يُعضد هذا الكلام قوله تعالى (وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)(3) . وأن الإنبياء تُتابع لنشر رسالة الله ودينه ، والأمر لا يقف على قوم أو نبي ، لأن دين الله ماضٍ ، وشريعته باقية إلى قيام الساعة ، وقُدِر لمحمد صلى الله عليه وسلم أن يحملها ، وقُدِر لأُمته أن يكونوا أصحابها ، وأن يكونوا شهداء على الناس يوم القيامة ، وأنهم الأُمة الوسط الذين إختارهم الله من بين جميع الخلائق ، قال تعالى (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا)(4) . فهي إنتقال الراية من ولد إسحاق إلى وِلد إسماعيل عليهما الصلاة والسلام . وهذه الحقيقة التي يجب على جميع الناس أن يعترفوا بها ويَخضعوا لها ، لأنها حقيقة دين الله ، وإرادة ومشيئة الله على هذه الأرض .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" من دلالات الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم هو أن رساله الله واحدة إلى خلقه وهي الاسلام (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإسلام) وبه جاء الأنبياء من لدن آدم ونوح إلى محمد عليهم الصلاة والسلام ، فهو يصلي إماماً بالأنبياء ، ويؤم بيت المقدس الذي أُقيم للناس ليعبدوا الله تعالى فيه بعد بيت الله الحرام . وهو القِبلة الأولى للمسلمين ، وأهميته بالنسبة للمسلمين وثيقة مثل أهمية بيت الله الحرام ، ولو تحولت القِبلة عنه ، فمحمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وإمامهم "(5) .

ثانياً : صلاة النبي محمد بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام أجمعين ؛ إنما دليل على أن دين محمد صلى الله عليه وسلم ناسخ لجميع الأديان السابقة ، وأن جميع الأديان والأُمم والأقوام بما فيهم أنبياءهم تَبع لمحمد ودين محمد صلى الله عليه وسلم ، وشهادة جميع الأنبياء لمحمد بالإمامة والرسالة إنما دليل على أهلّيته وأهلّية أُمته في هذا الأمر ، وأنه الحق من رب العالمين . وأن جميع الأمم السابقة وما حَملته من ديانه إنما كان مصدره واحد ، وأنه الإسلام من رب العالمين ، لكن

---

(1) سورة آل عمران، الآية 19 .

(2) مختصر تفسير إبن كثير، ج1، ص272 .

(3) سورة آل عمران، الآية 85 .

(4) سورة البقرة، الآية 143 .

(5) منير محمد الغضبان، فقه السيرة النبوية، ص292 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التحريف الذي طرأ على هذه الديانات وتغيير المُسميات ، حُرف وجهتها إلى غير الوجهة التي أُريد بها ، بالتالي أصبحت ديانات لا قيمة له دينياً ومعنوياً ، لأنه خرجت عن المنهج الآلهي الذي أُرسلت من أجله ، قال تعالى (إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ)(1) ، إن دين الله واحد ولكن الإختلاف الذي حَصل عند جميع الأقوام إنما بعد أن أتى إليهم هذا الدين وعَرفوا تعاليمه فَلَم تعجبهم ، لأنها لا توافق أفكارهم ورغباتهم وملذّاتهم ، فحرّفوها وأبدلوها بتشريعات توافق مُبتغاهم .

" ولما قرر أنه الآله الحق المعبود ، بين العِباد والدين الذي يتعين أن يُعبد به ويُدان ، وهو الإسلام الذي هو الإستسلام لله بتوحيده وطاعته التي دَعت إليها رُسله ، وحثّت عليها كتبه ، وهو الذي لا يقبل من أحد دين سواه ، وهو مُتضمن للإخلاص له في الحب والخوف والرجاء والإنابة والدعاء ومتابعة رسوله في ذلك ، وهذا هو دين الرُسل كلهم ، وكل من تابعهم فهو على طريقهم ، وإنما إختلف أهل الكتاب بعدما جاءتهم كتبهم تحثهم على الإجتماع على دين الله ، بغياً بينهم ، وظُلماً وعداوناً من أنفسهم ، وإلا فقد جاء السبب الأكبر الموجب أن يتبعوا الحق ويتركوا الخلاف ، وهذا من كُفرهم "(2) .

والذي يمنع أصحاب الديانات الأخرى من الإعتراف بدين محمد صلى الله عليه وسلم هو لؤمهم وإستكبارهم ، فهم كانوا أصحاب الأمر ؛ ومن ثم سُحِب منهم وَوسِد إلى غيرهم ، ولو أنهم تفكروا قليلاً لعرفوا لماذا سُحِب منهم ووكِل إلى غيرهم ؟ إنه العناد والتكبر على دين الله ، والتفريط بما أتى به من أحكام وأوامر وتشريعات ، بالتالي فهم ليسوا أهلاً لحمل الرسالة ، ويجب الأعتراف منهم بالخطأ الذي إرتكبوه . ويَتّبعوا دين محمد صلى الله عليه وسلم ، لأن الدين الذي هم عليه الآن ليس بإسلام ، وانما ديانة قائم على التأليف والكذب والتزييف ليوهموا الناس ويظِلوهم عن دين الله ، إستكباراً من عند أنفسهم وغروراً ، ورغبة للكسب المادي وبسط السيطرة والنفوذ ، كالبوذية والهندوسية والمسيحية .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" فإستفاد بعضهم من هذا أن الإمام الأعظم يُقدم في الإمامة على رب المنزل حيث كان بيت المقدس محلتهم ودار إقامتهم "(3) . وهذا ما أراد الله في بَني البشر ، أن يكون محمد صلى الله عليه وسلم النبي الأعظم من بين جميع الأنبياء ، ورسالته الأكبر والأشمل من بين جميع الرُسل ، وأُمته الُمفضّلة على جميع الأُمم .

ثالثاً : خَطر الإستبدال . لأن الله سبحانه وتعالى أعطانا من الدروس العظيمة ، وأبلغنا بما حصل للأُمم السابقة ، وتوالت الأنباء بما حلّ بهم نتيجة أعمالهم التي تخالف أمر الله وشرعه ، بالتالي فأننا أيضاً خاضعون لهذه المُعادلة ، معادلة الإستبدال ، كما إستبدلنا الله فيمن سَبق من أُممه ، فنحن بشر ،

---

(1) سورة آل عمران، الآية 19 .

(2) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص130 .

(3) إبن كثير، البداية والنهاية، ج1، ص414 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولا نختلف عنهم شئ ، عندنا نبي وعندهم نبي ، ولدينا كتاب سماوي ولديهم كُتب سماوية ، ولكن الفرق أننا لم نُكذب نبينا وكتابنا مثلما كذبوا هم ، بالرغم من أن أعمالنا غير خاضعة لا لتعليمات النبي ولا لأحكام الكتاب المُنزل إلينا ، بالتالي فالنتيجة واحدة وهي غضب الله سبحانه وتعالى على المخالِفين . قال تعالى (وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم)(1) ، وهذا كلام واضح وصريح في القرآن ، ولو أننا غير مشمولين بالإستبدال لما تحدث معنا الله بهذا الكلام ، وهذا يقّض مضاجع الدعاة وأهل العلم والمؤمنون ، لأننا على شفا جرف هارٍ ، بسبب التولي والعِناد والإستكبار عن تعاليم الله ، وهذه الآية أيضاً تبعث رسالة إلى الناس ، خاصة ممن يقولون اننا آخر الأُمم ولا يُمكن أن يستبدلنا الله ؛ إذ لا أُمة بعدنا ولا نبي . فالله سبحانه وتعالى لا يعجز عن الإستبدال ، وأسهل أمر أن يُزيلنا عن هذه الأرض ، وأن تقرع أبواب السماء فيُعلن الجبار قيام الساعة ، فيهلك الأولين والآخرين ، وهذا أيضاً يُسمى إستبدال . ومن السهل على الله مثلما خَلقنا وجعل لنا الأرض مَنزلاً وسكناً ومُستقراً ؛ فإنه ينسفنا مع أرضنا ويستبدلها بأرض أُخرى أو أي مكان للعيش ، ويخلق فيها مخلوقات أُخرى تكون أقرب لطاعاته منا ، قال تعالى (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا)(2) ، وهذا دليل قوي ورسالة واضحة من الله لنا أن الله قادر على أن يخلق عوالم ومخلوقات أُخرى تؤدي الغرض نفسه وبجودة أكبر على الأغلب . ولعله نحن إستبدال لأُمم كثيرة من عوالم أُخرى سَبقتنا ، كان العصيان والتكبر منهجهم فابدلهم الله بنا ؟ والله أعلم ، وقد يكون هنالك عوالم أُخرى ستُخلق بعدنا سيتبدلها ربنا بنا بسبب عصياننا ؟ والله أعلم كذلك .

فإستشعار الخطر يجعل الإنسان أكثر هِمة ونشاط وحيوية وعزيمة لأن يستنفر كل مجهوداته لنشر رسالة الله في الأرض ، والسير على الطريق القويم الذي رسمه الله لنا ، وتحقيق منهج الإستخلاف الحقيقي الذي يُرضي الله عنا .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" ومواجهة الخطر تستثير كوامن النفس وطاقات العقل ، وتشد العضل ، وتكشف عن الإستعدادات المخبوءة التي تنتفض عند الحاجة ، وتدرب الطاقات البشرية على العمل وتشحذها للتلبية والإستجابة .. وكل أولئك الوان من العِلم والمعرفة والتفتح يحرمها طلاب الراحة البليدة والسلامة الذليلة . وأن وراء حب الدعة وإيثار السلامة ، سقوط الهمة ، وذلة النفس ، وإنحناء الهامة ، والتهرب من المواجهة والمصارحة "(3) .

فالنبي صلى الله عليه وسلم بذل الجهد ولم يدّخر منه شيئاً في نشر رسالة الله ودينه ، وكذلك جميع الأنبياء والمُرسلين ، وأن الخلل كما ذَكرت ليس في النبيين وإنما في القوم أو البشر الذين أُرسلت إليهم الرسالات . بالتالي من الصعب علينا أن لا نكون عند حُسن ظن نبينا ، ومن المُخزي أن نخذله أمام ربه وهو الذي جدّ وإجتهد في إنقاذنا من الضلال والغَي ، وإنتشلنا إلى بر الأمان ، فالأنبياء

---

(1) سورة محمد، الآية 38 .

(2) سورة الإسراء، الآية 99 .

(3) في ظلال القرآن، ج3، ص1695 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

السابقين هم في خذلان من أقوامهم ، ويعتذرون إلى ربهم من التقصير الذي حصل من قِبلِهم ، وحسرة نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام في ذلك واضحة كما أخبرنا النبي محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال : " ثم عرج إلى السماء السادسة ، فلقي فيها موسى إبن عمران فسلم عليه ، ورَحب به وأقر بنبوته ، فلما جاوزه بكى موسى ، فقيل له : ما يبكيك ؟ فقال : أبكي لأن غلاماً من بعدي يدخل الجنة من أُمته أكثر مما يدخلها من أُمتي "(1) . فهل سيكون الأمر نفسه مع محمد صلى الله عليه وسلم حال خُذلانه من قِبلِنا ؟ وإهمال رسالته وعدم الإكتراث لكل ما جاء به ؟ وهذا مما يُعرضنا إلى خَطر الإستبدال ثأراً من الله لنبيه كما حصل من قَبل . " فمن خاف من شيء أدلج ، أي سار بالليل ولم ينتظر الصباح ؛ لأن شعوره بالخطر وقلقه مما هو آت لا يجعله يهنأ براحة ، فعلى قدر القلق ، والشعور بالخطر من شيء (ما) يكون التشمير والعمل لتبديد هذا القلق ودفع هذا الخطر ، ولو إستدعى ذلك عدم النوم بالليل ، والتضحية بوقت الراحة والإسترخاء "(2) . فيجب أن لا نأمن مُطلقاً من أن يستبدلنا ربنا بغيرنا ، أو أن يُقيم الساعة بغتة ونحن غافلون ، إذا توفرت العوامل لذلك كما توفرت من قبل .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهذه الدلالات والمُخرجات من الإجتماع الكبير وأن لم تكن واضحة ومُصرح بها من قِبل أهل الإجتماع ؛ إلا أنها واضحة لمن يُريد أن يكتشف هذه الرسائل المُبطنة منه . وأيضاً مما يبعث في النفس البشرية الراحة والطمأنينة إلى أن طريق سير الأديان واضح وبيّن لمن يريد أن يعرف ذلك ، وأن خط سير الأنبياء أيضاً واضح ، بالتالي فيجب على جميع الناس أن يؤمنوا بذلك ويتركوا الخلافات والإستنتاجات جانباً إذا أهمهم حياة مستقيمة واضحة ، لأن التطور الحياتي لا يتفق مع الإختلافات ، وخاصة من النوع الديني ، لأن الإختلاف الديني يُخلِف وراءه التعنصر والإنغلاق ، وهذا مما لا يُلائم السير نحو التطور والحداثة والحضارة . وأن الاختلافات أيضاً تُولد الحروب وإبادة كل طرف للطرف الثاني نُصرة للدين أو المُعتقد أو المذهب ، وهذا ما حصل كثيراً ويحصل إلى الآن ، بالتالي نكون قد أخلفنا وعدنا مع الله في أن نكون خُلفاء له على الأرض ، وأن نُعمرها وننشر راية التوحيد في أرجاءها . ففي تلك الحالة إنتفت الحاجة لنا على سطح الأرض ، ولم يعد لله فينا حاجة .

---

(1) أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، ص217 .

(2) مجدي الهلالي، عودة الروح ويقظة الايمان، دار السراج للتوزيع ، ط2، 1436هـ 2015م، ص59 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الخامس
منهجية الرَد على الإتهامات والتحديات التي وُجِهت للرسول صلى الله عليه وسلم أثرها في البناء الحضاري

المبحث الأول : الإتهامات التي وُجِهت لشخص النبي محمد صلى الله عليه وسلم

المطلب الأول : السِحر

المطلب الثاني : الشِعر

المطلب الثالث : الكهانة والجنون

المبحث الثاني : التحديات التي وُجِهت للرسول محمد صلى الله عليه وسلم

المبحث الثالث : الإتهامات والتَحديات نفسها حَصلت للأنبياء السابقين

المبحث الرابع : طُغيان بني إسرائيل

المبحث الخامس : لِكلِ قومٍ رسول

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تمهيد :

من مقومات البناء الحضاري وأساس رُقيّه هو المحافظة على الإرث السماوي والتشريعات التي نَزلت على الأنبياء جميعاً ، والتي مصدرها من الله سبحانه وتعالى للإنسانية جميعاً ، وأن ما أتى به الإنبياء إنما يصدر من سراج واحد . لكن الشئ الملموس في الحياة هو أن الهَجمة على الإنبياء والتشكيك بِمصداقيتهم واقعة ، خصوصاً التناحر فيما بين الديانات الرئيسية الموجودة ، وكل ديانة تريد إثبات أنها الحق ، وأن ما سِواها باطل ولا أصل له . لكن الحقيقة أن الديانات أتت تِباعاً لإيصال الرسالة الآلهية لِبني البشر . وأن تعاقب الأنبياء في الأرض ما أتى إلا من معاندة وجحود الأقوام لتعاليم السماء ، ونُكران البشر لهذه التشريعات ، وإضطهادِهم لأنبياءهم وتكذيبهم والكَيد لهم ، والقرآن الكريم بيّن لنا هذا الأمر وسَرد لنا ما حصل مع كل الأقوام السابقة وكيفية تعاملهم مع أنبياءهم ، وما حصل لهم نتيجة ذلك . والتأريخ أيضاً سَرد لنا هذه الحقيقة ، بالتالي يجب التسليم لهذا الأمر والتعامل معه على أنها إرادة الله في الأرض . لكن إستكبار هذه الأقوام وعدم الرغبة في تصديق ذلك جَعل منهم مُتهجمين طاعنين بغيرهم من الأقوام وما أرسل الله من رُسل .

فاليهود لازالوا يعتبرون أنهم شعب الله المختار ، وأنهم أصل الشعوب ، ونبيهم هو النبي الحق (أي آخر نبي) ، وغيره باطل وغير شرعي ، بالمقابل هُم فَعلوا الأفاعيل بأنبياءهم من قتل وتنكيل وتكذيب وعصيان ، وأنكروا تعاليم السماء ، وخالفوا التشريعات الربانية المُنزَلة إليهم حينها ، فأصابتهم لعنة الله وغضبه ، وإستبدلهم بقوم آخرين ليُكملوا مسيرة الرسالة الآلهية .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والنصارى كذلك لما أتوا بعد اليهود ، فعلوا ما يُخالف تعاليم الله سبحانه وتعالى ، وحرّفوا دينهم ، وأبدلوا كتابهم بكُتب أُخرى مُتعددة تُلبي رغباتهم وشهواتهم ومتطلباتهم ، وعصوا نبيهم وخالفوه ، بالتالي أصابهم ما أصاب اليهود من إستبدال . وكِلا القوميّن يُنكِرون بعضهم البعض ، ويعتبرون أنهم الأصل ولهم الأولوية في الرسالة والتبليغ، وأن نبيهم هو النبي الحق ، وأن ما غيره باطل لا أصل له .

وعندما أُرسل محمد صلى الله عليه وسلم إلى البشرية بالرسالة والنبوة ؛ ثارت ثائرة اليهود والنصارى ، فتكالبوا على هذا الدين وإجتمعوا عليه ، إيماناً منهم بصحته وصدق نبوة النبي ، إلا أن الإستكبار والحقد الأسود أعمى قلوبهم ، فبالأمس كانوا هم أسياد الأقوام ، واليوم سُحِبت منهم ووُسِدت إلى غيرهم ، فكيف يؤمنوا به ويُسلموا ؟

ومع تكالب اليهود والنصارى إصطف معهم طابور ثالث وهم العرب والعامة ممن لا تروق لهم تعاليم الدين الإسلامي ، والتي لا تلائم أحلامهم ورغباتهم ونزواتهم ، فمنهم مسلمون الّحدوا ، ومنهم إرتدوا ، ومنهم من مُنكِري الأديان .

" وهذا ما يلقاه الإسلام اليوم من حرب دعائية من خصومه ، بحيث تُسلط الأجهزة اليهودية والصليبية والشيوعية كل وسائلها الإعلامية المسموعة منها والمرئية لتشويه الإسلام وتصويره ديناً وثنياً أو إرهابياً أو متخلفاً يمثل حضارة الجمل والصحراء لأكبر دليل على إستمرار هذا الخط

الدعائي ضد الإسلام . هذا من جهة ، ومن جهة أُخرى تصوير المسلمين بأنهم مُتخلفون لأنهم متمسكون بإسلامهم، وتحميل الإسلام كل التخلف الحضاري عند المسلمين ، وتمثيل الصحوة الإسلامية المُعاصرة بأنه يقودها الأُصوليون والمتطرفون الذين يريدون تدمير كل مُنتجات الحضارة البشرية المُعاصرة ، والعودة بالبشرية إلى القرون الوسطى وعهود الرقذ والتخلف "(1) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لكن هذا لا يُغير الحقيقة الكبيرة وهي أن الأنبياء والمُرسلين كلهم إخوة ، وأتوا لأجل هدف واحد ، ويحملون رسالة واحدة ، ومنبعها واحد ، قال تعالى (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَـٰلَةُ)(2) . وتعاقُبهم إنما لهداية الناس وإرجاعهم إلى الدين الحق بعد أن ظلّوا وتاهوا في متاهات الحياة ، ولكي لا يُعذر قوم من أنهم لم تأتيهم الرسالة ، ولا يوجد مُبلّغ ، (رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً)(3) .

والصراع القائم اليوم والمسمى بـ (صراع الأديان) إنما هذا هو أساسه ، إثبات أصل الأديان وأصحها وآخرها .

وأول من خالف النبي صلى الله عليه وسلم هم بنو قومه من قريش ، فكذبوه وحاربوه ليس لأنه نبي مُرسل ؛ وإنما خوفاً على مصالحهم وسُلطانهم ، وحِفاظاً على نفوذهم وأموالهم وسيادتهم ، لكن المتأخرين من العوام إستندوا على هذه الهجمة القُريشية وبَنوا عليها ، وأخذوا من الإتهامات والتحديات التي وَجهوها للنبي صلى الله عليه وسلم أساساً ينطلقون منه للتكذيب بالنبي والرسالة ، وإظهارها بمظهر الزيف والخطأ ، فتَجد الإلحاد اليوم يأتي بأدله وجدال نفسه الذي أتى به قريش من قَبل ، ونوعية التشكيك هي نفسها نوعية التشكيك القُريشية . مع إثبات نفس الغايات في هذه الحرب البائسة .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ففي هذا الفصل سأورد هذه الإتهامات ونوعية التحديات التي واجهت شخص النبي عليه الصلاة والسلام ، والغاية منها حسب ما أَورده الله سبحانه وتعالى في سورة الإسراء ، والتي أسَستها قريش ، وسار عليها من تلاهم من الحقب والقرون ، وإستند عليها غير المسلمين في حربهم على الإسلام . وكيفية الرد على هذه الإتهامات بطريقة حضارية مُستندة إلى النقل والعقل .

---

(1) منير محمد الغضبان ، فقه السيرة النبوية، ص151 .

(2) سورة النحل، الآية 36 .

(3) سورة النساء، الآية 165 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول : الإتهامات التي وُجِهت لشخص النبي محمد صلى الله عليه وسلم

ذكر الله سبحانه وتعالى السحر كنوع ومثال على إتهامات كثيرة وجهها المشركين من قبل ، والآن يُعيد إطلاقها مُلحدوا اليوم والمُعادون للاسلام بطرق مختلفة ، وسأذكر معها إتهامات أُخرى لتكتمل الصورة لدى القارئ والباحث عن منهجية أعداء الدين في إسناد التُهم للنبي محمد صلى الله عليه وسلم والإنطلاق منها لتشويه الدين بتشويه صورة نبيِّه والتشكيك بمصداقيته .

المطلب الأول - السِحر

قد ذَكر الله سبحانه وتعالى هذا الوصف في القرآن الكريم وقد إستهزأ به ، ووصف قائليه بالتخبط والزيغ عن الحق ، قال تعال (نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ، انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا)(1) ، فإنتهج المُشركون آنذاك العديد من الأساليب التي من شأنها أن توقف محمد صلى الله عليه وسلم عن دعوته ورِسالته ، وتُهمة السِحر هي إحدى هذه الأساليب التي إستخدمها أهل قريش في حربهم على النبي صلى الله عليه وسلم بوصفهم إياه بالساحر ، وهذا من قبيل تشويه سُمعته ولِجعل الناس تُعرض عنه صلى الله عليه وسلم . فقد كان وصفهم هذا ليس عن قناعة ويقين ؛ وإنما أرادوا وصفه بأقرب شئ يَفهمه الناس ويكون أقرب للتصديق .

والسِحر " لغةً : ما خَفي ولطف سببه . وفي الإصطلاح : عزائم ورقى منه مايؤثر في القلوب والأبدان فيمرض ويقتل ويُفرق بين المرء وزوجه ، وحُكم تعلمه وفِعله حرام ومؤدٍ إلى الكُفر "(2) .

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

" عن إبن عباس أن الوليد بن المغيرة إجتمع ونَفر من قريش ، وكان ذا سِن فيهم ، وقد حضر الموسم ، فقال : أن وفود العرب ستقدم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ، فأجمعوا فيه رأيا واحدا .. ولا تختلفوا فيه فيُكذب بعضكم بعضاً ، ويَردّ قول بعضكم بعضاً . فقيل : يا أبا عبد شمس : نقول كاهن . فقال : ما هو بكاهن ، رأيت الكُهّان فما هو بزمزمة الكُهان . فقالوا : نقول مجنون . فقال : ماهو بمجنون ، ولقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته . فقالوا : نقول شاعر . فقال : ماهو بشِعر ، قد عرفنا الشِعر برجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه ، فما هو بالشِعر . قالوا : فنقول ساحر ، قال : ماهو بساحر ، قد رأينا السحّار وسِحرهم ، فما هو بنفثه ولا عُقده . قالوا : فما نقول يا أبا عبد شمس ؟ قال : والله إن لقوله لحلاوة ، وأن أصله لغدق ، وأن فرعه لجنى ، فما أنتم بقائلين شيئاً من هذا إلا عُرف أنه باطل ، وأن أقرب القول لأن تقولوا هذا ساحر ، فتقولون هو ساحر يُفرق بين المرء ودينه ، وبين المرء وأبيه ، وبين المرء وزجه ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وعشيرته .. فتفرقوا عنه بذلك فجعلوا يجلسون للناس حتى قَدموا الموسم ، فلا يمر بهم أحد إلا حذّروه إياه ، وذَكروا لهم أمره "(3) .

---

(1) سورة الإسراء، الآية 47-48 .

(2) صالح الأطرم، الأسئلة والأجوبة في العقيد، ص58 .

(3) منير محمد الغضبان، فقه السيرة النبوية، ص149 . و إبن هشام، السيرة النبوية، ج1، ص303 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فكان لأثر القرآن في نفوس قريش خاصة والعرب عامة وقّع كبيرِ لِما إحتواه من تأثير قوي عليهم ، وفَصَلهم عن دنياهم وما يعبدون ، وما لتأثير النبي عليه الصلاة والسلام عليهم ، فدخل في الإسلام جموع كبيرة يوماً بعد يوم ، وصار يزداد ويكبر ويتوسع ، وينتشر أمر الدعوة بين جميع القبائل ، فَلم يجد أهل مكة سبيل لإيقافه ، إلا بإنساب بعض التُهم إليه ليُضعِفوا من هيبته صلى الله عليه وسلم وشخصيته ، وليُقللوا من حجم أمره وما يدعوا إليه .

وهذا المَنهج بقي ساري المفعول وإلى يومنا هذا ، فقد إستخدمه المُتنطعون والمُتفلسفون الذين يكيدون للإسلام المكائد ، ووصفوا آيات القرآن بهذا الوصف لِما لها من وقع في النفوس ، ومن هيمنة على الجوارح والأركان ، حيث تناولته جميع الأقوام بإهتمام وحفاوة ، لأنه الدواء والشفاء لِكل الأسقام النفسية والقلبية ، وبدأ الغرب يُقبِلون عليه أفواجاً أفواجاً ، لِما لمسوه من صِدق الحديث ، ونقاوة الكلام ، وروحانية التعبير ، لكن أعداء الإسلام صَمّوا آذانهم عن هذا وبدأوا يشغلون الناس عن نداء الحق ، قال تعالى (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ) (1) .

فالمُستشرقون ماجعلوا من طريق إلا وسلكوه من أجل مُعاداة هذا الدين ، وأكبر وأعظم شئ يضربونه به هو الطعن بنبيه ، فقد إستخدموا جميع الألفاظ ، ومُختلف الأوصاف ليَثنوا الناس عن إتِّباعه ، لِما لَمسوه من إنتشار كبير للإسلام ، فضَرب عقور ديارهم ، ودخل إلى عُمق بيوتهم ، حتى أن صُحفهم ومنتدياتهم وصفوا النبي صلى الله عليه وسلم بأنه الأكثر تأثيراً على مستوى العالم ، لِما لَمسوه من كُثر أتباعه الذي وصلت أعدادهم اليوم حدود المليارين . وهذا لا يروق لدعاة الإلحاد والمرُوجين للديانات الأخرى ، فشدّوا الحزام ، وقرعوا طبول الحرب عليه صلى الله عليه وسلم ، فهذا المُستشرق الإنجليزي جون لوجيث ينفث سمومه وحقده وسفاهته حين يصف في الحديث عن سيد وِلد آدم على الإطلاق ويقول : " إنه الساحر والزاني ، ووضيع الأصل ، ومُنتحل شخصية المسيح ، والمُصاب بالصَرع ، الذي تأكل حمامة الحَب من أذنه ، ويحمل له الثور على قرنيه جرار اللبن والعسل .."(2) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وغيره الكثيرين ممن ساروا على نفس المنهج ، فوصفوه بالوصف الأقرب لنفوسهم وهو السِحر ، لما له من تأثير مُدوي بين جموعهم ، ومن قوة الحجة والدليل مما جعله الأكثر إتباعاً بين جميع الديانات ، (قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ)(3) . ومن المتوقع أن يغزوا الإسلام العالم في السنوات القليلة القادمة ، وما نشوء الجماعات المُسلحة التي يستخدمها الغرب للتشويش على الإسلام ؛ إلا وسيلة من وسائل إيقاف المَد الإسلامي في العالم .

فقُريش وضَعت الخطوط العريضة التي يَسير عليها أعداء الإسلام وإلى يومنا هذا ، ويستخدمون الوصف الذي إستخدمته قريش ، ويتحدثون بنفس المَنهجية وبنفس الإسلوب ، وما ذلك إلا غَيضاً من النبي صلى الله عليه وسلم ، وخوفاً منه على نفوذهم وسُلطانهم ، فقد كان حريصاً على هدايتهم

---

(1) سورة الأحقاف، الآية 7 .

(2) سامي سالم الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي- الظاهرة الإستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، دار المدار الإسلامي ، ط1، 2002، عدد الأجزاء 4 في مُجلدين ، ج3، ص9 .

(3) سورة يونس، الآية 2 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإنتشالهم من الضَلال والتَيه الذي كانوا فيه ؛ إلا أنهم أصروا على إيذاءه بهذه الألفاظ التي هُم أنفسهم غير مؤمنين بها ، " أمر النبي صلى الله عليه وسلم علياً أن يتخذ طعاماً ويدعوا إليه أشراف قريش من المُشركين ، فَفعل ذلك عليّ ، ودَخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ عليهم القرآن ، ودعاهم إلى التوحيد ، وقال : قولوا لا إله إلا الله ؛ لتُطيعكم العرب وتدين لكم العجم . فأبوا ، وكانوا يستمعون من النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون بينهم مُتناجين : هو ساحر وهو مسحور "(1) .

أما عن طريقة إسقاط هذه الشُبهه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيجب أن نتَّبع منهجية العقل والنقل في إثبات صِدقه صلى الله عليه وسلم ، وإزالة الشُبه عنه وعن رسالته ودعوته ، فالجواب على شُبهة السِحر أقول :

1 - لو كان محمد صلى الله عليه وسلم فِعلاً ساحراً ؛ لَعمّ سِحره جميع الناس ، لأن السِحر له سطوة وهيمنة على الإنسان ، فلو كان النبي ساحراً لسَحَر الناس جميعاً ولم يكتفي بأبي بكر وخديجة وعلي رضوان الله عليهم ، ولَما عانى في بادئ الأمر ولم يقف أحد غير هؤلاء معه . وأن القائلين بأنه سِحر يعلمون تماماً أن الساحر إذا سَحر الناس سَحرهم جميعاً ؛ فلماذا وقع السِحر على بعضهم دون البعض الآخر ؟ وقد أثبت ذلك القرآن الكريم حينما تحدث عن السِحر في التحدي الذي قام بين موسى عليه الصلاة والسلام وسَحرة فرعون . فسَحرة فرعون سَحروا كل من يشاهدهم حتى نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام (فَلَمَّا أَلقوا سَحَرُوا أَعيُنَ النَّاس وَاستَرهَبُوهُم وَجَاءُوا بِسِحرٍ عَظِيمٍ)(2) ، حَتَّى إن نبي الله موسى عليه السلام قد وقَع عليه السِحر فتَخيل الحبال أنها أفاعي تسعى ، قال تعالى (يُخَيَّلُ إِلَيهِ مِن سِحرِهِم أَنَّهَا تَسعَى)(3) . فهذا يدل على أن النبي عليه الصلاة والسلام ليس بساحر .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2 - كيف يكون محمد صلى الله عليه وسلم ساحراً وقد حَرم السِحر ؟ لأن القرآن الكريم حَرّم السِحر وذَكر عقوبته من أشد العقوبات ، فليس من المُمكن أن يمتهن الإنسان مهنة وهو نفسه يُحرمها ويُنكِرها ، ويذكر عقوبه لها ويُحرمها على أتباعه ، فهذا من باب التناقض في شخصية الفرد وهذا مُحال على نبي . وقد جاء في القرآن الكريم من الآيات الدالة على أن الساحر كافر كقوله تعالى (وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ)(4) . فقوله (وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ) يدل على أنه لو كان ساحراً ـ وحاشاه من ذلك ـ لكان كافراً ، وقوله (وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ) وهذا صريح القول في كُفر مُعلم السِحر ومُمتهنه . فكيف يكون الرسول صلي الله عليه وسلم ساحراً وأن الله سبحانه وتعالى ذكر حكمه في قوله تعالى (وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى)(5) ؟ فهذا دليل على التناقض .

---

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص96 .

(2) سورة الأعراف، الآية 116 .

(3) سورة طه، الآية 66 .

(4) سورة البقرة، الآية 102 .

(5) سورة طه، الآية 69 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3 - لو كان النبي عليه الصلاة والسلام فعلاً ساحراً لما سكتّ عنه قريش وهم يعلمون جيداً ماهو النبي وماهي أخلاقه وسلوكه وتصرفاته ، ولكنهم يعلمون سيرته وحُسن أخلاقه ، ومما يدل على إعتراف مشركي قريش بسيرة رسول الله صلي الله عليه وسلم العَطرة ، وأنه ليس كما رَموه به من أنواع التُهم المختلفـة ما قاله إبن إسحاق فقال : " يا معشر قريش أنه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد ، قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً أرضاكم فيه ، وأصدقكم حديثاً ، وأعظمكم أمانه ، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب ، وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر ، لا والله ماهو بساحر ، لقد رأينا السَحره ونفثهم وعُقدهم . وقلتم كاهن ، لا والله ماهو بكاهن ، قد رأينا الكهنة وتخالجهم وسمعنا سجعهم . وقلتم شاعر ، لا والله ماهو بشاعر ، قد رأينا الشِعر وسمعنا أصنافه كلها ، هزجه ورجزه ، وقلتم مجنون ، لا والله ماهو بمجنون ، لقد رأينا الجنون فما هو بخنقه ولا وسوسته ولا تخليطه ، يامعشر قريش ، فإنظروا في شأنكم ، فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم "(1) . ولو كانت إفتراءات المُستشرقين ممكنة ولها مُستند من العقل والواقع لما سكت المشركون عن مثلها ، ولما وصفوه بالطهر والعفة ، ولتكلموا عن سِحره من قبل أن يكون نبي ، ولشاع ذلك بين العرب ومن قبلَهم قريش .

كذلك لَما تفكروا وترددوا فيما يتهمون به النبي صلى الله عليه وسلم ، فهذا أبو جهل عندما أراد أن يطعن بالنبي فَكّر ملياً قبل أن ينطق بالتهمة ، قال تعالى (ثُمَّ نَظَرَ ، ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ، ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ، فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ، إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ)(2) ، ولو كان ساحراً لما فَكّر ولا تردد ولا تأنى في الحُكم .

4 - لو أن قريش تعلم أن محمد صلى الله عليه وسلم ساحراً لما تبِعه خيار الناس وصفوتهم ، فلو أن أتباع النبي من العامة والبسطاء لقلنا أنه سَحرهم ، ولكن من تبِعه من صفوة القوم ، فأبي بكر وخديجة وعلي وعمر رضي الله عنهم كانوا من أنبه الناس ، وأنبل القوم ، ومن المستحيل أن ينطلي عليهم السِحر أو الكهانة . وقريش كانوا في حيرة حقيقية ليس في أمر النبي صلى الله عليه وسلم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإنما في كيفية رده عن دينه وصدّه . " فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به . فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال : ورائي أني قد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط ، والله ماهو بالشِعر ، ولا بالسِحر ، ولا بالكهانه ، يا معشر قريش أطيعوني وإجعلوها بي ، وخلوّا بين هذا الرجل وبين ماهو فيه فإعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذي سمِعتُ منه نبأ عظيم ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فمُلكه مُلككم ، وعزّه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به . قالوا : سَحرك والله يا أبا الوليد بلِسانه ، قال : هذا رأيي فيه فإصنعوا ما بدا لكم "(3) . فلولا خوفهم على أنفسهم من أن يخسروا زعامتهم وسُلطانهم على العرب لآمنوا به بدون أي شك أو تردد .

---

(1) إبن هشام، السيرة النبوية، ج1، ص328 .

(2) سورة المدثر، الآية 21-25 .

(3) إبن هشام، السيرة النبوية، ج1، ص324 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني - الشِعر

الأسلوب الثاني من أساليب الحرب على النبي صلى الله عليه وسلم هو إتهامه بأنه شاعر ، وذلك لِما كان من بديع نظم القرآن الكريم ، وروعة أُسلوبه ، وبداعة صياغته للألفاظ والكلمات ، فكان العرب آنذاك هم أهل الشِعر والنثر والأدب ، وكانوا يعرفون جيداً ان القرآن الكريم ليس بشِعر ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم ليس بشاعر ، ولكن إتهامه بالشِعر نتيجة تخبط وعدم دراية لما يفعلوا ، وأن إسلوب الكلام الذي كان ينطقه النبي صلى الله عليه وسلم لم يألفه العرب من قَبل . فالقرآن الكريم كان يخاطبهم بلُغتهم صحيح ؛ إلا أنه أعجزهم وعجزوا عن إتيانهم بمثل نَظمه ، أو فهم كثير من ألفاظه ، فلما وصفوه بالشِعر كانوا في حيرة من أمرهم ، ولوقوفهم موقف العاجز الحيران عن أن يردّوا عليه أو يباروه . لذلك نرى المُستشرقين لم يتحدثوا عن هذا الأمر ألا نادراً ، والمُعادون للإسلام من غير العرب لم يتطرقوا له ، وإنما تحدث عنه فقط المُلحدون من العرب والمُعادون للإسلام والشيوعيون ، لأن الغير عربي لا يُمكنه الدخول بتفاصيل في الشِعر واللّغة والنحو والصرف ، لأنه غير مؤهل لخوض هكذا جدالات إلا قليلاً منهم ممن تعلم النقاط الأساسية لهذه العلوم ، لأن اللّغة العربية لا يتقنها إلا العرب بجميع أقسامها . ولا يمكن لغير العربي من الدخول بتفاصيلها لأنها لُغة العرب ولُغة القرآن ، وأن القرآن نزل بِلُغة العرب ، وبالتحديد نزل بِلُغة قريش ، والشِعر من اللّغة ، فهُم فيه نوابغ ، يعرفون نظمه وقوافيه ، ويعرفون رجزه وهزجه ، فلا يباريهم أحد من غير العرب مطلقاً في ذلك .

فهذا (رودنسون) المُستشرق الذي تَطرق إلى هذا الإتهام ووصف النبي عليه الصلاة والسلام بالشاعر فقال : " لم يكن ينتظر هذه الظواهر السمعية والبصرية غير العادية التي تبدت له ، وهكذا إستقبلها على طريقة سجع الكُهّان وقوافي الشعراء

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهو ما قدمه له المجتمع المكي في هذا الإطار ، وما إسراعه إلى خديجة وتدثره بدثار يُغطي رأسه إلا دليل على ما كان يفعله الكُهّان في زمانه ، لقد إنخلع فؤاده من هذا النموذج ولم يكن راضياً عنه ولكن لا بديل عنه "(1) . ولكن الله سبحانه وتعالى ردَّ على مثل هذا المُستشرق وغيره ممن ينسبون صفة الشِعر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخرسهم منذ 1400 سنه فقال تعالى (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ، وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ، وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ، تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ)(2) . لذلك قريش لم تُركز على هذه النقطة كثيراً بسبب أنهم فهموا وعلِموا أن كلام النبي عليه الصلاة والسلام فاق كل فنون الشِعر وأساليبه ، وأن النبي عليه الصلاة والسلام ليس بشاعر .

فعن إبن عباس رضي الله عنه قال : " أن الوليد بن المغيرة جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن ، فكأنه رقّ له فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال ياعم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً ، قال لِمَ ؟ قال ليعطوكه فإنك أتيت محمداً لتعرض ما قبله ، قال قد عَلمت قريش أني من أكثرها

---

(1) سامي سالم الحاج، نقد الخطاب الإستشراقي، ج2، ص111 .

(2) سورة الحاقة، الآية 40-43 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مالاً ، قال فقل فيه قولاً يبلغ قومك انك مُنكر له. قال وماذا أقول؟ فوالله ما منكم رجل أعرف بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه ولابقصيده مني ، ولا بأشعار الجن ، والله ما يشبه الذي يقول منه شيئاً من هذا ، والله إن لقوله الذي يقول حلاوة ، وأن عليه لطلاوة ، وأنه لمُثمر أعلاه مُغدق أسفله ، وأنه ليعلو ولا يُعلى ، وأنه ليُحطم ما تحته "(1) . فهذا دليل ثابت وصريح على أن أهل مكة يعرفون يقيناً أن النبي صلى الله عليه وسلم ليس بشاعر ، ولو أنهم عرفوا منه الشِعر قبل البعثة لكان سهلاً عليهم إبطال ما يدعيه وما يقوله ، لكن صفة الشِعر كانت ليس من صفاة النبي قبل البعثة ، وأن العرب قديماً كانوا يتميزون بهذه الصفة ، فإذا ما خرج شاعرٌ ذاع صيته بين العرب آنذاك ، ويتبارى في أنديتهم وأسواقهم الشعرية ، ويتعرف عليه غيره في مواسم الحج والتجارة ، لكن النبي عليه الصلاة والسلام لم يكن مطلقاً يمارس الشِعر ولا أي ضرب من فنونه حينها ، لذلك كان وصف قريش بالشِعر لم يكن من مصدر قوة ، وإنما هي محاولة من المحاولات اليائسة لإيقاف النبي عليه الصلاة والسلام عن دعوته ، ولإبعاد الناس عنه ، بالتالي فشلت كالعادة . قال تعالى (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ)(2).

والإستشراق إعتمد في إنساب صفة الشِعر للنبي عليه الصلاة والسلام على المَلَكة الفكرية والعقلية للنبي ، فعندما تحدثوا عن كونه شاعر ما أتى إلا من باب الفكر الواسع ، والحكمة الكبيرة ، والقدرة الواسعة على كسب الناس والتأثير فيهم ، والحضور الشخصي للنبي عليه الصلاة والسلام .

يقول - مونتجمري وات - : " أرى من وجهه نظري أن هنالك خيالاً خَلاقاً لدى محمد ، وأن معظم الأفكار الناجمة عن هذا الخيال صحيحة وعادلة ، ولكن جميع الأفكار القرآنية ليست كذلك .... ثم أن خيال محمد الخَلّاق فتح آفاقاً عميقة ، وأنتج أفكاراً إرتبطت بالقضايا الرئيسية للوجود الإنساني ، بحيث أصبح دينه يتمتع بجاذبية كبيرة ليس في زمانه فحسب بل خلال القرون التي تلته "(3) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فإستنتج الغرب أن النبي عليه الصلاة والسلام بأفكاره وإسلوبه وحضوره أنه كسب قلوب الناس بالعزف على وتر الحاجة ، وأن المجتمع فيه الكثير من الثغرات ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم تَطرق إلى هذه الثغرات ودخل إلى الناس من خلالها ومن خلال التَطرق لها . وبالواقع أن النبي عليه الصلاة والسلام فعلاً تَطرق إلى الثغرات الموجودة في المجتمع آنذاك ، ولكن ليس من باب كسب القلوب كما يَدّعي الغرب ؛ وإنما من أجل التصحيح ورفض الحرام والظلم ، ومن أجل إنقاذ المجتمع من مساؤه ، وتحقيق مبدأ العدل والرحمة الآلهيتين . فعندما قال الله تعالى عنه (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)(4) فهو فعلاً رحمة للناس بنشر العدل وتحقيق مبدأ التكافل ، وإنقاذ الضعيف من غياهب الظلم ، وتصحيح مسار العقيدة التي كان ينتهجها أهل قريش سابقاً ، وكثير من الأُمم حالياً ، وإظهار الحق الرباني .

---

(1) إبن كثير، البداية والنهاية، ج3، ص61 .

(2) سورة يس، الآية 69 .

(3) سامي سالم الحاج، نقد الخطاب الإستشراقي، ج2، ص115 .

(4) سورة الأنبياء، الآية 107 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول سيد قطب : " وصَدق القرآن الكريم ، فليس هذا النَسق شعراً ، ولكن العرب كذلك لم يكونوا مجانين ولا جاهلين بخصائص الشِعر ، يوم قالوا عن هذا النَسق العالي أنه شِعر ! لقد راع خيالهم بما فيه من تصور بارع ، وسَحر وجدانهم بما فيه من منطق ساحر ، وأخذ أسماعهم بما فيه من إيقاع جميل ، وتلك خصائص الشعر الأساسية ، إذا نحن أغفلنا القافية والتفاعيل . على أن النسق القرآني قد جمع بين مزايا النثر والشِعر جميعاً . فقد أعفي التعبير من قيود القافية الموحدة والتفعيلات التامة ، فنال بذلك حرية التعبير الكاملة عن جميع أغراضه العامة ، وأخذ في الوقت ذاته من الشِعر الموسيقي الداخلية ، والفواصل المتقاربة في الوزن التي تغني عن التفاعيل ، والتقفية المتقاربة التي تغني عن القوافي ، وضم ذلك إلى الخصائص التي ذكرنا ، فنشأ النثر والنظم جميعاً "(1) . لذلك من أسباب وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم بالشعر لتقارب ألفاظ القرآن ونسقه مع نسق الشِعر ونظمه ، بالتالي فأن هذا الإسلوب قد جعله الله لأمرين : الأول : ليحادثهم الله سبحانه وتعالى باللغة التي يفهمونها ، وليعلموا أن التعليمات إنما أُرسلت إليهم بالدرجة الأساس وأنهم المقصودون من هذا الكلام . والثاني : هو بنفس الوقت تحدي لهم على أن يأتوا بمثله أو أن ينظموا مثل نظمه بإعتبارهم هُم أهل اللغة والفصاحة ، وأن هذا الكلام هو من لُغتهم .. بالتالي بقي أهل مكة في حيرة من أمرهم ، فرموه بشتى التُهم والإفتراءات لَعل واحداً منها يلقي إستحسان الناس ، لكنها لم تنفع جميعها . (انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا)(2) .

قال إبن إسحاق : " ثم أن قريش إشتد إمرهم للشقاء الذي أصابهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أسلم معه منهم ، فأغروا برسول الله صلى الله عليه وسلم سفهاءهم ، فكذبوه وآذوه ، ورموه بالشِعر والسِحر والكهانة والجنون ، ورسول الله مُظهر لأمر الله لا يستخفى به ، مُبادلهم بما يكرهون من عيب دينهم ، وإعتزال أوثانهم ، وفراقه إياهم على كفرهم "(3) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومهما فَعل قريش من إلصاق التُهم بالنبي عليه الصلاة والسلام إلا أن العرب بِصِفتهم الذكية وقدرتهم على فهم الأمور بمجراها الصحيح ، ميزوا هذه الإتهامات وعَرفوا مغزاها وغاياتها ، فإنقلب السِحر على الساحر ، فبدل أن يضطهد العرب محمداً صلى الله عليه وسلم آمنوا به وأيدوه ، وعرفوا حقيقة أمره بذكاءهم وفطنتهم ، فأسلم الكثيرين منهم ، بل بلغ بالأمر بأن تُسلم القبيلة بأكملها بمجرد سماع كلامه صلى الله عليه وسلم . عن إبن عباس قال : " قدِم ضماد مكة ، وهو رجل من أزدشنؤة ، وكان يُرقى من هذه الرياح ، فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون : أن محمداً مجنون ، فقال : أين هذا الرجل لعل الله أن يشفيه على يدي ؟ فلقيت محمداً فقلت : إني أرقي من هذه الرياح ، وأن الله يشفي على يدي من يشاء فهلم . فقال محمد : (إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، من يهد الله فلا مُضلّ له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله لا شريك له) ثلاث مرات . فقال : أعد عليّ كلماتك هؤلاء ، فأعادهن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات . قال : فقال : لقد سمعت قول الكَهنة وقول السَحرة وقول الشعراء فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء . ولقد بلغن قاموس

---

(1) سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط17، 1425هـ 2004م، ص103 .

(2) سورة الإسراء، الآية 48 .

(3) إبن هشام، السيرة النبوية، ج1، ص319 .

البحر . قال : هات يدك أُبايعك على الإسلام . قال : فبايعه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وعلى قومك ؟ قال : وعلى قومي "(1) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وخلاصة القول في ذلك أن قريش عندما ألقوّا بتهمة الشِعر على النبي عليه الصلاة والسلام إنما ظناً منهم أنها ستُلاقي قبولاً لدى الناس ، ولأنها قريبة من التصديق بسبب طريقة نظم القرآن الفريدة ، ونقاوة الفاظه ، وعذب كلماته ، فلم يدع القريشيين أمراً قابلاً للتصديق إلا وطرقوه ، وإختيارهم للإتهامات إنما يأتي من علاقة بين التُهمة وبين مدى مقبوليتها عند الناس ، فالربط بينهما يكون قوي من ناحية ، ومن ناحية أُخرى تكون أوهن من خيوط العنكبوت عندما تُلاقي إستنكار ورفض من قِبل الناس بالعموم ، ومن قبل سادة قريش على وجه الخصوص . وأن أكبر جواب يدحض هذا الإتهام هو أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن بشاعر ولم يعرف العرب منه الشِعر ، ولم تلمس قريش من النبي ولا أي ضرب من فنونه ولا قوافيه ولا الفاظه ، فكيف يأتي بهكذا كلام لو أنه لم يكن بشاعر ؟ من الصعب على من لا يُتقن الشِعر ولا يعرف فنونه أن ينظم هكذا كلام في حضرة قريش وأهل الشِعر واللّغة والنثر .

المطلب الثالث - الكَهانة والجنون

من الإتهامات التي ألصقتها قريش بالنبي عليه الصلاة والسلام في حربها عليه وأصحابه هي الكهانة والجنون(2) ، وبما أن الهرطقات التي تخرج من الكاهن أو المجنون تقريباً تكون متشابهة في الطريقة ، فكِلاهما يخرجان من شخص يكون أكثر إنعزالاً ، وبطريقة غير مفهومة للآخرين ، مما جعل قريش يفكرون بإنساب هاتين التُهمتين للنبي صلى الله عليه وسلم ، فتارة يقولون أنه كاهن وقد إنتهل من الديانات الأخرى بعضاً من ضربها ، وتارة أُخرى يصفونه بالجنون لكي يصرفوا عامة الناس عنه ويعزلوه بمفرده عن عالَمه ومُحيطه ومُجتمعه . وقد أخذ الإلحاد والإستشراق منحى الكهانة أكثر من الجنون ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لأن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم واضحة للجميع ، ومن المستحيل أن يكون مجنوناً - حاشاه - ، لأنه معلوم لدى قومه ، وجميع أهل مكة يشهدون للنبي عليه الصلاة والسلام برجاحة العقل والإتزان في السلوك والتصرفات ، والكياسة في الأعمال والأفعال ، فتُهمة الكهانة أقرب إلى التصديق من الجنون . وقد شهِدوا للنبي بذلك ، وهذه الشهادة صدرت من أنبلهم ومن أشرفهم وهو النضر بن الحارث . قال إبن إسحاق : " فقال : يا معشر قريش أنه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد ، قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً أرضاكم فيه ، وأصدقكم حديثاً ،

---

(1) منير محمد الغضبان، فقه السيرة النبوية، ص151 .

(2) الكاهن:(الذي يأتيه الرئي من الجان بالكلمة يتلقاها من خبر السماء . والمجنون هو الذي يتخبطه الشيطان من المس)، تفسير إبن كثير، ج3، ص392 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأعظمكم أمانه ، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب ، وجاءكم بما جاءكم به قُلتم ساحر ، لا والله ماهو بساحر ، لقد رأينا السَحرة ونفثهم وعُقدهم . وقلتم كاهن ، لا والله ماهو بكاهن ، قد رأينا الكَهنة وتخالجهم وسمعنا سجعهم . وقلتم شاعر ، لا والله ماهو بشاعر ، قد رأينا الشِعر وسمعنا أصنافه كلها ، هزجه ورجزه ، وقلتم مجنون ، لا والله ماهو بمجنون ، لقد رأينا الجنون فما هو بخنقه ولا وسوسته ولا تخليطه ، يا معشر قريش ، فإنظروا في شأنكم ، فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم "(1) . فهذا الإعتراف كان يعلمه سادة قريش يقيناً لكنهم أبوّا إلا أن يُلصقوا به تهمه لتكون سبباً لهم في معاداته .

وأعداء الإسلام عَزفوا على نفس الوتر ، وإستندوا إلى قول قريش بحق النبي صلى الله عليه وسلم في جانب الجنون ، فهذا (موير) يتعرض إلى سرد السيرة بالكيفية التي سردها بقية المُستشرقين فقال : " غير أنه يؤكد في أكثر من مقام ذِكر الجن ومدى تأثيرهم في العقلية العربية في ذاك الزمان حتى خشي محمد أن يكون ما حصل له من الوحي هو عبارة عن ضرب من الجنون أو بفِعل الجن والأرواح الشريرة الأُخرى "(2) . فكُل أعداء الإسلام اليوم إنما يستندون إلى السيرة في إستنباط الشُبه وإسنادها إلى شخص النبي صلى الله عليه وسلم ودعوته ، ويأخذون كلام قريش بمحمل الجد في ذلك ، والأسباب التي دعت قريش لهذا الكلام ، ويغفلون عن إعترافاتهم بحق النبي صلى الله عليه وسلم في إثبات قوة شخصيته ورجاحة عقله وإتزانه ، فمن ناحية يقوم سادة قريش بمدح النبي صلى الله عليه وسلم بأجمل المديح ، ومن ناحية أُخرى يختمون هذا المدح بإلقاء التُهم وإلصاقِهم بصفة مُخله به صلى الله عليه وسلم ، فالعدو يأخذ التُهمه ويغفل عن ما قبلها من المديح .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" لا والله ما هذا لكم برأي ، ألم تروا حُسن حديثه ، وحلاوة منطقه ، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به ، والله لو فعلتم ذلك ما آمنتم أن يحل على حي من العرب ، فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ، ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم بهم في بلادكم ، فيأخذ أمركم من أيديكم ، ثم يفعل بكم ما أراد "(3) . فقد ذكروا محاسنه وأوصافه صلى الله عليه وسلم قبل أن يحتاروا فيمَ يقولون فيه .

فيشترك الجنون والكهانة بأمور منها الهرطقات تكون متشابهة ، والاثنين يشتركون في أن الشيطان يتدخل في عملهما ، وكذلك يتشابهون في ميلهم إلى العُزلة عن الآخرين ويكثِرون من الخلوات حتى يظهروا للناس بإمور غير مفهومة ، وإستندوا في إتهام النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك لِما كان من محبته للخلوة ، وكذلك قوله من القرآن بما لا يفهمه أهل مكة وأهل اللغة ، فشَرد بهم الفِكر بأن يتهموه بهذه التُهم . " وكانوا يقولون عنه مرة أنه كاهن ، ويقولون عنه مرة أنه مجنون ، ويجمع بين الوصفين عندهم ما كان شائعاً بينهم أن الكهّان يتلقون عن الشيطان ، وأن الشيطان كذلك يتخبط بعض الناس ، فيصابون بالجنون . فالشيطان هو العامل المشترك بين الوصفين : كاهن ومجنون !

---

(1) إبن هشام، السيرة النبوية، ج1، ص328 .

(2) سامي سالم الحاج، نقد الخطاب الإستشراقي، ج2، ص120 .

(3) إبن هشام، السيرة النبوية، ج2، ص123 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكان يحملهم على وصف النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الوصف أو ذاك ، أو بقولهم شاعر أو ساحر ، كان يحملهم على هذا كله موقفهم مبهوتين أمام القرآن الكريم المُعجز الذي يبدههم بما لم يعهدوا من القول ، وهم أهل القول ! ولما كانوا لا يريدون - لِعلة في نفوسهم - أن يعترفوا أنه من عند الله ، فقد إحتاجوا أن يعللوا مصدره المتفوق على البشر . فقالوا : أنه إيحاء الجن أو بمساعدتهم ، فصاحبه أما كاهن يتلقى من الجن ، أو ساحر يستعين بهم ، أو شاعر له رئي من الجن ، أو مجنون به مس من الشيطان ينطقه بهذا القول العجيب ! "(1) .

كل هذا وقريش حائرة في كيفية إيقاف النبي صلى الله عليه وسلم عن دعوته وتبليغه لما جاء به من عند الله ، فلم يدعوا باباً من أبواب السوء إلا وطرقوه ، ولم يدعوا منفذاً من منافذ الشر إلا وسلكوه ، بل وصل بهم الأمر إلى أن يدفعوا ببقية القبائل لإيذاء النبي ، وأوسدوا المهمة إلى صغارهم وصبيانهم وسفهاءهم ، فإشترك الجميع في هذه الحرب ، كلٌ من جهته ، وكل فرد وحسب قدرته وإستطاعته ، فمنهم الشاعر يهجوه ، ومنهم السفيه فيضربه صلى الله عليه وسلم ، ومنهم الزعيم فيتهمه ، ومنهم المُتبحر بالعلوم فيجد المُبرر والمَنفذ لغيره . قال إبن إسحاق : " ثم أن قريش إشتد إمرهم للشقاء الذي أصابهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أسلم معه منهم ، فأغروا برسول الله صلى الله عليه وسلم سفهاءهم ، فكذبوه وآذوه ، ورموه بالشِعر والسِحر والكهانة والجنون ، ورسول الله مُظهر لأمر الله لا يستخفى به ، مبادلهم بما يكرهون من عيب دينهم ، وإعتزال أوثانهم ، وفراقه إياهم على كُفرهم "(2) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لكن الله عَصم النبي من كل هؤلاء ، وجعل الطريق أمامه سالكه ليصدح بدعوته ، ويُعلي من شأنها بين القبائل ، حتى إذا ما إنتشر خبر إلا وأتى إليه وفود يبايعونه ، وما إشتد الأذى إلا وَسرّ النبي صلى الله عليه وسلم بإسلام الجموع من مُختلف القبائل ، فكانوا يأتون ليشاهدوا أمر النبي الذي ظهر فجأة بين أظهر المكيّن ، فيتفاجئ أهل مكة بإسلام من أتى . عن إبن عباس قال : " قدم ضماد مكة ، وهو رجل من أزدشنؤة ، وكان يَرقى من هذه الرياح ، فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون : أن محمداً مجنون ، فقال : أين هذا الرجل لعل الله أن يشفيه على يدي ؟ فلقيت محمداً فقلت : أني أرقي من هذه الرياح ، وأن الله يشفي على يديّ من يشاء فهلم . فقال محمد : (أن الحمد لله نحمده ونستعينه ، من يهد الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله لا شريك له) ثلاث مرات . فقال : أعد علي كلماتك هؤلاء ، فأعادهن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات . قال ، فقال : لقد سمعت قول الكهنة وقول السَحرة وقول الشعراء فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء . ولقد بلغن قاموس البحر . قال : هات يدك أبايعك على الإسلام . قال : فبايعه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وعلى قومك ؟ قال : وعلى قومي "(3) .

---

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج6، ص3396 .

(2) إبن هشام، السيرة النبوية، ج1، ص319 .

(3) منير محمد الغضبان، فقه السيرة النبوية، ص151 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد طرح الغرب قضية الكهانة لكن بطريقة أُخرى في الشكل ، واحدة في المضمون ، على أنها ليست كهانة ، فقد زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم إخترع الدين والوحي والرسالة أسوة باليهود والنصارى ، وأن النبي لمس بأن المجتمع بحاجة إلى ديانه ، وأن قريش كانوا مُستعدين لها ويتمنونها ، فقد قالوا من قبل لو أن لنا دين كاليهود والنصارى لتشبثنا به ، فقرر النبي صلى الله عليه وسلم أن يخترع قصة الوحي والدين . فهذه الشبهه ضاهرها أمر مُختلف ؛ إلا أنها تميل إلى التكهن والسجع ، طالما إرتبط الدين بالكلام المُنزل من السماء ، والذي عجز عنه كل البشر وإلى يومنا هذا ، فإرتباط الدين بالقرآن يشكل عقدة عند أعداء الدين ، لأن القرآن إحتوى على مشابهات السجع من كلمات وتشكيل جُمل ، إلا أن السجع معلوم لدى العرب ، فما هو القرآن ؟

و(مُوير) المُستشرق الذي دَرس السيرة ، وعَرف قصة حياة النبي صلى الله عليه وسلم بكل تفاصيلها بدأ يضع الإستنتاجات التي توّصل إليها عقله المريض ، ويحاول (موير) أن يُفسر الرسالة الإسلامية بإعتبارها إنعكاساً لرغبات المجتمع المكي عندما يقول : " أن أهل قريش كانوا يغبطون اليهود والنصارى ، وكانوا يرونهم أهل ديانات سماوية ولديهم أنبياء أُرسِلوا إليهم من بينهم ، وكان أهل مكة يقولون لو أُرسال إلينا نبي لإتبعناه ولأصبحنا مُساوين لليهود والنصارى ، بل ولأصبحنا أهدى منهم ... شعر محمد بقوة هذه الحجة وأهميتها كما يقول (موير) وقد توافقت هذه الآراء مع تفكيره الذي تطور تدريجياً في عقله ، حتى قاده لذلك التطور إلى إعتقاد أن الله أرسله نذيراً وبشيراً لقومه ، ولكن مفهوم رسالته لم تكن واضحة منذ البداية في ذهنه ومن هنا كان ذلك الشك فيها حتى حاول الإنتحار وحتى أصابه مرض عصبي من جراء ذلك "(1) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهذا الكلام يُريد صاحبه أن يَصل إلى نتيجة بأن محمداً صلى الله عليه وسلم أما أنه إعتمد على رغبة قريش في إحتضان دين يشابه دين اليهود والنصارى فإستخدم السَجع كوسيله له ؛ أو أنه صلى الله عليه وسلم مجنون - حاشاه - فأوصله جنونه إلى الإنتحار . ولكن الله سبحانه وتعالى ردّ عليه وعلى أمثاله فقال (فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ)(2) . وهذا ما نُسَلِم إليه ونؤمن به حقاً ويقيناً . وأن ما سواه باطل وناتج عن حقد دفين على الإسلام ورأس هرمه النبي محمد صلى الله عليه وسلم . وأن الديانات الأخرى لن يهدأ لها بال إلا بعد أن تقضي على الإسلام الذي هدَم عروشهم ، وأبطل إدعاءاتهم ، وفنّد أقاويلهم ، وسَحب البساط من تحتهم ، وجعل أُمة محمد صلى الله عليه وسلم خير الأمم ، وأنها الآخرة في الإستهداف والأولى في الأفضلية ، وأنها الشاهدة على جميع الأمم يوم القيامة .

فالرد الأمثل على هذه الفِرية بالحقيقة تتجلى في نقاط :

1 - أن النبي صلى الله عليه وسلم معلوم لدى قريش ، ومعلومة سيرته وأخلاقه وسجاياه لديهم ، ولو أنه فعلاً كانت لديه هذه الخِصال لما سكتَ عنها قريش ، ولو أنهم عرفوا عنه الجنون أو السجع

---

(1) سامي سالم الحاج، نقد الخطاب الإستشراقي، ج2، ص119 .

(2) سورة الطور، الآية 29 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقامت الدنيا ولم تقعد ، ولما أطاعه عِلّية القوم وكُبراءها ونُبلاءها ، ولو أن النبي كان كاهناً لعرفوه ولم تتجاوز دعوته جبال مكة ، لأن هذه الافتراءات إنما لإيقافه صلى الله عليه وسلم وتأخيره عن دعوته . هذا في العقل ، فكيف يتبع كبار قريش وأشرافها رجل مجنون معلوم الجنون ؟ أما من النقل فقد زكّاه الله تعالى عن هاتين الخِصلتين بقوله (فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ)(1) ، وهذه أكبر شهادة للنبي بعِصمته من هاتين الشُبهتين .

2 - لو أن النبي كاهن ولديه سجع ، فالسجع يقابله سجع مثله ، ولو أن كلامه من عادات الكهّان لخرج من الناس كاهن مثله أجابه على أقواله ، ولقال كلاماً مثل كلامه ويُمكن أن يكون أفضل ، لكن التحدي كان واضحاً على أن يأتوا بمثل سورة من سُوَره ، قال تعالى (وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)(2) .

3 - القرآن الكريم أثبت صِدقه وصحة وروده من قِبل الله عز وجل على قلب النبي صلى الله عليه وسلم بأمور منها أنه أخبر عن أشياء ستحدث في المستقبل وحدثت ، ولو أنه سجع فكيف أنه سيخبر عن أشياء تتحقق في المستقبل ؟ ومنها أنه أخبر عن حقائق شَهد لها أصحاب الديانات الأخرى ، بالإضافة عن كون القرآن مُعجز بألفاظه ونظمه ومعانيه .. وأن النبي صلى الله عليه وسلم تنبأ به من هم أهل الخبرة والمعرفة من مُعتنقي الديانات الأخرى كبحيرا الراهب وورقة بن نوفل . وبرزت سمات النبوة منذ نعومة أظفاره صلى الله عليه وسلم ، ورافقته إلى أن نزل عليه الأمين جبريل عليه السلام . فكيف يكون مجنون أو كاهن ؟

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني : التحديات التي وُجِهت للرسول محمد صلى الله عليه وسلم

خلال فترة الدعوة التي قضاها النبي محمد عليه الصلاة والسلام في مكة ، كان هنالك سجالات وتباري بينه وبين أهلها أيهم يبلغ الحجة أكثر من الآخر . فالنبي صلى الله عليه وسلم أقام الحجة والدليل على نبوته وصدق ما أتى به ، وقريش إستقتلت في الدفاع عن مبادئها ومُعتقداتها وسيادتها ، لكن الشئ المُختلف دائماً أن النبي صلى الله عليه وسلم صاحب الحجة الأقوى والأبلغ ، وقريش كانوا في موقف المُدافع والذي يصد الهجمات ، وهذا أتى من قوة حجة النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن ضعف حجج قريش .

والله سبحانه وتعالى ذَكر بعضاً من أَوجه التحدي التي أطلقها المُشركون آنذاك قاصدين إضعاف

---

(1) سورة الطور، الآية 29 .

(2) سورة البقرة، الآية 23 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النبي صلى الله عليه وسلم فقال (وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ، أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ، أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ، أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ، وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا)(1) . وغيرها سأذكرها في نقاط .

فكلما يثبت النبي صلى الله عليه وسلم أمراً ما ، تقوم قريش بالإلتفاف على هذه الحجة بطلب أمر تعجيزي أو تُهمة يلصقونها به صلى الله عليه وسلم ، أو أن يُشَبهوا أنفسهم بالأقوام السابقه فيطلبوا ما طلب أسلافهم من مُعجزات وأمور كبيرة خارقة للعادة ، لا لأنهم بحاجة إلى دليل ليؤمنوا ؛ وإنما هيوسيلة من وسائلهم لإثناء النبي صلى الله عليه وسلم عن دعوته ، وإحراجه أمام قومهم ، ليُبعدوا الناس عنه وليُضعِفوا دعوته وليُحجموا من أمر رسالته . وبما أنهم كانت لديهم فكرة عما جرى في الأقوام السابقة ؛ فقد طلبوا من الرسول بعض المعلومات للتأكد من صحة النبوة ، أو لعرقلة النبي عن التقدم في سعيه لكسب القوم . " فجاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يامحمد أخبرنا عن فتية ذهبوا في الدهر الأول قد كانت لهم قصة عجب ، وعن رجل كان طَوّافاً قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، وأخبرنا عن الروح ما هي ؟ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أُخبركم بما سالتم عنه غداً ، ولم يستثن ، فإنصرفوا عنه "(2) . وبما أنهم يعرفون قصة أصحاب الكهف ؛ وقصة ذو القرنين ؛ فبالتأكيد يعلمون موضوع النبي الذي بَشّر به عيسى عليه السلام ، لأن أصحاب الكهف وذو القرنين أقدم زماناً من بشارة عيسى عليه الصلاة والسلام . وهذا النبي كلٌ يطمع أن يكون منهم ، فاليهود والنصارى أكثر الناس طمعاً أن يكون النبي الأخير منهم ، لما له من ميزات ومنزلة كبيرة ، فكيف يُفَرّط قريش بهذا النبي ؟

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كذلك قاموا بطلب جُملة من الأمور الغير قابلة للتحقيق من قِبل البشر ، والتي هي من شأن الله عز وجلّ وحده ، والنبي صلى الله عليه وسلم ما هو إلا نبي رسول مأمور بتبليغ الرسالة ، ولديه مُحددات تُحدد من عمله وأسلوب دعوته ، لأنه في النهاية بَشر لاقُدرة له على تحقيق الغير معقول ، ولا يستطيع تلبية مطالبهم التعجيزية . (وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يُنَزِّلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)(3) . فالله سبحانه وتعالى قادر على أن يُلبي جميع طلباتهم ولكن الحِكمة الآلهية في ذلك سأذكرها نهاية هذا المبحث ، لأنها تتعلق ببقاءهم ووجودهم على سطح الأرض . وليس كما يفهمون هُم بأن الله لا يُمكنه أن يُحقق له طلباتهم ، أو أن النبي عليه الصلاة والسلام ليس بنبي ولا يمكنه طلب شئ من الله سبحانه وتعالى ، وأن النبي ليس لديه منزلة عند الله ليحقق له طلباته ، (وَقَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)(4) . فمِلة الكفر واحدة ، وتفكيرهم واحد ،

---

(1) سورة الإسراء، الآية 90-94 .

(2) إبن هشام، السيرة النبوية، ج1، ص329 .

(3) سورة الانعام، الآية 37 .

(4) سورة البقرة، الآية 118 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأسلوبهم واحد ، وهو أنهم يريدون كل شئ ، بالمقابل لا يعطون أي شئ ، بالتالي إن تحققت طلباتهم فهُم المستفيدون ، وإن لم تحققت طلباتهم لِزموا الحجة على أنبياء الله .

" وهذا إخبار من الله تعالى ذَكره نبيَّه محمدًا صلى الله عليه وسلم ، عن هؤلاء القوم الذين يعدلون بربهم الأوثانَ والآلهة والأصنام . يقول تعالى ذكره : وكيف يتفقهون الآيات ، أم كيف يستدِلُّون على بُطْلان ما هم عليه مُقِيمون من الكُفر بالله وجحودِ نبوتك ، بحجج الله وآياته وأدلته ، وهم لعنادهم الحقَّ وبعدِهم من الرشد "(1) .

فما طلبته قريش من النبي صلى الله عليه وسلم إنما أمور مادية دنيوية لا تتناسب مع الدعوة السماويةوالرسالة الربانية التي جاء بها المصطفى عليه الصلاة والسلام ، فهُم ماديون بطلباتهم ، و دعوة النبي عليه الصلاة والسلام إلهية سماوية ، فَشتّان مابين الأمرين ، لذلك كان عاجزاً عن ذلك ، فهو لم يأتي من أجل الدنيا وملذّاتها ومفاتنها ورغباتها ، ولم يأتي للناس بأمور لا تنفعهم ولا تعصمهم من الله ، فقد أتى بشئ من نوادر هذه الحياة ، إنقاذ للبشرية من الظلام والظلال ، رحمة ونور وسلام لهم لو فَقِهوا .

أما عن التحديات التي تحدى بها أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم فسأذكرها في نقاط وحسب ماورد منها في سورة الإسراء ، فهي كالتالي :

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أولاً : إعادة الخَلق بعد الموت . من الأمور المُختَلف في تفسيرها لدى الأمم السابقة هي ماسيكون للميت بعد موته ، فمنهم من يعتقد أن الميت ستكون له حياة أُخرى لذلك يقومون أما بحرقه أو تحنيطه أو دفنه ، مثل المصريين القدامى . " يعتقد المصريين القدماء سنه 2600 ق.م أو قبل ذلك بحياة أخرى بعد الموت ، يلقى الفرد جزاءه على ما فَعل خير أو شر ، وهذه العقيدة لم تكن قاصرة على طبقة الكهنة ، بل تعدتهم إلى الأوساط الشعبية "(2) . ومنهم من يقول أن الإنسان تنتهي حياته بموته وخروج روحه ، كالهندوس . " لا يعتقد الهندوس بالحياة الأخرى التي يكون فيها الجزاء ، ولكنهم يعتقدون بالكارما أي قانون الجزاء ، ويعني أن جميع أعمال البشر الأختيارية خيراً كانت أم شراً لابد أن يجازى عليهم بالثواب أو بالعقاب ، بناءً على ناموس العدل الصارم ، وهذا الجزاء يكون في الحياة "(3) . وهذا قول المُلحدين والمُنكرين للبَعث . لذلك بقيت إلى الآن فِرق وطوائف تعتقد بما ذكرت . وجاء الإسلام وبَيّن هذه الحقيقة وهي أن الإنسان تكون له حياتين بينهما فاصل ، وهو الموت ، وأن الحياة الأبدية والأصلية هي الحياة الثانية ، والتي هي القرار والمُستقر ، والتي فيها تُرَد المظالم وتُستَرَد الحقوق ، ويُجازى كل إنسان على أعماله ، إن كانت خيراً فخير ، وإن كانت شراً فشَر . (وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)(4) . لذلك عزف القريشيين على هذا الوتر إستفهاماً منهم بهذه المسألة وتشكيكاً وصداً للنبي

---

(1) تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج3، ص222 .

(2) قحطان الدوري، العقيدة الإسلامية ومذاهبها، ص610 .

(3) نفس المصدر السابق ، ص616 .

(4) سورة العنكبوت، الآية 64 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

صلى الله عليه وسلم . وقد صَوّر القرآن الكريم هذه الشُبهه بقوله تعالى (وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا)(1) . فهو سؤال يحتمل الإستفهام والتشكيك . وهو لإعجاز النبي صلى الله عليه وسلم عن الجواب أقرب منه للإستفهام عن المعلومة . لكن الله سبحانه وتعالى وَصف بمن يُشكك بالبعث بعد الموت بالكافرين ، وأن جزاءهم جهنم فقال (ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا)(2) .

وفي خِضم السؤال عن هذا الأمر جاء الجواب الآلهي مُزلزلاً للمُشككين ، ومُبيناً للمُستفهمين ، ليقطع الشك على السائلين ، والحيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في الإجابة فقال تعالى (قُلْ كُونُواحِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ، أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا)(3) . فأخرس القرآن الكريم هذه الألسن ، وبيّن لهم هذه الحقيقة الكبرى التي سأل عنها المشركون ، وشكك بها المُلحدون ، من ملاحدة قريش وملاحدة العصر الحديث ، والتي يؤمن بها المؤمنون إيماناً قاطعاً .

ثانياً : إزالة الجبال أوتحويلها ذهباً . فمكة كما هو معلوم تُحيطها الجبال من كل الجهات ، فهي تقع بِواد منخفض بين جبال كبيرة وعظيمة ، فأمكانية الزراعة فيها ضعيفة جداً ، ولا يعتمدون عليها إلا قليلاً منهم ، والأرض جبلية صخرية وعرة ، فتارة يطلبون من النبي صلى الله عليه وسلم أن يُحوّل الجبال ذهباً ، وهذا الأمر تعجيزي بالطبع أو فوق إمكانيات النبي صلى الله عليه وسلم ، وأكثر مما يستحق أهل مكة ، فتحويل الجبل إلى ذهب هذا يُعتبر من نوادر كنوز الأرض ، عن عبد الله بن عباس رضى الله عنه قال : (قالت قريش للنبي صلى الله عليه و سلم : إدع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهباً ونؤمن بك . قال : وتفعلون ؟ قالوا : نعم . قال : فدعا فأتاه جبريل فقال : إن ربك عز و جل يقرأ عليك السلام ويقول إن شئت أصبح لهم الصفا ذهباً ، فمن كفر بعد ذلك منهم عذبته عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين،وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة. قال: بل باب التوبة والرحمة)(4).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتارة أخرى يطلبون من النبي صلى الله عليه وسلم أن يبعد الجبال عن مكة ، أو ينسفها وتسويتها بالأرض حتى تنفتح المدينة ويتنفس أهل مكة ، فهُم بهذا يكذبون ، فهم تعودوا على الجبال ، ولا يمكنهم العيش بدونها ، وأنها أصبحت جزء من حياتهم الصحراوية البدوية القاسية ، لكن هذا الطلب جاء تحدي للنبي صلى الله عليه وسلم ، " سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهباً ، وأن ينحي الجبال عنهم فيزدرعوا ، فقيل له : إن شئت أن تستاني بهم ، وإن شئت أن تؤتيهم الذي سألوه ؛ فإن كفروا أُهلكوا كما أُهلكت من كان قبلهم ، وإن شئت أن تستاني بهم ؛ لعلنا نستحيي منهم ، قال : لا بل أستاني بهم "(5) .

---

(1) سورة الإسراء، الآية 49 .

(2) سورة الإسراء، الآية 98 .

(3) سورة الإسراء، الآية 50-51 .

(4) الالباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج7و8و9 (بنفس المجلد 7)، ص1157 ، رقم الحديث (3388) .

(5) نفس المصدر السابق، ص1159 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والسبب في أنه لم يعطهم ما أرادوا ذكرته سابقاً هو خوفاً عليهم من أن يَحِل عليهم غضب الله فيُهلكهم أو ينسفهم من الأرض نسفاً ، والأحاديث السابقه دليل على ذلك .

ثالثاً : تفجير ينابيع الماء من الأرض . إفتقر أهل مكة إلى الماء العذب ، فقد كان جُل إعتمادهم على الآبار ، فلم يكن يعرفون الينابع(1) والعيون ، ولم يكن يعرفون الأنهار ولا البِحار ؛ إلا ما يسمعون عنها من الأخبار ، فجاءتهم الفرصة في أن يطلبوا ينابيع الماء أن تتفجر لهم بالماء العذب ليشربوا منه ، فطلبوا من النبي عليه الصلاة والسلام هذا الطلب ، فأن تحقق كان هذا مرادهم مع عدم إيمانهم ، وإن لم يتحقق لهم ، وعجز النبي صلى الله عليه وسلم عن تنفيذه ؛ كان لهم بهذا غنيمة ، فيحاربوه بها ويستندوا عليها في إضعاف النبي صلى الله عليه وسلم خصوصاً أمام قومهم وأتباعه .

" قالوا : يا محمد ، فإن كنت غير قابل منا شيئاً مما عرضناه عليك فإنك قد علمت أنه ليس من الناس أحد أضيق بلداً ، ولا أقل ماءً ، ولا أشد عيشاً منا ، فسل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به ، فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا ، وليبسط لنا بلادنا ، وليفجر لنا فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق ، وليبعث لنا من مضى من آبائنا ، وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصي بن كلاب ، فإنه كان شيخ صدق ، فنسألهم عما تقول : أحق هو أم باطل ، فإن صدقوك وصنعت ما سألناك صدقناك ، وعرفنا به منزلتك من الله ، وأنه بعثك رسولاً كما تقول "(2) .

فوضعوا الشرط لأيمانهم به إن يحقق لهم النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ، وأن تحقق فلن يؤمنوا ، هذا كله تقليدا لمن سبقهم من الأقوام ، ومكراً من عند أنفسهم ، قال تعالى (وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا)(3) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعاً : أن تكون للنبي صلى الله عليه وسلم جنة من نخيل وعنب . فمكة بطبيعتها الجغرافية تفتقر إلى الزراعة والزرع ، لأنها ذات طبيعة جبلية حجرية كما ذكرت آنفاً ، فكانوا يغبطون بقية المناطق التي تزدهر بالبساتين والثمار والزراعة كالطائف ويثرب ، فهُم في طلباتهم يتمون ويتخيلون ، ثم يطلبون من النبي صلى الله عليه وسلم ما يحلمون . ومن ضمن الطلبات التي طلبوها من النبي هو أن يجعل لنفسه أو يجعل لهم جنات من نخيل وثمار وأعناب وزرع ليستفيدوا منها ويتمتعوا بها . قال تعالى (أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا)(4) . فالطلبات بالحقيقة هي تحديات يتحدون بها النبي صلى الله عليه وسلم ليثبت لهم صدقه ، وهي وسيلة من وسائل الهجوم عليه وإضعافه أمام قومه ، وهي أيضاً إسلوب من أساليب تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم وإظهاره بمظهر الكذاب - حاشاه - أمام الناس .

خامساً : إسقاط الكِسف من السماء . فقريش كانت السماء تعني لهم الكثير ، فالنجوم يعتمدوا عليها في الترحال والسفر، وعندما يخرجوا للصيد وأن يهتدوا بها، والليل والقمر للتغزل والشِعر والسَمر .

---

(1) (الينبوع هو العين الجارية)، تفسير إبن كثير، ج2، ص400 .

(2) السيرة النبوية، لابن هشام، ج1، ص325 .

(3) سورة الإسراء، الآية 90 .

(4) سورة الاسراء، الآية 91 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فلما نزلت الآيات ومنها التهديد والوعيد ؛ طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يَروّا جزءاً من العقوبة التي هددهم بها القرآن الكريم ، فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم وتحدوه بأن ينزل عليه كِسفاً(1) من السماء ليروا صدق ما يقول . فهم طلبوا بأنفسهم أن ينزل عليه العقاب ، وتحدوا بأن تُطبق عليهم السماء أو قطعة منها فقالوا (أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا)(2) . فقد وصل بهم الأمر إلى أن يتحدوا النبي صلى الله عليه وسلم بأن تحلّ بهم الأذية والعقوبة ، فيا لها من جُرأة على الله ورسوله ، " قالوا : فإسقط السماء علينا كسفاً كما زعمت أن ربك إن شاء فَعل ، فإنا لا نؤمن لك إلا أن تفعل ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذلك إلى الله ، إن شاء أن يفعله بِكم فَعل . قالوا : يا محمد ، أفما علم ربك أنا سَنَجلس معك ونسالك عما سألناك عنه ، ونطلب منك ما نطلب ، فيتقدم فيعلمك ما تراجعنا به ، ويخبرك ماهو صانع في ذلك بنا ، إذ لم نقبل منك ما جئتنا به ! "(3) .

وحتى لو أُنزِلت عليهم هذه القطعة من السماء ، ولو رأوها عياناً لكفروا بها . فالله سبحانه وتعالى يعلم مافي السرائر ومُطّلع على مايُفكرون ، فأخبرنا أنه لو تحقق لهم ما أرادوا لنكِروا ولكفروا به ، قال تعالى (وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ)(4) ، فالله سبحانه وتعالى يعلم ماهي أعذارهم لو تحقق لهم مُرادهم ، لكن لم يحقق لهم لكي لا يصيبهم العذاب الآني . " وأن يَرَ هؤلاء المشركون ما سألوا من الآيات ، فعاينوا كسفاً من السماء ساقطاً ، لم ينتقلوا عما هم عليه من التكذيب ، ولقالوا : إنما هذا سحاب بعضه فوق بعض ، لأن الله قد حتم عليهم أنهم لا يؤمنون "(5) . فالله سبحانه وتعالى لم يشأ لهم الإيمان ، وتركهم يسرحون ويمرحون حتى إذا أخذهم لم يفلتهم .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سادساً : أن يأتي بالله والملائكة قبيلاً . فبإزدياد أمر العِناد الذي إعترى أهل مكة بطلباتهم والتي زادت عن المعقول . زاد طُغيانهم وتكبرهم وتجبرهم على الله ورسوله والمؤمنون ، فقد كان طلبهم أن يأتي الله والملائكة قبيلاً(6) . من أكثر الطلبات تحدياً للنبي صلى الله عليه وسلم ، وهو يدل على عنجهية قريش وتمردهم الذي وصل حدود فوق المنطق والعقل . وفي تحديهم هذا إنما تحدي لله واضح وصريح ، وهذا التحدي لا يكون إلا إذا أحسّت قريش بجبروتها المُعتاد وطغيانها الذي ملأ الأرض التي يمشون عليها ، والله سبحانه وتعالى ذكر هذا التحدي في سورة الإسراء فقال (أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا)(7) ، ليُشهد جميع المسلمين على عصيان قريش وتعنّتهم وتكبرهم على الله ورسوله .

وكان طلبهم يحتمل تفسيرين ، أقلهما شأناً هو عصيان الله علناً ، وتحدي له سبحانه ، والإستعلاء والغرور من قِبَلهم . فالقول الأول : هو أن يأتي الله والملائكة من قبيل المقابلة ، أي وجهاً لوجه أمام

---

(1) والكسف جمع كِسفة ، مثل تمر جمع تمرة .. والكسف من السماء اي قطعة من السماء . تفسير الطبري، ج7، ص137 .

(2) سورة الاسراء، الآية 92 .

(3) إبن هشام، السيرة النبوية، ج1، ص326 .

(4) سورة الطور، الآية 44 .

(5) تفسير الطبري، ج7، ص137 .

(6) القبيلا هو جمع قبيله ، أي : باصناف الملائكة قبيلة قبيلة . وقيل : ضمناء يضمنون لنا اتيانك به . القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص176 .

(7) سورة الإسراء، الآية 92 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قريش فيسألون الله والملائكة عن صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم . والقول الثاني : هو أن يأتي الله سبحانه وتعال والملائكة من كل قبائلها ، وليس يكتفون بقبيلة واحدة من الملائكة . ويرجح الإمام الطبري القول الأول فيقول : " وأشبه الأقوال في ذلك بالصواب ، القول الذي قيل : أنه بمعنى المُعاينة ، من قولهم : قابلت فُلاناً مقابلة ، وفُلان قَبيل فُلان ، بمعنى قبالته "(1) . فغرور قريش وَصَل بها إلى أن يطلبوا قدوم الله سبحانه وتعالى مع الملائكة إليهم لكي يسألوهم عن أمر النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن هُم قريش ليطلبوا هذا الطلب ؟ ومن هُم قريش ليَنزل إليهم الله سبحانه وتعالى من علياءِه وهو لم ينزل حتى لنبي مُرسَل ؟ كذلك من هُم قريش لتَنزل إليهم ملائكة الرحمن لتحاورهم في شأن النبوة ؟ ولو أنها نزلت إليهم لمَسحت بهم الأرض ولأبادتهم عن بكرة أبيهم ، فلا تُبقي منهم لا قائماً ولا قاعداً . لكن رحمة الله سبقت غضبه فيهم ، وحضور النبي صلى الله عليه وسلم بينهم لم يكن إلا رحمة بهم من سطوة الجبار كما حصل مع الأقوام السابقة .

سابعاً : أن يكون له بيت من زخرف . إعتاد أهل مكة على أن كبارها وزعماءها وأعيانها أن تكون لهم الجاه والمال والأملاك ، وأن يكون لهم أفخم اللباس والمسكن ، وبما أن محمد صلى الله عليه وسلم رجل من عامة القوم ، وحاله يسيره ، فلم يستسيغوا ذلك ، وربطوا الأمر العظيم الذي جاء به بالنفوذ والمال والسلطان ، فكيف لرجل له كل هذه المنزلة عند رب السماء ويكون من أبسط الناس حالاً ؟ فقالوا لو تكون لك أمولاً ومنزلاً من الذهب والزُخرف(2) . لتقبلنا الأمر على أنك ذو شأن كبير ، لكن ببساطة حالك لا يمكن أن تكون صادقاً ، ولك منزلة علِيّه . فقولهم (أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ)(3) . قد يكون تحدي له أن يكون له ذلك ، أو أنها خطوة إلى أن يصدقه القوم بإعتبار أن الله سبحانه وتعالى قَدّر نبيه وأعطاه المال والسلطان ، لأن قريش تنظر إلى المسألة من منظورها الذي تعودت عليه ، وهو المنظور المادي البحت الذي من خلاله يتم تقييم الشخص .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولم يعلموا أن الأنبياء إنما هم أعلم الناس بالله ، وأعلم الناس بحقيقة هذه الحياة ، فالزهد والتقوى المُلازمان للأنبياء هو أساس المعيار الذي يتم من خلاله تقييمهم . وأنهم يحملون من الهَم والثقل ما يجعلهم يزهدون بالأموال والأملاك والمنازل ، لأن شغلهم الشاغل كيفية تبليغ الدعوة وإنقاذ الناس من الظلال والغَي ، وأن يُبلّغوا ما أمرهم الله من أن يُبلّغوا . ولو أن الله سبحانه وتعالى حقق لهم ما أرادوا ، وأعطى النبي صلى الله عليه وسلم القصور المزخرفة والأموال ؛ لكان مَدخلاً لقريش أن تتمادى في الطلبات ، وأن يُصروا على التحديات التي يبتغون من خلالهم تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم وإضعافه وإحراجه أمام الملأ .

ثامناً : أن يرقى في السماء . ومن ضمن التحديات التي تحدى بها قريش النبي صلى الله عليه وسلم أن يرقى(4) إلى السماء ، ويرون هذا الرقي بأعينهم ، ومن ثم لا يصدقونه رغم ذلك وإن فَعل .

---

(1) تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج5، ص67 .

(2) الزخرف من الزينة ، والمزخرف : المزين ، والمقصود به زينة الذهب . القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص176 .

(3) سورة الإسراء، الآية 93 .

(4) أي تصعد ، يقال : رقيت في السلم أرقى رقياً ورقياً إذا صعدت ، وإرتقيت مثله . وهو مصدر ؛ نحو مضى يمضي مضياً ، وهوى يهوي هوياً ، كذلك رقى يَرقى رقياً . القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص176 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" فوالله لا أُؤمن بك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سُلماً ، ثم تَرقى فيه وأنا أنظر إليك حتى تأتيها ، ثم تأتي معك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول "(1) . وبعد ذلك يقول (لو فعلت ذلك ما ظننت أني أُصدقك) ، وهذه خلاصة الأمر ، حتى لو نَفّذ النبي صلى الله عليه وسلم هذا الطلب أو غيره أو جميع ما طلبوا ؛ فأنهم لا يصدقونه فيما يقول مُطلقاً ، لأنه يعارضهم ويعارض سلطانهم . فقولهم (أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ)(2) ، هذه نبرة التحدي العاصي، أي مهما يفعل فإنهم لا يؤمنون أبداً. ويعلمون جيداً أنه لن يفعل ذلك بسبب أنها حالة لا يمكن لِبشر أن يفعلها مُطلقاً ، لأنها فوق القُدرات البشرية ، وأكبر من الإستطاعة الإنسانية . وعندما أخبرهم النبي عليه الصلاة والسلام بقصة عروجه إلى السماء ، ورغم أنهم لم يروا ذلك بأعينهم ؛ إلا أنهم لم يُعقّبوا عليها ، ولم يسألوه عن الكيفية ، لأنهم يعلمون يقيناً بِصِدقه ومنزلته عند ربه .

تاسعاً : أن يُرسل إليهم مَلَكاً رسولاً . فإستكبار قريش وإستعلاءهم يمنعهم من الإعتراف بِنبوة البشر ، فبطَلَبهم أن يكون المُرسَل إليهم من الملائكة قد ترفع عنهم صفة التنازل عن العِناد والتكبر لأنه المُرسَل إليهم مَلَك من الملائكة ، وهذا لا يُمكن أن يحصل بسبب أن جميع الأنبياء والمُرسلين هم من البشر ، وأن المُرسَل إلى القوم يكون منهم ، يعرفون حَسبه ونَسبه وصدقه وسلوكه . فيخبرهم الله سبحانه وتعالى أنه لو كان في الأرض ملائكة مثلهم مثل البشر يعيشون فيها لأنزل عليهم مَلَكاً رسولاً ، لكن الملائكة مكانهم ليس الأرض ؛ لذلك لا يتمكن أن يُرسَل الملائكة لغير بني جنسهم ، قال تعالى (قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا)(3) . فيسالهم الله سبحانه وتعالى ما المانع أن يكون الرسول من البشر ؟ مادامت الرسالة واحدة ؛ والمُرسِل واحد ؛ والغاية واحدة ؟ فلماذا الإصرار على أن يكون الرسول من الملائكة ؟ (وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا)(4) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" أن العرب كانوا يعرفون الملائكة ، وكانوا يطلبون أن ينزل الله على رسوله مَلكاً يدعو معه ويُصدقه ، ولكنهم لم يكونوا يعرفون طبيعة هذا الخلق التي لا يعلمها إلا الله ، وكانوا يخبطون في التيّه بلا دليل في تصور هذا الخلق ، وفي نوع علاقته بربه ، ونوع علاقته بالأرض وأهلها ، وقد حَكى القرآن الكريم كثيراً من ضلالات العرب وأساطير الوثنية حول الملائكة ، وصححها كلها ليستقيم تصور من يهتدي بهذا الدين منهم ، وتصح معرفتهم لهذا الكوّن وما يُعمره من خلائق "(5) .

فالملائكة لا تنزل إلى الأرض إلى للعقاب كما حَصل مع الأقوام السابقين ، وهذا غَفَل عنه العرب الذين واكبوا بِعثة النبي صلى الله عليه وسلم ، وحاول القرآن أن يُفهمهم إياه ، فبإصرارهم أن تنزل الملائكة إليهم ، كان دعوة من قِبَل أنفسهم لهلاكِهم ، وقد أخبرهم القرآن الكريم بذلك فقال (وَقَالُوا

---

(1) إبن هشام، السيرة النبوية، ج1، ص326 .

(2) سورة الإسراء، الآية 93 .

(3) سورة الإسراء، الآية 95 .

(4) سورة الإسراء، الآية 94 .

(5) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج2، ص1041 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ)(1) . لكنهم قوم يجهلون ، ولم يعلموا أن عدم تحقيق الله لهم بهذا المطلب إنما حِفاظاً عليهم ، وعدم الإرادة لهم بالفناء والزوال .

عاشراً : أن يُنزل عليهم من السماء كتاباً يقرأونه . فالقرآن الكريم نَزَل على قريش مُنجماً ، ولم يُكتَب ولم يُدوَن في صحف ، فهو مقروء محفوظ في الصدور ، وكان ينزل على صدر النبي صلى الله عليه وسلم على حَسب الأحداث والوقائع والأوامر والتشريعات . فلم يلمسه العرب ولم يروه كما حصل مع الأقوام السابقين عندما نزلت عليهم كتبهم جملة واحدة في صحف أو في ألواح ، فلمسوها ورأوها وواقعوها . فطلْب قريش من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يُنزل عليهم من السماء كتاباً كحال الأقوام السابقة ، يلمسونه بأيديهم ، مفهوم لديهم ، مخصوصاً بهم ، يقرأونه متى شاءوا وبالكيفية التي يريدونها ، لأن القرآن الكريم كان مُعجزاً لهم ولا يمكنهم مجابهته ولا مباراته ، فحزَّ ذلك في نفوسهم وهم أهل اللّغة والأدب . ولكن الله سبحانه وتعالى يعلم جيداً ما في قلوبهم فقال (وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ)(2) . فهذا هو جوابهم ، السِحر . فالقرآن الكريم حينما نَزل عليهم وصَفوه بالسِحر لِما فَعل بهم وأعجزهم وصَرف كثير من الناس عنهم ، وتوافدوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم لإعلان إسلامهم في حضرته ، لأنهم عرفوا أن هذا الكلام يستحيل أن يخرج من بشر ، وكذلك حينما ينزل إليهم كتاب من السماء في قرطاس وملموس من قِبلِهم أيضاً سيصفوه بألفاظ إن لم تكن بالسِحر فهي أقرب إليه ، وكل هذا صدّ عن سبيل الله . " لو أنـزلت عليك يا محمد ، الوحيَ الذي أنـزلته عليك مع رسولي ، في قِرْطاس يعاينونه ويمسُّونه بأيديهم ، وينظرون إليه ويقرءونه منه ، مُعلَّقًا بين السماء والأرض ، بحقيقة ما تدعوهم إليه ، وصحَّةِ ما تأتيهم به من توحيدي وتنـزيلي ، لقال الذين يعدلُون بي غيري فيشركون في توحيدِي سواي : (إنْ هذا إلا سِحرٌ مبينٌ) أي : ما هذا الذي جئتنا به إلا سِحر سحَرتَ به أعيننا ، ليست له حقيقة ولا صحة ، يقول : مبين لمن تدبّره وتأمّله أنه سِحر لا حقيقة له "(3) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فأيضاً إشتراط الإيمان بتحقيق الطلب لم يكن واقعياً ، بالتالي الغدر ومخالفة الوعود والإتفاقيات مع النبي صلى الله عليه وسلم هو دَيدن قريش آنذاك . فالذي يؤمن لا ينتظر كلاماً آخر غير ما قيل ، ولا ينتظر من الله أن يُنزل إليهم كلاماً يوافق رغباتهم وفهمهم وإستطاعتهم على مقارعته ، لأن الكلام الذي أُنزل مُسبقاً - القرآن الكريم - لهو أشد إتقاناً وصياغةً ، وأفضل كلاماً ومعنىً . فلا يكون غيره أضعف منه ، ولا أكثر قبولاً بالنسبة لقريش ، قال تعالى (وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ)(4) . فالإيمان بالشرط لا يُسمى إيمان ، وإنما يُسمى إتفاقيه أو معاهدة ، وفي هذه الحالة تكون هذه الإتفاقية أو المعاهدة خاضعة لأن يُعطي النبي صلى الله عليه وسلم التنازلات ، وأن يَلِين لهم ، وهذا مُحال على النبي أن يفعل ذلك . (وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ)(5) .

---

(1) سورة الأنعام/، الآية 8 .

(2) سورة الأنعام، الآية 7 .

(3) تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج3، ص222 .

(4) سورة الاسراء، الآية 93 .

(5) سورة القلم، الآية 9 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فكل هذه التحديات كان هدفها واحد ، هو إضعاف النبي صلى الله عليه وسلم وإخراجه للمجتمع على أنه عاجز ، وليس لديه قيمة عند ربه ، بالتالي فهو كذاب وليس لديه من الأمر شئ . لكن الله قد طمأن النبي عليه الصلاة والسلام بأن هؤلاء مهما تفعل لأجلهم فإنهم لا يؤمنون ، فلا تحزن ولا تكترث لأمرهم ، (وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ)(1) . فهذا القول الفصل من رب العالمين ، مهما فعَلت من أجلهم ، ومهما إسترجيت الخير منهم فلن يستجيبوا لك ، لأنه في أنفسهم الكِبار ، كِبار الجاهلية وإستعلاءِها ، وفي قلوبهم مرض السُلطة والنفوذ والمال ، فلن يفرطوا بها بسهولة . ولو جئت بالآيات واحدة تلو الأُخرى فلن يؤمنوا بك ، لأنه أتَتهم من قبل . والآيات في إستمرارية الحدوث ، وهم يزيدون إصراراً على التكذيب والكُفر ، والتعنّت والغيض ملأ نفوسهم وعقولهم . قال تعالى (وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ)(2) .

" قامَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام معه عبد الله بن أبي أُمية بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم (وهو إبن عمته ، فهو لعاتكة بنت عبد المطلب) ، فقال له : يا محمد . عَرض عليك قومك ما عَرضوا فلم تقبله منهم ، ثم سألوك لأنفسهم أُموراً ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول ، ويُصدقوك ويتبعوك فلم تفعل ، ثم سألوك أن تأخذ لِنفسك ما يعرفون به فضلك عليهم ، ومنزلتك من الله ، فلم تفعل ، ثم سألوك أن تُعجل لهم بعض ما تخوفهم به من العذاب ، فلم تفعل ، فوالله لا أُؤمن بك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سُلماً ، ثم ترقى فيه وأنا أنظر إليك حتى تأتيها ، ثم تأتي معك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول ، وأيم الله لو فعلت ذلك ما ظننت أني أُصدقك ، ثم إنصرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وإنصرف رسول الله إلى أهله حزيناً أسفاً لما فاته مما كان يطمع به من قومه حين دعوه ، ولما رأى من مباعدتهم إياه "(3) . قالوها بِملئ أفواههم أننا وإن فَعلت كل هذا فإننا لن نؤمن لك ، والنبي عليه الصلاة والسلام كان يأمل ذلك ، لكن الله يعلم ما سيجري ، ويعلم ما قريش صانعون .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي نهاية المطاف سَلَم الرسول صلى الله عليه وسلم الأمر لله ، ونَطق بالكلمة التي هو مؤمن بها فقال لهم أن الأمر بيد الله ، إن يشاء فَعل ، وإن لم يشأ فليس لكم عليّ من سُلطان . وجاءت كلمة الحق من عند رب العالمين ، ومُطَمئِنة للنبي صلى الله عليه وسلم ، وتخليداً لهذا الموقف في القرآن الكريم فقال ربنا جلّ وعلا (قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا)(4).هذه هي خُلاصة القول وفصل الكلام .

" فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما بهذا بُعثت ، إنما جئتكم من عند الله بما بعثني به ، فقد بلّغتكم ما أرسلت به إليكم ، فإن تقبلوه فهو حظّكم في الدنيا والآخرة ، وأن تردوه عليّ أصبر لأَمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم . قالوا : فإن لم تفعل لنا هذا فخُذ لِنفسك فَسل ربك أن يبعث مَلَكاً

---

(1) سورة الأنعام، الآية 35

(2) سورة يس، الآية 46 .

(3) إبن هشام، السيرة النبوية، ج1، ص326 .

(4) سورة الإسراء، الآية 93 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يُصدقك بما تقول ويُراجعنا عنك ، وتسأله فيجعل لك جنات وكنوز وقصوراً من ذهب وفضة ويُغنيك بها عما نراك تبتغي ، فإنك تقوم بالأسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه ، حتى نعرف فضل منزلتك عند ربك إن كُنت رسولاً كما تزعم ! فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أنا بفاعل ، ما أنا بالذي يسأل ربه هذا ، وما بُعثت إليكم بهذا ، ولكن الله بَعثني بشيراً ونذيراً ، فإن تقبلوا ما جئتكم به فهو حظّكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه عليّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم . قالوا : فأسقِط السماء كما زَعمت أن ربك إن شاء فَعل ذلك ، فإنا لن نؤمن لك إلا أن تَفعل ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذلك إلى الله إن شاء فَعل بِكم ذلك "(1) .

ويُمكن أن أستلخص أربع نقاط من هذا الموضوع كَرَد على من يُسُوق لهذه الشُبهات ، ويَدّعي ما يَدَّعي القُريشيين من قَبل فأقول :

1 - كل التحديات والطلبات التي صَدرت من قريش إنما هي أشياء مادية دُنيوية ، والنبي عليه الصلاة والسلام جاء بأمر أُخروي عَقدي خالد ، فلا يُمكن أن يُعلَق الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم إستناداً على أشياء ملموسة زائلة ، فهي محدودة الأثر ، ضيقة الزمان والمكان ، وأن ما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام إنما واسع على مدى الزمن وإلى قيام الساعة ، فلا الأشياء المادية تبقى ، ولا أثرها يُذكر .

2 - النبي صلى الله عليه وسلم جاء بأمر خالد مدى الزمان ، والأشياء المادية والمُعجزات الملموسة هي آنيه مؤقته ، وهذا ما لِمسناه مع الأُمم السالفة وأنبياءهم ، حيث كانت المعجزات المادية ضيقة الزمان والمكان ، وفي يومنا هذا لا يُلمس أثرها . خلاف ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من أبلغ المُعجزات وهو القرآن الكريم الذي لا يحده زمان ولا مكان ، ولازالت آثاره ملموسة إلى يومنا هذا ، بل وإلى قيام الساعة .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3 - الدين الإسلامي هو دين واسع وشامل لكل المخلوقات ولِكل الأمم ، والمُعجزات إنما جاءت مخصوصة لأمم مُحددة وأقوام ، بحيث لا تَعني شيئاً للأقوام الأخرى ، مثلاً فَرق البحر لموسى عليه الصلاة والسلام كان يعني الكثير لِبني إسرائيل ، ولكنه لا يعني شيئاً للنصارى ، ولا يستفيدوا منه شيئاً . كذلك الحال لناقة صالح لا تعني لقوم نوح شيئاً . لكن القرآن الكريم وهو المُعجزة الخالدة لنبي الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام هو لِكل البشرية ، وكُل الأقوام هُم في حاجة إليه ، وفيه صلاحهم وبيان أحوالهم . فقد جاء لقريش مالم يأت لأحد من العالمين .

4 - بما أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يُعول في دعوته على المعجزات المادية الملموسة ؛ إلا أنه كغيره من الأنبياء قد أيده الله بالكثير من المُعجزات ، ولا يقل عنهم شأناً ، لكنها أتت تِباعاً من الله تعالى ، وليس بِناءاً على رغبة قريش ونزولاً عند متطلباتهم ، فهي تأييد للنبي بكل مسيرة حياته وليست مخصوصة لقُريش . ومعجزاته برزت منذ الأيام الأولى لِولادة النبي صلى الله عليه وسلم

---

(1) تفسير إبن كثير، ج2، ص399 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإلى آخر أيام حياته ، مُنذ عناية الله له في الصحراء وهو يرضع من حليمة السعدية عندما أتى إليه جبريل وشقَّ صَدره فأخرج قلبه وغَسله ، مروراً بتسليم الشَجر والحَجر عليه صلى الله عليه وسلم قَبل البِعثة ، وإلى المُعجزات الكبيرة بعد البعثة وإلى وفاته صلى الله عليه وسلم .

5 - عدم تلبية طلبات قريش ، وعدم القبول بتحدياتهم وما إشترطوه على النبي صلى الله عليه وسلم لإيمانهم ؛ إنما يرجع إلى الحِفاظ عليهم من الزوال والإبادة بسبب عصيانهم ونُكرانهم للمعجزات ، وكُفرهم بالله بعد أن يُنفَذ لهم ما أرادوا ، فالله سبحانه وتعالى ليس عاجز على أن يُعطيهم ما يتمنون ؛ لكن ماذا بعد أن يأخذوا ما يُريدون ؟ أنه الهلاك والعذاب أسوة بباقي الأمم ، فكل الأمم طلبت من أنبياءهم مُعجزات وخوارق للعادة ، فكان لهم ما أرادوا ، وعندما كَفروا بها ونَكروها أرسل الله تعالى إليهم عذابه ، فمنهم من أخذتهم الصيحة ، ومنهم من ألقى عليهم الحجارة ، ومنهم من خَسف بهم الأرض ، ومنهم من أغرقهم جميعاً ، فكلُ الأمم فَنيت ، وإستُبدلت بأمم غيرها ليحملوا الأمانة ، ويبلّغوا الرسالة ، ورُفِدوا برُسل وأنبياء يُعلمونهم ويُنقذونهم . وقريش كانت مُعَرَّضة لِخطر الإستبدال ، إلا أن الله سبحانه وتعالى له حِكمة في ذلك ، أما كرامةً لشخص النبي صلى الله عليه وسلم ، وأما لغاية يعلمها هو سبحانه ، فلم يُلبي طلباتهم لكي لا يؤخذوا بالعذاب بعد الكُفر بها .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والبناء الحضاري إنما يُستَمد بُنيانه من أُسس متينة وقواعد ثابتة لا يُمكن أن تكون زائلة أو مؤقته ، فعندما يستند البناء على الروحانية من الدين ، ليس كما يَستند على أموال وأملاك . وما يَستند إلى تشريعات ربانية تُصَحح من مسيرة البشر ، ليس كما يَستند على دساتير وضعية تتغير بتغير الناس والزمان والمكان . وأن يستند على إتِّباع البشر لِخالقهم وجعّله الرقيب عليهم بتصرفاتهم وسلوكهم ؛ ليس كما يستند على إتِّباع أُولي الأمر من البشر الذي يعتريهم الخطأ والزَلل . فكل مادي يزول ، وكل زائل لا قيمة له . لكن دين الله ثابت ، ونور الله خالد أبد الآبدين .

المبحث الثالث : الإتهامات والتحديات نفسها حَصَلت للأنبياء السابقين

في خِضم الضغوطات النفسية والحرب العَلنية التي يعيشها النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وفي ظِل الأذى الذي عانى منه النبي عليه الصلاة والسلام من قريش والأذى الجسدي له ولأتباعه ؛ جاء قول الله تعالى في سورة الإسراء (سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا)(1) تخفيفا للنبي صلى الله عليه وسلم ولابلاغه ان ما اصابه قد اصاب كل الانبيياء السابقين .

---

(1) سورة الإسراء، الآية 77 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كان النبي صلى الله عليه وسلم يعيش في ضيق صدر وهَمّ من عدم إستطاعاته تحقيق مُبتغاه ، وكان لا يدع باباً من أبواب إيصال الرسالة للعرب إلا وطرقه ، ولم يدع مكان ولا هيئة ولا كيفية إلا وإستغلها ، لكن الصدّ عنه كان كبير ، والمعارضة شديدة ، والحرب بكل أنواعها شنّها العرب آنذاك ، فماذا يصنع ، وما عساه يعمل لكي يصل إلى هدفه ؟ فقد بذل كل ما يستطيع بذلك لأجل نُصحهم وإرشادهم ، ومن أجل إنقاذهم من الشرك والكفر الذي هُم عليه ، وهُم بالمقابل عاندوا وتعنتوا وأصروا على الباطل ، ورَموه بشتى أنواع التُهم ، وسلّطوا عليه أنواع الأذى الجسدي والنفسي . ومن ضِمن أهداف القرآن الكريم هو مواساة النبي صلى الله عليه وسلم والتَنفيس عنه ، والتخفيف عن حالة الضيق والحزن والإنكسار الذي كان يعيشها صلى الله عليه وسلم وهو في مواجهة كبار قريش وزعماءها .

" هي لتَسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم والتسرية عنه مما يلقاه من عناد المُعرضين ، وعَنت المُكذبين ؛ وتطمين قلبه صلى الله عليه وسلم إلى سُنه الله سبحانه في أخذ المُكذبين المُستهزئين بالرُسل ، وتأسيته كذلك بأن هذا الإعراض والتكذيب ليس بدعاً في تاريخ الدعوة إلى الحق . فقد لقي مثله الرُسل قبله ، وقد لقي المُستهزئون جزاءهم الحق ، وحاقَ بهم ما كانوا يستهزئون به من العذاب ، ومن غَلَبة الحق على الباطل في نهاية المطاف .. "(1) .

فقد واسى الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ، وهوّن عليه الأمر ، وأخذه في كَنفه ليريح قلبه من الهموم التي أَلمّت به جراء الألم النفسي الذي إعتراه صلى الله عليه وسلم . وليبيّن الله له أن الذي تمر به يامحمد لهو أهون من كثير مما مرّ به أنبياء الله قبلك . فقال الله تعالى مُخففاً عن نبيه (ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَىٰ كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ)(2) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" فإذا جئت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وتأملت سيرته مع قومه ، وصبره في الله ، وإحتماله ما لم يحتمله نبي قبله ، وتَلوّن الأحوال عليه من سلم وحرب ، وغِنى وفقر، وخوف وأمن ، وإقامة في وطنه وظعن عنه وتركه لله ، وقتل أحبابه وأوليائه بين يديه ، وأذى الكفار له بسائر أنواع الأذى من القول والفِعل ، والسِحر والكذب ، والإفتراء عليه والبُهتان . وهو مع ذلك كله صابر على أمر الله ، يدعو إلى الله . فلم يؤذ نبي مثل ما أُوذي ، ولم يحتمل في الله ما إحتمله ، ولم يُعط نبي ما أُعطيه ، فرفع الله له ذِكره ، وقَرَن أسمه بإسمه ، وجعله سيد الناس كلهم ، وجعله أقرب الخَلق إليه وسيله ، وأعظمهم عنده جاهاً ، وأسمعهم عنده شفاعة "(3) .

فالمجتمع البشري بحاجة ماسة إلى الرُسل ليكون مُرشدين وناصحين ومُبينين لأمور الدنيا والآخرة ، فمُهمة الرُسل كبيرة وغير مُحددة ، فهُم يرشدون البشرية إلى العلوم الدينية بمختلف أنواعها ،

---

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج2، ص1045 .

(2) سورة المؤمنون، الآية 44 .

(3) أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب إبن قيم الجوزية (691-751)، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ، تحقيق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع ومَجمع الفقه الإسلامي، جدة، ط1، 1432هـ عدد الاجزاء 3، ج2، ص851 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويبيّنون لهم حتى المظاهر الكونية التي لم يكن العرب يعرفونها ، فجاءت الرُسل بمعلومات عنها ليكون البشر على دراية وفَهم لها ، وهذا ما نَلمسه الآن من تطور التكنلوجيا وعلوم الفلك والجيولوجيا ، فقد سبق القرآن الكريم هذه العلوم بالإكتشافات ، ولم ينفك العلم بإكتشاف شئ جديد ؛ إلا ووجد القرآن قد سَبقه في المعلومة .

" ولذلك كان لابد للناس من التعرف على كل من القسمين (العبادات والامور الغيبية - والعلوم التي تأتي بالبحث والتفكير) عن طريق رسل الله ، وأخبارهم الصادقة كما سبق ، حتى يتم للمجتمع الانساني معرفة ما يصلح أنفسهم ، ويهذب مجتمعهم ، وينظم معاشهم ، ويضبط سلوكهم ، ويسعدهم سعادة تامة في الدنيا دار الفناء والابتلاء ، وفي الآخرة دار البقاء والجزاء "(1) .

فمُهمة الرسل عظيمة بعظم ما يحملونه من أمانة ، وكبيرة بكبر التكليف المُلقى على عاتقهم ، لكن الاقوام بتكبرهم على هذه النعمة لا يخضعون لهكذا أوامر أو تكاليف ، بسبب طبيعة النفس البشرية التي تكره التكليف والالتزام ، خصوصاً وما يتنافى مع أهواهم ومصالحهم ، ويتنافى مع ملذاتهم وشهواتهم ، فديدن الاقوام من بعد نوح والى هذه الساعة هي تكذيب الرسل وتكذيب الرسالات ، وحربهم المستمرة عليهما لتحقيق الاهداف الانسانية الدنيئة ، والتي تتخذ من الهوى والراحة وحرية التصرفات قانون يسيرون عليها .

" ثم انشأنا من بعد هؤلاء المكذبين المعاندين قروناً آخرين ، كل أمة في وقت مسمى ، وأجل محدد ، لا تتقدم عنه ولا تتأخر ، وأرسلنا اليهم رسلاً متتابعة لعلهم يؤمنون وينيبون . فلم يزل الكفر والتكذيب دأب الامم العصاة ، والكفرة البغاة ، كلما جاء أمة رسولها كذبوه ، مع ان كل رسول يأتي من الآيات ما يؤمن على مثله البشر ، بل مجرد دعوة الرسل وشرعهم يدل على حقيقة ما جاءوا به "(2) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فمواساة الله تبارك وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ؛ وإنزال الآيات في القرآن في ذلك ما هي إلا لتكون دافع للنبي عليه الصلاة والسلام في ان يكمل مسيرته ، ويُبلغ رسالته ، ويسير في درب الاصرار والعزيمة رغم الاذى والعناد والتعنت . قال تعالى (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ)(3) .

وهذا دأب جميع الانبياء حيث أصابهم الضيق والعذاب ، والاذى الجسدي والنفسي ، وهم أكثر الناس إبتلاءاً وصبراً ، فهُم القدوة لبقية أتباعهم ، وحكمة إبتلاءهم سأذكرها في نهاية المبحث . (وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ)(4) . فهذه الآية وغيرها كثيرة واسى الله سبحانه وتعالى نبيه ، وأصبحت سريرة النبي مطمئنة الى ان ما يمر به من اذى انما

---

(1) الميداني، العقيدة الاسلامية وأُسسها، ص307 .

(2) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص645 .

(3) سورة الحجر، الآية 97 .

(4) سورة الأنعام، الآية 10 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قد مر به من قبله من الانبياء ، فهو لا يمكن ان يكون أقل منهم شأناً وهو النبي المختار ، والمصطفى من بينهم ، بالتالي تقبل هذا الاذى وسكن قلبه وإطمئن انه خير له وليس شر .

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : " قُلت يارسول الله أي الناس أشد بلاءً ؟ قال : الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ، فيُبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان دينه صلباً إشتد بلاؤه ، وإن كان في دينه رِقه إبتلي على حسب دينه ، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة "(1).

والنبي صلى الله عليه وسلم علِم بما سيَتعرض له من أذى ، فقد أخبره ورقة بن نوفل بما يتوقعه ، بإعتبار أن وَرقة عنده عِلم بما حَدث للأنبياء السابقين ، فهو من أهل الكتاب ، وعنده عِلم بما أحدث الأقوام السابقة بأنبياءهم . فقال " يا ليتني فيها جَذعاً ليتني أكون حياً إذ يُخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أومُخرجي هم قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نَصراً مؤزراً "(2) .

فَدرب الدعوة مليئ بالمصاعب ، وكل من يسير فيه يجب أن يصبر ويتحمل ما لا يتوقعه ، فالدعاة إنما ساروا في هذا الطريق ، طريق الدعوة والتبليغ ؛ إنما إستمدوا من قوة وعزيمة الأنبياء ، فكان كل نبي قدوة بجانب من جوانب الدعوة ،لأن سلعة الله غالية ، والجنة لابد لها من عَمل ، والدعاة العالمون العاملون إنما وَعوّا طبيعة التبليغ ، وإقتبسوا من النبوة أسرارها وأساليبها ، فسَلكوه مُطمئنين غير مُبالين بما سيكون ، فهُم ليسوا أفضل من أنبياء الله ، وليسوا ممن يتوانى عن أداء الأمانه ، وتبليغ الرسالة ، فهم وَرثة الأنبياء ، الذين وَرِثوا منهم خَير الدنيا والآخرة .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" وهذا حال وَرَثته من بعده الأمثل فالأمثل ، كلٌ له نصيب من المِحنة ، يسوقه الله به إلى كماله بحسب متابعته له ، ومن لا نصيب له من ذلك فحظه من الدنيا حظ من خُلق لها وخُلِقت له وجَعل خلاقه ونصيبه فيها ، فهو يأكل منها رَغداً ، ويتمتع فيها حتى يناله نصيبه من الكتاب ، يمتحن أولياء الله وهو في دَعّة وخفض من عيش ، ويخافون وهو آمن ، ويحزنون وهو في أهله مسرور ، له شأن ولهم شأن ، وهو في وادٍ وهم في وادٍ ، همه ما يقيم به جاهه ، ويسلم به ماله ، وتسمع به كلمته ، لزم من ذلك ما لزم ، ورَضي من رَضي وسَخط من سَخط ، وهمهم إقامة دين الله ، وإعلاء كلمته ، وإعزاز أوليائه ، وأن تكون الدعوة له وحده ، فيكون هو وحده المعبود لا غيره ، ورسوله المُطاع لا سواه "(3) .

ولولا تَعب الأنبياء وتحملهم لَما وَصلت إلينا الرسالة ، ولَما عرفنا الطريق القويم ، ولَما وصلنا إلى الله وعرفناه ، وسْرنا على أوامره ، وآتينا ما كلفنا به .

---

(1) سنن الترمذي، كتاب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في الصبر على البلاء، ص540، رقم الحديث (2398) .

(2) صحيح البخاري، كتاب بدء نزول الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ص7، رقم الحديث (3) .

(3) إبن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ج2، ص852 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" الطريق طريقٌ تعِب فيه آدم ، وناح لأجله نوح ، ورُمي في النار الخليل ، وأُضْجع للذبح إسماعيل ، وبيع يوسف بثمن بخس ولَبث في السجن بضع سنين ، ونُشر بالمِنشار زكريا ، وذُبح السيد الحَصور يحيى، وقاسى الضرَّ أيوب . وعالج الفقر وأنواع الأذى محمد صلى الله عليه وسلم "(1).وعندما خَفَف الله سبحانه وتعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم ؛ ذَكر له ما حصل للأنبياء ، فقد قَص عليه في القرآن ما حَصل لهم بالتفصيل ، ليُشعر النبي صلى الله عليه وسلم بهَون ما هو فيه بالنسبة لما حَصل لهم ، فيكون بذلك إستهانة من النبي لما لاقى من أذى ، لأن الإنسان عندما يرى مصيبة غيره التي هي أكبر من مصيبته يهون عليه ما يكون به ، قال تعالى (قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ، وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ)(2) . وأن مسيرة الرسالة ماضية ، وأن التبليغ قائم إلى قيام الساعة ، وأن الأمم لا تؤَثر على الله بِعصيانها شيئاً مهما فَعلوا ، وأن الله ليَستبدل الأقوام حتى ليأتي القوم الذين يحملون رسالته بقلوبِهم وعقولهم ، ويؤدونها على شكلها الصحيح بلا خوف ولا تكلف ولا تَنصل .

فكل الأمم السابقة أعطاها الله كل وسائل الراحة ، ولبى لهم طلباتهم على أكملها وأوسعها ، فلم يطلب الرسول طلب إلا وقد تَحقق ، كُل هذا في سبيل أن يقتنع القوم ويؤمنوا برَسولِهم ، ويحملوا معه الرسالة ويبلّغوها فيما بينهم ولغيرهم من الأقوام المُعاصرين ، أو ممن يأتون من بعدهم . وفتح لهم أبواب الخير وأسكنهم أفضل المنازل ، ولكن بتَخلفهم عن عهد الله وميثاقه أبادهم الله وإستبدلهم بغيرهم ، فالقوم الذين يكونون غير مؤهلين لحَمل الأمانه ، ويكفرون بنبيهم ، ويُنكرون ما أُنزل إليهم من تشريعات وقوانين سماوية ، ليس لله فيهم حاجة .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" ألم يروا إلى مصارع الأجيال الغابرة وقد مكّنهم الله في الأرض ، وأعطاهم من أسباب القوة والسُلطان ما لَم يعطِّ مثله للمُخاطَبين من قريش في الجزيرة ، وأرسل المَطر عليهم متتابعاً يُنشئ في حياتهم الخَصب والنَماء ويفيض عليهم من الأرزاق .. ثم ماذا ؟ ثم عصوا ربهم فأخذهم الله بذنوبهم ، وأنشأ من بعدهم جيلاً آخر ، ورَث الأرض من بعدهم ، ومَضوا هم لا تَحفل بهم أرض ، فقد ورثها قوم آخرون ! فما أهون المُكذبين المُعرضين أصحاب القوة والتَمكين من البشر ! ما أهونهم على الله ، وما أهونَهم على هذه الأرض أيضاً ، لقد أُهلكوا وغبروا فما أحسّت هذه الأرض بالخلاء والخواء ، إنما عَمّرها جيلاً آخر ، ومَضت الأرض في دورتها كأن لم يكن هنالك سكان ، ومَضت الحياة في حَركتها كأن لم يكن هناك أحياء "(3) .

وسأذكر بَعضاً مما ذَكره القرآن الكريم في أذى الأنبياء والرُسل ، وما حَصل لهم مع أقوامهم . وبيّن الله تعالى أن ما قاله مُشركو قريش في رسول الله سَبق أن قاله المُكذبون للرُسل السابقين عليهم

---

(1) أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب إبن قيم الجوزية (691-751)، الفوائد ، تحقيق: محمد عزير شمس، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع ومجمع الفقه الإسلامي، جدة، ط1، 1429هـ ص56 .

(2) سورة الأنعام، الآية 33-34 .

(3) في ظلال القرآن، ج2، ص1037 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الصلاة والسلام ، ومن ذلك :

1 - موسى عليه الصلاة والسلام رماه قومه بالسِحر كما قال تعالى (فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ)(1) . وكذلك إتهمه فرعون بالجنون كما أخبر تعالى عنه في قوله تعالى (قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ)(2) .

2 - نوح عليه الصلاة والسلام رماه قومه بالجنون كما قال تعالى (فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ، إن هو إلا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين)(3) .

3 - هودعليه الصلاة والسلام رُمي بالجنون أيضاً قال تعالى على لسان قومه (إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ)(4) .

4 - عيسى عليه الصلاة والسلام كذّبه قومه فحاولوا صَلبَهُ بنيّة قتله ، قال تعالى (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ)(5) .

5 - إبراهيم عليه الصلاة والسلام تعرض للأذى والتكذيب والقتل ، فرموه بنار لا أول لها ولا آخر ، قال تعالى (قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ)(6) .

6 - شعيب عليه الصلاة والسلام أيضاً تعرض للتكذيب والإضطهاد والأذى الجسدي من قِبل قومه ، قال تعالى (قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ)(7) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

7 - إسماعيل عليه الصلاة والسلام تعرض للذبح ، قال تعالى (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَاأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّابِرِينَ ، فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ، وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ، قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ، إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ ، وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ)(8) .

8 - يوسف عليه الصلاة والسلام تعرض للإضطهاد من قِبل إخوته وباعوه بثمن بَخس (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ)(9) ، ومن ثم أُدخل السجن ظُلماً وبهتاناً (ثُمَّ

---

(1) سورة النمل، الآية 13 .

(2) سورة الشعراء، الآية 27 .

(3) سورة المؤمنون، الآية 24-25 .

(4) سورة هود، الآية 54 .

(5) سورة البقرة، الآية 87 .

(6) سورة الأنبياء، الآية 68 .

(7) سورة هود، الآية 91 .

(8) سورة الصافات، الآية 102-107 .

(9) سورة يوسف، الآية 20 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ ، وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ)(1) .

9 - يحيى وزكريا عليهما الصلاة والسلام قُتلا من قِبل أقوامهما ، فيحيى قتله الملك تقرباً لفتاة أحبَها ، وزكريا قتله بنو قومه (بني إسرائيل) وقسموه الى نصفين بالمنشار ، قال تعالى (أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ)(2) .

10 - يونس عليه الصلاة والسلام إبتلاه الله بأن إلتقمه الحوت وظلّ في بطنه لفترة طويلة ، قال تعالى (فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ، فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ، لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ)(3) . وقال تعالى (فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ)(4) . وهذا الخطاب موجه للنبي صلى الله عليه وسلم .

11 - إلياس عليه الصلاة والسلام أيضاً كذّبه قومه وعاندوه وساموه الاذى والسوء ، قال تعالى (فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ، إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ)(5) .

وغيرهم من بقية الأنبياء والمُرسلين ، خصوصاً من أُرسل الى بني إسرائيل ، حيث عانوا الظلم والقتل والأذى وكافة أنواع الصدّ . فلم يُصدِقهم أحد ، ولم يؤمن بهم أحد ، إلا قلّه من النفر الذي آمنوا بهؤلاء الأنبياء . فهي سُنة الله في الأنبياء جميعاً ، فهُم شركاء في الأذى والتكذيب ، وهُم شركاء في الهَم والمسؤولية ، فدربهم واحد ، وطريقتهم واحدة ، وهدفهم واحد ، قال تعالى (سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا)(6) .

وهكذا تشابهت مِحنة الأنبياء جميعاً وهم يُلبون نداء الله بتبيلغ رسالته ، والثبات على دعوته ، والمضي قدماً بتأدية أمانته . وتشابه أقوال أهل الباطل والضلال كما تشابهت قلوبهم ، وليس أمام الرسل عليهم الصلاة والسلام إلا الصبر على أذاهم ، وتحمل ذلك في سبيل الله ، وعدم التأثر بما يقولون ، والثبات على ما أوحى الله به إليهم ، والأعراض عنهم والاستعانة على ذلك بذكر الله .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول تعالى مخاطباً رسوله عليه الصلاة والسلام (فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ)(7) . فأمر تعالى رسوله بالصبر على ما يقولون فإن الله تعالى مُطّلع على جميع ما يفعلونه ، وما يتلفظون به من أكاذيب ، وستكون العاقبة له ولمن إتبعه من المسلمين .

---

(1) سورة يوسف، الآية 35-36 .

(2) سورة البقرة، الآية 87 .

(3) سورة الصافات، الآية 142-144 .

(4) سورة القلم، الآية 48 .

(5) سورة الصافات، الآية 127-128 .

(6) سورة الإسراء، الآية 77 .

(7) سورة الروم، الآية 60 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأن الحِكمة من إبتلاء الرُسل تتلخص فيما يلي :

1 - أن الانبياء هم قدوة الناس ، وأنهم ممن يتبعهم أقوامهم وغيرهم من الأقوام ، فلابد أن يكون النبي قدوة لغيره ، فالدُعاة والعلماء ووَرثة الأنبياء عندما يسيروا على درب الأنبياء في التبليغ والدعوة ، فأنهم ينظرون إلى ما فَعل الأنبياء عندما يتعرضوا بموقف مُعين ، سواء في الأحكام ، أم في التصرفات والسلوك ، أم عندما يتعرضوا للإضطهاد والعُنف . فيتأسوا بالأنبياء ويهون عليهم السوء الذي أَلمَّ بهم .

2 - ليكون الأنبياء دائِمي الرجوع إلى خالقهم عندما تشتَد بهم المِحن ، ويكون على تواصل وإتصال تام معه وفي جميع الأحوال والضروف ، وهذا دأب المؤمن في كل أحواله .

3 - أن تكون هذه الإبتلاءات التي طالت الأنبياء ؛ إنما شاهدة على أقوام هؤلاء الأنبياء فيما إذا إراد الله أن يُهلك هذه الأقوام ، وأن يُنزِل عليهم جُل غضبه ؛ فبما قدمت أيديهم من عصيان ونُكران لأنبياء الله .

4 - لتمام صفة النبوة عند الأنبياء ، فالأنبياء يجب أن يخوضوا جميع الأحوال في الدعوة ، لأن طريق الدعوة يحتمل كل أنواع الضروف ، فتارة يكون ملئ بالمَشقة والتَعب ، وتارة أخرى يكون مُريح ومُطمئن ، وتارة أخرى يكون فيه العذاب والتَقتيل . فكُل هذه الضروف يكون النبي على إستعداد لها ، لأنه قائد ومُوجِه ، ولابد للقائد من السير في الطريق أمام أتباعه .

5 - ليعتبر من أتى بعدهم ، ويستأنس بأحوالهم وأخبارهم ، ويكون على دراية أن هذا الطريق إنما قد سَلَكه من أتى قبله من الأنبياء ، فلا يبتأس ولا يحزن ولا يفتُر عن تأديه الأمانه وتبليغ الرساله . وكذلك ليستأنس بهم من أتى بعدهم من البشر عموماً .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

6 - أن الابتلاء بصورة عامة لتكفير الذنوب والخطايا ، وليكون الأنبياء هم أنقى البشر من الذنوب .

7 - ليمتحن الله صبر أنبياءه وقُدرتهم على تحمل الأذى في سبيل الدعوة والتبليغ ، وليكون الصبر مفتاح كل خير . وأن كل النِعم إنما تأتي بعد الأبتلاء جزاءاً على صبرهم وتحملهم في سبيل الله .

المبحث الرابع : طُغيان اليهود وبعض بني إسرائيل

من بين كل شعوب العالم ، فإن اليهود مُمَيزون ومُشخَصون ومُنفرِدون ، وهذا التميز ما أتى من سماحة وَجود ، أو أصالة وإستقامة ؛ وإنما أتى من مَكر وخديعة وطُغيان وظُلم . فهُم المميزون من بين جميع الأمم بقَتل أنبيائهم ، ومَشهورين بأكل الربا ونشر الفساد وإستحلال الحرام . ومعروفين بعصيانهم لأوامر ربهم وتعليمات أنبياءهم ، والقرآن الكريم حافل بمواقفهم وتشخيص أخطاءهم ، وبيان الخلل فيهم ، وبطريقة تفكيرهم .

وعلى مر العصور فهُم يعتقدون أنهم الشعب الوحيد الذي حاباه الله وإصطفاه وفضّله على كل الأمم والشعوب ، وإستندوا إلى كُثرة الأنبياء والمُرسلين فيهم ، بالحقيقة إن هذه الكُثرة ما أَتت من إصطفاء ؛ وإنما أَتت من كُثرة عصيان وصدود وجحود عن الله عزوجل وأحكامه ، فتوالت عليهم الأنبياء ليُرشدوهم ويُعلموهم ويَسيرون بهم نحو الطريق المُستقيم ، لكن بلا فائدة منهم ، فما يلبث نبي يُعلمهم أحكام الله وتشريعاته إلا وجابهوه أما بالقتل أو التشريد أو العِصيان ، أو الجحود والنكران ، فلم يبقى معهم نبي فترة طويلة ، ولم يلتزموا بأحكامهم ولا تشريعاتهم مُدة من الزمن بلا تحريف ولا تزييف ولا تبديل .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" فاليهود يعتبرون أنفسهم أبناء الله وأحباؤه ، وشعبه المختار ، ومن قديم الزمان وهم يُقسِمون العالم إلى قسمين مُتقابلين : قِسم إسرائيل وهم : صفوّة الخلق وأصحاب الحظوة عند الله ، وقسم آخر يسمونه : الأمم أو (الجوييم) أي غير اليهود ، ومعنى (جوييم) عندهم : وثنيون وكفرة وبهائم وأنجاس . وقد أدى هذا الغرور والتعالي عند اليهود إلى إهدار كل حق لغيرهم عليهم ، وأن من حق اليهود أن يسرقوا من ليس يهودياً ، وأن يغشوه ويكذِبوا عليه ، ويقتلوه إذا أمنوا إكتشاف جرائمهم . (1)"

حتى وصل بهم الأمر أنه كان بين أظهرهم نبي وطلبوا منه أن يُعيّن لهم إله ليعبدوه ، (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ)(2) ، وتطاولوا على الذات الآلهية بقولهم (يد الله مغلولة) وسعيهم للفساد في الأرض ، قال تعالى (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ)(3) . وقالوا بأنهم لن تَمسهم النار إلا أياماً معدودة ، وأنهم صفوة الله من خلقه ، وأنه لن يدخل الجنة إلا من كان يهودياً ، وأنهم أبناء الله وأحباؤه ، وأن ذنوبهم مغفوره سَلفاً . كل هذه الأقاويل وغيرها كثير ذَكرها القرآن الكريم ، فأي شَعب هُم ؟

---

(1) محمد سيد طنطاوي، بنو إسرائيل في القرآن والسنة، ص649 .

(2) سورة الأعراف، الآية 138 .

(3) سورة المائدة، الآية 64 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" وقد سجّل على بني إسرائيل كثيراً من الأخلاق السيئة ، والطِباع القبيحة ، والمسالك الخبيثة .. فقد وصفهم بالكُفر والجحود والأنانية والغُرور ، والجبن والكذب ، واللجاج والمخادعة ، والعصيان والتعدي ، وقسوة القلب وإنحراف الطبع ، والمُسارعة في الإثم والعدوان ، وأكل أموال الناس بالباطل ، إلى غير ذلك من الرذائل التي سجّلها القرآن الكريم عليهم ، وإستحقوا بسببها الطرد من رحمة الله ، وضرب الذلة والمسكنة عليهم "(1) . وهذه القبائح التي سجّلها القرآن الكريم عليهم يراها الإنسان جليّة واضحة فيهم على مر العصور ، وإختلاف الأمكنة ، ولم تزدهم الأيام إلا رسوخاً فيها ، وتمكّناً منها ، وتعلّقاً بها .

كما وهنالك رذائل بَقيت مُلتصقة بهم طوال حياتهم ، منها فعلوها قديماً ، ومنها لازالوا يفعلونها ، لكنها بقيت السِمة المُلاصقة لهم ، فهُم مميزون بها ، ومن هذه الرذائل أيضاً نقضهم للعهود والمواثيق ، وسوء أدبهم مع الله سبحانه وتعالى ، وعداوتهم وتَقتيلهم لأنبياءِهِ ، وجحودهم للحق وكراهيتهم لِفعل الخير ، والأنانية والحَسد وحُب الذات ، وتحايلهم على تشريعات الله ، وإستحلالهم الحرام ، وحرصهم على الحياة مع كراهية تقديم أي شئ في سبيل الله والآخرة ، ونَبذهم لكتاب الله وإنكار تشريعاته ، وإتباعهم للسحر والشعوذة والأوهام الشيطانية ، خصوصاً ما تفعله اليوم الماسونية العالمية من إستخدام هكذا أساليب للضحك على الشباب وإضلال الناس . وغيرها كثير مما ذَكره القرآن لنا .

" واليهود يشيع فيهم هذا الفساد المزدوج ، فهُم إلى اليوم دهاقين الربا في العالم ، وهم قادة التبرج والعُهر ونسوتهم لا يرددن يد لامس ، ولا ينفي هذا أن فيهم فئة تعرف الخُلق والعفة ، ولكنهم قليل ، والكثرة لا القلة هي التي تُحدد مصاير الشعوب "(2) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولما ظَهر الإسلام وإنتشر وبَلغت سطوته المشرق والمغرب ؛ جن جنونهم وكادوا المكائد إيماناً منهم بأن النبي الذي سيظهر آخر الزمان أنه منهم ، ولما عرفوا صدق نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأنه فعلاً النبي المُنزل والمُرسل آخر الزمان ؛ فقد إستخدموا كل حيلة ، وكل رذيلة في سبيل التشويش عليه وعلى رسالته ، لأنهم مُصّرين على أن الدين حِكر عليهم ، وأن جميع الأنبياء يجب أن تكون منهم ، فلا يخرج عن خطِّهم لا دين ولا نبي ، وهم غير مُستعدين لتقبل فكرة أن الدين والرسالات ستخرج من أولاد إسحاق ، وأن سيادتهم على الأمم قد إنتُزِعت ، وأن نهاية عهدهم ونهاية أمجادهم قد ولَت إلى غير رجعة ، فلم يهدأ لهم بال في سبيل إيقاف النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن تبليغ الرسالة وإنتشارها بين الأمم . فنقظوا العهود والمواثيق ، وغَدروا بالمسلمين ، وتحالفوا مع الشيطان في سبيل ذلك ، لكن حُكم الله فيهم قد نَفذ .

" وبني إسرائيل الذين ظنّوا أن النبوة حِكراً عليهم ، فهم لا يفتأون يحبهون المسلمين ويُكذبون محمداً ويجحدون رسالته ، وقد أغرتهم القشور التي ورثوها من التوراة فجادلوا المسلمين جدالاً طويلاً ،

---

(1) محمد سيد طنطاوي، بنو إسرائيل في القرآن والسنة، ص393 .

(2) الغزالي، فقه السيرة، ص370 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وحَرصوا أشد الحرص ألا يعترفوا بهم ثم ذهبوا إلى حد التأليب عليهم كما رأيت ، فكانت سيرتهم مزيجاً غريباً من الحقد والكبر والدس ، ومع ما ألهب جلودهم من سياط كاوية في صراعهم مع المسلمين ، فإنهم لم يتحولوا عن خطتهم المُريبة قيد أُنملة "(1) .

وأن من ثوابت الحضارة هو العدل ، فلا يمكن لحضارة أن تستقيم ، ولا إنسانية أن تستمر ، ولا حياة أن تزدهر وتتطور إذا لم يتوفر العدل فيها ، فلِكل إنسان حقوق وعليه من الواجبات ، فإذا ما إستحصل على حقوقه بالطريقة الصحيحة ؛ فإن واجباته تجاه المُجتمع ستؤدى بطريقتها الصحيحة أيضاً . وأن من أسباب زوال الأمم هو الظُلم والطُغيان ، وخير دليل الأمم السابقة عندما طَغت وتجبرت على أنبياء الله ، وفيما بينهم ، أنزل الله سطوته عليهم وأزالهم من على وجه الأرض ، والظُلم والطغيان لا يقتصر على ما بين البشر وبين الله سبحانه وتعالى وأنبياءه ؛ وإنما يتعلق أيضاً بالظلم فيما بين البشر أنفسهم ، فإنتشار الربا والتطفيف في الميزان ، وإنتشار الفساد الأخلاقي كانت كفيلة بزوال أصحابها . والظُلم فيما بين العباد أنفسهم لهو أكبر وأشنع ، لأن جُل تشريعات الله سبحانه وتعالى إنما لتحقيق العدل الآلهي في الأرض ، وإرساء قواعد التكافل والعيش الآمن لجميع البشر ، وأن الإنسان هو القيمة العُليا في هذه الحياة ، وهو المقصود من كل التشريعات والقوانين الآلهية ، ولأجله أرسل الله أنبياءه ، وأنزل ملائكته إلى الأرض ، فلا بد من تحقق العدل المُجتمعي ليسود التطور والرُقي ، وأن تقوم الحضارة بصورتها الصحيحة .

وقد قضى الله سبحانه وتعالى فيهم أمره ، فبما عمِلت أيديهم سَلط الله عليه العقوبات على مرّ الزمان ، ومن بين جميع الأمم إستمر عليهم العذاب من الله ليكونوا عِبرة للناس أجمعين ، وسوف أتحدث عن طُغيانهم على مرّ العصور ، وما أصابهم نتيجة طغيانهم هذا ، فكانت على مراحل ثلاث :-

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المرحلة الاولى : عهد ما قبل الإسلام .

كانت هذه المرحلة حافلة بالنكبات والحروب والمشاكل بالنسبة لليهود ، فقد تعرضت مملكتهم إلى العديد من الهجمات من مُختلف الجِهات ، بسبب إثارتهم للمشاكل مع الآخرين ، فتارة يتعرضون للهجوم من قِبل الفرس ، وتارة من قِبل الرومان ، وتارة أخرى من قِبل السلوقيين الذين ما فتئوا في تعريض اليهود لعدة هجمات قاسية أضرّت بهم وبمملكتهم ، ومن جهة أُخرى تعرض اليهود إلى هجوم من قبل الآشوريين . فكان اليهود على علاقة غير جيدة مع شعوب المنطقة .

" أما النكبات التي حلّت بهم فإن من أشهرها غارة بختنصر ملك بابل في سنتي 596 و 587 ق.م ، بما يعرف في التاريخ (بنفي بابل) حيث ظَلوّا في الأسر زهاء خمسين عاماً حتى تغلب قورش ملك الفرس على البابليين عام 538 ق.م ، فوقعوا تحت سيطرة الفرس زهاء قرنين كاملين ، ثم تحت سيطرة المقدونيين خُلفاء الاسكندر الأكبر ، ثم تحت سيطرة الرومان . وعندما قاموا بثورة في عهد الإمبراطور أدريان 135م ، أخمد الرومان ثورتهم وأخرجوهم من ديارهم ، فأصبحوا مُشتَتين في

---

(1) الغزالي، فقه السيرة، ص386 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مُختلف بقاع الأرض "(1) .

لكن أشهرها ما ذَكره الله تعالى لنا في القرآن الكريم ، وهذا الإخبار لنا ولليهود من تذكيرهم بالنكبات التي مرّوا بها نتيجة أفعالهم ، والتي هي بعلم الله تعالى ، وما عِلم الله يفرض عليهم تلك ، إنما هي أعمالهم التي أوصلتهم إلى التشريد والتَقتيل والإبادة . قال تعال ذاكراً مرّات الإفساد التي إرتكبها اليهود في تلك الفترة (وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ، فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ، ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ، إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا)(2) . فالله سبحانه وتعالى إنما ذَكر هاتين المرَّتين لأنها الأقوى والأقسى والأكثر ضراراً على بنو إسرائيل، وإلا فإن هنالك الكثير من الغزوات التي أهلكتهم وأتعبتهم وآذتهم .

" ولقد قضى الله لِبني إسرائيل في الكتاب الذي آتاه لموسى أنهم سَيفسدون في الأرض مرّتين ، وأنهم سيَعلون في الأرض المُقدسة ويسيطرون ، وكلما إرتفعوا فإتخذوا الإرتفاع وسيلة للإفساد سلط عليهم من عباده من يقهرهم ويستبيح حرماتهم ويدمرهم تدميراً .. فهم يعلون في الأرض المقدسة ويصبح لهم فيها قوة وسلطان ، فيفسدون فيها ، فيبعث الله عليهم عِباداً من عِباده أُولي بأسٍ شديد ، وأُولي بطش وقوة ، يستبيحون الديار ويروحون فيها ويغدون بإستهتار ، ويطأون ما فيها ومن فيها بلا تهيب "(3) .

وهاتان المرّتان التي تعرض لها اليهود ، والتي تم ذِكرها في القرآن الكريم إنما على قسمين وهما :-

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أولاً : السبي البابلي . وهذه المرحلة من أصعب المراحل التي مرّت على بني إسرائيل بمملكتيها يهوذا وإسرائيل ، بعد أن إرتكبوا الكثير من التجاوزات والظلم والطغيان ، وكذّبوا رُسلهم وخالفوهم حتى بلغ اليهود ذروتهم في السيطرة والتجبر وإرتكاب الآثام وإنتهاك حدود الله ، حتى زَحف إليهم نبوخذ نصر ملك بابل على أثر نقض اليهود لعهودهم ومواثيقهم معه ، وأعلنوا التمرد والعصيان . فزحف إليهم سنة 586 ق.م بجيش قوي ، حيث سقطت أُورشليم بعد حصار إستمر لمدة سنة ونصف ، حيث قتل نبوخذ نصر مِلِكها آنذاك مع أبناءه وعائلته جميعاً ، وسبى اليهود وأخذهم أسرى إلى بابل ، وهَدم المدينة والهيكل المزعوم ، وأهلك الحرث والنسل ، فأصبحت أُورشليم خالية من أهلها وبيوتها ومعابدها وجميع معالمها . وهذا الخراب هو الأقوى وقعاً في تلك الفترة على اليهود ، وأطلقوا عليه (الأسر البابلي) .

---

(1) مصطفى حلمي، الإسلام والأديان، ص118 .

(2) سورة الإسراء، الآية 4-7 .

(3) سيد قطب، في ظلال القرآن، ص2213 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" وكانت نهاية دولة يهوذا على يد (بختنصر البابلي) وذلك أن بختنصر مَلِك بابل أغار على أُورشليم سنة 606 ق.م ، فنهبها وأجلى كثيراً من أهلها وقبض على (يهوا كين بن يواقيم) مَلكها في ذلك الوقت ، ونفاه مع جماعة كبيرة من نساءِه وأُسرته ، وأقام بدله (صدقيا بن يواقيم) ولكن صدقيا ثار عليه بعد ذلك ، فأعاد بختنصر الكرّة مرة ثانية على أُورشليم سنة 599 ق.م ، وأجلى من اليهود في هذه المرة عشرة الآف من أعيانهم وأشرافهم إلى بابل ، وحَمل كنوز الهيكل والبلاط الملكي .. ثم أن (صدقيا) أعلن العصيان للمرة الثانية سنة 593 ق.م ، فزحف بختنصر على أُورشليم للمرة الثالثة سنة 586 ق.م ، وفي هذه المرة قَتل ملكها (صدقيا) شر قتلة ، وقتل معه أبنائه وأُسرته ، ودَمر مدينة أُورشليم وأسوارها وهيكلها ، وأحرقها بالنار ، ونهب خزائنها ، وإستاق شعب يهوذا أسيراً إلى بابل ، وهناك بقوا في أَسره حوالي خمسين سنة ، ظَلّت خلالها أُورشليم خراباً ... وهكذا قضى على مملكة يهوذا حوالي سنة 586 ق.م ، كما قضى قبل ذلك على أُختها مملكة إسرائيل سنة 721 ق.م "(1) .

والسبب الرئيسي في ذلك هو إنقسام اليهود إلى مملكتين وتفرقهم وتنازعهم على الحكم ، فمنهم من قَرر أن يتبع الأنبياء الذين كانوا بين ظهرانيهم، وهؤلاء هم مملكة يهوذا. فكانت أكثر إستقراراً وأمناً. والقسم الآخر من إهتم بالحُكم والسلطة وترك حُكم الأنبياء وأحكامهم ، وهؤلاء هم مملكة إسرائيل . وكانت مُتقلبة في الأحوال ، وكانت أقل أمناً وإستقرراً من جارتها ، فنشبت بينهما بعض الصراعات التي أدّت الى الانقسام في كل شئ . سواء الحُكم والإتباع الديني . بالإضافة إلى أن اليهود نقضوا عهودهم مع حلفاءهم ، وأثاروا الفتن والشغب ، وأعلنوا التمرد والعصيان ، مما جعل الشعوب الأخرى تطمع فيهم ، وجعلهم لقمة سهلة للغزاة .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" وفي سنة 608 ق.م ، زحف فرعون مصر على مملكة يهوذا فإحتلها ، وإستمر في زحفه فإحتل مملكة إسرائيل التي كانت قد سقطت تحت سُلطة الآشوريين كما سبق القول ، وقد ثار لذلك مَلك بابل نبوخذ نصر (بختنصر) الذي آل له السلطان على آشور وزحف إلى فلسطين ، فهزم فرعون مصر وإستعاد مملكة إسرائيل ، ثم إحتل مملكة يهوذا ، وقتل (صدقيا بن بواقيم) آخر ملوك يهوذا ونهب أُورشليم ودمرها ، ودمر معبد سليمان وسبى أكثر السكان إلى بابل ، وفرّ بعضهم إلى مصر وغيرها من الأقطار ، وأقام بختنصر على فلسطين والياً من قِبله ، وإنتهى بذلك مُلك اليهود بفلسطين ، ويُعرف هذا بالأسر البابلي "(2) .

وهذا السبي قد إتفق عليه جميع المُفسرين القدامى ، وأنه هو أول الكرّتين التي أُجريت على بني إسرائيل ، وكان معيار الإختيار بحسب الأقوى تأثيراً وإهلاكاً لِبني إسرائيل ، والقرآن الكريم عندما ذَكر الكرّتين كما قُلت إنما ذَكر أكثرهما فتكاً باليهود ، وبما أن هذا السبي الأقوى فتكاً بهم ، فقد أجمع الجميع على أنه أول الكرّتين .

---

(1) محمد سيد طنطاوي، بنو إسرائيل في القرآن والسنة، ص54 .

(2) أحمد شلبي، مقارنة الأديان (اليهودية)، ص84 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً : الشتات الثاني . في هذه الفترة كانت القدس تحت حكم المكابيين ، حيث كانت الصراعات الداخلية قد بَلغت أوجها بين قائدين من قادة اليهود ، فإستغلت الدولة الرومانية هذا الإنشقاق ، فساق الرومان حملة عسكرية بقيادة (بامبيوس) فإحتل القدس ، وسيطرت عائلة (هيرودوس) محل الماكبيين في الحكم على اليهود . لكن اليهود لم يقفوا مكتوفي الأيدي ، فقاموا بجملة من الإضرابات والثورات ضد الرومان ، مما سببوا للرومان بقلق ، فقام (تيطس الروماني) سنة 70م ، بتدمير القدس والهيكل ، وقام بإبادة جماعية لليهود ، فدَمر وحَرق وأهلَك منهم الكثير .

" وكان (تيطس) قائداً مُدرباً ، وبطلاً مجرباً ، ذاق منه اليهود الأمرّين . وثابر على منازلتهم بالجنود الرومانية المشهورة ، ومني اليهود بالإنقسام الداخلي والفِتن والمنازعات بينهم ، حتى ضعف أمرهم وتقلص ظِلهم ، وتَقوى (تيطس) عليهم فمَزق شملهم ، ودخل أُورشليم فدكها دكاً ، ودمرها تدميراً ، ومات اليهود في ذلك الحصار نحو مليون نسمة ، فسالت الدماء كالأنهار ... وهنا ينتهي تاريخ الإسرائيليين كأُمت ، فأنهم بعد خراب أُورشليم الثاني على يد تيطس الروماني ؛ تفرقوا في جميع بلاد الله ، وتاريخهم فيما بقى من العصور ملحق بتاريخ الممالك التي توطنوها ، أو نزلوا فيها ، وقد قاسوا في غربتهم صنوف العذاب والبلاء ، فإن الرومان حظروا عليهم دخول أُورشليم "(1) .

وهذا التدمير الذي أحدثه تيطس في المدينة إنما تسبب بهجرة لليهود إلى أنحاء أُخرى متفرقة من البلاد ، فمنهم من هاجر إلى مصر ، ومنهم إلى شمال أفريقيا ، ومنهم إلى إسبانيا ، ومنهم إلى شمال الجزيرة العربية .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" وفي عهد الرومان حلّت أُسرة هيرودوس محل المكابيين ، وقد إستطاع القضاء على آخر ملوك المكابيين ، وحاول هيرودس أن يرضي اليهود فبنى هيكلاً على نسق هيكل سليمان سنة 20 ق.م ، وقد ظل هذا الهيكل حتى سنة 70 م حيث دمر الإمبراطور تيطس الروماني مدينة القدس وأحرق الهيكل على أثر ثورة قام بها اليهود ، وهذا هو التدمير الثاني للمدينة والمعبد بعد التدمير الأول الذي أحدثه نبوخذ نصر (2)" .

فإستمرت الثورات اليهودية والمشاكل التي كانوا يصنعونها مع الرومان ، فلم يبقوا لهم صديقاً ولا مُعاهداً ، مما أغضب الرومان منهم كثيراً ، حتى أعقبت حملة تيطس حملة أخرى بقيادة القائد الروماني (أدريانوس) الذي كان أشد بأساً من تيطس ، حيث أوغل في اليهود ، وأكثر بأساً من سابقه ، ونكّل بهم وشردهم وأهلك الحرث والنسل .

" وإذا كان تيطس قد إكتفى بتدمير المدينة والهيكل وأبقى الحطام مكانه ، فإن أدريانوس أزال معالم المدينة ومعالم الهيكل تماماً سنة 135م ، إذ حرث الأرض وسوّاها وزرعها كما تخلص تماماً من اليهود بها بين قتل وتشريد ، فلم يبق بها يهودي واحد ، ورَحل من إستطاع الهرب منهم إلى مصر

---

(1) محمد سيد طنطاوي، بنو إسرائيل في القرآن والسنة، ص62 .

(2) محمد الخطيب، مقارنة الأديان، ص72 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وشمال أفريقيا وإسبانيا وأُوربا . وأقام الإمبراطور الروماني أدريانوس مكان اليهكل اليهودي هيكلاً وثنياً بإسم جوبيتار **Jupitar** رب الآلهة عند الرومان "(1). فهَجر اليهود القدس ولم يبق فيها لهم صلة.

فاليهود قَبل الإسلام كان لديهم سجل حافل بالإجرام ، وتاريخ مُخزي بالفساد والظلم والجور ، ومواقف كبيرة في القتل والدعارة والطغيان ، والسنين الطويلة التي عاشوها منذ بعثة نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام إليهم ، وإلى فترة ما قَبل بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وهم في تشرد وحروب ودماء ، فلا الأرض أرضهم ، ولا الشعوب حليفتهم ، ولا الدين حجتهم ، ولا الأنبياء شفعاء لهم . فقد خسِروا كل ما حولهم بسبب أنانيتهم وحُبهم لأنفسهم ، وبسبب غدرهم ورفضهم لكل عهد وذمة ، فلا يردعهم إتفاق ، ولا تلزمهم معاهدة ، ولا يتماشى معهم خُلق ولا دين .

المرحلة الثانية : في العصر النبوي .

كان اليهود يسكنون المدينة قبل مَقدم النبي صلى الله عليه وسلم إليها ، فكانوا يُسيطرون على السوق والتجارة ، ويمتلكون رؤوس الأموال ، فيستغلون الناس بآخذ أموالهم ظُلماً وعدواناً . فكان الربا عَملهم ، والإحتكار صَنعتهم . ونشر الحقد والبغضاء بضاعتهم ، فهُم شعب نشيط بذلوا جهدهم للسيطرة على زمام الأمور ، فسيطروا على المال والزراعة والتجارة ، ولا يبالون بأي أسلوب كانت ، حتى المَكر والخديعة مارسوها لبلوغ أهدافهم . ومن أجل ضمان بقائهم وإستمرار نسلهم وسيطرتهم ؛ زرعوا الضغائن بين الأقرباء والعشيرة الواحدة ، فأخذ العرب يأكل بعضهم بعضاً بأسباب لا مُبرر لها، حتى قوى اليهود وتكاثروا ، وتزايدت ثروتهم ، وكبرت دُورهم وحُصونهم ، وعظُمت سطوتهم .

" وقد ترتب على سيطرة اليهود على الجوانب الإقتصادية في المدينة وضواحيها أن قوى نفوذهم المالي ، وصاروا يتحكمون في الأسواق تحكماً فاحشاً ، ويحتكرونها لمصلحتهم ومنفعتهم ، فكرههم السواد الأعظم من الناس ، بسبب أنانيتهم وإشتطاطهم في أخذ الربا ، وحصولهم على غنى وثراء بطرق خبيثة ، يأنف العربي عن سلوكها والتعامل بها "(2) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حتى أنهم شيدوّا الحصون (كحصون خيبر وبني النظير وبني قينقاع وبني قريظة) وأقاموا المعابد الخاصة بهم ، وكانت لهم طقوسهم اليهودية وعبادتهم ، بل حتى أن لهم لغة خاصة يتخاطبون بها ، ليميزوا أنفسهم عن غيرهم من العرب القاطنين معهم في تلك المُدن .

" وفضلاً عن هذا فإن اليهود في العهد النبوي كانوا يعيشون في أحياء وقرى خاصة بهم ، وكانت لهم لغتهم العبرية التي يتخاطبون بها فيما بينهم ، كما كانت لهم طقوسهم ومدارسهم ومعابدهم التي لا يشاركهم فيها غيرهم ، بل هم كانوا يعتبرون عقيدتهم اليهودية وقفاً عليهم وحدهم "(3) .

---

(1) أحمد شلبي، مقارنة الأديان (اليهودية)، ص88 .

(2) محمد سيد طنطاوي، بنو إسرائيل في القرآن والسنة، ص68 .

(3) نفس المصدر السابق، ص65 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والنبي صلى الله عليه وسلم لم يُضايقهم في حياتهم ولم يُقتّر عليهم في مَعيشتهم ، بل وضع لهم فقرة خاصة في الدستورالذي وضعه النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة عندما وطئها صلى الله عليه وسلم . وكانت هذه الفقرات إنما طاعة لأوامر الله عزوجل حينما ذَكر إسلوب التعامل النبوي مع اليهود ، فقال تعالى (لاَ يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ، إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)(1) . فعامَلهم بكل أدب ولِين ، وحفِظ لهم مكانتهم وأنهم أصحاب أخيه موسى عليه الصلاة والسلام ، وأنهم أهل كتاب ، ولهم عليه بعض الحقوق ، بالمقابل اليهود في بادئ الأمر إعترفوا بفضل النبي صلى الله عليه وسلم عليهم ، وسرّوا بمعاملته وحُسن قوله فيما يخصهم .

" أن اليهود حفِظوا للنبي صلى الله عليه وسلم هذه اليد ، حيث لم يتعرض بسوء لصحفهم المقدسة ، ولم يفعل ما فعله الرومان حين تغلبوا على أُورشليم وفتحوها سنة 70م ، إذ أحرقوا الكُتب المقدسة وداسوها بأرجلهم ، ولم يفعل ما فَعله النصارى في حروب إضطهاد اليهود في الأندلس ، حيث أحرقوا صحف التوراة ، هذا هو البون الشاسع بين الفاتحين ممن ذكرنا ، وبين رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام "(2) .

لكن هذا الإعتراف بالجميل لم يدم طويلاً ، فجينات الخُبث تحركت فيهم ، وطبع الخديعة والمَكر كان الغالب ، فقد بدأوا بمواصلة أعمالهم الدنيئة ، وحياكة الدسائس والمكائد للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فرؤيتهم للنبي وأصحابه وهم يبنون قواعد الدين الجديد ، ويتابعون بصمت إنتشاره وهيمنته على القلوب والعقول قبل البلاد ، فحزّ في أنفسهم ذلك وهم أصحاب الدين السائد آنذاك ، وشُهرتهم على مرّ العصور بلغت ذروتها ، فلا يمكن أن تتبخر كل هذه ويسمحون لدين جديد بسحب البساط من تحتهم ، وأن يسود في البلاد ويستحوذ على المقبولية .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فتحالف اليهود مع أعداء النبي صلى الله عليه وسلم من مُشركي قريش وبقية القبائل في أن يقضوّا عليه وأصحابه ، ويقضوا على الدين الذي ينتشر بسرعة البرق ، وقاموا بنقض العهود التي أبرموها مع النبي صلى الله عليه وسلم واحدة تلو الأخرى،حتى أجلاهم النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة.

" أن اليهود قد حاولوا بكل وسيلة القضاء على الدعوة الإسلامية ، وأنهم قد سلكوا لبلوغ غايتهم مسالك متعددة منها طعنهم في نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ، وإستهزؤا بالإسلام وشعائره وإثارتهم للشبهات ؛ لتشكيك المسلمين في دينهم ، وعَملهم على تفريق كلمة المؤمنين ، وتصديع وحدتهم ، إلى غير ذلك من من المسالك الخبيثة .. وأن النبي صلى الله عليه وسلم تحمل سَفههم وصبر على أذاهم ومَكرهم ، وجادلهم بالتي هي أحسن رغم تطاولهم وسوء أدبهم ، ولم يوجف عليهم بخيل ولاركاب ، أملاً في هدايتهم وإستجابتهم للحق ، والذي يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، ولكن اليهود لم يقابلوا الجميل بالجميل ، بل قابلوا حِلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإمعان في

---

(1) سورة المُمتحنة، الآية 8-9 .

(2) محمد سيد طنطاوي، بنو إسرائيل في القرآن والسنة ، ص328 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التمرد ، والغدر في الإساءة ، فقد إنتقلوا من نطاق جحود النبوة وتشكيك المسلمين في صحة دين الإسلام إلى نطاق الغدر ، ونقض العهود والمجاهرة بالكراهية والإستنكار لما يصيب المسلمين من خير "(1) .

فوعّد الله فيهم قائم ، وهو الذي نَبههم من قبل أن الهداية بيد الله ، وهي مفتوحة أمامهم ، وأن عاقبة المَكر والكيد والظلم وخيمة ، وأن اليهود كلما تسلطوا على رقاب الناس ، كلما أرسل الله إليهم وعده فأنكسهم على أُنوفهم ، قال تعالى (عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا)(2) . وعندما تسلطوا على رقاب الناس في المدينة ، كانت عقوبتهم الجلاء والقتل كقصاص من الله ورسوله على أعمالهم الدنيئة العدوانية ، وهذا مصداق قوله تعالى (وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا) ، فإن عُدتم إلى الظلم والطغيان ؛ عدنا إلى تسليط عباد الله عليكم وتشريدكم وأخذ القصاص منكم .

وهذا ماكان عندما أجلاهم النبي صلى الله عليهم وسلم من جزيرة العرب بأكملها بعدما أجلاهم من المدينة من قَبل ، ففتح خيبر وهي أكبر معاقل اليهود ، وأضخم حصونهم ، وأكبر ملاذ لهم ، فتَخلص منهم ومن شرورهم ، وأمِن أهل الجزيرة من مَكرهم وخداعهم وتسلطهم .

" ولقد تحقق موعد الله بالفتح القريب ، وإنتهى وكر اليهود من جزيرة العرب ، والتي كانت تقضّ مضجع المسلمين في كل وقت ، فهي التي ألّبت الأحزاب يوم الأحزاب ، وهي التي حاربت ونقضت العهد في كل مرة "(3) .

فطغيانهم مهما علا فإنه لا يدوم ، وتآمرهم على الله وأنبياءه مهما كبر مكره فانه سينتهي بأمر الله ووعده فيهم . فمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومقر دولته لم تهدأ ولم ترتاح إلا بعدما تم إجلاء اليهود منها ، لأنهم مصدر كل إزعاج ، ومصدر كل تآمر . وهم سبب التهديد على الدين الاسلامي والمسلمين . حيث ساد الأمان بزوال اليهود ، وجاء من بعدهم من باقي المدن والقصبات من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وأسلم على يديه ، وبَسط الإسلام نفوذه وتوسعت سيطرته على باقي الجزيرة العربية بكل أمان وراحة ، بلا خوف من غَدر ، ولا وَجل من مَكر وخديعة .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" ولا ريب أن الهزيمة التي أصابت بني إسرائيل في خيبر قضت على كيانهم العسكري في الجزيرة قضاءاً تاماً ، فجاء يهود (فدك) يطلبون الأمان ... ومدَّ الإسلام رواقه على هذه الأرض بعد أن ظلّت حيناً من الدهر في أيدي اليهود ، يعيشون عليها كما يشتهون "(4) .

وأوصى النبي صلى الله عليه وسلم لمن يأتي من بعده أن لا يبقي اليهود أو بواقي اليهود فيهم ، لأن الدين الإسلامي لا يجب أن يكون له شريك في بلاد الاسلام ، خصوصاً دين اليهود الذي لا يؤتمن لهم ولا لدسائسهم .

---

(1) محمد سيد طنطاوي، بنو إسرائيل في القرآن والسنة، ص263 .

(2) سورة الإسراء، الآية 8 .

(3) منير محمد الغضبان، فقه السيرة النبوية، ص531 .

(4) الغزالي، فقه السيرة، ص377 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" إستمر الرسول صلى الله عليه وسلم على معاملته الحسنة لليهود ، الذين لم يرفعوا رؤوسهم بأذى للإسلام والمسلمين ، إلا أنه وصى قبيل وفاته بإخراج اليهود من جزيرة العرب حتى لا يبقى بها دينان ، وبعد وفاته عليه الصلاة والسلام أقرّ أبو بكر الصديق رضي الله عنه اليهود بمثل المعاملة التي عاملهم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه تم إجلاء اليهود عن جزيرة العرب ، تنفيذاً لوصية الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولأنهم إرتكبوا بعض الجرائم في حق المسلمين ، فقد إغتالوا رجلاً من الأنصار والقَوه في إحدى الآبار ، وإعتدوا على عبدالله بن عمر رضي الله عنهما وهو نائم "(1) .

فالفرق كبير عندما قدِم النبي صلى الله عليه وسلم أول الأيام إلى المدينة ، وإنتهاءاً بفترة حُكم عمر بن الخطاب رضي الله عنه . فقد كان اليهود يشغلون حيزاً كبيراً في المدينة ، ويستحوذون على رؤوس الأموال والأملاك ومصدر القرار ، وإنتهوا إلى الطرد والإجلاء ، وأخذ أموالهم غنيمة للمسلمين ، وهذا كله بسبب طُغيانهم وإفسادهم في الأرض ، وبسبب أنانيتهم ومَكرهم وخداعهم ، وبسبب حُب السيطرة ، ونبذ الآخرين وإقصاءهم ، وأنهم هم أسياد الناس إلى يوم القايمة ، فأكبّهم الله على وجوههم وردَّهم صاغرين .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المرحلة الثالثة : في العصر الحديث .

بَقي اليهود على نفس طِباعهم وسلوكهم المعهود حتى في العصر الحديث ، فبعد أن تبَدلت الأزمنة والأمكنة ، ودارت الأيام وتغير كل شئ ، لكن اليهود بقوا على نفس مَكرهم وخسّتهم وحقدهم على الدين بصورة خاصة ، وعلى من غيرهم بصورة عامة . وبعد أن تهَجروا إلى دول العالم ، وتَشردوا فلم تضمهم أرض ، ولم تحتضنهم دويلة . بدأوا بالتفكير في أن يجعلوا لأنفسهم بلداً خاصاً بهم كسائر الناس ، فلم يجدوا غير فلسطين التي هي بزعمهم فيها أُصولهم ومَهد آباءهم وأنبياءهم . فنَصبوا شِراك المؤامرات ، وأطلقوا عِنان الخُبث والخديعة ، وهم يمتلكون المناصب والمكاسب في كل بلد يسكنون فيه ، على نفس طريقتهم السابقة والمعهودة . فإستغلوا مراكزهم ومناصبهم وما يملكون من مال من أجل إيهام العالم بأحقيتهم بفلسطين ، ومن أجل أن يُخرِسوا كل لسان يعارض هذا المُخطط .

" فقد خدع اليهود الأمم عندما بَنو حركتهم على صلتهم التاريخية بفلسطين - مع أن هذه الصلة قد إنتفت نهائياً منذ تخريب الإمبراطور تيطس للهيكل سنة 701 م ، وتشتيتهم في أنحاء الإمبراطورية الرومانية سنة 135 م في عهد الإمبراطور هادريان - . كما ظهر من بينهم من يعارض هذا الزعم . يقول أدوين مونتاجو (الوزير البريطاني 1916-1922) : أنني يهودي ، ولكنني أعترف بأنه لا توجد قومية يهودية ، وأن فلسطين ليس لها علاقة باليهود "(2) .

---

(1) محمد سيد طنطاوي، بنو إسرائيل في القرآن والسنة، ص328 .

(2) مصطفى حلمي، الإسلام والأديان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ 2004م، ص119 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذه الخطوة أتت من كُره العالم لهم ، وبُغّض الناس عليهم أينما حَلّوا وإرتحلوا ، فلا بلد يأويهم ، ولا شعب يودهم ، ولا مكان يضمهم . لأن الخُبث يحل أينما حلوّا ، والمشاكل تزداد أينما إرتحلوا ، والفتنة مُلازمة لهم فهي بضاعتهم .

" ولهذا عاش كل من إعتنق اليهودية حياة مُنعزلة عن الشعوب والأوطان في أحياء خاصة بهم سُميت بإسم (الغيتو) ، وترتب على ذلك أنهم لم يعرفوا الولاء لوطن نزلوا به ، فكان مجتمعهم مصدر الخيانات والمؤامرات ضد كل بلد نَزلوا به "(1) .

ولازال وعد الله فيهم قائم ، وحُكم الله فيهم نافذ ، فنرى كلما إزداد ظلمهم وطغيانهم كلما سَلط الله عليهم من يسومهم سوء العذاب . ففي العصر الحديث عندما علا نجمهم بالباطل ، وإستمروا في إفسادهم في الأرض ، وإزداد مَكرهم ودهاءهم ؛ جاءت عقوبتهم بما يستحقون . فهذا هتلر الذي سُلِط عليهم ، فنكل بهم وشردهم وقتلهم وحرّقهم ، جزاءاً على أعمالهم ، ونتيجة طغيانهم في الأرض ، وإشاعة الفتنة والمشاكل فيما بين الناس . وهذه عقوبة من أصل عقوبات جَرت عليهم في العصر الحديث .

فقوله تعالى (وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا) مفعولها ساري ، وقابلة للتحقيق في كل زمان ومكان ، ولا يحدّها حدود ، ولا يبطئها زمان ، ولا يوقفها مكان ، لأن الله بِعلمه الأزلي يعلم أن اليهود ديدنهم النفاق والفساد ، وطينتهم الغدر والتلوّن والنفاق ، ومهما طال بهم الأمد فلابد أن يظهر ظلمهم إلى العباد ، ومهما بلغوا من منازل وأحوال فلابد من ممارسة طغيانهم ومَكرهم . وما يفعلونه اليوم بفلسطين لهو دليل على صدق الله فيهم ، ودليل على صفاتهم وطبيعة أخلاقهم ، ولابد من تلقينهم الدرس والعقاب الرباني الذي يستحقونه ، ولابد في إنزال حُكم الله فيهم . الذي حَكّمَه عليهم منذ أن نزلت الآية في القرآن الكريم .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" ذلك هو رأي المُفسرين القدامى وعلماء التاريخ ، على أن هناك نصاً مهماً في هذه الآيات الكريمة وهو قوله تعالى (وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا) ، وتفيد هذه الآية إحتمال طُغيان بني إسرائيل مرات أُخرى ، ووعيداً أن ينزل الله بهم ما يستحقون من عقاب . وما فعله اليهود في العصر الحاضر في فلسطين وفي بيت المقدس عَوّد منهم إلى الظلم والطغيان ، وندعو الله أن يساعدنا على طردهم والثأر منهم تحقيقاً لوعوده ، حتى نَزيل عن أرضنا الطيبة ما نَزل بها من طُغيان وظُلم "(2) .

فالكرّتين على بني إسرائيل قد وقعت فعلاً ما قبل الإسلام ، وهي مرحلة الأسر البابلي ومرحلة الشتات الثاني ، وهذا ما يذهب إليه أكثر المُفسرين القُدامى كما ذَكرتُ ، وأن الرد على من يقول أن إحدى الكرّتين لم تقع فأقول له أن الباب مفتوح لأن تقع كَرّة ثالثة ورابعة ، بل وحتى خامسة غير

---

(1) محمد الخطيب، مقارنة الأديان، ص76 .

(2) أحمد شلبي، مقارنة الأديان (اليهودية)، ص90 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التي ذَكرها الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم ، لأن قوله تعالى (وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا)(1) باقي إلى قيام الساعة في اليهود ، وقابل للتحقيق في أي زمان ومكان ، وأن القول الذي وَرد في التوراة يُثبت ذلك ، فإن كان غير مُحرف فهو دليل إلهي ، وإن كان مُحرفاً فهو دليل من اليهود يدينهم ويثبت تعرضهم للعذاب والقتل والتشريد . ويمكن أن أقول في هذه المسألة عدة أمور :

الأمر الأول : قوله تعالى (عِبَادًا لَّنَا) ، فالقائلين بأن عباد الله هم المؤمنين المسلمين ، فقد جاء في التوراة ذِكر نبوخذ نصر أنه من عباد الله . " وجاء في الإصحاح الخامس عشر من سفر (أشعيا) : قد أرسل الرب إليكم كل عَبيده الأنبياء مُبكراً فلم تسمعوا ولم تميلوا مسامعكم ، قلت إرجعوا كل واحد عن طريقه الشرير وعن شر أعمالكم ، وإسكنوا الأرض التي أعطاها الرب لكم ، ولا تتبعوا آلهة أخرى فلم يسمعوا ، لذلك ها أنا أُرسل وآخذ جميع عشائر الشمال ، ونبوخذ نصر ملك بابل عبدي وآتى بهم على هذه الأرض ، وعلى جميع سُكانها وعلى هذه الأمم من حولها وأبسلهم وأجعلهم دهشاً وأخربة "(2) . فكل الناس هم عِباد الله ، ومن يُنفذ أمر الله هو عبد الله ، ونبوخذ نصر حقق أمر الله فكان عبداً لله . والمُفسرين قالوا إن عباد الله هو كناية على الرجال الأقوياء الأشداء .

الأمر الثاني : قوله تعالى (وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ)(3) ، والمقصود بالمسجد كما هو معلوم أنه مكان بيت المقدس ، وبيت المقدس هي أرض مُقدسة منذ أن نزل بها أول نبي ، ووضع مكان للعبادة فيها ، إلى أن باركها النبي محمد صلى الله عليه وسلم بِمعراجه منها ، فضمّها إلى المُقدسات الإسلامية ، ونسخ كل وصاية عليها من قِبل غير المسلمين . فقوله تعالى المسجد الحرام ، هو أرض بيت المقدس ، لأن المسجد هو كناية من السجود ، وأرض بيت المقدس تعرضت لعبادة الله منذ زمن طويل . وأيضاً تعرضت لكثير من الحروب والمعارك ، وسَكنها من قَبل طوائف متعددة ، فدخول المؤمنين لها وخروجهم منها تكرر عدة مرات خلال حقبة ما قبل الإسلام .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأمر الثالث : قوله تعالى (لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا)(4) ، فإن فساد بني إسرائيل بلغ عشرات المرات وليس مرّتين فقط ، فهُم في كل حين نراهم يُفسدون ويعلون في الأرض ويزيدون طُغيان وتَكبر وتَجبر ، ومن ثم يتبع هذا العلو إبادة لهم وتنكيل من قِبل طرف مُعين نقظوا العهد والميثاق معه . فتكرار الإهلاك بعد الإفساد بحق اليهود يجعلنا نُرَجح أيهم المقصود بقول الله تعالى ، فنأخذ أكثر هلاكين أضَروّا باليهود وأقساها عليهم، ألا وهي التي جرت على يد نبوخذ نصر وتيطس .

الأمر الرابع : قوله تعالى (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا)(5) وهذه المرة الأولى بإتفاق المُفسرين والمؤرخين على أنها غزو نبوخذ نصر ملك بابل إلى أُورشليم سنة 586ق.م ، والتشريد باليهود وتقتيلهم وأخذهم أسرى لخمسين سنة .

---

(1) سورة الاسراء، الآية 8 .

(2) سفر أشعيا، الاصحاح 15 .

(3) سورة الاسراء، الآية 7 .

(4) سورة الاسراء، الآية 4 .

(5) سورة الاسراء، الآية 5 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأمر الخامس : قوله تعالى (ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ)(1) وهذا دليل على معاودة الكرة الثانية على اليهود بالتشريد والتنكيل وإنزال العذاب ، وهذه المرة على الأرجح جاءت من قِبل تيطس الروماني سنة 70 م . وقوله تعالى (رددنا) دلاله على حصولها في الماضي .

الأمر السادس : لو أن هنالك كرّة أخرى بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم فإنها حصلت في موضعين :

الموضع الأول : عندما أجلاهم النبي صلى الله عليه وسلم من جزيرة العرب ، فأقام عليهم حدّ الله بأكثر من فقرة ، فتارة أخذ أموالهم وبيوتهم وبساتينهم وحَرق نخيلهم ، وتارة أخرى أخرجهم بما معهم من لباس وقوت ، وتارة ثالثة قتل كل بالغ فيهم من الذكور ولم يدع إلا الإناث وأحداث الأسنان أحياءاً ولكن أخذهم المسلمون سبايا ، كما حَصل مع بنو قريظة .

الموضع الثاني : ما فعله هتلر بهم من محرقة عظيمة كانت حدث القرون الحديثة ، حيث قام بحرق ست ملايين يهودي كما صوره الاعلام ، بأن ألقاهم في إخدود مُضرم فيه النار ، وقد كانت أهم أسباب هتلر مُنحصرة في خيانات اليهود وبلاده تمر بأوقات عصيبة ، بالإضافة لإفسادهم في داخل المجتمع الألماني .

فنرى الحَرق نفسه إستخدمه نبوخذ نصر بادئ الأمر ، ومن ثم تيطس ، ومن ثم النبي صلى الله عليه وسلم عندما حَرق نخيلهم وبيوتهم عليهم ، وإنتهاءاً بهتلر ، فالمشتركات واحدة وهي إبادة وتشريد وتَقتيل لليهود بسبب صنيعتهم وشَر أعمالهم .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" وإعتقادنا أن هذا التوجيه خاطئ ، وأن مرّتَي الإفساد المذكورَتين في هذه الآيات قد وقَعتا قبل الإسلام ، وهو ما أجمع عليه جميع المُفسرين القدامى ، والذي نؤكده أن مرّات الإفساد التي قام بها اليهود كانت كثيرة ، وأن سحقهم وتدميرهم نتيجة لذلك حصل عدة مرات ، ولكن القرآن الكريم يبرز مرّتين من مرّات الإفساد ، كما يبرز العقوبة عليهما ، وإعتقادنا أن المرّة الأولى تتمثل في عهد الإضطراب والقلق والفوضى والظلم الذي غَمر فلسطين بعد وفاة النبي سليمان وإنقسام المملكة إلى مملكتين يهوذا وعاصمتها أُورشليم ، وإسرائيل وعاصمتها شكيم ، وما تلا ذلك من طُغيان ودمار وقسوة ، وقد عاقبهم الله على ذلك بأن سَلط عليهم سرجون ملك آشور فقَضى على مملكة إسرائيل سنة 721 ق.م ، وبختنصر مَلِك بابل فقَضى على مملكة يهوذا سنة 586ق.م ، وقد أشاع بختنصر فيهم القتل والأسر ودَمر المدينة والهيكل "(2) .

ولازال الباب مفتوحاً لِمن يأخذ ثأر الأقصى من اليهود ، ويَستردّ حقوق المسلمين منهم ....

---

(1) سورة الاسراء، الآية 6 .

(2) أحمد شلبي، مقارنة الأديان (اليهودية)، ص89 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الخامس : لكلِ قومٍ رسول

في ظِل الصراعات العالمية القائمة على إثبات أي الديانات أحق بالإتباع في الكون ، وفي ظِل التنافس في إثبات أيها أصح ، لابد من إبراز جانب الأنبياء ودَورهم في إظهار هذه الحقيقة التي طالما تجاهلها الإنسان على مرّ العقود المُنصرمة . وهذه الحقيقة هي من تُحدد أي الديانات أحق بالإتباع ، وأن جميع الأنبياء إنما جاؤا لنفس الهدف ولِنفس الغَرض من بِعثتِهم . فكُل الأنبياء على مرّ العصور مُنذ زمن آدم عليه الصلاة والسلام وإلى آخر نبي وهو محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم إنما جاؤا بالإسلام الذي هو دين الله الواحد والخالد ، قال تعالى (إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ)(1) . وأن الإسلام هو دين الأنبياء جميعاً ، وعبادة الله والوحدانية له هو لُبّ العقيدة التي إنطلق منها الأنبياء جميعاً . وتعاقب الأنبياء واحداً تلو الآخر إنما لإثبات هذه الحقيقة وإرشاد الناس إليها والحرص على عدم تفرّقهم وتناحرهم ، وضرورة توحدهم تحت راية التوحيد التي أرادها الله سبحانه وتعالى . وأن الغرض من بِعثة الرُسل هو الدعوة إلى عبادة الله وإقامة دينه ، فعن ارسال الله تعالى للرسل الى كل الاقوام قال في سورة الاسراء (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا)(2) ، وعن رسالة الانبياء قال (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ)(3) . وقال تعالى (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ)(4) .

فالرُسل إصطفاهم الله وإختارهم من بين جميع البشر ، ونَزّهَهم عن السيئات وعصمهم عن المعاصي صغيرها وكبيرها ، وحلّاهم بالأخلاق العظيمة من الصدق والأمانة ، والتفاني بالحق وأداء الحقوق . وهذا ما يجب أن يتّفق جميع البشر عليه .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" ولا يمكن معرفة أوامر الله ونواهيه ، وطرق الحلال والحرام التي حددها ، إلا من جهته تعالى ، وقد إختار الله أقرب السُبل لمعرفة ذلك بأن أوحى لطائفة من البشر إصطفاهم لِحمل رسالاته للناس ، وكمّلَهم بالكمال الإنساني ، وعَصمهم من المعاصي والذنوب والإنحراف في السلوك ، وصانهم من الخطأ في نقل أحكام الله وشرائعه للناس ، وأيدهم بتأييد معجِز من عنده . ولو لم يُرسل الله الرُسل مُبشرين ومُنذرين ، لكان للناس على الله حجة بأنه لم يُرسل لهم من يُبلغهم أوامر الله ونواهيه ، وسائر شرائعه لِخلقه ، ويُرغبهم بثوابه ، ويُنذرهم بعقابه ، وحتى يعرفوا واجبهم نحو ربهم "(5) .

فكل الأقوام أرسل الله إليهم أنبياء ورُسل يحملون رسالته إلى البشر ، ولِكلِ قومٍ رسولهم الذي هو من جِلدتِهم ، يتحدث بِلغتهم ، ومن نَفس طينتهم ، يعرفهم ويعرفونه ، فيُرشدهم ويَنصحهم ويُعلمهم . قال تعالى (وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيهَا نَذِيرٌ)(6) . ومن حَق العِباد على الله أن يُرسل إليهم من يُوصل رسالته لهم ، ويُعلمهم تعاليم دينه ، ويُرشدهم إلى الطريق المُستقيم .

سورة آل عمران، الآية 19.

سورة الإسراء، الآية 15 .

(3) سورة الأنبياء، الآية 25 .

(4) سورة النحل، الآية 36 .

(5) الميداني، العقيدة الإسلامية وأُسسها، ص304 .

(6) سورة فاطر، الآية 24 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والله سبحانه وتعالى أعدل العادلين إذ لا يمكن أن يُعذب قوم دون أن يُبيّن لهم ويُرسل إليهم من يرشدهم ، قال تعالى في سورة الإسراء (مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا)(1) . يقول القرطبي مُعلقاً على هذه الآية : " أي : لم نترك الخلق سدى ، بل أرسلنا الرُسل . وفي هذا دليل على إن الأحكام لا تثبت إلا بالشرع ، وأن الله لا يُهلك أمة إلا بعد الرسالة إليهم والإنذار "(2) .

وتعاقُب الأنبياء على مرّ العصور وإلى جميع الأقوام إنما ثبت بِنص القرآن الكريم ، فقال تعالى (ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضاً وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْداً لِقَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ)(3) . وهذا من المُسَلّمات لدينا ، لكن الإختلاف في أن اليهود يُنكرون كل نبي بعد موسى عليه الصلاة والسلام ، ويعتبرون أن موسى هو آخر نبي ، وأن النبي الذي سيأتي بعده والمذكور في كتبهم إنما هو من سُلالتهم ، ومن نَسل إسحاق عليه الصلاة والسلام ، لذلك قاموا بكُل هذا الشَغب في العالم ، وشنّوا حروبهم ضد المسيحية والإسلام حيث يرفضونهما جملةً وتفصيلاً ، مع علمهم بأنها حق ، وأن ما أتى به عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم إنما هو الحق من عند الله ، وأن محمد صلى الله عليه وسلم هو آخر الأنبياء والمُرسلين حقاً وصدقاً ، لكنهم لا يُقرّون بذلك إنطلاقاً من أنانيتهم وتكبرهم وتجبرهم على الله وأنبياءه ، حيث أن أغلب الأنبياء الذين أرسلهم الله كانوا إلى بنو أسرائيل ليَهدوهم ويُقوِموا من مسيرتهم ، إلا أن اليهود لم تَستقم لهم طريقة ، ولم تستعدل لهم طبيعة ولا عَمل . وقد أخبرنا النبي عليه الصلاة والسلام بذلك فقال : " بَعث الله إلى بني إسرائيل أربعة الآف نبي ، وأربعة الآف إلى سائر الناس .. وبلفظ : كان ممن خلا من إخواني الأنبياء ثمانية الآف نبي ، ثم كان عيسى بن مريم ثم كُنت نبياً "(4) . فبنوا إسرائيل إشتهروا على مر التاريخ بكُثرة مشاكلهم وكُثرة إحتيالهم ، سواء مع أنبياءهم أو مع الناس الآخرين ممن كانوا يسكنون معهم أو بجوارهم . ولطالما تَحدث القرآن الكريم عنهم وعن أخلاقهم وطِباعهم ، وتَحدث عن مساوءهم وسيئاتهم ، وتَحدث عن عصيانهم لأنبياءهم وتمردهم . وكُثرة الأنبياء الذين أُرسلوا إليهم إنما لتقويمهم وإرشادهم وإرجاعهم عن الغيّ الذي يعيشون فيه ، لكن بِلا فائدة(5) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لكن الحقيقة لا يمكن لأحد من إنكارها وإن فعلوا ما فعلوا . قال عليه الصلاة والسلام : " كانت بني إسرائيل تسوسهم الأنبياء ، كُلما هَلك نبي خَلَفه نبي ، وأنه لانبي من بعدي ، وسيكون خُلفاء فيكثرون . قالوا: فما تأمرنا ؟ قال: فُوا ببيعه الأول فالأول ، أعطوهم حقهم ، فإن الله سائلهم عما إسترعاهم "(6).

---

(1) سورة الإسراء، الآية 15 .

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص44 .

(3) سورة المؤمنون، الآية 44 .

(4) أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، بدء الخلق والملائكة والجن والأنبياء، دار إبن حبان، الرياض، ودار إبن عفان، القاهرة، ط1، 1427هـ 2006م، ص151 .

(5) حددت في كلامي اليهود كونهم اليوم اللاعب الرئيسي في حجم المشاكل والازمات في العالم .

(6) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذِكر عن بني إسرائيل، رقم 3455، ص856 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالحضارة لا تُبنى ببسط القوة والنفوذ ، ولا تُبنى بإحتكار التأريخ والرأي ، لأن الإنسانية تَفرعت وتَشعبت ، وأصبح لِكل قوم نبي وكتاب وتأريخ ، وأن الإسلام جاء ناسخاً لجميع الشرائع والتشريعات ، والقرآن الكريم جاء ناسخاً لجميع الكُتب السماوية ومُهيمناً عليها . والإعتراف بهذه الحقيقة تفتح الباب لقيام الحضارة الإسلامية الشاملة التي تضمن حقّ الإنسانية والحياة لجميع البشر ، ولا يُمكن قيامها بالطريقة التي يُريدها قوم دون بقية الأقوام ، ولا يُمكن أن تستقيم الحياة في ظل التناحرات والتشاحنات التي تقوم على أساس ديني وعِرقي وطائفي مبني على الخطأ والتزوير .

وقد أوضحت السُنة النبوية على لسان خير البَرية صلى الله عليه وسلم أن الأنبياء جاؤا بالتعاقب على مرّ العصور والأزمنة على جميع الأقوام في هذه الأرض ، وأنه صلى الله عليه وسلم آخر الأنبياء والمُرسلين فقال : " أن رجلاً قال : يارسول الله أنبي كان آدم ؟ قال : نعم . قال : كم بينه وبين نوح ؟ قال : عشرون قرناً . قال : كم بين نوح وبين إبراهيم ؟ قال : عشرة قرون . قال : يارسول الله كم كانت الرُسل ؟ قال : ثلاثمائة وخمسة عشر . "(1) . والحديث الذي يرويه أبي ذر رضي الله عنه يبيّن أيضاً هذه الأعداد بالتفصيل فقال : " قلت : يا رسول الله أي الأنبياء كان أول ؟ قال : " آدم " . قلت : يا رسول الله ونبي كان ؟ قال : " نعم نبي مُكلم " . قلت يا رسول الله كم المُرسلون ؟ قال : " ثلاثمائة وبضعة عشر جماً غفيراً " وفي رواية أبي أمامة ، قال أبو ذر : قلت يا رسول الله كم وفاء عدة الأنبياء قال:" مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، الرُسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جماً غفيراً "(2).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولكن عندما بيّن النبي عليه الصلاة والسلام أعداد الأنبياء والمُرسلين إنما إستند إلى ما جاءه من عند الله عزوجل في القرآن ، أو عن طريق ما أتاه من جبريل عليه السلام بالوحي . إذ أن القرآن الكريم أخبر عن عدد مُعين منهم ، والأخبار التي أتت عن طريق الكُتب السماوية الأخرى والتأريخ أيضاً كشَفت عن أعداد أُخرى وأسماء لأنبياء ومُرسلين تتابعوا على البشرية بالرسالات . قال تعالى (رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا)(3) . وهؤلاء الرُسل إنما هم حُجة الله على خلقه ، والحُجة ليست من باب الظُلم للبشر ؛ وإنما الحُجة من باب إذا أنكر الناس عدم معرفتهم بشرائع الله ، وعدم معرفتهم بما هو مطلوب منهم من قِبل ربهم ، فيُرسل إليهم الرُسل ليُلزمهم الحجة ، ومن عدل الله في الناس أن لا يُعذبهم دون سابق إنذار ، قال تعالى (وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ)(4) . قال إبن كثير : " يقول الله تعالى مُخبراً عن نفسه الكريمة وحُكمه العادل : أنه لا يَضل قوماً إلا بعد إبلاغ الرسالة إليهم حتى يكونوا قد قامت عليهم الحُجة "(5) .

---

(1) الطبراني، المعجم الأوسط، رقم 403، ج1، ص256 .

(2) الخطيب التبريزي، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب بدء الخلق وذكر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، الحديث (5737)، ج10، ص417 .

(3) سورة النساء، الآية 165 .

(4) سورة طه، الآية 13 .

(5) سيد سابق، العقائد الإسلامية، ص179 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مع كل ما ذَكرتُ فإن هنالك رُسل آخرين ، وأقوام لم نسمع بهم قد كانوا بالفعل موجودين على هذه الأرض ، وكان لهم نصيب من الرُسل ، ونصيب من الرسالات ، وعلى كُبر حجم الكرة الأرضية فإن التركيز كان على المنطقة العربية لحِكمة يعلمها الله سبحانه وتعالى وحده ، ولا يمكن الخوض فيها لأنها إرادة الله تعالى . فالهندوس والبوذيين وغيرهم من دعاة الديانات الأخرى قد يكون لديهم أنبياء وتشريعات سماوية ولكن لم تَصلنا أخبارها . وقد يكون في القطب الشمالي أو الجنوبي أيضاً رُسل وأنبياء ، وقد يكون للهنود الحُمر أيضاً . فكل هذه الأقوام قديمة في النشأه والتكوين ، ولابد من وصول التشريعات الآلهية لهم على بُعد المسافات بينهم . وإلا فإن الله سبحانه وتعالى يكون قد ظَلمهم حاشاه عن ذلك . وهذا ما يؤيده قول الله تعالى (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ)(1) . فمِن الرُسل من قَصهم الله لنا عن طريق القرآن الكريم أو الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومنهم لم تَصلنا أخبارهم لحِكمة يريدها الله سبحانه وتعالى . وهذا مما لسنا مأمورين بالخوض فيها ، ولكن إيماننا بأن الله أعدل العادلين ، ولا يمكن أن يُعذب قوم بدون سابق إنذار ، أو أن يتركهم في ظلالتهم بلا رسول يَرشدهم ، ولا نبي يهديهم إلى الطريق المستقيم . وأن كُل الأنبياء الذين لم نسمع بهم حُكمهم حُكم الأنبياء الذين وَصلت إلينا أخبارهم وأحوالهم . فكل الأنبياء منسوخون بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وكل الكُتب السماوية والصُحف إنما نُسِخت بالقرآن الكريم ، وكل مناهج الإتِّباع التي تسمى حديثاً بالـ (الأديان) إنما نُسِخت بالدين الاسلامي الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم . فالإسلام هو دين الأنبياء جميعاً ، وهو الدين الرسمي والأخير الذي جاء من عند الله عزّ وجل ، وتم تصحيح تعاليمه وشرائعه بعدما تحرّفَت من قِبل الأقوام السابقين ، فأنزل الله إلينا دينه نقي مُنقى وحَفِظه من التبديل والتحريف ، وأنزل إلينا القرآن الكريم الذي فيه نور وهدى للمسلمين ، والذي أرسى قواعد التوحيد والحياة ، وحفِظ لنا ديننا ، بعدما تبدلت الكتب السماوية السابقة ، وتحَرّفت الصُحف ، وتغيرت التعليمات ، فلا الكُتب بقت على حالها ، ولا التشريعات عُمِل بها على وجهها الحقيقي وبمطالبها الربانية السليمة . وأن النبوة خُتمت بمحمد صلى الله عليه وسلم حقاً ويقيناً ، وهو المؤَيد من الله عزوجل والمُصطفى من بين جميع خلقِه ، والمثبته إلينا نبوته في القرآن الكريم ، ومُبَشَراً به في الكتب السابقة ، وهو المُعرّف لكل العالمين .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأن الحِكمة من تعدد الرُسل هو لإيصال تعاليم الله وتشريعاته إلى جميع البشر على مرّ العصور لكي لا يكون للناس على الله حجة ، وبتعاقب الأقوام وإنتشارهم في أمصار ومناطق وبلاد متفرقة جَعل مهمة الرسول الواحد مُستحيلة في التبليغ وإيصال الرسالة ونشر عقيدة التوحيد بين الخلائق (الا محمد صلى الله عليه وسلم حيث إستمرت دعوته منذ مَبعثه والى قيام الساعة ، وشَملت كل العوالم) . فالفترة الزمنية منذ نزول آدم عليه الصلاة والسلام إلى الأرض وتكليفه بالرسالة وإلى آخر نبي وهو محمد صلى الله عليه وسلم إنما هي قرون كبيرة ، وفترة زمنية ضخمة لا يمكن أن يستمر الرسول الواحد في التبليغ فيها أو نشر الرسالة الآهية على مَرِها ، وإلى جميع الكُرة الأرضية

---

(1) سورة غافر، الآية 78 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بجميع مناطقها وسُكانها ، فجاءَت الرُسل مُتعاقبة في الزمان والمكان ، فمِنهم من بُعث إلى العراق ، ومنهم من بُعث إلى الجزيرة العربية ، ومنهم إلى الشام ، ومنهم إلى فلسطين ، ومنهم إلى اليمن ، ومنهم إلى مصر ، وكل هذه تمت على فترات زمنية متفاوتة ومتباعدة . ونبي تَبِعه نبي ، وتبليغ تبِعه تبليغ إلى أن وَصَل إلينا .

" لما كانت أُمم الأرض في القرون الأولى على شكل شعوب وقبائل متفرقة ، مُنعزلة عن بعضها في نواحي الأرض ، وكانت هذه الشعوب والقبائل بحاجة ماسة إلى مُنَبه يُنبِهها ، ومُنذر يُنذرها ، ومُصلح يُهذبها ، فقد إقتَضت حِكمة الله - وهو الحكيم الخبير - أن يُرسِل إلى هذه الأُمم في قُراها وبواديها وحواضرها المُنعزلة رُسُلاً مُبشرين ومُنذرين ، لِئلا يكون لهم حجة بالجهل والغفلة ، وكان هؤلاء الرُسل بمثابة السُفراء الذين يحملون مهمة واحدة ، ذات أُسُس ومبادئ واحدة ، فيمثلون إرادة مُرسِلهم بها ، ويبلغون كُتبه ، ويؤدون رسالته "(1) .

كذلك يَكمن السبب في إرسال أكثر من رسول إلى نفس القَوم كما حَصل مع بنو إسرائيل ، أو إرسال الرُسل في نفس الفترة الزمنية أيضاً كما حَصل مع بنو إسرائيل ؛ إنما يرجع إلى أن القوم الذين أُرسل إليهم هؤلاء الرُسل إما أنهم مُعاندون مُجاهرون بالمعصية لا ينفع معهم نُصح ولا لِين ؛ أو لأنهم يقتلون أنبياء الله كما فَعل بنو إسرائيل ؛ أو لتحريف الدين الإسلامي الذي جاء به النبي وتحريف الكُتب السماوية ، وتغيير وتبديل الشرائع الربانية المُنزلة إليهم ، فيُتبِعهم الله بنبي آخر ليُصحح لهم المَسيرة ويُبيّن لهم العَقيدة ، ويَهديهم إلى طريق الله المستقيم .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالأدلة النقلية والعقلية كلها تُثبت صِدق نبينا بالتبليغ والرسالة ، وأن كتابنا المحفوظ من قِبل الله عزّ وجل من الخطأ والزَلل والتحريف والتبديل ، وأن الدين الإسلامي الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو آخر الأديان السماوية ، وهذه الحقيقة التي يجب على جميع البشر الإيمان بها ، والتصديق بمحتواها وبما جاءَت به ، إذا ما أرادَ البشر أن يُنشؤا الحضارة الراقية التي تؤدي الغرض منها وهو الإرتقاء بالمستوى البشري والتقدّم به نحو الرفاهية والإزدهار ، وتضمن هذه الحضارة صون الإنسان وحِفْظ كرامته ، ومساعدته على تحقيق الغاية الربانية من وجوده على هذه الأرض .

---

(1) الميداني، العقيدة الإسلامية وأُسسها، ص520 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاتمة

الحمد لله ... وبعد .

خرجت الدراسة بالعديد من النتائج من خلال سورة الإسراء أستطيع أن أُجمل أهمها فيما يلي :

1 - أثبتت الدراسة أن للأحكام والنصوص القرآنية الدور الأكبر في إنشاء مبدأ الحضارة وتكوين النموذج الفريد الذي يبني الإنسان والأوطان ، وأن حياة الإنسان لا تستقيم إلا إذا إنتُهِل من منهل القرآن الكريم كافة الدساتير والقوانين والأحكام ، وأن ضمان حقوق الفرد وسلامته وضمان عيشه بالصورة السليمة الصحيحة لا يكون إلا إذا أخضع حياته كُلها وفق تعاليم القرآن الكريم الذي هو الدستور الأقوى والأمثل لعلاج جميع المشاكل ، وإستقامة حياة البشر . كذلك ضمان حقوق الآخرين وبيان الإلتزامات الشخصية والإلتزامات التي تكون بِذمة الفرد للآخرين لا تستقيم ولا يكمل بنائها إلا إذا وكل امره كله لله عزوجل ، بحيث تضمن حقوق الفرد وحقوق الآخرين ، وما له وما عليه ، بالتالي فإن جميع هذا يؤدي الى نشوء حضارة رصينة نابعة من تشريع سماوي ثابت وأصيل لا يتغير ولا يميل لجهة دون أُخرى .

2 - أن الآيات القرآنية تحمل الأحكام في ظاهرها ، لكن أيضاً تحمل الكثير من المعاني والأحكام في طياتها ، فلا يمكن الإكتفاء بظاهر النص على أخذّ الحكم الشرعي أو التوجيه الرباني ، فمثلاً قوله تعالى (إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) فإن ظاهره يقول أن دين الله هو الدين الإسلامي الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ؛ لكن بالحقيقة إن دين الله إنما هو دين الأنبياء جميعاً ، وأن جميع الأنبياء أَتوا به تباعاً وبالتوالي ، لكن تحريف تعاليمه من قِبل أقوامهم أَظهر لنا تسميات لديانات على أنها أديان ، مثل اليهودية والنصرانية والهندوسية وغيرها ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لكن الله سبحانه وتعالى أخبر في كثير من المواضع في القرآن الكريم أن دين الأنبياء جميعاً هو الإسلام . وهكذا بقية النصوص القرآنية التي لو حلّلناها وركّزنا فيها وَجدنا أن في طياتها أحكاماً تختلف عن ظاهرها . بالتالي يجب فَهم النصوص القرآنية وإخضاعها للعديد من الآليات لإستخراج التشريعات والأوامر والنواهي والتوجيهات الربانية . وان الأنبياء جميعاً أتوا برسالة واحدة وهي رسالة التوحيد والعبودية لله الواحد القهار ، وأن جميع الأنبياء إجتمعوا على هذه بأمر الله ، لكن إختلفت طبيعة التبليغ بإختلاف أقوامهم ، فكل الأنبياء أرادوا بأقوامهم الخير والصلاح وأن يحملوهم إلى بَر الأمان ورضا الرحمن ، لكن تعنّت الأقوام وتكبرهم وتجبرهم أدى بالكثير منهم إلى الهلاك والإبادة من على وجه الأرض . فالفَرق بين محمد وموسى عليهم الصلاة والسلام إنما فَرق بطبيعة القوم والأتباع وليس فَرق في الرسالة والمضمون ، وبيّنت الرسالة هذه الإختلافات كما بيّنت الشَبه بينهم .

3 - كثير من الظواهر الغيبية تحدث لنا على مدار اليوم والليلة ، ولكن تحتاج الى الوقفة القليلة لمعرفة الغاية منها ومدلولاتها، فمثلاً ذَكر ربنا ظاهرة الليل والنهار التي نلامسها يومياً ولكن من يتحكم بها ؟ ومن بيده مفاتيحها والسيطرة عليها ؟ كل هذا يوعز للإنسان التفكر ملياً فيها وفي أهميتها والغاية منها لكي يتوصل إلى من بيده أمرها والسيطرة عليها ، ومن بيده عِلمها وأحوالها ومواقيتها . كذلك بقية الأُمور التي تمر علينا وهي غيب بالنسبة لنا ولا نعرف مفاتيحها ولا كيفيتها ولا ماهيتها كلها تدلنا إلى أمر واحد ، وهو أن للكون رب يُسيره ، وإلآه يمتلك كل مفاتيحه وأحواله وتصريف الحياة فيه ، وإجراء السموات والأرض بأمره ، فهي خيوط يستخدمها الإنسان للوصول إلى خالقه (لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ). إذ لا يمكن أن تكون الحياة عشوائية وتسير برتابة وعفوية دون خالق يسيرها ولها هدف

وغاية من خلقها ، وأن الحياة الأخرى التي تتبَع هذه الحياة هي الأصل وأنها الحياة الأبدية (وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ)، وما يجري بها أنما نستدل عليه من خلال حياتنا الدنيوي هذه .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

4 - أبرزت لنا الدراسة أن التحديات التي واجهت دعوة النبي عليه الصلاة والسلام إنما كانت مُنطلقة من كيد ومكر وتكذيب ، وأن هذه التحديات إنما أصبحت نموذج للمُلحدين وأعداء الإسلام ليهاجموا النبي صلى الله عليه وسلم ودينه ودعوته ، وأن هذه التحديات إنما هي مُتكررة في كل زمان ومكان لأنها تؤدي نفس الغرض منها ، فالنبي صلى الله عليه وسلم أخبر قديماً ونحن نُخبر عن لسانه (قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا). فهو صاحب الدعوة وصاحب الرسالة ، وأن ما جاء به لهو أكبر وأشمل من تخيلات عقولنا وأوسع من هذه الحياة الدنيا ومتطلباتها وزينتها ، لأن ما جاء به لهو الحياة للبشرية لو فقهو .

5 - كشفت لنا الدراسة حقيقة الكرّتَين التي تعرض لها بنو إسرائيل وما حصل منها فعلاً ، فالأنباء سابقاً تضاربت في هل أنهما تحققتا بالفعل ؟ فقمت بالإستقصاء والتحقق منهما فتَبين في هذا البحث أن الكرّتَين قد حصلت فعلاً في السابق ، وأنهما هما المذكورتين في القرآن الكريم والتي أخبرنا بها الله سبحانه وتعالى ، وان الباب مفتوح لتكرارهما في الوقت الحالي أو في المستقبل ، لأن لهما دلالات كبيرة ووقع خاص في نفوس المسلمين لما لحق بهم من أذى من اليهود ومن مكرهم وظُلمهم لبقية الأقوام .

6 - أن الإجتماع الكبير الذي حصل ليلة الإسراء بالنبي عليه الصلاة والسلام أثبت صِدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأنه آخر الإنبياء والمُرسلين بشهادة القرآن الكريم (وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ) وبشهادة جميع الأنبياء الذين حضروا ذلك الإجتماع ، حيث بتقديمهم النبي محمد صلى الله عليه وسلم للإمامة والصلاة بهم لهو دليل على تسليمه راية النبوة وأنه المؤَهل لحَملها وتبليغها بأمر الله وإرادته . وأن الدين الإسلامي الذي أُمر النبي محمد صلى الله عليه وسلم بتبليغه لهو آخر رسالة نَزلت على وجه الأرض وأنها ناسخة لجميع ما سبقها من الرسالات والكُتب السماوية .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

7 - أثبتت الدراسة أن لكلِ قومٍ رسول ، وأن دين الله قد بَلغ كل الأرض بكافة شعوبها وأقوامها ، والله سبحانه وتعالى أعدل العادلين فلا يؤاخذ أحد بذنب أو عمل دون أن يبلّغه الكيفية من الفعل ومشروعية كل عمل ، وأن الأقوام جميعاً قد أتاهم من الله نذير (وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ)، ولا يُمكن أن يكون للناس على الله حجة بأن يُعذبهم بلا سابق إنذار ولا رسول يرشدهم إلى الطريق الصحيح . لكن هنالك رُسل قد وصلتنا أخبارهم ورُسل لم تصلنا منهم أي معلومة ، وذلك لحِكمة يريدها الله سبحانه وتعالى من ذلك ، ولكن الحقيقة الراسخة أن دين الله وأنبياءه وصلوا لكلِ الأقوام والأماكن فيما قبل محمد صلى الله عليه وسلم .

8 - إن الإفساد في الأرض وطُغيان الأقوام سبب رئيسي في الإستبدال وإهلاك القديم والإتيان بجديد . فبنو إسرائيل لهم صولات وجولات في الظلم والطغيان مما أدى إلى نَبذهم من قِبل الله عزوجل وإستبدالهم بقَوم غيرهم حملوا الرسالة وتبعوا نبيهم ، وأن الأقوام السابقين إنما إستُبدلوا بظلمهم أنفسهم وعصيانهم لأنبياهم وتكبرهم على الله عزوجل ، ونحن أيضاً مُعَرضون لخطر الإستبدال إذا ما تركنا أوامر الله وتنصَلنا عن حمل الأمانة التي سلَمها لنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

9 - لِكل ما ذكرّت أثره الفعّال في البناء الحضاري الذي يحثنا الإسلام عليه ، والذي يُمثل الغاية الدنيوية من خَلق الإنسان والوسيلة لنشر دين الله بالصورة الصحيحة وعلى وجهه الحقيقي الذي إراده لنا ربنا . هذا البِناء الذي يجعل من الإسلام روحه الذي يستمد منه النور والعدل والطمئنينة ، ومن القرآن المنهج والقانون والدستور الذي يسير عليه الإنسان في أرجاء المعمورة ، ومن الأنبياء نبراس وهدى ورحمة . هذا البناء الحضاري الذي يحفظ كرامة الإنسان وآدميته والذي يحفظ كما تحفظ الشريعة الضروريات الخمس . لأن الإنسان هو القيمة العليا على هذه الإرض ، وأنه المخصوص بالتنزيل ، وإليه المُنتهى في هذه الحياة ، وله تَسخر كل ما فيها .

10 - من هنا يظهر لنا أن من أُسس البناء الحضاري أنه يبني علاقة مع الله عزوجل ، ومع النفس ، ومع الآخرين ، ومع الكون ، على أساس الكتاب والسنة .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التوصيات :

1 - أُوصي بدراسة بقية سُور القرآن الكريم على غرار هذه الدراسة وإبراز مُقومات البناء الحضاري من خلالها لتكتمل صورة البناء الحضاري من خلال القرآن الكريم .

2 - أُوصي بدراسة سورة الإسراء من باب إستنباط التشريعات التي تخدم الانسان ، وتستند الدساتير والأنظمة في دول العالم إليها .

3 - أُوصي الباحثين بأن يستنبطوا أحوال بني إسرائيل من خلال سورة الإسراء ، وعدم إسقاطها على يهود اليوم ، وإستخراج جميع أحكامهم من خلال السورة .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

سفر التكوين، موقع الأنبا تكلا هيمانوت، الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، مصر.

سفر أشعيا

كتب اللغة :

أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير و محمد احمد حسب الله، دار المعارف، القاهرة.

المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 1425هـ ، 2004م .

إبن منظور، لسان العرب ، طبعة دار المعارف .

أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ضبطه وصححه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ 1997م .

أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني (502هـ)، المُفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت .

أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، عدد الاجزاء 15 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أبي القاسم سليمان بن احمد الطبراني (260هـ - 360هـ)، المعجم الأوسط، تحقيق: قسم التحقيق بدار الحرمين، دار الحرمين للطباعة والنشر، 1415هـ ، 1995م، عدد الأجزاء 10 .

جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار الحديث، القاهرة، 2003.

حسن عز الدين الجمل، معجم وتفسير لغوي لكلمات القران، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2003م ، ج1، ص220 .

سعدي أبو حبيب، القاموس الفقهي- لغةً وإصطلاحاً، دار الفكر، دمشق، ط2، 1408هـ 1988م .

عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، مقدمة إبن خلدون، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني (816هـ - 1413م)، معجم التعريفات ،تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة .

علي بن محمد بن علي الجرجاني، التعريفات، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1405هـ .

عمر فروخ، العرب في حضارتهم وثقافتهم، دار العلم للملايين، بيروت، ط2.

كافي الكفاة إسماعيل الصاحب ابن عباد، المحيط في اللغة، تحقيق الشيخ محمد حسم آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1414هـ ، 1994م، عدد الاجزاء 11.

مجمع اللغة العربية القاهري، المعجم الوسيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، عدد الاجزاء 2.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كتب التفسير :

أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن - تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ ، 1964م، عدد الأجزاء20، (في 10 مجلدات).

أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى 606هـ)، مفاتيح الغيب - التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ ،عدد الاجزاء 32.

أبي عبد الله محمد بن احمد بن ابي بكر القرطبي (671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1427هـ ، 2006م، عدد الاجزاء 24.

أبي عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي، الصحيح المسند من اسباب النزول، مكتبة صنعاء الاثرية، ط2، 1425هـ ، 2004م.

تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق وضبط وتعليق: بشار عواد معروف و عصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة، ط1، 1415هـ 1994م .

سيد قطب (المتوفى 1385هـ)، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط17، 1412هـ ، عدد الاجزاء 6.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط17، 1425هـ 2004م .

عماد الدين ابي الفداء إسماعيل إبن كثير الدمشقي (774هـ)، مختصر تفسير ابن كثير، تحقيق: محمد علي الصابوني، دار القران الكريم، بيروت، ط6، 1402هـ ، 1981م، عدد الاجزاء 3 .

عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط2، 1422هـ 2002م .

فيصل بن عبد العزيز بن فيصل آل مبارك (1313-1366هـ)، توفيق الرحمن في دروس القرآن ، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن ابراهيم الزير آل حمد، دار العاصمة، الرياض، و دار العليان للنشر، القصيم ، ط1، 1416هـ 1996م .

محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر (544 - 604 هـ)، التفسير الكبير = مفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1401هـ ، 1981م .

محمد الأمين بن محمد بن المختار الجنكي الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، المؤسسة السعودية، ط2، 1400هـ 1979م، عدد الاجزاء 9 .

وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط2، 1418هـ ، عدد الأجزاء30.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كتب الحديث :

أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (206-261 هـ)، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1412هـ ، 1991م .

أبي العلى محمد عبدالرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (1283هـ - 1323هـ)، تحفة الاحوذي بشرح جامع الترمذي، أشرف عليه وصححه: عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر للنشر والتوزيع .

أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (260-360هـ)، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية، عدد المُجلدات 25 .

أبي داود سليمان بن الاشعث السجستاني (202 - 275هـ)، سنن أبي داود، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط2 .

أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري (194-256هـ)، صحيح البخاري، دار إبن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 1423هـ ، 2002م .

أبي عبد الله محمد بن سلامة القضاعي، مُسند الشهاب، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1405هـ ، 1985م .

أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني إبن ماجه (209 - 273 هـ)، سنن إبن ماجه، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1 .

أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي (631 هـ - 676هـ)، رياض الصالحين، تحقيق : محمد ناصر الدين الالباني، المكتب الاسلامي، ط1، 1412هـ ، 1992م .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أبي عبد الرحمن احمد بن شعيب بن علي الشهير بالنسائي (215-303هـ)، سنن النسائي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1 .

أحمد بن حنبل (241هـ)، مُسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1429هـ 2008م، عدد الاجزاء 11 .

أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (773-852هـ)، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وابوابه واحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي ، المكتبة السلفية .

إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي (1162هـ)، كشف الخفاء ومزيل الالباس ، مكتبة القدسي، 1351هـ .

زين الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين الشهير بأبن رجب (736 - 795 هـ)، جامع العلوم والحكم، تحقيق: ماهر ياسين الفحل، دار ابن كثير، بيروت، ط1، 1429هـ ، 2008م .

شهاب الدين احمد بن ابي بكر بن اسماعيل البوصيري، إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، تحقيق: دار المشكاة للبحث العلمي، دار الوطن للنشر، الرياض، ط1، 1420هـ 1999م، عدد الاجزاء 9
.عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي السمرقندي (181-255هـ)، سُنن الدارمي ، تحقيق: فواز احمد زمرلي و خالد السبع العلمي .

عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (581-656هـ)، الترغيب والترهيب، حكّم على أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الالباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1424هـ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

علي بن سلطان محمد القاري (1014هـ) و محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي (741هـ) ،مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، تحقيق: جمال عيتاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ ، 2001م، عدد الاجزاء11 .

محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (279هـ)، سنن الترمذي، حكّم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه العلامة محمد ناصر الدين الالباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط1 .

محمد ناصر الدين الالباني، سلسلة الاحاديث الصحيحة وشئ من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، عدد الاجزاء 9.

محمد ناصر الدين الألباني، الإسراء والمِعراج وذِكر أحاديثهما وتخريج وبيان صحيحها من سقيمها، المكتبة الاسلامية، عمّان، ط1، 1421هـ 2000م .

نور الدين علي بن ابي بكر الهيثمي (807هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، بتحرير الحافظين: العراقي وابن حجر، دار الكتاب العربي، بيروت، عدد الاجزاء 10 .

مُحيي الدين ابو زكريا يحيى بن شرف بن مُري النووي (631-676 هـ)، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، بيت الافكار الدولية .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كتب العقيدة والأديان :

أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام إبن تيمية، شرح العبودية، شرح عبدالعزيز بن عبد الله الراجحي، دار الفضيلة، ط1، 1419هـ ، 1998م .

أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، بدء الخلق والملائكة والجن والأنبياء، دار إبن حبان، الرياض، ودار إبن عفان، القاهرة، ط1، 1427هـ 2006م .

أحمد شلبي، مقارنة الأديان (اليهودية)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط8، 1988.

إبن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي (691-751 هـ)، مدارج السالكين، تحقيق: صالح بن عبد العزيز التويجري ، دار الصميعي للنشر والتوزيع، ط1، 1432هـ ، 2011م .

إبن قيم الجوزية (751هـ)، تهذيب مدارج السالكين، دار التوزيع والنشر الاسلامية، القاهرة، ط2، 1424هـ ، 1997م .

سعيد بن علي بن وهف القحطاني، عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة، ط1، 1429هـ ، 2008م .

شمس الدين أبي عبد الله محمد بن الشيخ أبي بكر إبن قيم الجوزية (751هـ)، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، تحرير: الحساني حسن عبد الله ، مكتبة دار التراث، القاهرة .

صالح بن عبد الرحمن الاطرم، الاسئلة والاجوبة في العقيدة، دار الوطن، الرياض، ط1، 1413هـ .

عبدالله بن عبدالحميد الاثري، الوجيز في عقيدة السلف الصالح، مكتبة الغرباء والدار الاثرية للترجمة والتوزيع والنشر، اسطنبول، ط10، 1435هـ .

عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، العقيدة الاسلامية وأسسها، دار القلم، دمشق، ط2، 1399هـ ، 1979م .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

محمد احمد الخطيب، مقارنه الاديان، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط3، 1435هـ2014م .

محمد بن صالح العثيمين، القول المفيد على كتاب التوحيد، تحقيق: سليمان بن عبدالله بن حمود ابا الخيل و خالد بن علي بن محمد المشيقح، دار العاصمة للنشر والتوزيع .

محمد سيد طنطاوي، بنو اسرائيل في القران والسنة، دار الشروق الاولى للطباعة، ط2، 1420هـ ، 2000م.

مصطفى حلمي، الإسلام والأديان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ 2004م .

ناصر بن عبد الكريم العقل، مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الحركات الإسلامية المعاصرة منها، دار الوطن للنشر، ط1، 1412هـ .

كتب السيرة :

ابو الفداء الحافظ ابن كثير (774هـ)، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، 1410هـ 1990م .

إبن هشام (213 او 218هـ)، السيرة النبوية، علق عليها وأخرج أحاديثها: عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1410هـ 1990م .

سيد سابق، العقائد الإسلامية، دار الكتاب العربي، بيروت .

عبد الحميد جودة السحار، الإسراء والمِعراج ، مكتبة مصر، القاهرة .

عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (774هـ)، قصص الأنبياء، تحقيق: عبد الحي الفرماوي، دار الطباعة والنشر الاسلامية، القاهرة، ط5، 1417هـ 1997م .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (774هـ)، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، 1412هـ 1991م .

عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (701-774هـ)، البداية والنهاية، إعتنى به: حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية ، ط1، 2004م .

محمد الغزالي، فقه السيرة، مراجعة وتخريج الاحاديث: محمد ناصر الدين الالباني، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط6، 1965 .

محمد متولي الشعراوي، المعجزة الكبرى، مطبعة دار أخبار اليوم، القاهرة .

محمد متولي الشعراوي، قصص الأنبياء ومعها سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، إعتنى به: إبراهيم عبد الستار علي و محمد سامح عمر، حسن محمود ودار القدس، ط1، 1426هـ 2006م .

منير محمد الغضبان، فقه السيرة النبوية، مركز بحوث الدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، ط2، 1413هـ 1992م .

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

الكتب الأُخرى :

إبراهيم زيد الكيلاني وآخرون، دراسات في الفكر العربي الإسلامي، ط3، عمّان، 1991م.

أحمد بن فهد الحلي (841هـ)، عدة الداعي ونجاح الساعي، صححه وعلق عليه: احمد الموحدي القمي، دار الكتب الاسلامية ، ط1، 1407هـ ، 1987م .

أحمد رمضان، الخلافة في الحضارة الإسلامية، دار البيان العربي، جد ة، ط1، 1403هـ ، 1983م.

أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد المعروف بإبن الجوزي (597هـ)، صيد الخاطر، تحقيق: عامر بن علي ياسين، دار إبن خزيمة للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1418هـ 1997م.

أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (510-597هـ)، ذم الهوى، تحقيق: خالد عبد اللطيف السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1418هـ ، 1998م .

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (224-310 هـ)، تاريخ الطبري ، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، ط2، دار المعارف، مصر .

أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب إبن قيم الجوزية (691-751)، الروح، دار الفجر للتراث، القاهرة، ط1، 1419هـ 1999م .

أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب إبن قيم الجوزية (691-751)، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ، تحقيق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع ومَجمع الفقه الإسلامي، جدة، ط1، 1432هـ عدد الاجزاء 3 .

أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب إبن قيم الجوزية (691-751)، الفوائد ، تحقيق: محمد عزير شمس، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع ومجمع الفقه الإسلامي، جدة، ط1، 1429هـ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أبي عبد الله محمد بن المرتضى اليماني المشهور بأبن الوزير (775هـ - 840هـ)، إيثار الحق على الخلق، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1407هـ ، 1987م .

الشيخ نِظام، الفتاوى الهندية المعروفة بالفتاوى العالمكيرية في مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، تحقيق ضبط وتصحيح: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1420هـ 2000م، عدد الاجزاء 6 .

حافظ بن أحمد حكمي، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأُصول، دار إبن قيم الدمام، ط1، 1410هـ 1990م، ج2 .

زغلول النجار، الاعجاز العلمي في السنة النبوية، دار نهضة، مصر، ط5، 2012 .

سامي سالم الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي- الظاهرة الإستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، دار المدار الإسلامي ، ط1، 2002، عدد الأجزاء 4 في مُجلدين .

عبد العظيم عبد السلام شرف الدين، إبن قيم الجوزية -عصره ومنهجه واراءه في الفقه والعقائد والتصوف ، دار القلم، الكويت، ط3، 1405هـ ، 1984م .

عبد الكريم بكار، من اجل انطلاقة حضارية شاملة، دار القلم، دمشق، ط4، 1432هـ ،2011م.

عبد الكريم زيدان، المُفصّل في أحكام المرأة والبيت المسلم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1413هـ 1993م،عدد الاجزاء 11 .

عبد الله بن المبارك المروزي (181 هـ)، الزهد والرقائق، تحقيق: احمد فريد، دار المعراج الدولية للنشر، الرياض، ط1، 1415هـ 1995م .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عزمي طه السيد احمد، مدخل الى الثقافة الاسلامية، المكتبة الوطنية، المملكة الاردنية الهاشمية، ط1، 2015.

علي محمد الصلابي، تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان، دار الفجر للتراث، القاهرة، ط2، 1431هـ ، 2010م .

فريد الانصاري، ابجديات البحث في العلوم الشرعية ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط5، 1437هـ ، 2016م.

محمد بن ابراهيم التويجري، فقه القلوب ، بيت الافكار الدولية، الاردن، 2006م، عدد الاجزاء 4 .

محمد بن إدريس الشافعي، ديوان الإمام الشافعي المُسمى الجوهر النفيس في شعر الإمام محمد بن إدريس ، إعداد وتقديم: محمد إبراهيم سليم ، مكتبة إبن سينا للنشر والتوزيع .

محمد بن حسن بن عقيل موسى الشريف، العبادات القلبية واثرها في حياة المؤمنين، دار المجتمع للنشر والتوزيع، ط2، 1419هـ ، 1999م .

مجدي الهلالي، غربة القرآن، ط2 .

مجدي الهلالي، عودة الروح ويقظة الايمان، دار السراج للتوزيع ، ط2، 1436هـ 2015م .

مصطفى حلمي، الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ ، 2004م .

نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (735هـ - 807هـ)، كشف الأستار عن زوائد البزار، تحقيق: حبيب الرحمن الاعظمي ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1399هـ ، 1979م .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مواقع الكترونية :

محمد محمد الجوادى، مفهوم التحليل، منتدى ميراث الرسول، تاريخ النشر : الإثنين 31 مارس 2014، تاريخ الاقتباس : 2017/5/1 .

موقع إسلام ويب، العقيدة الإسلامية، أركان الإيمان، الإيمان بالله، وجود الله، تاريخ النشر: السبت 8 رجب 1423، 2002/9/14، تاريخ الاقتباس:2017/10/1، رقم الفتوى: 22279 .

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

Abstract

Foundations of the civilization in the Esra'a chapter

"Dogmatic Analytic Study**"**

This research deals with the foundatious of the civilization through the Esra'a chapter as a dogmatic and analytic study .

This academic work consists of five chapters . The first chapter tackles the definitions of the terms of the research such as the construction of the civilization and so forth .

The second chapter deals with relationship of man with Allah , The third chapter deals with the relationship of man with himself and athors . The forth chapter deals with the faith in the unseen , and it's effect on the construction of the civilization .

The fifth chapter deals with the methodology of defending the prophet Muhammad against the accusations said by the opponents , and it's effect on the construction of the civilization .

This research comes to the conelusion that the construction of the civilization can not be established without deriving it's legislations from the Holy Qur'an and the tradition of prophet muhammad " peace be upon him " .

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com